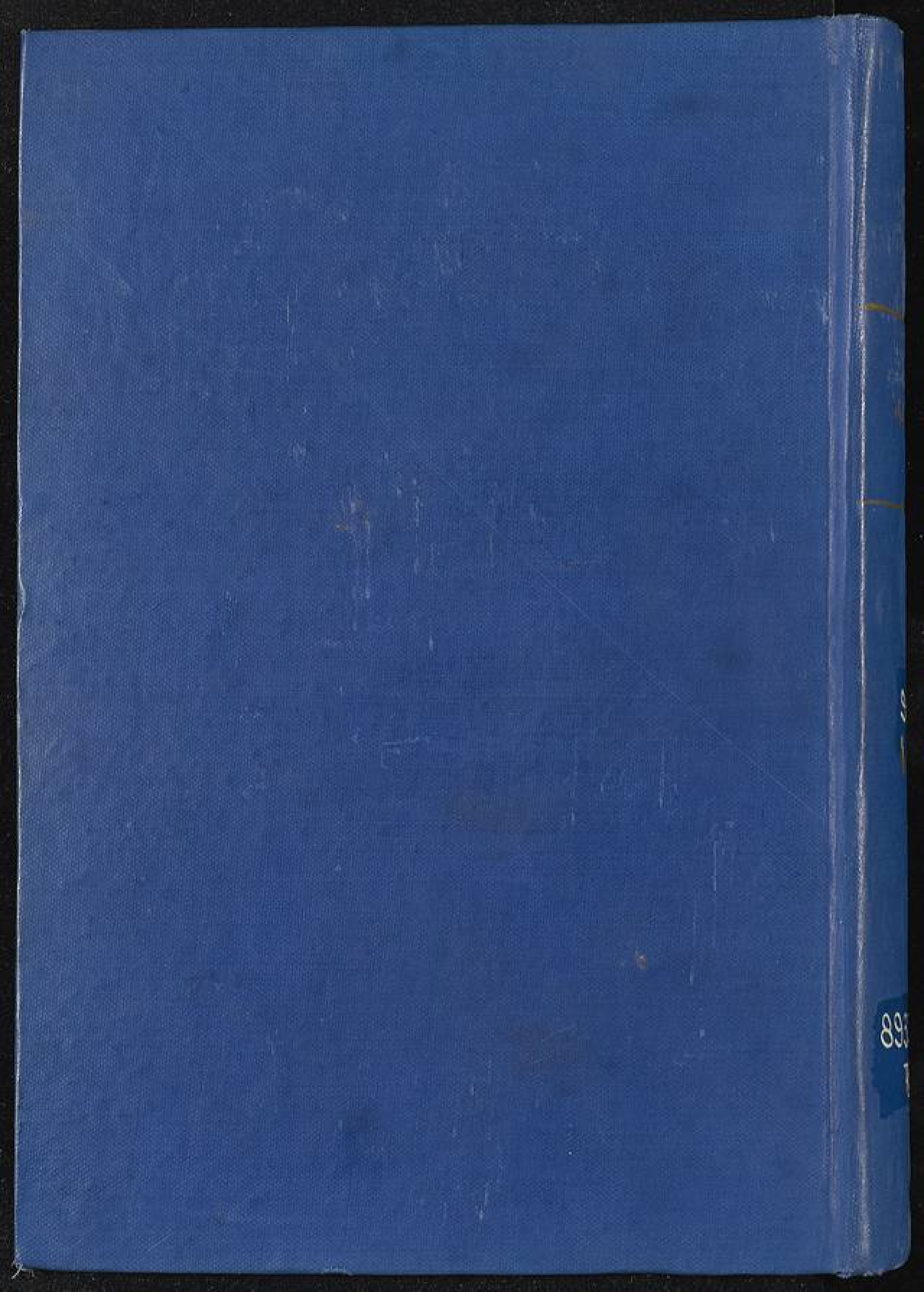
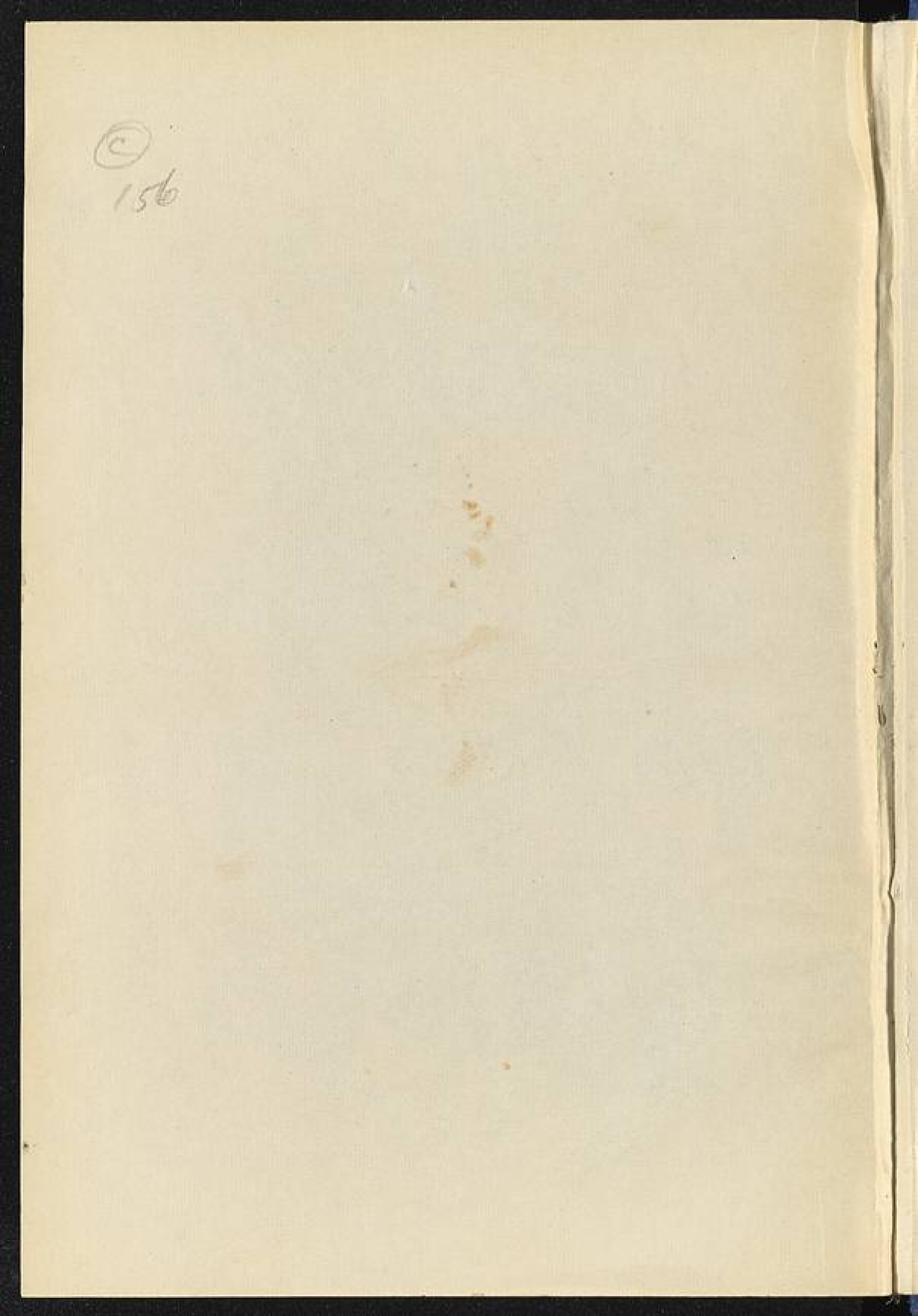
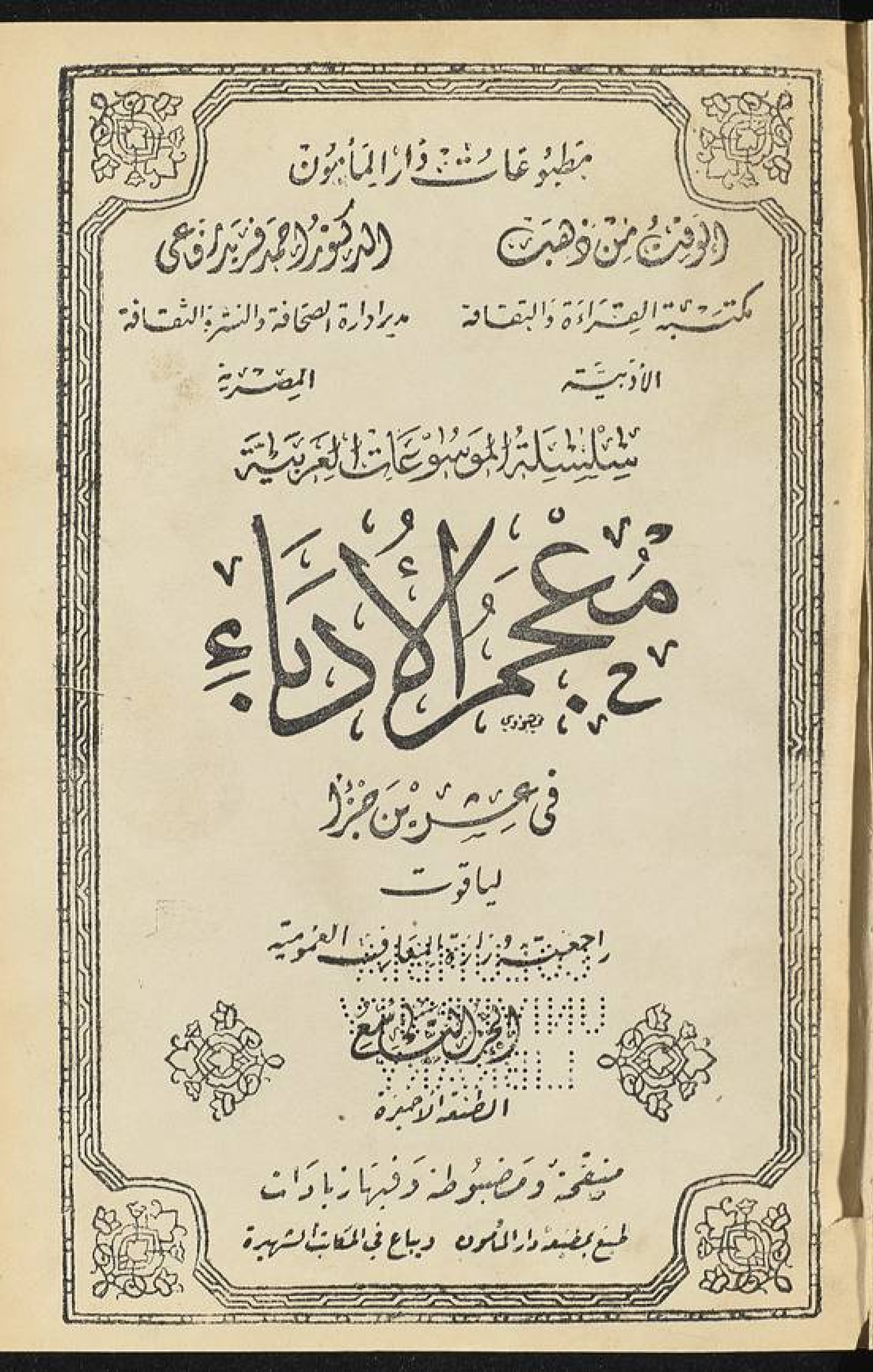



©
156



مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي — مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء التاسع

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين . أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

١ – الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ خَلَّادٍ الرَّامَهُرْمُزِي *

الحسن الرامهرمزى

أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاضِي . ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ وَقَالَ : هُوَ حَسَنُ التَّصْنِيفِ مَلِيحُ التَّأْلِيفِ ، سَلَكَ طَرِيقَةَ الْجَاحِظِ وَكَانَ شَاعِراً ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ . مَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ رَبِيعِ الْمُتَيَّمِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ . كِتَابُ الْفَلَكِ فِي مُخْتَارِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ . كِتَابُ أَمْثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كِتَابُ الرَّيْحَانَتَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ . كِتَابُ إِمَامِ التَّنْزِيلِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ . كِتَابُ النَّوَادِرِ وَالشَّوَارِدِ . كِتَابُ أَدَبِ النَّاطِقِ . كِتَابُ الْمَرَاثِي وَالتَّعَازِي . كِتَابُ رِسَالَةِ السَّفَرِ . كِتَابُ مُبَاسَطَةِ الْوُزَرَاءِ . كِتَابُ الْمَنَاهِلِ وَالْأَعْطَانِ وَالْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ . كِتَابُ الْفَاصِلِ بَيْنَ الرَّاوِي وَالْوَاعِي [1] .

(*) راجع فهرست ابن النديم ص ٢٢٠

(١) زاد فى الفهرست . كتاب الشيب والشباب . كتاب أدب الموائد

وَكَانَ الْقَاضِي الْخَلَّادِيُّ مِنْ أَقْرَانِ الْقَاضِي التَّنُوخِيِّ ، وَقَدْ مَدَحَ (١) عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شُجَاعٍ بِمَدَائِحَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَأَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ مُكَاتَبَاتٌ وَمُجَاوَبَاتٌ ، مِنْهَا مَا نَقَلْتُهُ مِنْ مَزِيدِ التَّارِيخِ لِأَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ابْنِ مُحَمَّدٍ ، الَّذِي زَادَهُ عَلَى تَارِيخِ السَّلَامِيِّ فِي وُلَاةِ خُرَاسَانَ .

قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : لَمَّا اسْتُوزِرَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخَلَّادِيُّ فِي التَّهْنِئَةِ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَانِحِ الْجَزِيلِ ، وَمُعَوِّدِ الْجَمِيلِ ، ذِي الْمَنِّ الْعَظِيمِ ، وَالْبَلَاءِ الْجَسِيمِ :

الْآنَ حِينَ تَعَاطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا (٢)

وَأَبْصَرَ السَّمْتَ (٣) فِي الظَّلْمَاءِ سَارِيهَا

---

(١) يريد بالمادح صاحب الترجمة (٢) تعاطى القوس باريها : يراد به : عاد الأمر إلى نصابه (٢) السمت : الطريق والمحجة

الْآنَ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا مُهَلَّبُهَا

سَيْفُ الْخِلَافَةِ بَلْ مِصْبَاحُ دَاجِيهَا

أَضْحَى الْوِزَارَةُ تُزْهَى فِي مَوَاكِبِهَا

زَهْوَ الرِّيَاضِ إِذَا جَاءَتْ غَوَادِيهَا (١)

تَاهَتْ عَلَيْنَا بِمَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ (٢)

قَلَّتْ لِمِقْدَارِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

مُوَفَّقُ الرَّأْيِ مَقْرُونٌ بِغُرَّتِهِ

نَجْمُ السَّعَادَةِ يَرْعَاهَا وَيَحْمِيهَا

مُعِزُّ دَوْلَتِهَا هَنَّأْتُهَا فَلَقَدْ

أَيَّدْتَهَا بِوَثِيقٍ مِنْ رَوَاسِيهَا (٣)

تَهْنِئَةُ مِثْلِي مِنْ أَوْلِيَاءِ الْوَزِيرِ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — الدُّعَاءُ أَفْضَلُهُ مَا صَدَرَ عَنْ نِيَّةٍ لَا يُرْتَابُ بِهَا وَلَا يُخْشَى مَذْقُهَا (٤)، وَكَانَ غَيْبُ صَاحِبِهِ أَفْضَلَ مِنْ مَشْهَدِهِ، — فَهَنَأَ

---

(١) غواديها جمع غادية : وهي السحابة تنشأ غدوة ، أو مطرة الغداة ويقابلها الرائحة

(٢) ومنه فلان ميمون النقيبة : أى مبارك النفس (٣) الرواسى : الجبال الثوابت الرواسخ ، واحدتها راسية يخاطب معز الدولة لأنه ولى من هو كالجبال الرواسى

(٤) مذقها : أى اختلاطها وشوبها بكدر

اللهُ الوزيرَ كرامتَه ، وأحلى له ثمرةَ ما منحه ، وأحمدَ بدأه وعاقبتَه ، ومفتتحَه وخاتمتَه ، حتى تتصلَ المواهبُ عندَه اتصالاً في مستقبلِه ومستأنفِه يوفي على متقدمِه بمنِّه — .

وكتابي هذا — أيدَ اللهُ الوزيرَ — من المنزلِ برامَهُرْمُز ، وأنا عقيبُ علةٍ ومحنةٍ ، ولولا ذلك لم أتأخرْ عن حضرتِه — أجلَّها اللهُ — مهنئًا ومسلمًا ، فإنْ رأى الوزيرُ شرفني بجوابِ هذا الكتابِ . فكتبَ إليه المهلبيُّ جوابَه :

« بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ » : وصلَ كتابُك يا أخي - أطالَ اللهُ بقاءَكَ ، وأدامَ عزكَ وتأييدكَ ونعماكَ - المتضمنُ نفيسَ الجواهرِ من بحارِ الخواطرِ ، الحاوي ثمارَ الصفاءِ من منبتِ الوفاءِ وفهمتُه ، ووقعَ ما أهديتَه من نظمٍ ونثرٍ ، وخطابٍ وشعرٍ ، موقعَ الريِّ من ذي الغُلَّةِ ، والشفاءِ من ذي العلةِ ، والفوزِ من ذي الخيبةِ ، والأدبِ [1] من ذي الغيبةِ ، وما ضاءتْ حالٌ إلا وأنتَ الأولى بسرورِها ،

(١) الادب التأديب

وَالْأَغْبَطُ بِحُبُورِهَا ، إِذْ كُنْتَ شَرِيكَ النَّفْسِ فِي السَّرَّاءِ وَمُوَاسِيَهَا فِي الضَّرَّاءِ ، وَتَكَافَتْ الْإِجَابَةُ عَمَّا نَظَمْتَ عَلَى كَثْرَةٍ مِنَ الشُّغُلِ إِلَّا عَنْكَ ، وَزُهْدٍ فِي الْمُطَاوَلَةِ (١) إِلَّا فِيكَ . وَالْعُذْرُ فِي تَقْصِيرِهَا عَنِ الْغَايَةِ وَاضِحٌ ، وَدَلِيلُ الْعَجَلَةِ فِيهَا لَائِحٌ ، وَأَنْتَ بِمُوَاصَلَتِي بِكُتُبِكَ وَأَخْبَارِكَ وَأَوْطَارِكَ (٢) مَسْئُولٌ ، وَالْجَرْيُ عَلَى عَادَتِكَ الْمَأْثُورَةِ وَسِيرَتِكَ الْمَشْكُورَةِ مَأْمُولٌ ، وَأَنَا وَاللهِ عَلَى أَفْضَلِ عَهْدِكَ ، وَأَحْسَنِ ظَنِّكَ ، وَأَوْكَدِ ثِقَتِكَ ، وَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ :

مَوَاهِبُ اللهِ عِنْدِي لَا يُوَازِيهَا
سَعْىٌ وَمَجْهُودٌ وَسْعِي لَا يُدَانِيهَا
لَكِنَّ أَقْصَى الْمَدَى شُكْرِي لِأَنْعُمِهِ
وَتِلْكَ أَفْضَلُ قُرْبَى عِنْدَ مُؤْتِيهَا

(١) المطاولة : إمهال الشيء حتى يتغلب عليه

(٢) الاوطار جمع وطر : وهو الحاجة — ولا يبنى منه فعل — ومنه : قضى وطره ، أى بلغه ونال بغيته وحاجته

وَاللهَ أَسْأَلُ تَوْفِيقاً لِطَاعَتِهِ
حَتَّى يُوَافِقَ فِعْلِي أَمْرَهُ فِيهَا
وَقَدْ أَتَتْنِي أَبْيَاتٌ مُهَذَّبَةٌ
ظَرِيفَةٌ جَزْلَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
ضَمَّنْتَهَا حُسْنَ أَوْصَافٍ وَتَهْنِئَةٍ
أَنْتَ الْمُهَنَّى بِبَادِيهَا وَتَالِيهَا
وَدَعْوَةٌ صَدَرَتْ عَنْ نِيَّةٍ خَلَصَتْ
لَا شَكَّ فِيهَا أَجَابَ اللهُ دَاعِيهَا
وَأَنْتَ أَوْثَقُ مَوْثُوقٍ بِنِيَّتِهِ
وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ حَالٍ نُرَجِّيهَا
فَثِقْ بِنَيْلِ الْمُنَى فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ
أَصْبَحْتَ تَعْمُرُهَا عِنْدِي وَتَبْنِيهَا

وَكَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ إِلَى الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ الْخَلَّادِيِّ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَيُّهَا الْقَاضِي الْفَاضِلُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاكَ ، وَأَدَامَ عِزَّكَ

وَنُعْمَاكَ — . مَنْ أَسَرَّ دَاءَهُ وَسَتَرَ ظِمَاءَهُ ، بَعُدَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَلَّ(١) مِنْ غُلَّتِهِ ، وَقَدْ غَمَرَنِي مُنْذُ قَرَأْتُ كِتَابَكَ إِلَى الشَّرِيفِ - أَيَّدَهُ اللهُ - شَوْقٌ اُسْتَجْذَبَ نَفْسِي وَاُسْتَفَزَّهَا(٢) ، وَمَدَّ جَوَانِحِي وَهَزَّهَا ، وَلَا شِفَاءَ إِلَّا قُرْبُكَ وَمُجَالَسَتُكَ ، وَلَا دَوَاءَ إِلَّا طَلْعَتُكَ وَمُؤَانَسَتُكَ ، وَلَا وُصُولَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِزِيَارَتِكَ أَوِ اُسْتِزَارَتِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَ أَخَفَّهُمَا عَلَيْكَ ، وَتُعْلِمَنِي آثَرَهُمَا لَدَيْكَ ، وَتُقَوِّمَ(٣) مَا أَلْبَسْتَهُ فِي ذَلِكَ فَعَلْتَ ، فَإِنِّي أُرَاعِيهِ أَشَدَّ الْمُرَاعَاةِ ، وَأَتَطَلَّعُهُ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، وَأَعُدُّ عَلَى الْفَوْزِ بِهِ السَّاعَاتِ . فَأَجَابَهُ الْخَلَّادِيُّ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : قَرَأْتُ التَّوْقِيعَ — أَطَالَ اللهُ

---

(١) بعد عليه أن يبل من غلته : الغلة شدة العطش . والمراد بعد عليه أن تتحسن حاله ، ويظفر ببغيته (٢) استفزه استفزازاً : أى استخفه واستدعاه

(٣) فى الاصل « وتقدم » وبالتقويم الايضاح ، وهذا اقتباس من الآية السالفة . وألبس عليه الأمر : جعله مشتبها بغيره

بَقَاءَ الْأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ — فَشَحَذَ[١] الْفِطْنَةَ وَآنَسَ الْوَحْدَةَ ، وَأَلْبَسَ الْعِزَّةَ وَأَفَادَ الْبَهْجَةَ ، وَقُلْتُ كَمَا قَالَ رُؤْبَةُ ، لَمَّا اسْتَزَارَهُ أَبُو مُسْلِمٍ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ :

لَبَّيْكَ إِذَا دَعَوْتَنِي لَبَّيْكَا أَحْمَدُ رَبِّي سَابِقًا إِلَيْكَا

فَأَمَّا الْإِجَابَةُ عَنْ أَفْصَحِ بَيَانٍ خُطَّ بِأَكْرَمِ بَنَانٍ ، وَأَوْضَحَ[٢] لِلزَّهْرِ الْمُؤْنِقِ لِمَالِكِ رِقَابِ الْمَنْطِقِ ، فَمَا أَنَا مِنْهَا بِقَرِيبٍ وَهَيْهَاتَ « وَأَنَّى لِيَ التَّنَاوُشُ[٣] مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » لَكِنِّي عَلَى الْأَثَرِ ، وَلَا أَتَأَخَّرُ عَنِ الْوَقْتِ الْمُنْتَظَرِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخَلَّادِيُّ مُلَازِمًا لِمَنْزِلِهِ ، قَلِيلَ الْبُرُوزِ لِحَاجَتِهِ . وَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ : فَرَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ : نِعْمَ صَوْمَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ ، يَكُفُّ فِيهِ

---

(١) فشحذ الفطنة : من شحذ السكين أى حده — والمراد أنه أرهف ذكائى ونبه لبى ، لما فيه الخ (٢) فى العماد واضح

(٣) التناوش : التناول — ومعنى الآية : أنى لهم تناول الايمان فى الآخرة ، وقد كفروا به فى الدنيا ؟

سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ . وَرَوَى عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ : الْعُزْلَةُ عِبَادَةٌ . وَقَالَ : خَلَاؤُكَ أَفْنَى لِحَيَاتِكَ . وَقَالَ : عِزُّ الرَّجُلِ فِي اسْتِغْنَائِهِ عَنِ النَّاسِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . وَأَنْشَدَ لِابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

اهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا
تَلْقَ السُّعُودَ إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدَا
لَيْتَ السِّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُعَاشِرَةً
وَأَنَّنَا لَا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَدَا
إِنَّ السِّبَاعَ لَتَهْدَا فِي مَرَابِضِهَا[1]
وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدَا

(١) مرابض : جمع مربض كمجلس ، وهي للغنم كالمعاطن للإبل ، والمراد أن الحيوان يهدأ في مساكنه . ويترك الشقاق بخلاف الإنسان . هذا وإني لأرى في هذه الأبيات روحا شعرية تماثل روح ابن قيس الرقيات صاحب مصعب ابن الزبير واللاجىء إلى عبد الملك فأين هذا من قوله :

إنما مصعب شهاب من الله ۞ تجلت عن وجهه الظلماء

ومن قوله في عبد الملك :

يأتلق التاج فوق مفرقه ۞ على جبين كأنه الذهب

ولم يرض بالبيت عبد الملك وقال : إنما يفرح بهذا النساء ، ووازنه بالبيت السابق

« عبد الخالق »

ثُمَّ صارَ الخَلَّادِيُّ إِلَى أَبِي الفَضْلِ بْنِ العَمِيدِ ، فَلَمَّا فَتَّشَهُ (١) شَاهَدَ (٢) مِنْهُ عِلْماً غَزِيراً ، وَقَبَسَ أَدَباً كَثِيراً .

وَقَالَ الخَلَّادِيُّ : إِنْ أَعْجَبَ الأُسْتَاذَ مَغْرِفِي صُحْبَتُهُ ، وَتَعَلَّقْتُ بِهِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَتَبَ الخَلَّادِيُّ إِلَى مَنْزِلِهِ بِرَامَهُرْمُزَ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : قَدْ وَرَدْتُ مِنَ الأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ عَلَى ضِيَاءٍ بَاهِرٍ ، وَرَبِيعٍ زَاهِرٍ ، وَمَجْلِسٍ قَدِ اسْتَغْرَقَ جَمِيعَ المَحَاسِنِ ، وَحُفَّ بِالأَشْرَافِ وَالأَكَارِمِ ، وَجُلَسَاءَ أَقْرَانٍ أَعْدَادِ عَامٍ ، كَأَنَّهُمْ نُجُومُ السَّمَاءِ ، وَمِنْ طَالِبِيٍّ أَرِجِ المَعَاطِفِ ، وَصُلْبِ المَكَاسِرِ (٣) ، جَامِعٍ إِلَى شَرَفِ الحَسَبِ دِيناً وَظَرْفاً ، وَإِلَى كَرَمِ المَحْتِدِ رَحْمَةً (٤)

---

(١) فتش الشيء وعنه : تصفحه ، وسأل ، واستقصى في الطلب (٢) في الأصل « شدا » (٣) صلب المكاسر : الصلب الشديد ، والمكاسر جمع مكسر ، وهو موضع الكسر وهو يريد : أنه قوى شديد ، ومن ذلك قولهم : عود صلب المكسر : أى تعرف جودته بكسره. (٤) في الأصل « فرصة »

وَفَضْلاً ، وَكَاتِبٍ حَصِيفٍ ، وَشَاعِرٍ مُفْلِقٍ ، وَسَمِيرٍ آنَقَ[١]
وَفَقِيهٍ جَدِلٍ ، وَشُجَاعٍ بَطَلٍ :

كِرَامُ الْمَسَاعِي لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ
إِذَا نَطَقَ الْعَوْرَاءَ غَرْبَ[٢] لِسَانِ
إِذَا حُدِّثُوا لَمْ تَخْشَ سُوءَ اسْتِمَاعِهِمْ
وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانِ

وَوَضَعْنَا الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا يُزْرِى بِنَا كَرَمُ الْمَزُورِ وَلَا يُعَابُ الزَّوْرُ . يُجِدُّ[٣] الْأُسْتَاذُ عِنْدِى كُلَّ يَوْمٍ مَكْرُمَةً وَمِيرَةً تَطْوِيَانِ مَسَافَةَ الرَّجَاءِ ، وَتَتَجَاوَزَانِ غَايَاتِ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ ، وَالْبِشْرِ وَالدُّعَاءِ ، ـ فَزَادَ اللهُ فِي تَبْصِيرِهِ حُقُوقَ زُوَّارِهِ ، وَتَيْسِيرِى لِشُكْرِ مَبَارِّهِ ـ .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَمِنْ مُلَحِ مَا قِيلَ فِي ابْنِ خَلَّادٍ قَوْلُهُ :

---

(١) الأنق : الحسن المعجب ، والأناقة : الحسن المعجب (٢) غرب اللسان : حدته وسلاطته . يريد أن الذى يزل فيهم أو يقول شيئاً لا يسخرون منه ولا يبدون عورته ، فشبه زلة اللسان بالعوراء «عبد الخالق»

(٣) يجد : من الجديد كقولهم لمن لبس الجديد : أبل وأجد دعاء له . والميرة : الطعام الذى يمتاره الانسان

قُلْ لِابْنِ خَلَّادٍ إِذَا جِئْتَهُ
مُسْتَنِداً فِى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ يَحْظَى (١) بِهِ
« حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ نَافِعِ »

وَمِنْ مُلَحِهِ قَوْلُهُ وَقَدْ طُولِبَ بِالْخَرَاجِ :

يَأَيُّهَا الْمُكْثِرُ فِينَا الزَّمْجَرَهْ (٢)
نَامُوسُهُ دَفْتَرُهُ وَالْمَحْبَرَهْ

قَدْ أَبْطَلَ الدِّيوَانُ كُتُبَ الشَّجَرَهْ (٣)
وَالْجَامِعَيْنِ وَكِتَابَ الْجَمْهَرَهْ

هَيْهَاتَ لَنْ يَعْبُرَ تِلْكَ الْقَنْطَرَهْ
نَحْوُ الْكِسَائِيِّ وَشِعْرُ عَنْتَرَهْ

---

(١) يريد أن مثل عملك واستنادك فى المسجد فات وقته (٢) تقدم مثل هذا

(٣) « الشجرة » هكذا فى العماد وفى الأصل « السحرة » بالسين المهملة

وَدَغْفَلٌ وَابْنُ لِسَانِ الْحُمَّرَه (١)

لَيْسَ سِوَى الْمَنْقُوشَةِ الْمُدَوَّرَه

ذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ النَّسَبِ ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلَّادٍ الرَّامَهُرْمُزِيُّ : كَانَ فَاضِلاً مُكْثِراً مِنَ الْحَدِيثِ ، وَلِيَ الْقَضَاءَ بِبِلَادِ الْخُوزِ وَرَحَلَ قَبْلَ التِّسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَتَبَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ شِيرَازَ ، ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشِّيرَازِيُّ الْقَصَّارُ فِي تَارِيخِ فَارِسَ وَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ عَاشَ بِرَامَهُرْمُزَ إِلَى قُرْبِ السِّتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(١) جرى ذكره فى الأغانى ج ١٤ ص ١٤٣ وهو معاصر للمغيرة بن شعبة . يقول ابن خلاد إن ما كان يجير الانسان من الحاكم من مثل عرفانه شجرة النبوة واضطلاعه بجامعى البخارى ومسلم ، وجمهرة الأنساب ، أو جمهرة الشعر وتعرفه دغفل وأقواله وابن الحمرة ونحو الكسائى وشعر غيره إن هذا كله أصبح لا يجدى ، وإنما الذى ينجيك وينفعك هذا المنقوش المدور « يريد الدينار »

« عبد الخالق »

﴿ ٢ – الْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ حَسَّانَ ﴾

﴿ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ * ﴾

الحسن بن عثمان الزيادي

ابْنِ يَزِيدَ ، أَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْقَاضِي ، مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ الْوَاقِدِيِّ ، وَرَوَى عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَهُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا نَسَّابَةً ، أَخْبَارِيًّا جَوَادًا كَرِيمًا سَمْحًا . مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ عَنْ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، مَاتَ هُوَ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَ الزِّيَادِيُّ حِينَئِذٍ عَلَى قَضَاءِ مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ الزِّيَادِيُّ يُصَنِّفُ الْكُتُبَ وَيُصَنَّفُ لَهُ ، وَكَانَتْ لَهُ خِزَانَةُ كُتُبٍ حَسَنَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى مَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كِتَابُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ . كِتَابُ طَبَقَاتِ

(*) راجع تاريخ مدينة السلام جزء خامس ص ٤٨٩

الشُّعَرَاء . كِتَابُ الآبَاء وَالأُمَّهَاتِ[١] . وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ : سَمِعَ بِدِمَشْقَ الوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ ، وَشُعَيْبَ بْنَ إِسْحَاقَ ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ ، وَعُمَرَ بْنَ سَعِيدٍ ، وَالوَلِيدَ ابْنَ مُحَمَّدٍ المُوقَرِيَّ ، وَمَعْرُوفَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الخَيَّاطَ ، وَهَارُونَ ابْنَ عُمَرَ الدِّمَشْقِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ بِلَالِ بْنِ أَبِي الدَّرْدَاء ، وَسَعِيدَ بْنَ عُيَيْنَةَ ، وَشُعَيْبَ بْنَ صَفْوَانَ ، وَابْنَ عُيَيْنَةَ ، وَمُعْتَمِرَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الحَمِيدِ ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ ، وَوَكِيعَ بْنَ الجَرَّاحِ ، وَأَبَا دَاوُدَ الطَّيَالِسِيَّ . رَوَى عَنْهُ أَبُو العَبَّاسِ الكُدَيْمِيُّ[٢] ، وَإِسْحَقُ بْنُ الحَسَنِ الحَرْبِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ البَاغَنْدِيُّ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ الجَهْشَيَارِيُّ فِي كِتَابِ الوُزَرَاء : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ أَوْدَعَ أَبَا حَسَّانَ الزِّيَادِيَّ القَاضِيَ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَنَّهَا صَادَفَتْ مِنْهُ خَلَّةً[٣] فَأَنْفَقَهَا ، وَقَدَّرَ أَنْ

(١) زاد صاحب الفهرست : كتاب ألقاب الشعراء . (٢) اسمه : محمد بن يونس . ذكره في طبقات الحفاظ ج ٢ ص ١٩٣ (٣) الخلة : بالفتح : الحاجة والفقر والخصاصة .

يأبى ما يرد على الخراسانى مكانها إلى أن ينصرف الخراسانى من الحج ، فحدث للخراسانى أمر قطعه عن الحج وعزم على الانصراف إلى بلده ، فصار إلى أبى حسان يلتمس ماله ، فتعالل عليه ودافعه وتحير ، وضاقت الحيلة عليه ، وعاد الخراسانى مرارا فدافعه ، ثم وعده فى يوم بعينه ، واشتد غمه وقلقه ، وأجمع على بذل وجهه إلى بعض إخوانه ، فلما كان فى ليلة اليوم الذى وعد الرجل فيه ، امتنع عليه النوم من شدة قلقه ، فقام فى بعض الليل فقصد دينار بن عبد الله ، فلما صار فى بعض الطريق تلقاه رسول لدينار يسأل عن أبى حسان ، فلما سمع ذكره سأله عن سببه ، وتعرف إليه فقال له : أبو على دينار يقرأ عليك السلام ويقول لك : قسمت شيئا على عيالنا ، وذكرت من فى منزلك منهم ، فوجهت إليهم بعشرة آلاف درهم ، فقبلها وحمد الله وصار إلى منزله .

فَسلَّمَهَا إِلَى الْخُرَاسَانِيِّ ، وَصَارَ إِلَى دِينَارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ شَاكِراً لَهُ وَعَرَّفَهُ خَبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ دِينَارٌ : فَأَرَانَا إِنَّمَا وَجَّهْنَا بِمَالِ الْخُرَاسَانِيِّ ، فَعَلَى مَاذَا يَعْتَمِدُ الْعِيَالُ ؟ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أُخْرَى .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ[1] : كَتَبَ الْمَأْمُونُ مِنَ الثَّغْرِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُصْعَبِيِّ وَالِي بَغْدَادَ ، فِي امْتِحَانِ الْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ بِالْقُرْآنِ ، فَمَنْ أَقَرَّ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَمَنْ أَبَى عَلَيْهِ أَعْلَمَهُ بِهِ لِيَأْمُرَ فِيهِ بِرَأْيِهِ ، فَأَحْضَرَ إِسْحَاقُ أَبَا حَسَّانَ الزِّيَادِيَّ ، وَبِشْرَ بْنَ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيَّ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي مُقَاتِلٍ

(١) مسألة أثارها المأمون فكانت فتنة بين الناس طال أمدها وتراشقوا بالسهام ، فكان قوم أعمتهم الدنيا فطاوعوا المأمون فى الرأى ، وآخرون اشتدت غيرتهم على الدين فأنكروا ما يريد ابن الرشيد ، وآخرون راوغوا فى القول كما ترى فى إجابة الزيادى ، وقد رأينا كلامهم فما أفدنا منه شيئا ، وسواء تمسكنا بهؤلاء أم هؤلاء فالقرآن القرآن ، وإعجازه إعجازه ، ولن يحط منه أنه مخلوق ، ولن يزيد فى قدره أنه غير مخلوق ، فقاتل الله قوما شغلوا بذلك أنفسهم ، وما كان أغنى المأمون عن هذا

« عبد الخالق »

وَالفَضْلَ بْنَ غَانِمٍ ، وَالذَّيَّالَ بْنَ هَيْثَمٍ (١) وَسَجَّادَةَ ، وَالقَوَارِيرِيَّ ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَقُتَيْبَةَ ، وَسَعْدَوَيْهِ الوَاسِطِيَّ ، وَعَلِيَّ بْنَ الجَعْدِ ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي إِسْرَائِيلَ ، وَابْنَ الهِرْشِ ، وَابْنَ عُلَيَّةَ الأَكْبَرَ ، وَيَحْيَى بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الرَّيَاشِيَّ (٢) ، وَشَيْخًا آخَرَ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ كَانَ قَاضِيَ الرَّقَّةِ ، وَأَبَا نَصْرٍ التَّمَّارَ وَأَبَا مَعْمَرٍ القَطِيعِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ نُوحٍ المَضْرُوبَ ، وَابْنَ الفَرْخَانِ وَجَمَاعَةً ، مِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، وَأَبُو عَلِيٍّ (٣) عَاصِمٌ ، وَأَبُو العَوَّامِ البَزَّازُ ، وَابْنُ شُجَاعٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ إِسْحَاقَ ، فَأُدْخِلُوا عَلَى إِسْحَاقَ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ المَأْمُونِ مَرَّتَيْنِ حَتَّى فَهِمُوهُ ، ثُمَّ كَلَّمَ رَجُلًا رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَيُجِيبُ بِمَا يُغَالِطُ بِهِ أَوْ يُصَرِّحُ ، حَتَّى قَالَ لِأَبِي حَسَّانٍ الزِّيَادِيِّ : مَا عِنْدَكَ ؟ وَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ

---

(١) عند الطبرى الهيثم (٢) عند الطبرى « العمرى » (٣) عند الطبرى « ابن »

المَأْمُونِ فَأَقَرَّ بِمَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ : مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا القَوْلَ فَهُوَ كَافِرٌ .

فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ هُوَ ؟ قَالَ : الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ ، وَاللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِمَامُنَا ، وَبِسَبَبِهِ سَمِعْنَا عَامَّةَ الْعِلْمِ ، وَقَدْ سَمِعَ مَا لَمْ نَسْمَعْ ، وَعَلِمَ مَا لَمْ نَعْلَمْ ، وَقَدْ قَلَّدَهُ اللهُ أَمْرَنَا ، فَصَارَ يُقِيمُ حَجَّنَا وَصَلَاتَنَا ، وَنُؤَدِّى إِلَيْهِ زَكَوَاتِ أَمْوَالِنَا ، وَنُجَاهِدُ مَعَهُ ، وَنَرَى إِمَامَتَهُ ، فَإِنْ أَمَرَنَا ائْتَمَرْنَا ، وَإِنْ نَهَانَا انْتَهَيْنَا . قَالَ : الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ ؟ فَأَعَادَ مَقَالَتَهُ . قَالَ إِسْحَاقُ : فَإِنَّ هذِهِ مَقَالَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ تَكُونُ مَقَالَتَهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهَا النَّاسَ ، وَإِنْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَكَ أَنْ أَقُولَ : قُلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، فَإِنَّكَ الثِّقَةُ فِيمَا أَبْلَغْتَنِي عَنْهُ . قَالَ : مَا أَمَرَنِي أَنْ أُبْلِغَكَ شَيْئًا . قَالَ أَبُو حَسَّانٍ : وَمَا عِنْدِي إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، فَأْمُرْنِي آتَمِرْ . قَالَ : مَا أَمَرَنِي أَنْ آمُرَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَمَرَنِي

أَنْ أَمْتَحِنَكُمْ ، فَتَرَكَهُ وَالْتَفَتَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَسَأَلَهُ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ : وَلَيْسَ كَمَا يَظُنُّهُ النَّاسُ مِنْ وَلَدِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَإِنَّمَا تَزَوَّجَ أَجْدَادُهُ أُمَّ وَلَدٍ لِزِيَادٍ ، فَقِيلَ لَهُ الزِّيَادِيُّ ، قَالَ ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ صَاحِبُ كِتَابِ بَغْدَادَ .

﴿ ٣ — الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحِرْمَازِيّ * ﴾

الحسن بن على الحرمازى

أَبُو عَلِيٍّ ، هُوَ مَوْلًى لِبَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ مَوْلَى آلِ سُلَيْمَانَ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَإِنَّمَا نَزَلَ بِالْبَصْرَةِ فِي بَنِي حِرْمَازٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ ، وَالْحِرْمَازُ لَقَبٌ وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمِ بْنِ مُرٍّ بِالْبَادِيَةِ ، نَشَأَ ثُمَّ قَدِمَ الْبَصْرَةَ فَأَقَامَ بِهَا .

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : كَانَ التَّوَّزِيُّ وَالْحِرْمَازِيُّ وَالْحِرْمِيُّ

(*) راجع البغية ص ٢٢٥

يَأْخُذُونَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبِي زَيْدٍ سَعِيدِ بْنِ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيِّ وَالْأَصْمَعِيِّ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ أَكْبَرَ أَصْحَابِهِمْ، وَكَانَ مِنْ دُونِ هَؤُلَاءِ فِي السِّنِّ: إِبْرَاهِيمُ الزِّيَادِيُّ وَالْمَازِنِيُّ وَالرِّيَاشِيُّ. قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ: كَانَ الْحِرْمَازِيُّ فِي نَاحِيَةِ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ، فَخَرَجَ عَمْرٌو إِلَى الشَّامِ فَقَالَ الْحِرْمَازِيُّ:

أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ فَاخْتَلَّ جَانِبِي
وَمَطْلَبُهُ بِالشَّامِ غَيْرُ قَرِيبِ
وَلَا سِيَّمَا مِنْ مُفْلِسٍ حِلْفِ نِقْرِسٍ
أَمَا نِقْرِسٌ فِي مُفْلِسٍ بِعَجِيبِ!!

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ: اُعْتُلَّ الْحِرْمَازِيُّ وَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ، فَلَمْ يَعُدْهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

مَتَى تَشْفِيكَ (١) وَاجِبَةُ الْحُقُوقِ
إِذَا كَانَ اللِّقَاءُ عَلَى الطَّرِيقِ؟

(١) فى الأصل: تتنك فصارت « تشفيك » وفى قوله واجبة الحقوق إضافة الصفة للموصوف، والأصل الحقوق الواجبة. « عبد الخالق »

إِذَا مَالَمْ (١) يَكُنْ إِلَّا سَلَامٌ

فَمَا يَرْجُو الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ ؟

مَرِضْتُ وَلَمْ تَعُدْنِي عُمْرَ شَهْرٍ

وَلَيْسَ كَذَاكَ فِعْلُ أَخٍ شَقِيقِ

وَقَالَ الْحِرْمَازِيُّ وَكَتَبَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعُتْبِيِّ :

بِنَفْسِي أَنْتَ قَدْ جَاءَ كَ مَاعِنْدِي مِنْ كُتْبِكْ

فَلَا تَبْعُدْ مِنَ الْإِفْضَا لِ مَا نَرْجُوهُ مِنْ قُرْبِكْ

فَمَا زِلْتَ أَخَا جُودٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى صَحْبِكْ

وَسَلْ قَلْبَكَ عَمَّا ا كَ فِي قَلْبِي مِنْ حُبِّكْ

فَقَدْ أَخْبَرَنِي الْقَلْبُ بِمَا قَدْ حَلَّ فِي قَلْبِكْ

فَهَا إِنِّي لَكَ الرَّاضِي وَهَا إِنِّي لَرَاضٍ بِكْ

وَكَانَ بَعْضُ الْهَاشِمِيِّينَ قَدْ وَعَدَ الْحِرْمَازِيَّ وَعْدًا فَأَخَّرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) كانت فى الاصل « إذا لم » ولا يستقيم الوزن ، ورواية النهاد « إذا ما لم » فآثرناها ليستقيم الوزن .

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ صَدَقُوا وَمَانُوا [(١)]
وَوَعْدُكَ كُلُّهُ خُلْفٌ وَمَيْنٌ

وَعَدْتَ فَمَا وَفَيْتَ لَنَا بِوَعْدٍ
وَمَوْعُودُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنُ

أَلَا يَالَيْتَنِي اسْتَبْقَيْتُ وَجْهِي
فَإِنَّ بَقَاءَ وَجْهِ الْحُرِّ زَيْنُ

﴿ ٤ — الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَدَائِنِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

الحسن بن على المدائنى

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ [(٢)] إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ الْحَبَّالُ : مَاتَ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا تَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ وَافِرَةُ الْعَدَدِ .

---

(١) مانوا : أى كذبوا — والمين الكذب (٢) كانت فى الاصل « أسحاق بن ابراهيم » وفى رواية الصاد سقطت كلمة « ابن »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٥

﴿ ٥ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ وَيُقَالُ عَمَّارٌ * ﴾

الحسن التيمى النحوى

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُصَحِّحِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ النَّحْوِيُّ ، سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ الْجِنَّانِيَّ(١) ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي الْحَدِيدِ . وَأَبَا نَصْرٍ حَدِيدَ بْنَ جَعْفَرٍ الرُّمَّانِيَّ . رَوَى عَنْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكَتَّانِيُّ ، وَنَجَاءُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ النَّسِيبُ ، وَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : ثِقَةٌ . وَمَاتَ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ .

﴿ ٦ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ * ﴾

الحسن بن مقلة

أَبُو عَبْدِ اللهِ ، وَمُقْلَةُ اسْمُ أُمٍّ لَهُمْ كَانَ أَبُوهَا يُرَقِّصُهَا . فَيَقُولُ يَا مُقْلَةَ أَبِيهَا فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ

---

(١) وفى بغية الوعاة : « ابن القطان »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٤

(*) راجع الوافى بالوفيات ج أول ص ١٦٨

هُوَ أَخُو الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِجَوْدَةِ الْخَطِّ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ . كَانَ الْوَزِيرُ أَوْحَدَ الدُّنْيَا فِي كِتَبَةِ قَلَمِ الرِّقَاعِ وَالتَّوْقِيعَاتِ ، لَا يُنَازِعُهُ فِي ذَلِكَ مُنَازِعٌ ، وَلَا يَسْمُو إِلَى مُسَامَاتِهِ [1] ذُو فَضْلٍ بَارِعٍ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ هَذَا أَكْتَبَ مِنْ أَخِيهِ فِي قَلَمِ الدَّفَاتِرِ وَالنَّسْخِ ، مُسَلَّمًا لَهُ فَضِيلَتُهُ غَيْرَ مُفَاضَلٍ فِي كِتْبَتِهِ . وَمَوْلِدُ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي سَلْخِ [2] رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَمَاتَ أَبُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَلَهُ يَوْمَ مَاتَ سَبْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَأَشْهُرٌ . وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ .

وَلِأَخِيهِ أَبِي عَلِيٍّ تَرْجَمَةٌ فِي بَابِهِ مُفْرَدَةٌ ، لِمَا اشْتَرَطْنَا فِي ذِكْرِ أَرْبَابِ الْخُطُوطِ الْمَنْسُوبَةِ .

---

(١) مساماته : أى مفاخرته ومباراته (٢) فى سلخ : مصدر سلخ الشهر : مضى والمعنى فى آخره

وَكَانَ أَبُوهُمَا الْمُلقبُ بِمُقْلَةَ (١) أَيضاً كَاتِباً مليحَ الخطِّ . وَقَدْ كَتَبَ فِى زَمَانِهِمَا وَبَعْدَهُمَا ، جَمَاعَةٌ مِنْ أَهلِهِمَا وَوُلْدِهِمَا وَلَمْ يُقَارِبُوهُمَا ، وَإِنَّمَا يَنْدُرُ (٢) الْوَاحِدُ مِنْهُمُ الْحَرْفَ بَعْدَ الْحَرْفِ ، وَالْكَلِمَةَ بَعْدَ الْكَلِمَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْكَمَالُ لِأَبِى عَلِيٍّ وَأَبِى عَبْدِ اللهِ أَخِيهِ . فَمِمَّنْ كَتَبَ مِنْ أَوْلَادِهِمَا : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنَا أَبِى عَلِيٍّ ، وَأَبُو أَحْمَدَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِى الْحَسَنِ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِى عَلِيٍّ ، وَأَبُو الْفَرَجِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ . وَمَاتَ أَبُو الْفَرَجِ هَذَا فِى سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بِالْفَالِجِ وَالسَّكْتَةِ ، فِى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

حدث ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : وَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ عَلَى ظَهْرِ جُزْءٍ ، وَغَنَّتْنِى ابْنَةُ الْحَفَّارِ :

---

(١) يعنى ابن مقلة (٢) يريد أنه يأتى بالحرف والكلمة على مقدار من الجودة أحيانا

إِلَى سَامِعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ أَبْعَدِ الْمَسْرَى[١]

شَكَوْتُ الَّذِى أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الذِّكْرَى

فَيَالَيْتَ شِعْرِى وَالْأَمَانِىُّ ضَلَّةٌ[٢]

أَيَشْعُرُ بِى مَنْ بِتُّ أَرْعَى لَهُ الشِّعْرَى[٣]؟

قَالَ ابْنُ نَصْرٍ : فَقُلْتُ كَفَى ابْنَةَ الْخَفَّارِ هَذَا الصَّوْتُ أَنْ يَذْكُرَهَا وَيَكْتُبَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُقْلَةَ بِخَطِّهِ . وَحَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِى أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الرَّقِّىِّ مُنَجِّمُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ قَالَ : كُنْتُ فِى صُحْبَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِى غَدَاةِ الْمُصِيبَةِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ قَدِ انْكَسَرَ يَوْمَئِذٍ كَسْرَةً قَبِيحَةً ، وَنَجَا بِحُشَاشَتِهِ[٤] بَعْدَ أَنْ قُتِلَتْ عَسَاكِرُهُ قَالَ : فَسَمِعْتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ يَقُولُ وَقَدْ عَادَ إِلَى حَلَب : هَلَكَ مِنِّى مِنْ عَرْضٍ مَا كَانَ فِى صُحْبَتِى خَمْسَةُ آلَافِ وَرَقَةٍ

---

(١) المسرى : مصدر سرى (٢) ضلة الضلة بالكسر : ضد الهدى ، والمعنى أن المتمسك بالأمانى ، المتعلل بها لا يهتدى إلى مطلوبه ولا يستقيم حاله (٣) الشعرى : كوكب ، وهما شعريان : العبور والغميصاء ، وقوله فى أول البيت : فيا ليت شعرى : معناه : ليتنى علمت جواب الاستفهام فى قوله أيشعر (٤) الحشاش : رمق من حياة النفس

بِخَطِّ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ . قَالَ : فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ وَسَأَلْتُ بَعْضَ شُيُوخِ خَدَمِهِ الْخَاصَّةِ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُنْقَطِعاً إِلَى بَنِي حَمْدَانَ سِنِينَ كَثِيرَةً يَقُومُونَ بِأَمْرِهِ أَحْسَنَ الْقِيَامِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِي دَارٍ قَوْرَاءَ (١) حَسَنَةٍ ، وَفِيهَا فُرُشٌ تُشَاكِلُهَا وَمَجْلِسٌ دَسْتٌ (٢) ، وَلَهُ شَيْءٌ لِلنَّسْخِ وَحَوْضٌ فِيهِ مَحَابِرُ وَأَقْلَامٌ ، فَيَقُومُ وَيَتَمَشَّى فِي الدَّارِ إِذَا ضَاقَ صَدْرُهُ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَجْلِسُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَجَالِسِ وَيَنْسَخُ مَا يَخِفُّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَيَطُوفُ عَلَى جَوَانِبِ الْبُسْتَانِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسٍ آخَرَ وَيَنْسَخُ أَوْرَاقاً أُخَرَ عَلَى هَذَا ، فَاجْتَمَعَ فِي خَزَائِنِهِمْ مِنْ خَطِّهِ مَا لَا يُحْصَى .

وَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ فِي أَيَّامِ وِزَارَتِهِ وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ رِقَاعٌ ، وَتَوْقِيعَاتٌ وَتَسْبِيبَاتٌ قَدْ رَدَّ (٣)

---

(١) قوراء : أى واسعة (٢) الدست : من معانيه : صدر المجلس ، وهو المناسب هنا

(٣) فى الاصل : « قد رد عن خطه »

عَلَيْهَا بِخَطِّهِ أَخُوهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ فَكَانَ يَنْظُرُ فِيهَا وَيُمْضِيهَا وَقَدْ عَرَفَ صُورَتَهَا . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ حَاضِرًا ، فَلَمَّا فَرَغَ [1] مِنْهَا الْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ : قَدْ خَفَّفْتَ عَنَّا حَتَّى أُثْقِلْتَ ، وَخَشِينَا أَنْ نُثْقِلَ عَلَيْكَ ، فَأَرِحْ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا التَّعَبِ . فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ [2] : لَمَّا وَلِيَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ [3] الْوَزَارَةَ لِلْمُقْتَدِرِ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَلَّدَ أَخَاهُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ دِيوَانَ الضِّيَاعِ الْخَاصَّةِ ، وَدِيوَانَ الضِّيَاعِ الْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَدِيوَانَ الدَّارِ الصَّغِيرَةِ . وَصُودِرَ [4] أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي أَيَّامِ الْقَاهِرِ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ بَعْدَ

(١) بياض بالاصل ، ولعله « فرغ منها » كما ذكرنا . (٢) هو ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابىء الحرانى الطبيب المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة ، وكان طبيباً نطاسياً وعالماً نبيلا خبيراً بعلوم الفلسفة والهندسة وجميع العلوم الرياضية فى عصره . وله تاريخ جيد أحسن فيه كل الأحسان توفى سنة ٣٦٣ « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) بياض بالاصل ولعله كما كتبنا (٤) صودر : أى طولب مع الألحاف فى الطلب

أَنْ حلَفَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا بَسَاتِينَ وَمَا وَرِثَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ ، وَقِيمَةُ الْجَمِيعِ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

« ٧ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ »
« ابْنِ يَزْدَادَ بْنِ هُرْمُزَ * »

الحسن ابن على الأهوازى

ابْنِ شَاهُوَيْهِ ، أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ الْمُقْرِئُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ . قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : قَدِمَ دِمَشْقَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسَكَنَهَا ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِرِوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ وَأَقْرَأَهُ ، وَصَنَّفَ كِتَاباً فِي الْقُرْآنِ ، وَحَدَّثَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ ، مِنْهُمْ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْجِيُّ (١) ، وَأَبُو حَفْصٍ الْكَتَّانِيُّ (٢) ، وَالْمُعَافَا بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ

---

(١) هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن محمد بن الخليل المرجى « نسبة إلى المرج أو مرج الموصل » صقع من أعمال الموصل فى الجانب الشرق من دجلة ، سكن بعض آبائه بالموصل ، وولد أبو القاسم بها ، وكان محدثاً ثقة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتانى المقرىء البغدادى الحجة الثقة توفى سنة ٣٩٠ عن تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى »

(*) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٥

طَرَارٍ (١) . وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ ثَابِتٌ (٢) وَغَيْرُهُ .

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : أَنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرِ بْنُ الْحِنَّائِيِّ ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْقُشَيْرِيُّ ، حَدَّثَنِي جَدِّي لِأُمِّي الْحَسَنُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الدَّقِيقِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ حَمَّادُ بْنُ دُلَيْلٍ (٣) عَنْ

(١) هو القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى ويعرف أيضاً بابن طرار « وهو إسم جده » وفى الاصل « طراز » وهو تصحيف ويعرف بالجريرى نسبة إلى مذهب ابن جرير الطبرى لأنه تفقه عليه ، كان فى وقته من أعلم الناس باللغة والأدب والفقه والتفسير ، حتى لقد كان بعض الفقهاء يقول : لو أوصى رجل بشىء أن يدفع إلى أعلم الناس لوجب أن يدفع إلى القاضى المعافى بن زكريا — ولى القضاء بباب الطاق « محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرق كانت تعرف بطاق أسماء — وهى أسماء بنت المنصور بين الرصافة ونهر المعلى — وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء فى أيام هرون الرشيد » ومن شعر المعافى بن زكريا الأبيات المشهورة :

ألا قل لمن كان لى حاسدا أتدرى على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله فى حكمه بأنك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنى بأن زادنى وسد عليك وجوه الطلب

توفى بالنهروان سنة ٣٩٠ عن ٨٥ سنة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو الخطيب البغدادى المشهور صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣

(٣) حماد بن دليل المدائنى القاضى الحنفى يروى عن أبى حنيفة وسفيان الثورى .

سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ (١) ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ (٢) ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ (٣) ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (٤) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَتْ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ هَبَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَطَّلِعُ إِلَى أَهْلِ الْمَوْقِفِ فَيَقُولُ : مَرْحَبًا بِزُوَّارِي الْوَافِدِينَ إِلَى بَيْتِي ، وَعِزَّتِي لَأَنْزِلَنَّ إِلَيْكُمْ ، وَلَأُسَاوِي مَنْزِلَكُمْ بِنَفْسِي ، فَيَنْزِلُ إِلَى عَرَفَةَ فَيَعُمُّهُمْ بِمَغْفِرَتِهِ ، وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسْأَلُونَ إِلَّا الْمَظَالِمَ وَيَقُولُ : يَا مَلَائِكَتِي ، لَنُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ ، وَيَكُونُ أَمَامَهُمْ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ، وَلَا يَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَإِذَا أَسْفَرَ الصُّبْحُ وَوَقَفُوا عِنْدَ الْمَشْعَرِ (٥) الْحَرَامِ غَفَرَ لَهُمْ حَتَّى الْمَظَالِمَ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ

(١) سفيان بن سعيد المشهور توفى بالبصرة سنة ٦١ (٢) قيس بن مسلم الجدلى أبو عمرو الكوفى توفى سنة ١٢٠ (٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحى المكى الفقيه . روى عن عائشة وجماعة توفى سنة ١١٨ (٤) اسمه صُدى بن عجلان صحابى جليل نزيل حمص توفى سنة ٨١ رضى الله عنه بمدينة حمص . « أحمد يوسف نجاتى »

(٥) المشعر الحرام : بفتح الميم وكسرها : موضع بالمزدلفة واسمه قزح — ومشاعر الحج : مناسكه وعلاماته

وَيَنْصَرِفُ النَّاسُ إِلَى مِنًى » . هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ ، وَفِى إِسْنَادِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَجْهُولِينَ . وَلِلْأَهْوَازِيِّ أَمْثَالُهُ فِى كِتَابٍ جَمَعَهُ فِى الصِّفَاتِ سَمَّاهُ كِتَابَ الْبَيَانِ ، فِى شَرْحِ عُقُودِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، أَوْدَعَهُ أَحَادِيثَ مُنْكَرَةً ، كَحَدِيثِ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ نَفْسَهُ خَلَقَ الْخَيْلَ فَأَجْرَاهَا حَتَّى عَرِقَتْ ، ثُمَّ خَلَقَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَرَقِ » مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى وَلَا يَحِلُّ أَنْ يُعْتَقَدَ ، وَكَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ السَّالِمِيَّةِ ، يَقُولُ بِالظَّاهِرِ ، وَيَتَمَسَّكُ بِالْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي تُقَوِّى لَهُ رَأْيَهُ ، وَحَدِيثُ إِجْرَاءِ الْخَيْلِ مَوْضُوعٌ ، وَضَعَهُ بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ لِيُشَنِّعَ بِهِ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فِى رِوَايَاتِهِمُ الْمُسْتَحِيلَةِ ، فَيَقْبَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَيَرْوِيهِ ، وَهُوَ مِمَّا يُقْطَعُ بِبُطْلَانِهِ شَرْعًا وَعَقْلًا . قَالَ الْأَهْوَازِيُّ : وُلِدْتُ فِى سَابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَمَاتَ فِى رَابِعِ ذِى الْحِجَّةِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ ابْنِ مَنْصُورٍ يَحْكِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا ظَهَرَ مِنَ الْأَهْوَازِيِّ الْإِكْثَارُ مِنَ الرِّوَايَاتِ فِي الْقِرَاءَاتِ اتُّهِمَ فِي ذَلِكَ ، فَسَارَ رَشَاءُ [1] بْنُ نَظِيفٍ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْفُرَاتِ ، وَابْنُ الْقَمَّاحِ إِلَى الْعِرَاقِ لِكَشْفِ مَاوَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْهُ ، وَوَصَلُوا إِلَى بَغْدَادَ وَقَرَءُوا عَلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمُ الْأَهْوَازِيُّ ، وَجَاءُوا بِالْإِجَازَاتِ عَنْهُمْ وَبِخُطُوطِهِمْ ، فَمَضَى الْأَهْوَازِيُّ إِلَيْهِمْ وَسَأَلَهُمْ أَنْ يُرُوهُ تِلْكَ الْخُطُوطَ الَّتِي مَعَهُمْ ، فَفَعَلُوا وَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا وَغَيَّرَ أَسْمَاءَ مَنْ سَمَّى لِيَنْشُرَ دَعْوَاهُ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ بَرَكَةُ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَفْتَضِحْ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْهُ بَعْضَ الْمُقْرِئِينَ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِمْ وَحَكَوْهُ لَهُ . فَقَالَ : هَذَا الَّذِي تَذْكُرُونَهُ قَدْ قَرَأَ عَلَيَّ جُزْءًا أَوْ نَحْوَهُ . قَالَ : وَقَالَ

---

(١) هو أبو الحسن رشاء بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقى المقرىء المحدث قرأ بدمشق ومصر وبغداد بالروايات ، وكان ثقة مأموناً انتهت اليه الرياسة فى قراءة ابن عامر ، توفى سنة ٤٤٤ « أحمد يوسف نجاتى »

حدَّثني أَبِي قالَ: عاتبْتُ أَوْ عُوتِبَ أَبُو طاهِرٍ الْواسِطِيُّ الْمُقْرِئُ فِي القراءَةِ عَلَى الْأَهْوَازِيِّ فقالَ: أَقْرَأُ عليهِ العِلْمَ وَلَا أُصَدِّقُهُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمَلِيحِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَشَاءِ بْنِ نَظِيفٍ فِي دَارِهِ عَلَى بَابِ الْجَامِعِ، — وَلَهُ طَاقَةٌ إِلَى الطَّرِيقِ — فَاطَّلَعَ فِيهَا وَقَالَ: قَدْ عَبَرَ رَجُلٌ كَذَّابٌ، فَاطَّلَعْتُ فَوَجَدْتُ الْأَهْوَازِيَّ. قَالَ: وَقَالَ ابْنُ الْأَكْفَانِيِّ (١) قَالَ لَنَا الْكَتَّانِيُّ: كَانَ الْأَهْوَازِيُّ مُكْثِراً مِنَ الْحَدِيثِ، وَصَنَّفَ الْكَثِيرَ فِي الْقِرَاءَاتِ، وَكَانَ حَسَنَ التَّصْنِيفِ، وَجَمَعَ فِي ذَلِكَ شَيْئاً كَثِيراً، وَفِي أَسَانِيدِ الْقِرَاءَاتِ غَرَائِبُ كَانَ يَذْكُرُ فِي مُصَنَّفَاتِهِ أَنَّهُ أَخَذَهَا رِوَايَةً وَتِلَاوَةً، وَأَنَّ شُيُوخَهُ أَخَذُوهَا رِوَايَةً وَتِلَاوَةً. وَلَمَّا تُوُفِّيَ كَانَتْ لَهُ جَنَازَةٌ عَظِيمَةٌ.

---

(١) هو أبو محمد هبة الله الأكفانى محدث مشهور كان أبوه يبيع الأكفان فلسب إليها، سمع أبا بكر الخطيب ولزم أبا محمد الكتانى مدة، وكان ثقة فهماً شديد العناية بالحديث والتاريخ، وكان من كبار العدول توفى سنة ٥٢٤ عن ثمانين سنة

« احمد يوسف نجاتى »

٨ – الحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَرَكَةَ بْنِ عُبَيْدَةَ * ،

الحسن بن علي المقرىء

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقْرِىءُ النَّحْوِيُّ الْفَرَضِيُّ ، مِنْ سَاكِنِي الْكَرْخِ بِدَرْبِ رَبَاحٍ ، مَاتَ فِي ثَامِنَ عَشَرَ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَكَانَ فَاضِلاً قَارِئاً نَحْوِيّاً لُغَوِيّاً فَرَضِيّاً . قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرِّوَايَاتِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ بِنْتِ الشَّيْخِ ، وَبِالْكُوفَةِ عَلَى عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَلَوِيِّ ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى أَبِي السَّعَادَاتِ بْنِ الشَّجَرِيِّ [١] ، وَلَازَمَهُ حَتَّى بَرَعَ فِي فَنِّهِ ، وَتَصَدَّرَ مُدَّةً طَوِيلَةً لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفَرَائِضِ ، وَأَنْشَدَ لَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ شِعْراً [٢] قَالَهُ فِي الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ :

---

(١) هو أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الشريف العلوى الحسينى البغدادى النحوى صاحب التصانيف المشهورة وهو مشهور معروف توفى سنة ٥٤٢

(٢) قلت ويؤثر فى نفس قوله فى الشيب :

وما شنآن الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى الموت مسرع

إذا ما بدت منه الطليعة آذنت ... بأن المنايا بعدها تتطلع

هذا وقد كان ابن بركة إماما فاضلا انتفع بعلمه خلق كثير « احمد يوسف نجاتى ».

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٣

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ عَمَّتْ نَوَافِلُهُ[١]

وَطَبَّقَ الْأَرْضَ بَعْدَ الْمَحْلِ[٢] نَائِلُهُ

أَحْيَتْ لَنَا سِيرَةَ الْمَهْدِيِّ سِيرَتُهُ

عَدْلًا وَبَذْلًا فَمَا تُحْصَى فَوَاصِلُهُ

إِمَامُ حَقٍّ بِعَهْدِ اللهِ مُحْتَفِظٌ

وَكُلُّ شَيْءٍ حَوَاهُ فَهْوَ بَاذِلُهُ

خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَضْحَى لَا يُنَازِعُهُ

مِنْهُمْ إِمَامٌ وَإِنْ جَلَّتْ أَوَائِلُهُ

فَالْمُصْطَفَى جَاءَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا

فِيهِمْ عَلَى فَضْلِهِمْ خَلْقٌ يُعَادِلُهُ

وَلَهُ فِي الْمُسْتَضِيءِ أَيْضًا :

هَـذِهِ دَوْلَةٌ تَخَيَّرَهَا اللَّـ

ـهُ فَدَامَتْ لَنَا سَجِيسَ[٣] اللَّيَالِي

---

(١) النوافل جمع نافلة : وهي العطية وما يفعله المرء مما لا يجب عليه

(٢) وطبق الأرض : أى غطاها وعمها ، وملأها ، والمحل : الجدب ونائله أى عطاؤه

(٣) سجيس الليالى : أى امتدادها وآخرها دائماً أبدا ، وهو من السجيس للماء الكدر ، لأنه آخر ما يبقى

دَوْلَةٌ رَوْضَةٌ رُبَاهَا (١) وَجَادَتْ
مِنْ لُهَاهَا بِوَابِلٍ مُتَوَالِي
وَاسْتَعَادَتْ صَعْبَ الْمَقَادَةِ (٢) بِالْعَدْ
لِ وَدَانَتْ لَهَا قُلُوبُ الرِّجَالِ
وَأَضَاءَتْ بِالْمُسْتَضِىءِ بِأَمْرِ اللّـ
ـهِ لَا زَالَ مُلْكُهُ فِى اتِّصَالِ
مَلِكٌ عَمَّ بِرُّهُ كُلَّ بَرٍّ
وَأَبَاحَ الْآمَالَ فِى الْأَحْوَالِ
وَأَغَاثَ الْأَنَامَ (٣) مِنْهُ سِجَالٌ
بَعْدَ إِمْحَالِهِمْ عَقِيبَ سِجَالِ (٤)
طَبَّقَ الْأَرْضَ مِنْهُمُ فَضْلُ عَدْلٍ
وَكَفَاهَا بَوَائِقَ (٥) الزِّلْزَالِ

(١) الربى جمع ربوة : وهي المكان المرتفع ، وسميت كذلك لأنها ربت فعلت ، وكلما كانت الروضة عالية كانت أحسن منظرا ، وأروح نسيما وأجود نباتا وثمرة ، واللها بالضم جمع لهوة : وهى العطية ، والوابل : المطر السح الغزير ، والتوالى : المتتابع

(٢) مصدر ميمى أى من صعب قياده واستعادته جعله ينقاد ويخضع ويذل بعد إباء « ولا غرو فالعدل يملك القلوب ويستنزل العاصى » (٣) للأنام : فى العماد وفى الاصل « الآمال » مصحفة (٤) السجال جمع سجل : الدلو العظيمة مملوءة ماء، يريد أنه يغيث الناس بعطايا تترى (٥) البوائق جمع بائقة : الداهية والبلية تنزل بالقوم

جَعَلَ اللهُ وُدَّكُمْ يَا بَنِي الْعَبْـ
بَاسِ فَرْضاً مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ
وَعَلَيْكُمْ صَلَاتُنَا فِى التَّحِيَّا
تِ تَوَالَى لِأَنَّكُمْ خَيْرُ آلِ
يَا بَنِى عَمِّ أَحْمَدٍ طَابَ مَحْيَا
كُمْ وَمِنْ قَبْلُ طِبْتُمْ فِى الظِّلَالِ (١)

﴿ ٩ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُوَيْنِيُّ الْكَاتِبُ * ﴾

الحسن بن على الجوينى

أَبُو عَلِيٍّ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَنْسُوبِ، كَانَ مُقِيماً بِبَغْدَادَ،

---

(١) يريد هنا ظلال الجنة ، وهو يشير إلى قول سيدنا العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه من أبيات يمدحه بها صلى الله عليه وسلم :

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

أى كنت طيبا فى صلب آدم حيث كان فى الجنة ، ومن قبلها أى من قبل نزولك إلى الأرض ، فكنى عن الجنة وأعاد إليها الضمير ولم يتقدم ذكرها لبيان المعنى . ومن هذه الأبيات :

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

وهى أبيات معروفة لدى الأدباء، وتوفى العباس سنة ٣٢ « أحمد يوسف نجاتى »

(*) الجوينى نسبة إلى جوين : اسم كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور ، تسميها أهل خراسان « كويان » فعربت فقيل جوين ، وحدودها متصلة بحدود بيهق من جهة القبلة ، وبحدود جاجرم من جهة الشمال . وينسب إلى جوين خلق كثير من الأئمة والعلماء منهم موسى بن العباس بن محمد أبو عمران الجوينى أحد الرحالين—

وَلَا أَدْرِى أَوُلِدَ بِهَا أَمِ انْتَقَلَ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ كَانَ يُعْرَفُ بِهَا بِالْبَغْدَادِىِّ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ فَخْرَ الْكُتَّابِ . مَاتَ بِمِصْرَ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَةِ الْمُتَحَقِّقِينَ بِهَا يَقُولُونَ : لَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ أَجْوَدُ مِنَ الْجُوَيْنِىِّ ، وَكَانَ أُسْتَاذُهُ فِى الْكِتَابَةِ ، يَعْقُوبَ الْغَزْنَوِىَّ ، كَتَبَ عَلَيْهِ بِبَغْدَادِ إِلَّا أَنَّهُ أَبَرَّ[1] عَلَيْهِ ، وَزَادَ حَتَّى لَا تَنَاسُبَ بَيْنَ خَطَّيْهِمَا ، وَكَانَ مِنْ شِيمَةِ الْجُوَيْنِىِّ أَنَّهُ مَا كَتَبَ شَيْئًا قَطُّ بِخَطِّهِ كَثُرَ أَوْ قَلَّ ، دَقَّ أَوْ جَلَّ ، إِلَّا وَيَكْتُبُ فِى آخِرِهِ : « كَتَبَهُ عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ الْجُوَيْنِىُّ »

— حسن الحديث وصنف على كتاب مسلم بن الحجاج ومات بجوين سنة ٣٢٣ ومنها أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى إمام عصره بنيسابور ، والد أبى المعالى الجوينى ، تفقه على أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى وغيره . وقرأ الادب على والده يوسف الأديب بجوين وبرع فى الفقه وصنف فيه التصانيف المفيدة . ومات بنيسابور سنة ٤٣٤ ، ولم أعثر على المترجم له فيمن تخرج منها فاكتفيت بهذا . ولعل له ترجمة فى غير هذا المرجع لم نوفق اليها معجم البلدان ج ٣ ص ١٨١ ، ١٨٢

(١) أبر عليه ، أى علاه وفاقه

وَكَتَبَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَافْتَخَرُوا بِأُسْتَاذِيَّتِهِ ، كَابْنِ الْقَيْسَرَانِيِّ[١] وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ يَنْتَقِلُ فِى الْبِلَادِ حَتَّى حَطَّ بَرْكَهُ[٢] بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَنَفَقَ بِهَا سُوقُهُ ، وَعَلَا عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ قَدْرُهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَارْتَفَعَ مَكَانُهُ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتْرُكُ هَيْئَتَهُ وَسِمَتَهُ[٣] ، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَزَيَّا زِىَّ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، وَبَلَغَ مِنْ عُلُوِّ قَدْرِهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ وَلِىَ وَلَدُهُ عِزُّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ وَلَايَةَ الْقَاهِرَةِ ، بَعْدَ مَا وَلِىَ وَلَايَةَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُدَّةً ، وَكَانَ مَحْمُودَ السِّيرَةِ .

---

(١) ابن القيسرانى : هو موفق الدين أبو البقاء خالد بن الوليد البارع محمد بن نصر القيسرانى الكاتب صاحب الخط المنسوب ، كان صدرا نبيلا وافر الحشمة ، وزر للسلطان نور الدين الشهيد ، وسمع بمصر من عبد الله بن رفاعة ، وتوفى سنة ٥٨٨ « وابن رفاعة هو عبد الله بن رفاعة بن غدير الشافعى أبو محمد السعدى المصرى ، كان فقيها ماهرا وبخاصة فى الفرائض ، وتولى القضاء بمصر ثم استعفى فأعفى فتفرغ للعبادة حتى توفى بمصر سنة ٥٦١ ، وابن القيسرانى الكاتب هذا هو غير ابن القيسرانى محمد بن نصر بن صغير بن داغر الملقب شرف الدين الخالدى الحلبى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٤٨ بمدينة دمشق .
« أحمد يوسف نجاتى »

(٢) حط بركه الخ : أى ثبت وأقام بالديار المصرية ، وأصله من بروك البعير ، وهو أن يلصق بركه بالارض أى صدره (٣) السمة العلامة : ويصح أن تكون « سمته » بفتح السين وسكون الميم . والسمت الهيئة وأكثر ما تطلق على هيئة أهل الخير ، ويقال : ما أحسن سمته أى هديه ، وحسن منظره وهيئته ، وليس من الحسن والجمال بل الغرض حسن الطريقة والدين ولكن السمة بكسر السين أوفق لقوله فانه كان يتزيا « عبد الخالق »

رَأَيْتُ أَهْلَ مِصْرَ مِمَّنْ شَاهَدَ وَلَايَتَهُ يُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مُلُوكِيَّ الهِمَّةِ، شَرِيفَ النَّفْسِ - أَعْنِي وَلَدَهُ عِزَّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ - وَكَانَ نَخْرُ الْكُتَّابِ يَقُولُ الشِّعْرَ وَيَتَعَانَاهُ[1]، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِذَاكَ. وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ القَاضِيَ الفَاضِلَ وَهُوَ مِنَ أَجْوَدِ شِعْرِهِ:

لَوْلَا انْقِطَاعُ الوَحْيِ كَانَ مُنَزَّلًا
فِي الفَاضِلِ بْنِ عَلِيٍّ البَيْسَانِي
نُثْنِي عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا تُثْنِي عَلَى
أَفْعَالِهِ المَرْضِيَّةِ المَلَكَانِ

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الزُّهْدِ:

كَمْ كَادَتِ الأَوْطَانُ تَشْغَلُنَا
بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا عَنِ اللهِ
حَتَّى تَغَرَّبْنَا فَكَمْ غِيَرٍ[2]
يَقْطَعْنَ عَقْلَ الغَافِلِ اللَّاهِي

---

(١) يتعاناه من عانى الأمر: قاساه وتجشمه، وقد تكون «ويتعاطاه» وهو يتعاطى الأمر أى يخوض فيه (٢) غير: الغير جمع الغيرة، وغير الدهر: أحداثه المغيرة وفى بعض المراجع «عبر» وهو ظاهر

﴿ ١٠ - الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الزُّبَيْرِ * ﴾

الحسن بن الزبير

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ ، أَخُو الرَّشِيدِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ أُسْوَانَ مِنْ غَسَّانَ ، وَكَانَ الْحَسَنُ هَذَا يُلَقَّبُ(١) الْقَاضِيَ الْمُهَذَّبَ . مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمِصْرَ ، وَكَانَ كَاتِباً مَلِيحَ الْخَطِّ فَصِيحاً جَيِّدَ الْعِبَارَةِ ، وَكَانَ أَشْعَرَ مِنْ أَخِيهِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ قَدِ اخْتَصَّ بِالصَّالِحِ بْنِ رُزِّيكَ(٢) وَزِيرِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَقِيلَ : إِنَّ أَكْثَرَ الشِّعْرِ الَّذِى فِي دِيوَانِ الصَّالِحِ(٣) إِنَّمَا هُوَ عَمَلُ الْمُهَذَّبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَحَصَلَ لَهُ مِنَ الصَّالِحِ مَالٌ جَمٌّ ، وَلَمْ يَنْفُقْ عِنْدَهُ أَحَدٌ مِثْلَهُ .

---

(١) فى الاصل « لقب » وهو تحريف وسقط غير مناسب

(٢) هو أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر فى أيام الفائز الفاطمى والعاضد من بعده والذى استقل فى مصر بالأمور وتدبير أحوال الدولة ، وكانت ولايته سنة ٥٤٩ وتوفى سنة ٥٥٦ « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) وديوان شعر الصالح طلائع بن رزيك كبير فى جزءين

(*) راجع الفهرست ص ١٨٥

وَكَانَ القَاضِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ الحُبَّابِ[١] المَعْرُوفُ بِالجَلِيسِ هُوَ الَّذِي قَرَّظَهُ عِنْدَ الصَّالِحِ حَتَّى قَدَّمَهُ، فَلَمَّا مَاتَ الجَلِيسُ شَمِتَ بِهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَبِسَ فِي جَنَازَتِهِ ثِيَابًا مُذَهَّبَةً، فَنَقَصَ بِهٰذَا السَّبَبِ وَاسْتَقْبَحُوا فِعْلَهُ، وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الجَلِيسِ إِلَّا شَهْرًا وَاحِدًا. وَصَنَّفَ المُهَذَّبُ كِتَابَ الأَنْسَابِ، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، كُلُّ مُجَلَّدٍ عِشْرُونَ

---

(١) فى الاصل « الحباب » وهو تصحيف ، وهو القاضى أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدى التميمى جليس صاحب مصر ، كان ذا فضل مشهور ، وأدب مأثور ، بل كان أوحد عصره فى مصر نظما ونثرا وترسلا وشعرا ، ومن شعره :

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
وأعجب من ذا أنها فى أكفهم تأجج نارا والأكف بحور

وله قصيدة دالية جيدة أرسل بها إلى طلائع بن رزيك وهو والى مدينة قوص يخبره بقتل الخليفة الظافر ويستنجده على قاتليه أولها :

عدتنى عن نظم القريض عوادى وشف فؤادى شجوه المتمادى
وأرق عينى والعيون هواجع هموم أقضت مضجعى ووسادى
بمصرع أبناء الوصى وعترة النبي وآل الذاريات وصاد
فأين بنو رزيك عنهم ونصرهم وما لهم من منعة وذياد
أولئك أنصار الهدى وبنو الردى وسم العدا من حاضرين وبادى
لقد هد ركن الدين ليلة قتله بخير دليل للنجاة وهاد
تدارك من الأيمان قبل دثوره حشاشة نفس آذنت بنفاد
وقد كاد أن يطفى تألق نوره على الحق عاد من بقية عاد
فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقاد

وهى طويلة وتوفى القاضى الجليس سنة ٥٧١ « أحمد يوسف نجاتى »

كُرَّاساً ، رَأَيْتُ بعضَهُ فوجدْتُهُ مع تحقُّقِي هذا العِلْمَ وَبَحْثِي عَنْ كُتُبِهِ غايَةً فِي مَعْنَاهُ لا مَزِيدَ عليْهِ ، يَدُلُّ عَلَى جَوْدَةِ قرِيحَةِ مُؤَلِّفِهِ ، وَكَثْرَةِ اطِّلَاعِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَا فيهِ حَذْوَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الْبَلَاذُرِيِّ ، وَأَوْجَزَ فِي بعضِ أَخبارِهِ عَنِ الْبَلَاذُرِيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ رَجُلًا مِمَّنْ يَقْتَضِي الْكِتابُ ذِكْرَهُ ، لا يَتْرُكُهُ حَتَّى يُعَرِّفَهُ بِجَهْدِهِ مِنْ[1] إِيرَادِ شَيْءٍ مِنْ شعْرِهِ وَخَبَرِهِ . وَكَانَ الْمُهَذَّبُ قَدْ مَضَى إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ فِي رِسَالَةٍ مِنْ بَعْضِ مُلُوكِ مِصْرَ ، وَاجْتَهَدَ هُنَاكَ فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ النَّسَبِ ، وَجَمَعَ مِنْهَا مَا لَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَ أَحَدٍ ، حَتَّى صَحَّ لَهُ تَأْلِيفُ هَذَا الْكِتَابِ .

وَكَانَ أَخُوهُ الرَّشِيدُ لَمَّا مَضَى إِلَى الْيَمَنِ وَادَّعَى الْخِلَافَةَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ ، نُمِيَ خَبَرُهُ إِلَى الْمَعْرُوفِ بِالدَّاعِي ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ قَبْضاً لا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، فَكَتَبَ

(١) بهامش الاصل « مع » وكلا اللفظين لا بأس به

الْمُهَذَّبُ هذَا إِلَى الدَّاعِى بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ يَمْدَحُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ حَتَّى أَطْلَقَهُ . وَالْقَصِيدَةُ :

يَا رَبْعُ أَيْنَ تَرَى الْأَحِبَّةَ يَمَّمُوا
هَلْ أَنْجَدُوا مِنْ بَعْدِنَا أَمْ أَتْهَمُوا (١) ؟

رَحَلُوا وَقَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ وَإِنَّمَا
يَسْرِى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ الْأَنْجُمُ

وَتَعَوَّضَتْ بِالْأُنْسِ رُوحِى وَحْشَةً
لَا أَوْحَشَ اللّٰهُ الْمَنَازِلَ مِنْهُمُ

---

(١) يمموا : أى قصدوا ، وأنجدوا : أى دخلوا فى بلاد نجد ، ومثله أتهموا : أى دخلوا فى بلاد تهامة ، هذا وبعد البيت « وهو موضع الفراغ فى الاصل » :

رحلوا وفى القلب المعنى بعدهم — وجد على مر الزمان مخيم

وصحة البيت بعده :

وسروا وقد كتموا المسير وإنما — تسرى إذا جن الظلام الأنجم

والمعنى على هذه الرواية أظهر وأجود

« أحمد يوسف نجاتى »

لَوْلَاهُمُ مَا قُمْتُ بَيْنَ دِيَارِهِمْ
حَيْرَانَ أَسْتَافُ[1] الدِّيَارَ وَأَلْثِمُ
أَمَنَازِلَ الْأَحْبَابِ أَيْنَ هُمُ وَأَيْـ
ـنَ الصَّبْرُ مِنْ بَعْدِ التَّفَرُّقِ عَنْهُمُ ؟
يَا سَاكِنِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَإِنَّمَا
فِي[2] الصَّدْرِ مَعْ شَحَطِ الْمَزَارِ سَكَنْتُمُ
يَا لَيْتَنِي فِي النَّازِلِينَ عَشِيَّةً
بِمِنًى وَقَدْ جَمَعَ الرِّفَاقَ[3] الْمَوْسِمُ
فَأَفُوزَ إِنْ غَفَلَ الرَّقِيبُ بِنَظْرَةٍ
مِنْكُمْ إِذَ لَبَّى الْحَجِيجُ وَأَحْرَمُوا

---

(١) أستاف الديار : أى أشمها من السوف وهو الشم « سافه يسوفه » ومنه « المسافة » مفعلة من السوف ، لأن الدليل إذا كان فى فلاة شم ترابها ليعلم أعلى قصد هو أم جار به الطريق . قال الشاعر :

ولقد ذكرتك يا أمامة بعدما نزل الدليل إلى التراب لسوفه
وهواك عندى كالغناء لأنه حسن لدى ثقيله وخفيفه

ثم كثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة ، والمساف : الانف . لانه يساف به أى يشم ، واستاف مثل ساف ، قال أبو العلاء المعرى فى مطلع قصيدة يرثى بها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

والمسيف : الفقير ومن لامال له « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الاصل : « لى الصدر » (٣) فى الاصل : « الزفاق » مصحفة . والرفاق جمع رفيق ورفقة : وهى الجماعة ترافقهم ، ويستعمل فى السفر كثيرا .

إِنِّى لَأَذْكُرُكُمْ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ
شَمْسُ الضُّحَى مِنْ نَحْوِكُمْ فَأُسَلِّمُ

لَا تَبْعَثُوا لِى فِى النَّسِيمِ تَحِيَّةً
إِنِّى أَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمُ

إِنِّى امْرُؤٌ قَدْ بِعْتُ حَظِّى رَاضِياً
مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِحَظِّى مِنْكُمُ

فَسَلَوْتُ إِلَّا عَنْكُمُ وَقَنِعْتُ إِلْ
لَا مِنْكُمُ وَزَهِدْتُ إِلَّا فِيكُمُ

وَرَأَيْتُ كُلَّ الْعَالَمِينَ بِمُقْلَةٍ
لَوْ يَنْظُرُ الْحُسَّادُ مَا نَظَرَتْ عَمُوا (١)

مَا كَانَ بَعْدَ أَخِى الَّذِى فَارَقْتُهُ
لِيَبُوحَ إِلَّا بِالشِّكَايَةِ لِى فَمُ

---

(١) إنه يريد بقول هذا البيت أن العالم اجتمع فى ممدوحه ، فرأى العالم فيمن يصفه ويحن اليه بمقلته ، وهذا ضرب من المبالغة كقول الآخر : « رأيته فرأيت الناس فى رجل » ويريد أن الحساد لو نظروا بمثل مقلته ، ورأوا مارأيت لعموا من الحسد ، وإنما عرضت لشرح البيت لأن شطره الآخر غير واضح فأردت بيانه « عبد الخالق »

هُوَ ذَاكَ لَمْ يَمْلِكْ عُلاهُ مَالِكٌ
كَلَّا وَلَا وَجَدِى عَلَيْهِ مُتَيَّمُ (١)

أَقْوَتْ (٢) مَغَانِيهِ وَعُطِّلَ رَبْعُهُ
وَلَرُبَّمَا هَجَرَ الْعَرِينَ الضَّيْغَمُ

وَرَمَتْ بِهِ الْأَهْوَالَ هِمَّةُ مَاجِدٍ
كَالسَّيْفِ يُمْضِى عَزْمَهُ (٣) وَيُصَمِّمُ (٤)

يَا رَاحِلاً بِالْمَجْدِ عَنَّا وَالْعُلَا
أَتُرَى يَكُونُ لَكُمْ إِلَيْنَا مَقْدَمُ ؟

---

(١) كذا بالاصل : ويظهر أن الكلمة محرفة عن « متمم » وأنه فى البيت يشير إلى قصة مالك بن نويرة وأخيه متمم ، يفضل أخاه على مالك بن نويرة أخى متمم الذى قيل فيه : فتى ولا كمالك ، ولا يخفى التورية فى « متمم » يريد أن وجده عليه لا نهاية له وهيهات شأن يكون له تمام يحده، أو أمد يقف عنده. ومتمم بن نويرة بن جمزة بن شداد بن عبيد الله بن ثعلبة التميمى اليربوعى صحابى جليل وشاعر بليغ ولم يقل أحد مثل شعره فى المراثى التى رثى بها أخاه ، ولأخيه مالك وفادة ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وولاه النبي عليه الصلاة والسلام صدقات بنى تميم ، ثم كان من حديثه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ماهو معروف حتى قتل سنة ١١ ــ هذا وقل أن تجد أخا لأخيه مثل ما كان متمم لاخيه مالك ، وقد أراد القاضى المهذب أن يكون فوق ذلك « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) أقوت : أى خلت وأقفرت ، والمغانى : المنازل جمع مغنى ، وربعه : أى داره وقد كان حلية لها فعطلت من زينته كما عطلت من حسن فعاله وممن كانوا يقصدونه ، والعرين : بيت الاسد وهو الضيغم (٣) كانت فى الاصل : « عذبه » وهو تصحيف

(٤) صمم السيف : إذا مضى فى العظم وقطعه ــ ومنه صمم الرجل على الأمر وفى الأمر : إذا مضى فيه ونفذ رأيه بعد إرادته

يَفْدِيكَ قَوْمٌ كُنْتَ وَاسِطَ عِقْدِهِمْ
مَا إِنْ لَهُمْ مُذْ غِبْتَ شَمْلٌ يُنْظَمُ
لَكَ فِي رِقَابِهِمُ وَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا
مِنَنٌ كَأَطْوَاقِ الْحَمَامِ وَأَنْعُمٌ (١)
جَهِلُوا فَظَنُّوا أَنَّ بُعْدَكَ مَغْنَمٌ (٢)
لَمَّا رَحَلْتَ وَإِنَّمَا هُوَ مَغْرَمُ
فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّ عِدَاكَ قَدْ
هَلَكُوا بِبَغْيِهِمُ وَأَنْتَ مُسَلَّمُ
لَمْ يَعْصِمِ اللهُ ابْنَ مَعْصُومٍ مِنَ الْـ
آفَاتِ وَاخْتُرِمَ (٣) اللَّعِينُ الْأَخْرَمُ

---

(١) مما يناسب هذا قول الشاعر :

أنت طوقتنى صنيعا وأسمعـــــتك شكرا كلاهما لايضيع
فأذا ماشجاك سجعى فأنى أنا ذاك المطوق المسموع

(٢) فى الاصل « عنهم » ولعله مغنم . وهو الاظهر فأثبتناه لذلك وكما يدل عليه عجز البيت (٣) واخترم الخ من قولهم : اخترمهم الدهر : إذا أهلكهم بجوائحه ، واخترم فلان : إذا مات وذهب ، واخترمته المنية : إذا أخذته من بينهم ـ والأخرم : هو من لارأى له ، يقال : هو أخرم الرأى : أى ضعيفه

وَاعْتَضْتَ بَعْدَهُمُ بِأَكْرَمِ مَعْشَرٍ
بَدَءُوا لَكَ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ وَتَمَّمُوا
فَلَعَمْرُ مَجْدِكَ إِنْ كَرُمْتَ عَلَيْهِمُ
إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكِرَامِ مُكَرَّمُ
أَقْيَالُ (١) بَأْسٍ خَيْرُ مَنْ حَمَلُوا الْقَنَا
وَمُلُوكُ قَحْطَانَ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
مُتَوَاضِعُونَ وَلَوْ تَرَى نَادِيهِمُ
مَا اسْطَعْتَ مِنْ إِجْلَالِهِمْ تَتَكَلَّمُ
وَكَفَاهُمُ شَرَفًا وَمَجْدًا أَنَّهُمْ
قَدْ أَصْبَحَ الدَّاعِي الْمُتَوَّجُ مِنْهُمُ
هُوَ بَدْرُ تِمٍّ فِي سَمَاءِ عُلَاهُمُ
وَبَنُو أَبِيهِ بَنُو زُرَيْعٍ أَنْجُمُ
مَلِكٌ حِمَاهُ جَنَّةٌ لِعُفَاتِهِ (٢)
لَكِنَّهُ لِلْحَاسِدِينَ جَهَنَّمُ

---

(١) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير باليمن يتقيل من مثله من ملوكهم أى يشبهه

(٢) لعفاته : أى لسائليه : جمع عاف ، وهو الطالب العرف ، والطالب للعفو أى الزيادة من المال

أُثْنِى عَلَيْكَ بِمَا مَنَنْتَ وَأَنْتَ(١) مِنْ
أَوْصَافِ مَجْدِكَ يَا مَلِيكًا أَعْظَمُ

فَاغْفِرْ لِىَ التَّقْصِيرَ فِيهِ وَعُدَّهُ
مَعَ مَا تَجُودُ بِهِ عَلَىَّ وَتُنْعِمُ

مَعْ أَنَّنِى سَيَّرْتُ فِيكَ شَوَارِدًا(٢)
كَالدُّرِّ بَلْ أَبْهَى لَدَى مَنْ يَفْهَمُ

تَغْدُو وَهُوجُ(٣) الذَّارِيَاتِ رَوَاكِدٌ
وَتَبِيتُ تَسْرِى وَالْكَوَاكِبُ نُوَّمُ

وَإِذَا الْمَآثِرُ عُدِّدَتْ فِى مَشْهَدٍ
فَبِذِكْرِهَا يَبْدَا الْمَقَالُ وَيُخْتَمُ

وَإِذَ تَلَا الرَّاوُونَ مُحْكَمَ آيِهَا(٤)
صَلَّى عَلَيْكَ السَّامِعُونَ وَسَلَّمُوا

---

(١) فى الاصل « وأين » وهو تصحيف (٢) يقال قصيدة شاردة ، وقافية شرود أى سائرة فى البلاد تشرد فيها متنقلة كما يشرد البعير (٣) الهوج جمع هوجاء : وهى الريح التى لاتستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ، والذاريات : الرياح تذرى مايعترضها فى سيرها ـ جعل قصائده التى مدح بها الداعى أسير من الريح وأسرى من الكواكب ، فقد تسترع الريح أو الكواكب ، ولكن تلك القصائد لاتهدأ لها حركة . « عبد الخالق »
(٤) هكذا فى الاصل « وإذا بدا الراوون أن يحكوا بها » ورواية العماد أصح وأظهر

وَكَفَى بِرَأْيِ إِمَامِ عَصْرِكَ نَاقِضًا

مَا أَحْكَمَ الْأَعْدَاءُ فِيكَ وَأَبْرَمُوا

وَأَنْشَدَنِي أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ (١) بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الْأَنْصَارِيُّ الْمِصْرِيُّ بِمِصْرَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الزُّبَيْرِ مَطْلَعَ قَصِيدَةٍ :

أَعَلِمْتَ حِينَ تَجَاوَرَ الْحَيَّانِ

أَنَّ الْقُلُوبَ مَوَاقِدُ النِّيرَانِ

وَعَلِمْتَ أَنَّ صُدُورَنَا قَدْ أَصْبَحَتْ

فِي الْقَوْمِ وَهْيَ مَرَابِضُ (٢) الْغِزْلَانِ

(١) هو أبو الطاهر إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجى بن المؤمل بن محمد ابن على بن ابراهيم بن يعيش بن سعيد بن سعد بن عبادة الانصارى الخزرجى يلقب شهاب الدين ، أصله من مدينة قوص بمصر ثم نزل بدمشق وأقام بها ، كان عالما أديبا ذا عناية باللغة والتاريخ ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، ولد سنة ٥٧٤ وتوفى بدمشق سنة ٦٥٣

(٢) مرابض جمع مربض : وهو المأوى من ربضت الشاة ونحوها « كضرب » والربض والربوض لنحو الظباء والغنم ، كالبروك للبعير والجثوم للطير ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سفيان بن عوف العامرى وقد بعثه إلى قومه بنى عامر بن صعصعة بن كلاب : « إذا أتيتهم فاربض فى دارهم ظبيا » أى أقم فى ديارهم آمنا كالظبى الساكن فى مربضه الوادع فى كناسه « أحمد يوسف نجاتى »

وَعُيُونُنَا عِوَضُ الْعُيُونِ أَمَدَّهَا
مَا غَادَرُوا فِيهَا مِنَ الْغُدْرَانِ (١)
مَا الْوَجْدُ هَزَّ قَنَاتَهُمْ بَلْ هَزَّهَا
قَلْبِي لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفَقَانِ
وَتَرَاهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى أَظْعَانَهُمْ
فَكَأَنَّمَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَظْعَانِ (٢)

وَكَانَ لَمَّا جَرَى لِأَخِيهِ الرَّشِيدِ مَا جَرَى مِنَ اتِّصَالِهِ بِالْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ عِنْدَ كَوْنِهِ مُحَاصِرًا لِلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَابِهِ ، قَبَضَ شَاوَرُ عَلَى الْمُهَذَّبِ وَحَبَسَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى شَاوَرَ شِعْرًا كَثِيرًا لِيَسْتَعْطِفَهُ فَلَمْ يَنْجَعْ حَتَّى الْتَجَأَ إِلَى وَلَدِهِ الْكَامِلِ أَبِي الْفَوَارِسِ شُجَاع

---

(١) يريد بالعيون الثانية مجارى المياه ومنابعها ، والغدران جمع غدير ، يعنى أن عيونهم أصبحت نائبة عن العيون الجارية تمدها غدران من الدموع لا ينضب معينها – ولا يخفى الجناس بين العيون وعيون ، كما أن بين غادروا وغدران جناس اشتقاق كذلك

(٢) الأظعان جمع ظعينة وهى الهودج ، وتطلق أيضا على الجمل الذى تركبه النساء يوم الظعن أى السفر

ابْنِ شَاوِرٍ (١) مَدَحَهُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ حَتَّى قَامَ بِأَمْرِهِ وَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَبْسِهِ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَاصْطَنَعَهُ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَيَا صَاحِبَيْ سِجْنِ الْخِزَانَةِ خَلِّيَا
نَسِيمَ الصَّبَا يُرْسِلْ إِلَى كَبِدِي نَفْحَا(٢)

---

(١) تقدم التعريف بالوزير أبى شجاع شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد الفاطمى، وكان جباراً عنيداً وغشوما مستبداً. وكان ابنه الكامل شجاع بن شاور خيرا منه، وقد قتله العاضد بعد قتل والده سنة ٥٦٤

(٢) يقال : نفح الطيب كنفع : إذا أرج وتضوع، ونفحت الريح إذا هبت، أى نسمت وتحركت. وبعد البيت الأول بياض بالأصل، وهو موضع لبيتين أحفظهما وهما :

وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد
إلى نظرى أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى
سريعاً بفضل الكامل العفو والصفحا

وبعدها : وإن تحسبانى الخ :

هذا وسجن الخزانة كان أصله يسمى خزانة البنود أى الرايات والاعلام، وكانت مجاورة للقصر الكبير، ومن حقوقه بالقرب من قصر الشوك بناها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى جميع الصنائع، ثم أحرقت سنة ٤٦١ فجعلت بعد هذا الحريق حبساً

« أحمد يوسف نجاتى »

فَإِنْ تَحْبِسَانِي فِي النُّجُومِ تَجَبُّراً
فَلَنْ تَحْبِسَا مِنِّى لَهُ الشُّكْرَ وَالْمَدْحَا

وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى قَبْلَ سِجْنِكُمَا عَلَى
دُمُوعِي أَنْ يَقْطُرْنَ خَوْفَ الْمَقَاطِرِ (١)

---

(١) المقاطر جمع مقطرة ، وهي المسماة الفلق : خشبة فيها خروق ، كل خرق على قدر سعة الساق تدخل فيها أرجل المحبوسين ، وهو مشتق من قطار الأبل ، لأن المحبوسين فيها على قطار واحد مضموم بعضهم إلى بعض ، أرجلهم فى خروق خشبة مفلوقة على قدر سعة سوقهم — هذا وأحفظ قبل هذين البيتين بيتين آخرين هما أول القطعة :

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا
من الصبح ما يبدو سناه لناظرى
فوالله ما أدرى أطرف ساهر
على طول هذا الليل أم غير ساهر

وقد استمرت خزانة البنود سجناً للامراء والوزراء وأعيان الدولة ووجوهها إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فاتخذها ملوك بنى أيوب أيضاً سجنا يعتقل فيه الامراء والمماليك ثم جعلت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ، وبها أنزل الملك الناصر محمد بن قلاوون الاسرى بعد عودته من الكرك وأبطل السجن بها ، ولكن كان من أولئك الأسرى الذين حسنت معاملتهم وعاشوا فى الخزانة التى أصبحت لهم دار ضيافة بأهليهم وأولادهم أن جعلوها مباءة إثم وموطن فساد حتى توفى الملك الناصر سنة ٧٤١ وانتقل الملك فى بيته إلى أن جلس على عرش مصر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفى أيامه هدم ذلك المكان سنة ٧٤٤ وزال بزواله شر كبير . « أحمد يوسف نجاتى »

وَمَالِى مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ أَذَاكُمَا
سِوَى مَلِكِ الدُّنْيَا شُجَاعِ بْنِ شَاوِرِ

وَمِمَّا قَالَهُ فِيهِ وَهُوَ لَعَمْرِى مِنْ رَائِقِ الشِّعْرِ وَجَيِّدِهِ :

إِذَا أَحرَقَتْ فِى القَلْبِ مَوْضِعَ سُكْنَاهَا
فَمَنْ ذَا الَّذِى مِنْ بَعْدُ يُكْرِمُ مَثْوَاهَا ؟
وَإِنْ نَزَفَتْ مَاءَ الْعُيُونِ بِهَجْرِهَا
فَمِنْ أَىِّ عَيْنٍ تَأْمُلُ الْعِيسُ سُقْيَاهَا ؟
وَمَا الدَّمْعُ يَوْمَ الْبَيْنِ إِلَّا لَآلِئٌ
عَلَى الرَّسْمِ (١) فِى رَسْمِ الدِّيَارِ نَثَرْنَاهَا !
وَمَا أَطْلَعَ الزَّهْرَ الرَّبِيعُ وَإِنَّمَا
رَأَى الدَّمْعُ أَجْيَادَ الْغُصُونِ فَحَلَّاهَا (٢)
وَلَمَّا أَبَانَ الْبَيْنُ سِرَّ صُدُورِنَا
وَأَمْكَنَ فِيهَا الْأَعْيُنَ النُّجْلَ مَرْمَاهَا (٣)

---

(١) يريد بالرسم الأول معنى العادة المتبعة الواجبة التنفيذ من قولهم رسم له كذا أى أمره به ، فارتسم أى امتثل ، ويقال : أنا أرتسم مراسمك لا أتخطاها ، والرسم الثانى : الأثر الباقى من الديار (٢) يريد تشبيه دمعه بالدر وبما يسقط على الغصون من ندى الطل (٣) مثل قوله :

إنما يفتضح العشا ق فى يوم الرحيل

عَدَدْنَا دُمُوعَ الْعَيْنِ لَمَّا تَحَدَّرَتْ

دُرُوعاً مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ نَزَعْنَاهَا (١)

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَتَرْجَمَتْ

لِعَيْنِي عَمَّا فِي الضَّمَائِرِ عَيْنَاهَا (٢)

بَدَتْ صُورَةٌ فِي هَيْكَلٍ فَلَوَ اُنَّنَا

نَدِينُ بِأَدْيَانِ النَّصَارَى عَبَدْنَاهَا (٣)

وَمَا طَرَباً صُغْنَا الْقَرِيضَ وَإِنَّمَا

جَلَا الْيَوْمَ مِرْآةَ الْقَرَائِحِ مَرْآهَا

---

(١) أى لأن البكاء ينافى الصبر فهو يضعف من قوته ويوهنها ، والانسان مهما كان جلداً يصبر على كل نوائب الدهر ما عدا فرقة أحبابه :

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ ـل على أننا نذيب الحديدا

وقال آخر :

جزعت للحب والحمى صبرت لها إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى

هذا وفى رأيى أن الاصل فى نزعناها ادرعناها « عبد الخالق »

(٢) يعنى أنهما فى موقف تعطلت فيه لغة الكلام ، وعلقت الالسنة عن النطق، ونابت العيون عنها فى التفاهم والمناجاة ، ولسان الدمع فى هذا الموقف أفصح

(٣) الهيكل بيت لنصارى فيه تمثال على صورة السيدة مريم والسيد المسيح عليهما السلام وقد يسمى الدير هيكلا أيضاً .

وَلَيَالِيَ[1] كَانَتْ فِي ظَلَامِ شَبِيبَتِي
سُرَايَ وَفِي لَيْلِ الذَّوَائِبِ مَسْرَاهَا
تَأَرَّجُ أَزْوَاحُ الصَّبَا كُلَّمَا سَرَى
بِأَنْفَاسِ رَيَّا آخِرَ اللَّيْلِ رَيَّاهَا[2]
وَمَهْمَا أَدَرْنَا الْكَأْسَ بَاتَتْ جُفُونُهَا
مِنَ الرَّاحِ تَسْقِينَا الَّذِي قَدْ سَقَيْنَاهَا

وَمِنْهَا :

وَلَوْ لَمْ يَجِدْ يَوْمَ النَّدَى فِي يَمِينِهِ
لِسَائِلِهِ غَيْرَ الشَّبِيبَةِ أَعْطَاهَا
فَيَامَالِكَ الدُّنْيَا وَسَائِسَ أَهْلِهَا
سِيَاسَةَ مَنْ قَاسَ الْأُمُورَ وَقَاسَاهَا
وَمَنْ كَلَّفَ الْأَيَّامَ ضِدَّ طِبَاعِهَا
فَعَايَنَ أَهْوَالَ الْخُطُوبِ فَعَانَاهَا[3]

---

(١) بياض بالاصل بعد وليلة ، وقبل ظلام (٢) ريا الأولى علم محبوبته والثانية إسم للرائحة الذكية الطيبة (٣) ما أشبه هذا بقول الآخر :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

وقوله فعاين جواب من وزيدت الفاء على حد قوله تعالى : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار » .

« عبد الخالق »

عَسَى نَظْرَةٌ تَجْلُو بِقَلْبِي وَنَاظِرِى
صَدَاهُ فَإِنِّى دَائِمًا أَتَصَدَّاهَا (١)

وَحَدَّثَنِي الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِدْرِيسِيُّ (٢) أَنَّ السَّبَبَ فِي حَبْسِهِ كَانَ : أَنَّهُ كَاتَبَ شِيرَكُوهَ الْمُلَقَّبَ بِأَسَدِ الدِّينِ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى

(١) الصدا الاول بمعنى الصدأ يريد الهموم والاحزان التى يصدأ منها القلب ، وتصدى بمعنى أتعرض لها وانتظرها، والمتصدى هو الذى يرفع رأسه وصدره لشىء ينظر إليه مترقباً.

(٢) تقدم له فى ترجمة « أحمد بن على بن الزبير الغسانى » صفحة ٥٧ من الجزء الرابع أن سماه الشريف أبو عبد الله محمد بن أبى محمد العزيز الأدريسى الحسنى الصعيدى والصواب ما هنا فانه يعنى الشريف أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم عبد الرحيم ابن عمر بن سليمان بن إدريس بن يحيى المعتلى « من ملوك الطوائف بالاندلس » بن على ابن محمود بن ميمون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب الشريف الأدريسى الصعيدى الحافظ قدم أبوه من المغرب وأقام بجهة قوص فولد له أبو جعفر هذا سنة ٥٦٨ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٩ وابنه إدريس ولد سنة ٦١٧ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٩١ وابنه جعفر ولد بالقاهرة سنة ٦١١ وتوفى سنة ٦٩٦ ثم قال فى صفحة ٦٠ : وأما سبب مقتله فلميله إلى أسد الدين شيركوه عند دخوله إلى البلاد ومكاتبته له ، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد فطلبه فاختفى بالاسكندرية ، واتفق التجاء الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الاسكندرية ومحاصرته بها فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً وقاتل بين يديه ولم يزل معه مدة مقامه بالاسكندرية إلى أن خرج منها فتزايد وجد شاور عليه واشتد طلبه له واتفق أن ظفر به على صفة لم تتحقق لنا فأمر بأشهاره على جمل وعلى رأسه طرطور ووراءه جلواز ينال منه ا . ه

« أحمد يوسف نجاتى »

بِلْبِيسَ (١) بِعَسَاكِرِهِ فِي مُحَارَبَةِ شَاوِرٍ ، فَلَمَّا رَحَلَ أَسَدُ الدِّينِ عَنْ بِلْبِيسَ (٢)

وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَجُورُ عَلَى الْعُشَّاقِ وَالْعَدْلُ دَأْبُهُ
وَيَقْطَعُنِي ظُلْماً وَصَنْعَتُهُ الْوَصْلُ

(١) سار أسد الدين شيركوه سنة ٥٥٩ إلى بلبيس والشرقية واستولى عليهما فأرسل شاور واستنجد بالفرنج على إخراج أسد الدين من البلاد فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحاصروا شيركوه ببلبيس ودام الحصار مدة ثلاثة أشهر ثم بلغ الفرنج حركة نور الدين محمود بن زنكى فراسلوا شيركوه فى الصلح وفكوا عنه الحصار فخرج من بلبيس بمن معه من العسكر وسار بهم حتى وصلوا إلى الشام سالمين — وفى سنة ٥٦٢ عاد أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية واستولى على الجيزة وأرسل شاور الى الفرنج واستنجدهم وجمعهم وساروا فى أثر شيركوه إلى جهة الصعيد فانهزم الفرنج وعسكر شاور وعاد شيركوه إلى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين ورجع شيركوه الى الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحاصروا صلاح الدين بالاسكندرية فى مدة ثلاثة أشهر فسار إليهم شيركوه واتفقوا على الصلح على مال يحملونه إلى شيركوه ويسلم إليهم الاسكندرية ويعود إلى الشام — والظاهر أن شاور وجد لابن الزبير الغسانى مكاتبات يراسل بها أسد الدين عرف شاور منها أن ميل ابن الزبير إليه فكانت سبب الغضب عليه وقد كان شاور طاغية ظالماً يعاقب على الظن ويقتل على الريبة وبلبيس بكسر الباءين وسكون اللام وياء ساكنة وسين مهملة كذا ضبطه نصر الاسكندرى . : والعامة تقول بلبيس بكسر الباء الاولى وبفتح الثانية : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام فتحت سنة ١٨ أو سنة ١٩ على يد عمرو بن العاص . معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٢ وفى القاموس بُلْبَيس كغُرَيق (٢) بياض بالاصل وقد نبه على الموضوع بتمامه فى نمرة ١

« أحمد يوسف نجاتى »

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

وَلَئِنْ تَرَقْرَقَ دَمْعُهُ يَوْمَ النَّوَى
فِي الطَّرْفِ مِنْهُ وَمَا تَنَاثَرَ عِقْدُهُ
فَالسَّيْفُ أَقْطَعُ مَا يَكُونُ إِذَا غَدَا
مُتَحَيِّراً فِي صَفْحَتَيْهِ فِرِنْدُهُ

وَمِنْهُ أَيْضاً :

لَقَدْ طَالَ هَذَا اللَّيْلُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
وَعَهْدِي بِهِ قَبْلَ الْفِرَاقِ قَصِيرُ
فَكَيْفَ أُرَجِّي الصُّبْحَ بَعْدَهُمُ وَقَدْ
تَوَلَّتْ شُمُوسٌ بَعْدَهُمْ وَبُدُورُ

وَمِنْهُ أَيْضاً :

يُعَنِّفُنِي مَنْ لَوْ تَحَقَّقَ مَا الْهَوَى
لَكَانَ إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيتُ رَسُولِي

بِنَفْسِي بَدْرٌ لَوْ رَآهُ عَوَاذِلِي

عَلَى الْحُبِّ فِيهِ فَادَ (١) كُلُّ عَذُولِ

وَمِنْهُ أَيْضاً :

أَقْصِرْ فَدَيْتُكَ عَنْ لَوْمِي وَعَنْ عَذَلِي

أَوْلَا تُخُذْ لِي أَمَاناً مِنْ ظُبَا الْمُقَلِ

(١) فاد : أى « مات » وهذا معنى لغوى ولكن مكان الكلمة قلق لأن الألفاظ لا تميل إليها ولو أنه بدلها مات لكان أوفق ويرى زميلى الأستاذ أحمد نجاتى رأياً أشاركه فيه وهى أنها مصحفة عن « قاد » بدليل ما فى البيت الأول وضرب مثلا يساعد على هذا بالأبيات الآتية منها :

لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتصالحنا على وجه جميل

وقول الآخر :

أبصره عاذلى عليه
ولم يكن قبل قد رآه
فقال لى لو عشقت هذا
ما لامك الناس فى هواه

« عبد الخالق »

مِنَ كُلِّ طَرْفٍ مَرِيضِ الْجَفْنِ يُنْشِدُنِي
«يَا رُبَّ رَامٍ بِنَجْدٍ مِنْ بَنِي ثُعَلِ»(١)
إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شِفَا
فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ(٢)

وَقَالَ يَرْثِي صَدِيقاً لَهُ وَقَدْ وَقَعَ الْمَطَرُ يَوْمَ مَوْتِهِ :

بِنَفْسِي مَنْ أَبْكَى السَّمَوَاتِ فَقْدُهُ
بِغَيْثٍ ظَنَنَّاهُ نَوَالَ يَمِينِهِ

---

(١) بنو ثعل مشهورون بجودة الرمي وهم من ثعل بن عمرو العورجي من طيء وعناهم امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

والقاضي المهذب يشير إلى قول امرىء القيس هنا فان الرواية الجيدة في بيته هي :

من كل طرف مريض الجفن تنشدنا ألحاظه : رب رام من بني ثعل

وقال ابن قلاقس الاسكندري :

وحي من كنانة قد رموني بما حوت الكنانة من سهام
إذا انتضلوا وما ثعل أبوهم أتوك بكل رامية ورامي

وقد تصرف الشعراء في هذا المعنى بحق «أحمد يوسف نجاتي»

(٢) عجز البيت للمتنبي صدره

لعل عتبك محمود عواقبه

وقد أحسن الشاعر تضمينه «عبد الخالق»

فَمَا اُسْتَعْبَرَتْ إِلَّا أَسًى وَتَأَسُّفًا
وَإِلَّا فَمَاذَا الْقَطْرُ فِى غَيْرِ حِينِهِ

وَلَهُ أَيْضًا :

لَا تَرْجُ ذَا نَقْصٍ وَلَوْ أَصْبَحَتْ
مِنْ دُونِهِ فِى الرُّتْبَةِ الشَّمْسُ
كِيوَانُ[1] أَعْلَى كَوْكَبٍ مَوْضِعًا
وَهْوَ إِذَا أَنْصَفْتَهُ نَحْسُ

وَلَهُ أَيْضًا :

فَدَعِ التَّمَدُّحَ بِالْقَدِيمِ فَكَمْ عَفَا
فِى هَذِهِ الْآكَامِ قَصْرٌ دَاثِرُ

(١) كيوان اسم يطلقونه على زحل وهو أشهر الكواكب على الاطلاق ، وقد كان المعتقد إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى أنه نهاية المجموعة الشمسية لبعده السحيق وطول فلكه الذى يقطعه فى نحو من سنة ، وكان عند العرب مثلا فى العلو والبعد ، كما قال الطغرائى :

وإن علانى من دونى فلا عجب لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

كما أنهم ظلموه بجعلوه كوكب النحس ورمز الشؤم والمصائب ، ولو أتيح لهم أن يشاهدوه لرأوا فيه جمالا باهراً « أحمد يوسف نجاتى »

إِيوَانُ كِسْرَى الْيَوْمَ عِنْدَ خَرَابِهِ
خَيْرٌ لَعَمْرُكَ مِنْهُ قَصْرٌ عَامِرُ (١)

١١ – الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي سَالِمٍ الْمُعَمَّرِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَاهُوجَ *

الحسن بن على الاسكافى

الْإِسْكَافِيُّ (٢) الْأَصْلِ ، الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ وَالدَّارِ ، أَبُو الْبَدْرِ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ ، مِنْ أَهْلِ بَابِ الْأَزَجِ (٣) ،

---

(١) ومثل هذا المعنى قول الشاعر :

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم لنفسك فى اكتسابك شاهداً بحديث مجد للحديث محقق

ولعل عنترة أسبق الشعراء إلى هذا المعنى بقوله :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وليس الغرض التبرؤ من القديم كله ، ولكن ينبغى ألا يعتمد عليه وحده وأن يكون أساساً يبنى عليه ، والأمة التى لا تلتفت إلى ماضيها لاتتهيأ لخير فى مستقبلها :
« أحمد يوسف نجاتى »

(٢) نسبة إلى إسكاف بلد من نواحى النهروان بين بغداد وواسط خرج منها طائفة كثيرة من أعيان العلماء والكتاب والعمال والمحدثين وقد خربت جهة إسكاف بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية ا . ه ياقوت

(٣) الأزج كان محلة كبيرة فى شرق بغداد بشرقيها مشتملة على عدة محال كبيرة كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٢٥

أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِى خِدْمَةِ الدِّيوَانِ الإِمَامِيِّ [1] هُوَ وَأَبُوهُ ، وَكَانَ فِيهِ فَضْلٌ وَأَدَبٌ بَارِعٌ ، وَعَرَبِيَّةٌ وَتَصَرُّفٌ فِى فُنُونِهَا ، وَيَكْتُبُ خَطًّا عَلَى طَرِيقَةِ أَبِى عَلِيِّ ابْنِ مُقْلَةَ قَلَّ نَظِيرُهُ فِيهِ ، وَلَهُ خَصَائِصُ ، وَلَقِىَ الْمَشَايِخَ ، وَصَنَّفَ عِدَّةَ تَصَانِيفَ فِى الْأَدَبِ حَسَنَةً ، وَتَنَقَّلَ فِى الْوِلَايَاتِ إِلَى أَنْ رُتِّبَ مُشْرِفًا بِالدِّيوَانِ الْعَزِيزِ [2] فِى سَادِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ عُزِلَ فِى سَابِعِ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ صَحِبَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ الْخَشَّابِ النَّحْوِىَّ [3] وَقَرَأَ عَلَيْهِ وَبَحَثَ مَعَهُ ، وَعَلَّقَ عَنْهُ تَعَالِيقَ وَقَفْتُ عَلَى بَعْضِهَا

(١) يريد ديوان الامام وهو الخليفة العباسى (٢) أى ديوان الخليفة الناصر لدين الله العباسى أبو العباس أحمد وهو الرابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس قام بالامر بعد وفاة والده الخليفة المستضىء بأمر الله حسن سنة ٥٧٥ وطالت مدة خلافته نحو ٤٧ سنة وتوفى فى شوال سنة ٦٢٢ (٣) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الخشاب وكان من أعلم أهل زمانه بالنحو كما كانت له معرفة جيدة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة ، وله مؤلفات نافعة فى اللغة العربية وتوفى سنة ٥٨٧ « عبد الخالق »

فَوَجَدْتُهَا مُنْبِئَةً عَنْ يَدٍ بَاسِطَةٍ فِى هَـذَا الْفَنِّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَرَأَيْتُ بِخَطِّهِ فِى حَلَبَ تعَالِيقَ (١) وَكُتُباً وَاخْتِيَارَاتٍ وَنَظْماً وَنَثْراً تَدُلُّ عَلَى قَرِيحَةٍ سَالِمَةٍ ، وَنَفْسٍ عَالِمَةٍ ، تُقِلُّ النَّظِيرَ ، وَتُؤْذِنُ بِالْعِلْمِ الْغَزِيرِ . وَمِمَّا بَلَغَنِى مِنْ شِعْرِهِ :

وَعَلَى الْـكَثِيبِ (٢) مُخَمَّرٌ مِنْ تِيهِهِ
كَالْبَـدْرِ مِنْ حُسْنٍ وَلَيْسَ بِآفِلِ

---

(١) من قوله : « وقفت إلى قوله تعاليق » ساقط من الاصل وموجود فى الهامش فأثبتناه لهذا (٢) الكثيب : التل المستطيل المحدودب من الرمل — وفى الاصل « مخمر » من خمر الشيء إذا غطاه وستره ومادة « خ م ر » تفيد معنى التغطية والستر ، فأما أن يكون مخمر بمعنى مغطى ومستتر يعنى أنها متمنعة دلالا محجبة تصوناً وتيهاً ، أو بمعنى مخمور فهى تتكسر فى مشيتها إعجاباً وتتثنى اختيالا ، كمن به خمار أى بقية سكر — وكأن هـذا المعنى يشير إلى قول ابن هانىء :

ودعوك نشوى ما سقوك مدامة   لما تمايل عطفك اتهموك

وقول عبد المحسن الصورى :

تعلقته سكران من خمرة الصبا   به غفلة عن لوعتى ونحيبى

وقد تكون مصحفة عن « مخفر » من الخفر أى ممنع محجب ، والتخفير : التسوير والتحصين ، وخفرها إذا حماها وحفظها ، وكذلك خفرها كما قال أبو جندب الهذلى :

ولكننى جمر الغضا من ورائه   يخفرنى سيفى إذا لم أخفر

ويكون هذا المعنى قريبا من قول الشاعر « أبى عبدالله محمد بن أحمد بن الخياط الدمشقى »

ومحتجب بين الأسنة معرض   وفى القلب من أعراضه مثل حجبه

حَجَبُوهُ بِالْبِيضِ الفَوَاصِلِ مَا دَرَوْا
مِنْ حُسْنِهِ وَسُيُوفُهُمْ كَالْفَاصِلِ (١)

---

(١) كذا بالاصل « ولك أن تضبط عجز البيت بما تشاء ما دام مؤدياً معنى مستقيماً تطمئن إليه النفس » وفصل الشيء: إذا قطعه بسرعة وسيف فاصل « ومفصل ، وفصال » أى ماض قاطع — وكذا فصل الشيء معناه قطعه وأبان بعض أجزائه عن بعض « كما أن الفاصل هو الحاجز بين الشيئين ، وقول فاصل وفصل أى قاطع بين الحق والباطل » فقد يكون المعنى — إذا وقفت فى عجز البيت عند « من حسنه » وابتدأت بقوله : وسيوفهم كالفاصل : كأن المعنى إنهم ما دروا حين حجبوه بسيوفهم القاطعة وصانوه بصوارمهم الباترة أن له من حسنه ما يغنى عن هذه الحماية ، ثم قال وسيوفهم كالحاجز والسور بينه وبين محبه « هذا معنى على ما فيه »

فالحب حيث العدا والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل

فكيف يصل المحب إلى من يهواه ، وأهله :

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح ومنعوا السمر بسمر الرماح ؟

وأنى له أن يتخطى تلك الحواجز ومحبوبه :

غزال منيع الخدر دون مزاره مظللة بالبيض منه الجآذر

ويصح أن يجعل عجز البيت جملة واحدة من إسم موصول مبتدا ومعطوف عليه وخبرا والقصد الاول إفادة أن محاسن المحبوب تشترك مع سيوف قومه فى خصائصها

« وقد يجوز أن تكون ما » فيما دروا غير نافية بل هي اسم موصول بدل من الهاء فى حجبوه يعنى أنهم حجبوا ما عرفوا من حسنه وشدة الرغبة من العشاق فيه أو حجبوه لما علوا من حسنه ، وقد يكون فى عجز البيت تقديم وتأخير وتصحيف فيكون أصله مثلا . . . وسيوفهم من حسنه كالناصل

ويقال نصل السهم إذا خرج منه النصل ، ومنه قول العرب فيمن بلى بمن يخذله : هو يرمي بأفوق ناصل ، ومن أمثالهم : رده بأفوق ناصل « إذا رده خائباً » ورجع فلان بأفوق ناصل « إذا خسر حظه أو خاب ويضرب للطالب لا يجد ما طلب » والأفوق هو —

رَشَأٌ كَأَنَّ لِحَاظَهُ مَطْرُورَةٌ
قَذَفَتْ بِهَا غَرَضًا حَنِيَّةُ نَابِلِ (١)

— السهم الذى انكسر فوقه « وهو موضع الوتر من السهم » فالأفوق الناصل : السهام المكسورة الفوق الساقطات النصول

ومعنى البيت على هذا الغرض أن سيوفهم إذا قيست إلى حسنه كانت كالسهم الناصل بالنسبة إلى السهام المريشة ذات النصال . وكأن فيه إشارة إلى معنى قول السراج الوراق :

أغنتهم تلك القدود عن القنا ونضوا عن البيض الصفاح الأعينا

وكأنه ينظر إلى قول ابن هانىء :

فتكات لحظك أم سيوف أبيك وكؤوس خمر أم مراشف فيك ؟

أو يشير إلى قول البهاء البخارى :

يا حامل الصارم الهندى منتصراً ضع السلاح قد استغنيت بالكحل
ما يفعل الظبي بالسيف الصقيل وما ضرب الصوارم للفتاك بالمقل

وقول الشاعر :

كيف النجاة ورمح قدك مشرع كيف الخلاص وسيف لحظك مصلت

وقول الشاعر :

إن العيون لكا الحصون فهدبها شرفاتها وجفونها الأسوار
وكذا محاجرها الخنادق حولها والحافظون بها هم الأنوار

وما أرق قول مسلم بن الوليد :

وليست سيوف الهند تفنى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب —

(١) الرشأ : الظبي إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه ، واللحاظ جمع لحظة أى النظرات تقول فتنته بلحاظها وألحاظها،واللحاظ « بفتح اللام وقد تكسر » مؤخرالعين ، ومطرورة أى محددة من قولهم طر السكين أو السيف أو السهم إذا أحده ، وسنان مطرور وطرير محدد ، وكذا سهم مطرور وسيف طرير ، يريد تشبيه لحاظه بالسهام الحادة الفاتكة ، والغرض : الهدف يرمي فيه ـ والحنية:القوس« لأنها محنية أىمعطوفة ذات وتر »وجمعها حنايا ، والنابل : ذو النبال أى السهام ونبله : إذا رماه بالنبل .

وَكَأنَّ سِحْرَ بَلاغَةٍ فِي لَفْظِهِ
أُخَذٌ (١) يُعَقِّدُهَا نَوَافِثُ بَابِلِ

— وقول الامير سيف الدين المشد :

أغنت لحاظك عن ظبات سيوفهم فبها بلغت من القلوب مناك

وقول الشهاب المنصورى :

يا مولعاً بسيوف الهند يحملها ضعهن واستغن بالالحاظ والمقل

وقول العفيف التلمسانى :

أرح يمينك مما أنت معتقل أمضى الاسنة ما فولاذه الكحل

ونهاية القول :

إن العيون السود أقوى مضربا من كل هنـدى وكل يمانى
فضل العيون على السيوف لانها فتكت ولم تبرز من الاجفان

وكأن معنى بيتنا الفلق يؤول بعد هذا إلى :

حجبوه بالبيض الفواصل لو دروا حجبوا السيوف فلحظه كالفاصل .

ونرجو القارىء أن يعذرنا فى هـذا الاطناب — وإن لم يخل من فائدة — فالبيت لايخلو من تحريف وتصحيف ، وفى النفس شىء من كل ما فرض فيه « أحمد يوسف »

(١) الأخذ جمع أخذة وهى رقية كالسحر ، ويعقدها مشدد للكثرة أى يكثر عقدها والنوافث جمع نافثة أى ساحرة ، ونفث ينفث من النفث كالنفخ ، أو هو نفخ لطيف يكون فى الرقية ولا ريق معه أو إخراج النفس من الفم بقليل من الريق ، ونفث فى العقدة عند الرق إذا نفخ ، ونفثه إذا سحره ، وامرأة نفاثة أى سحارة وقوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » هن السواحر حين ينفثن فى العقد « يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها » وبابل هي المدينة المعروفة ينسب إليها السحر والخمر ، والبيت يشير إلى قصة الملكين فى قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » وسحر بابل مما أكثر الشعراء ضرب المثل به ، فمن ذلك :

أظبا سيوف جردت من لحظك الـ ـفتاك أم هاروت أم ماروت

ولابن حبيب الحلبى :

تسبي القلوب بسحر بابل طرفها
وتجرد الاسياف من لحظاتها —

وَكَانَ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ حَاجًّا فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ أَوْ نَحْوِهَا فَجَاوَرَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ صَارَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ وَأَقَامَ بِحَلَبَ مُدَّةً ، ثُمَّ ٱنْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ فَسَكَنَهَا إِلَى

— وله :

أسكن هاروت فى لواحظه أما تراه بالسحر قد نفثا ؟؟

ومنه :

وأقسم لو هاروت وافاه لم يكن
ليروى إلا عن لواحظه السحرا

ومنه :

ترمي القلوب فلا تدرى أقام بها
هاروت أم ذاك رام من بنى ثعل ؟؟

ومنه :

يا من نسيت بسكرة من لحظه ألم الجراح به فعقلى ذاهل
هل فى الجفون كنانة أم حانة أم حل فيها ناظر أم بابل

ومنه :

وبى ساحر الالحاظ ظبي كأنما
بأجفانه من كثرة السحر بابل

ولابن الساعاتى :

بابلى الجفون تقمع غليلى منه فى رشف ريقه البابلى

ولابن القيسرانى :

فواحزنى من هوى فارغ رمي القلب فى شغل شاغل
تجول ظبا سحر أجفانه متى كانت الهند فى بابل ؟ !

والقول فى هذا المعنى كثير ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد .

« أحمد يوسف نجاتى »

أَنْ مَاتَ بِهَا فِى ثَامِنَ عشرَ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، عَنْ سبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَـةً ، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ ، وَحَدَّثَ بِذَلِكَ ٱبْنُهُ أَبُو مَنْصُورٍ عَلِيٌّ .

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ ٱبْنِ أَبِى سَالِمٍ الَّذِى لَا أَرْتَابُ بِهِ مَا صُورَتُهُ : نُسْخَةُ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَى الْقَاضِى الْفَاضِلِ عِنْدَ قُدُومِى مِنَ الْحِجَازِ إِلَى مِصْرَ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ : لَوْ كَانَتِ الْمَوَدَّاتُ ـ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْمَجْلِسِ السَّامِى ـ فِى نِعْمَةٍ خَصِيبَةِ الْمَرْتَعِ [1] ، وَعِيشَةٍ عَذْبَةِ الْمَنْبَعِ ـ وَأَدَامَ عُلَاهُ فِى سَعَادَةٍ لَا تَتَطَرَّقُ [2] إِلَى ضَافِى بُرْدِهَا السَّابِغِ حَوَادِثُ الْأَقْدَارِ ـ وَلَا يَتَطَرَّقُ [3] صَافِى

(١) المرتع : مكان الرتع وهو الأكل والشرب يقال خرجنا نرتع ونلعب أى ننعم ونلهو فى شبع ورى وتنعم (٢) تطرق إليه الشىء إذا عرض له وتطرق إلى الامر يبغى إليه طريقاً — وضفا الشىء : كثر وطال ، وبرد ضاف : أى طويل سابغ والسابغ : الكامل الوافى ، أو سبغ الشىء « كمقعد » : طال إلى الارض واتسع

(٣) تطرق هنا من الطرق : وهو الماء المجتمع الذى خاضت فيه الدواب والأرجل فكدرته وجعلته قذراً ، ومنه قول عدى :

ثم كان المزاج ماء سحاب لا صرى آجن ولا مطروق

وساغ الشراب فى الحلق : سهل مدخله ولذ لشاربه وهنأه — ثوى بالمكان: أقام به ولزمه

وِرْدِهَا السَّائِغِ بِحَوَادِثِ الْأَكْدَارِ ، وَحَرَسَ مَوَاهِبَهُ لَدَيْهِ مَا لَزِمَ السُّكُونُ أَوَّلَ الْمُشَدَّدَيْنِ ، وَلَا زَالَتْ ثَاوِيَةً بِجَنَابِهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ الْمُخَفَّفَانِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، وَلَا فَتِئَتْ مِنَحُ التَّوْفِيقِ مُصَاحِبَةً لَهُ مَا اشْتَبَهَ الذَّاتِيُّ بِالْعَرَضِ اللَّازِمِ [1] ، وَذُمَّ الْمُفَرِّطُ فِي أَمْرِهِ وَأُحْمِدَ [2] الْحَازِمُ ، لَا تُقْرَعُ أَبْوَابُهَا ، وَلَا تُتَدَرَّعُ زِينَةُ لَبُوسِهَا [3] وَأَثْوَابُهَا إِلَّا عَنْ مَعْرِفَةٍ

(١) هذا من اصطلاح كتب المنطق والحكمة، فان أردت بسط القول فيها فارجع إليها وخلاصة الفرق بين الذاتى والعرض اللازم : أن الذاتى ما كان جزءا من حقيقة الشىء وماهيته ولا تتحقق إلا به كالنطق والتفكير « بالنسبة للانسان الذى هو حيوان ناطق » وأما العرض اللازم فمع لزومه لحقيقة الشىء تتحقق ماهيته بدونه ، كالتحرك بالإرادة بالنسبة للانسان أيضاً فانه لازم لحقيقته ، ولكن ماهيته تتحقق بدونه — فهو حيوان ناطق — فاذا تحققت الماهية عرض لها العرض اللازم ولزمها . وإنما اشتبها لأن كليهما لازم لحقيقة الشىء غير مفارق والتفرقة بينهما دقيقة راجعة إلى ما تقدم « عبد الخالق »

(٢) الحمد نقيض الذم كما أن الحازم ضد المفرط وحمده وأحمده وجده محموداً . وتقول لقينا فلانا فأحمدناه أو أذممناه أى وجدناه محموداً أو مذموماً وأتيت موضع كذا فأحمدته أى صادفته محمودا موافقا وذلك إذا رضيت سكناه أو مرعاه

(٣) اللبوس : ما يلبس من الثياب والسلاح ، وتدرعه إذا لبسه وجعله درعا وجنة واقية — ومودة الأخيار درع حصينة من حوادث الدهر — والمشاهد يريد بها أمكنة الشهود والحضور ضد الغيبة

فِي الْمَشَاهِدِ سَابِقَةٍ ، أَوْ مَاتَّةٍ [١] قَائِدَةٍ ، أَوْ ذَرِيعَةٍ سَائِقَةٍ [٢] وَالتَّعَاضُدُ وَالتَّضَافُرُ سَابِقٌ لِلصِّفَةِ ،

وَإِنَّمَا لِلنُّفُوسِ سَرَائِرُ أَهْوَاءٍ [٣] تَحِنُّ إِلَى التَّدَانِي إِنْ تَبَاعَدَتِ الشُّعُوبُ وَتَنَازَحَتِ الدِّيَارُ ، كَمَا لِتَبَايُنِهَا أَسْبَابٌ تَتَنَافَرُ مِنْ أَجْلِهَا وَإِنْ تَقَارَبَتِ الْأَنْسَابُ ، وَتَنَازَحَتِ [٤]

---

(١) الماتة : الحرمة والوسيلة ، تقول أنا أمت إليك بوسيلة أو قرابة أو معرفة ونحو ذلك . والذريعة : الوسيلة يتوصل بها إلى الشيء ، يقول إن المعرفة والاتصال بين الانسان وأخيه تسهل إذا سبقها مشاهدة ورؤية فتكون هناك سابقة مودة تقود الانسان إلى التعرف وذريعة تسوقه إليه . ثم شرع يبين أن التعارف قد يكون روحياً تأتلف به الانفس وإن غابت الاجساد .

(٢) لو أردت أن أملأ هذا البياض بما يؤدى هذا المعنى بأيجاز بعبارة فيها تلك الكلمات المبعثرة فى البياض لقلت مثلا : لعل « التعاضد والتضافر » وعزبه التعاون والتناصر ولما تم للارواح المؤتلفة أسس معرفة ، تعشقه الآذان « سابق للصفة » ونحو ذلك من الاسلوب المسجوع الذى يصح أن يربط الكلام بعضه ببعض ويصل سابقه بلاحقه ، وهو يشير فى كلامه هذا إلى الأثر المشهور : الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف . ونظمه فى قوله :

إن النفوس لأجناد مجندة — البيت ثم أتبعه بقوله :

فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

(٣) يشير إلى قول محمد بن وهب الحميرى فى مطلع قصيدة :

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكنوناتهن النواظر

(٤) تنازحت : تباعدت . والمقار جمع مقر : وهو المكان يقر فيه الانسان أى يثبت ويسكن

المَقَارُ (١) ، وَالفَضَائِلُ الفَاضِلِيَّةُ الفَرِيدَةُ ، وَالمَنَاقِبُ الشَّهِيرَةُ الَّتِي قَدْ سَارَ ذِكْرُهَا فِي الآفَاقِ سَيْرَ القَمَرِ ، وَعَطَّلَتْ مَزِيَّتُهَا مَرْوِيَّ السِّيَرِ ، وَتُلِيَتْ مَحَاسِنُهَا كَمَا تُتْلَى السُّوَرُ ، وَصَارَ الفَوْزُ بِمُنَاسَمَةِ (٢) رَيَّاهَا مِنْ أَفْضَلِ مَا أَسْفَرَ عَنْهُ سَفَرٌ ، وَلَوْ عَايَنَهَا الصَّدْرُ الأَوَّلُ لَمَدَحَ فِي دِرَاسَتِهَا السَّهَرَ ، وَمَا جَدَبَ (٣) السَّمَرَ ، فَلَا غَرْوَ أَنْ تَحِنَّ النُّفُوسُ إِلَى مَحَلِّ كَمَالِهَا ، وَمَأْوَى تَضَافُرِ أَضْدَادِهَا (٤) الَّتِي انْفَرَدَ بِجَمَالِهَا وَمَثْوَى مَوَاهِبِهَا الَّتِي هَبَطَتْ إِلَيْهِ مِنَ المَحَلِّ

---

(١) هذا ينظر إلى قول أبى الفوارس الحمدانى :

نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب

(٢) مناسمة : استنشاق ، وتنسم النسيم إذا تشممه كتنسم العليل والمحزون إياه فيجدان لذلك خفة وفرحا — والريا يريد بها الرائحة الذكية الطيبة

(٣) ما جدب السمر : أى ما عابه — وفى الحديث : أن عمر جدب السمر بعد العشاء أو بعد العتمة أى عابه وذمه « وفعله كنصر وضرب »

(٤) كذا بالاصل ، ويخيل إلى أنها مصحفة عن مثل « ومأوى فضائلها » وبه يتم المعنى ويستقيم موازنة الكلام مع « مثوى مواهبها » والمثوى : اسم مكان من ثوى أى أقام وثبت « أحمد يوسف نجاتى »

الْأَرْفَعِ[١] لَمَّا سُمِّيَ لَهَا وَسَمَا لَهَا[٢]، وَمَنْ هُوَ أَمِينُهَا[٣] الْمُصَدِّقُ لِظُنُونِهَا، وَيَمِينُهَا[٤] إِذَا كَانَ غَيْرُهُ يَمِينَهَا وَشِمَالَهَا، وَقَدْ

---

(١) يشير إلى قول الرئيس أبى على بن سينا فى مطلع قصيدته العينية المشهورة فى النفس:

هبطت إليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التى سفرت ولم تتبرقع

(٢) من قول الشاعر:

سموت فأدركت العلاء وإنما يلقى كريمات العلا من سمالها

(٣) يشير إلى قول الاول:

فدى نفسى وما ملكت يمينى
فوارس صدقت فيهم ظنونى

وإلى قول الآخر:

ومستخبر عن سر ليلى رددته
بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون أخبرنا فأنت أمينها
وما أنا إن أخبرتهم بأمين

(٤) يمينها هنا معناه يكذبها مقابل قوله « المصدق لظنونها » أما قوله وشمالها فان نصب وهو ما يقتضيه قافية الفقرة — صح أن يكون معطوفا على محل جملة يمينها فهو خبر ثان لكان، ويكون ملاحظاً فى هذا معنى قولهم فى اليمين والشمال فأنهم إذا قصدوا جعل الشيء فى جهة العناية جعلوه فى اليد اليمنى كما قال البحترى:

وإن يدى وقد أسندت أمرى
إليه اليوم فى يدك اليمين —

زَادَهَا إِفْرَاطَ(١) حُسْنٍ التَّبْيَانُ ، فَلِلَّهِ دَرُّ ذَلِكَ الْبَيَانِ ،

— ومتى قصد خلاف ذلك جعل فى اليد اليسرى كما قال ابن ميادة :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى
فلا تجعلنى بعدها فى شمالك

أى كنت مكرما عندك فلا تجعلنى مهانا وكنت بالمكان الشريف منك فلا تحطنى إلى المنزل الوضيع — وقال أيضاً :

أبينى أفى يمنى يديك جعلتنى
فأفرح أو صيرتنى فى شمالك

أى أبينى منزلتى عندك أوضيعة هى أم رفيعة ؟ فذكر اليمين وجعلها بدلا من الرفعة والعناية والاهتمام ، وذكر الشمال وجعلها كناية عن الضعة والاهمال وعدم الاكتراث ويصح عطفه على قوله « يمينها بنصبه على الظرف » فيكون المخاطب الممدوح يميناً وشمالا للفضائل والمناقب ، يعنى أنه قوة لها لا تستغنى عنه — واليد الواحدة لا تصفق — وكل اعتمادها عليه . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) مأخوذ من قول البحترى فى قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان :

غرائب أخلاق هى الروض جادة
ملث الغزالى ذور باب وهيدب
فكم عجبت من ناظر متأمل
وكم حيرت من ناظر متعجب
وقد زادها إفراط حسن جوارها
خلائق أصغار من المجد خيب
وحسن درارى الكواكب أن ترى
طوالع فى داج من الليل كوكب

ومن قول الآخر :

وما حسن الرجال لهم بحسن إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له بيان

فَلَكَمِ ٱسْتَفَادَتْ حُجَّتُهُ إِلَى أَمْرِ اللهِ مِنَ الطَّوَائِفِ وَالفِرَقِ [١]، وَكَمْ قَصَّ كِتَابُهُ [٢] مِنْ كَتَائِبِ الضَّلَالِ وَفَرَّقَ.

ثُمَّ ذَكَرَ وَصْفَ بَلَاغَتِهِ بِمَا أَطَالَ فِيهِ، وَوَصَفَ البَحْرَ الَّذِي رَكِبَهُ حَتَّى خَلَصَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَرْسَلَ هَذِهِ الخِدْمَةَ [٣] مُسْتَخْرِجَةً لِلإِذْنِ فِي الحُضُورِ وَالتَّشَرُّفِ بِمَيْمُونِ اللِّقَاء، وَإِنْ زَاحَمَ بِهِ أَوْقَاتَ الطَّاعَاتِ وَمَوَاقِيتَ الأَذْكَارِ. وَشَغَلَ عَلَى ٱخْتِصَارِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنَ المُهَامِّ وَالأَوْطَارِ. وَلِلْمُتَوَكِّلِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ فِي ذَلِكَ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ البِرِّ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ وَلِلَّهِ الحَمْدُ فِي هَذَا

(١) يشير إلى قوله تعالى: « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فأن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » يريد الكاتب أن يمدح القاضى الفاضل أنه نصر بلسانه الدين وأيده بقوة حجته وحسن بيانه وبلاغته، ورد به على الفرق الزائغة فأدحض حجتها ومزق مكانتها

(٢) كان فيه تورية يريد قص بمعنى قطع أو تتبع، وورى عنه بالمتبادر أولا وهو قص الخبر عليه إذا أعلمه به — وفرق بين الشيئين فصل — وفرق البحر فلقه وشقه وجعله فرقا وأقساما — والتفريق التخريق، وفرق له عن الشيء إذا بينه له، وكل هذه المعانى محتملة هنا « احمد يوسف نجاتى »

(٣) كان المحدثون يطلقون لفظ « خدمة » على الرسالة يبعث بها الكاتب إلى عظيم وكثر ذلك فى كتاب المتأخرين من حلبة القاضى الفاضل ومن بعده. وارجع الى مثل كتاب ثمرات الاوراق وصبح الاعشى ونحوهما تجد الاستعمال شائعاً.

الطَّرَفِ لِقَاطِنِيهِ وَطَارِقِيهِ كَالْأَبِ الْبَرِّ . وَالْمَنْشُودُ مِنَ الْأَرْيَحِيَّةِ (١) الْكَرِيمَةِ إِكْرَامُ مَثْوَى خِدْمَتِهِ ، وَتَلَقِّيهَا بِمَا يُزِيلُ عَنْهَا انْقِبَاضَ الْغَرِيبِ وَوَحْشَتَهُ ، وَحَيْرَةَ الْقَادِمِ وَدَهْشَتَهُ ، فَعِنْدَهُ حَيَاءٌ طَبِيعِيٌّ لِعِلَّةٍ مُتَجَاوِزَةٍ لِلْقَدْرِ الْمَحْمُودِ (٢) غُذِيتُ بِهِ طِفْلًا ، فَإِنْ رُمْتُ غَيْرَهُ عَصَانِي وَأَغْرَتْنِي بِهِ أُلْفَةُ الْمَهْدِ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْحُضُورِ عِنْدَهُ رُقْعَةً مِنْهَا :

وَحَضَرَ الشَّيْخَ النَّفِيسَ وَصُحْبَتَهُ مَا قَابَلَ كَرِيمَ الاهْتِمَامِ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَثْنِيَةِ (٣) بِمَا لَا يَزَالُ يُوَالِيهِ وَيَرْفَعُهُ وَيُهْدِيهِ ، وَلَقَدْ أَخْجَلَهُ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فِي صُورَةِ مُثْقِلٍ ، أَوْ يُرَى بِعَيْنِ غَيْرِ مُوَحِّدٍ فِي دِينِ هَوَاهُ مُتَنَقِّلٍ . وَمُقْتَرَحُهُ أَنْ يُخَصَّ مِنْ حُسْنِ الرَّأْيِ الْعَالِي بِشِعَارٍ يُبْهِجُ

---

(١) الأريحية : خفة تحمل المرء على المروءة وهزة لها ، ورجل أريحى أى واسع الخلق ينبسط إلى المعروف ويهش للندى ويرتاح للجميل والكرم

(٢) فى الاصل المحدود ، وفى المهاد « المحمود » وقد يكون الاصل : المحدود الحد أو للقدر المحمود الغاية التى تفوت الحد «مثلا» لتوافق قافية الفقرة بعدها « المهد » فأن الكاتب كما ترى قد التزم السجع وعنى بمحسنات بديعية أخرى من الترصيع والازدواج والتورية والجناس والطباق والتوجيه « احمد يوسف نجاتى »

(٣) الأثنية جمع ثناء ، « ويرفعه » يعود إلى الادعية ويهديه يعود إلى « الاثنية »

وَلَا يُنْهِجُ[١] ، وَيَشْرَعُ لَهُ سَبِيلًا فِى الْفَخْرِ وَيُنْهِجُ ، وَأَنْ يُشِيرَ بِأَسْطُرٍ بِالْخَطِّ الْكَرِيمِ يَفُوقُ الْمَالَ ، وَيَبْقَى الْجَمَالُ ، فَأَبْقَى السِّمَاتِ مَا خَطَّتْهُ يَمِينُهُ ، وَأَثْبَتُ الصِّفَاتِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ تَزْيِينُهُ ، وَأَزْكَى الشَّهَادَاتِ مَا تَطَوَّعَ بِهِ كَرَمُهُ ، وَأَعْطَرُ رِيَاضِ الْحَمْدِ مَا أَنْبَتَتْهُ دِيَمُهُ[٢] . وَقَدْ حَصَلَ الْخَادِمُ بَيْنَ نِزَاعٍ يَحُضُّهُ عَلَى حُضُورِ الْخِدْمَةِ وَيُنَشِّطُهُ ، وَخَوْفِ إِبْرَامٍ[٣] يَقْبِضُهُ وَيُثَبِّطُهُ . وَقَدْ تَرْجَمَ عَنْ حَالِهِ هَذِهِ بِأَبْيَاتِ الشَّاعِرِ أَبِى عَبْدِ اللهِ وَهِىَ :

---

(١) يبهج : أى يفرح ويسر . ولا ينهج : من أنهج البلى الثوب اذا أخلقه ، أو من أنهجه جمله ينهج : أى يبهر ويتتابع نفسه ، وأنهج الدابة إذا سار عليها حتى انبهرت وأعيت . وأما ينهج ، الثانى فمن أنهج الطريق أو الامر ، أى أبانه وأوضحه

(٢) الديم جمع ديمة : وهي مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق

(٣) أى تثقيل . والمبرم: الثقيل. والغث الحديث الذى يصدع رأس جليسه بأحاديث فاترة لا فائدة منها ولامعنى لها ، وكأنه أخذ من المبرم وهو الذى يقتلع الحجارة من الجبال ، أو من المبرم وهو الذى يجنى ثمر الاراك لا طعم له ولا حلاوة ولا حموضة ولا معنى ، وقال الاصمعى : المبرم الذى هو كل على صاحبه لا نفع عنده ولا خير بمنزلة البرم الذى لايدخل مع القوم فى الميسر ويأكل معهم من لحمه

حَالَةٌ قَدْ حَصَلْتُ لِلْخَوْفِ مِنْهَا
حَوْلَ دَارِ الْأُسْتَاذِ فِي عَشْوَاء[١]

إِنْ تَأَخَّرْتُ أَوْ تَقَدَّمْتُ فِيهَا
سَاءَ ظَنِّي فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِرَائِي[٢]

لَسْتُ أَدْرِي مِنَ الضَّلَالِ أَقُدَّا
مِي خَيْرٌ فِي ذَاكَ أَمْ مِنْ وَرَائِي ؟

---

(١) من قولهم : ركب فلان العشواء إذا خبط أمره وحار فيه وركبه على غير بصيرة ولا هدى ولا بيان أو حمله على أمر غير مستبين الرشد فربما كان فيه ضلالة ، وأصله من العشواء وهي الناقة التي لا تبصر ما أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء ولا تتعهد مواضع خفافها — أو من عشواء الليل أى ظلماته وقد يضرب هذا مثلا للشارد الذى يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته — والعشوة ركوب الأمر على غير بيان وبصيرة ، يقال أوطأني عشوة أى أمرا ملتبسا وذلك إذا أخبرتهم بما أوقعتهم به فى حيرة أو بلية « عبد الخالق »

(٢) الراء لغة فى الرأى من راه يراه لغة فى رأى والاسم منه الرأى والراء ، قال الشاعر :

أمرتنى بركوب البحر أركبه
غيرى لك الخير فاخصصه بذا الراء

ما أنت نوح فتنجينى سفينته
ولا المسيح أنا أمشى على الماء

والبيتان لأبى الحسن على بن عبد الغنى الحصرى الشاعر الضرير ابن خالة أبى إسحاق الحصرى صاحب زهر الآداب . ويروى . بذا الداء بدل الراء فلا شاهد فيه

« أحمد يوسف نجاتى »

أُوثِرُ الْخِدْمَةَ الَّتِي تُؤْثِرُ اسْمِي[١]
عِنْدَكُمْ فِي جَرِيدَةِ الْأَوْلِيَاءِ

ثُمَّ أَخْشَى أَنِّي أُعَدُّ إِذَا جِئْـ
ـتُ مِنَ الْمُبْرِمِينَ وَالثُّقَلَاءِ

قَدْ تَحَيَّرْتُ فَاجْعَلُوا أَنْتُمُ اسْمِي
حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ

وَمِنْ خَطِّهِ : وَمِنْ عَبَثِ الْخَاطِرِ وَهَوَسِهِ أَبْيَاتٌ تَشَوَّفْتُ[٢] فِيهَا الْحِجَازَ بَعْدَ مُجَاوَرَتِي بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِمَكَّةَ — قَدَّسَهَا اللهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَهِيَ :

---

(١) يؤثر الخدمة أى يفضلها ويقدمها فى رأيه ، ويؤثر اسمه أى يكرمه ويجعله أثيراً أى يجعله مكينا مكرما وقد يكون « تأثر » من أثر الحديث عن القوم إذا نقله ورواه وقيده والجريدة لفظ استعمله المولدون بمعنى دفتر أرزاق الجند وهي صحيفة حررت لبعض الامور أخذت من جريدة الخيل وهي التى حررت لوجه ، ثم توسع فيه فأطلق على كل دفتر أو صحيفة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الاصل : تشرفت

خَلِيلَيَّ هَلْ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ وَقْفَةٌ
بِخَيْفِ (١) مِنًى وَالسَّامِرُونَ هُجُوعُ ؟
وَهَلْ لِلُيَيْلَاتِ (٢) الْمُحَصَّبِ عَوْدَةٌ
وَعَيْشٍ مَضَى بِالْمَأْزِمَيْنِ (٣) رُجُوعُ ؟
وَهَلْ سَرْحَةٌ (٤) بِالسَّفْحِ مِنْ أَيْمَنِ الصَّفَا
رَعَتْ مِنْ عُهُودِي مَا أَضَاعَ مُضِيعُ ؟

(١) الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه : خيف منى ، وهو فى سفح جبل منى غرة بيضاء فى جبل الاسود الذى خلف جبل أبى قبيس ، وبها سمى مسجد الخيف . أو لانها خيف أى ناحية من منى

(٢) لييلات : تصغير ليلات ، أى ليلات قليلة ، والمحصب : موضع رمي الجمار فى منى والمحصب أيضاً : موضع بين مكة ومنى وإلى منى أقرب وهو بطحاء مكة ، وهو من الحصب أى الرمي بالحصباء أى صغار الحصى — وفى محصب منى يقول عمر بن أبى ربيعة :

نظرت إليها بالمحصب من منى ولى نظر لولا التحرج عازم

وفى الخيف يقول نصيب أو المجنون :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة بخيف منى ترمي جمار المحصب
ويبدى الحصا منها إذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب

وفى الهامش لعله : لليال بالمحصب (٣) المأزمان موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين وبه المسجد الذى يجمع فيه الامام بين الصلاتين الظهر والعصر — وأصل المأزم الطريق الضيق بين الجبال (٤) السرحة وجمعه سرح : شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل فيه ، وينبت بنجد فى السهل والغلظ ولا ينبت فى رمل ولا جبل . أو هو كل شجر طال . وقال أبو حنيفة الدينورى : السرحة : روضة محلال واسعة يحل تحتها الناس فى الصيف ويبنون تحتها البيوت وظلها صالح — قال الشاعر : —

وَهَلْ قُوِّضَتْ خَيْمٌ عَلَى أَبْرَقِ (١) الْحِمَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ غَدْرِ الزَّمَانِ بَدِيعُ ؟
وَهَلْ تَرِدَنْ مَاءً بِشِعْبِ (٢) ابْنِ عَامِرٍ
حَوَائِمُ لَوْ يُقْضَى لَهُنَّ شُرُوعُ ؟

— فيا سرحة الركبان ظلك بارد وماؤك عذب لا يحل لوارد

والعرب تكنى عن المرأة بالسرحة ولعل هذا البيت منه ، وكذا قول الشاعر :

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود ؟
لحائم حام حتى لا حراك به محلأ عن ورود الماء مطرود

وقال حميد بن ثور :

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاه تروق

وسفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء — والصفا مكان مرتفع من جبل أبى قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الاسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الابرق : موضع فيه حجارة ورمل وطين مختلطة — والحمى أصله فى اللغة : الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه — وإذا أطلق « الحمى » ينصرف الى « حمى ضرية » الذى سار ذكره وعرف أمره وضرية : قرية عامرة فى طريق مكة من البصرة من نجد لها حاج بالبصرة وكذلك حمى الربذة من قرى المدينة

(٢) شعب ابن عامر ماء أوله الأبلة « بلدة على شاطىء دجلة والبصرة وهى أقدم من من البصرة » وكانت الأبلة تعد من جنان الدنيا وفى شعب ابن عامر يقول الشاعر :

إذا جئت بان الشعب شعب ابن عامر فاقرىء غزال الشعب منى سلاميا

الحوائم : العطاش وحوائم جمع حائمة مؤنث حائم ولعله يريد الاكباد الحرى والحائم العطشان الذى يحوم حول الماء . هذا أصله ، ثم كثر استعماله حتى صار كل عطشان حائماً والشروع الورود : يريد أننى لو يقضى الخ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا عَارِضٌ مِنْ طَمَاعَةٍ
لَهُ بِقُلُوبِ الْعَاشِقِينَ وَلُوعُ
وَإِنِّى مَتَى أَعْصِ التَّجَلُّدَ وَالْأَسَى
فَلِلشَّوْقِ مِنِّى وَالْغَرَامِ مُطِيعُ
فَيَا جِيرَتِى إِذْ لِلزَّمَانِ نَضَارَةٌ
وَعُودِى نُضَارٌ (١) وَالْخِيَامُ جَمِيعُ
بِنَعْمَانَ (٢) وَالْأَيَّامُ فِينَا حَمِيدَةٌ
وَوَادِى الْهَوَى لِلنَّازِلِينَ مَرِيعُ

---

(١) العود النضار « بضم النون » المتشعبة الغصون والطويل بمعنى النضير من النضرة وهو النعمة والحسن والرونق — وجميع بمعنى مجتمعة

(٢) ونعمان : واد ينبت الاراك ويصب إلى ودان بلد غزاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين مكة والطائف وفيه يقول أبو العميثل :

أما والراقصات بذات عرق ومن صلى بنعمان الاراك
لقد أضمرت حبك فى فؤادى وما أضمرت حباً من سواك

وهناك نعمان آخر بالشام . مريع أى خصيب من مرع الوادى : كثر به الخصب والكلأ ويقال فى المثل : ومرع واديه يضرب لمن اتسع أمره واستغنى

« أحمد يوسف نجاتى »

وما أَزمَعَ الحَىُّ اليَمَانُونَ نِيَّةً
وَلَا رِيعَ (١) بِالْبَيْنِ الْمُشِتِّ مَرُوعُ

كَفَى حَزَنًا أَنِّى أَبِيتُ وَبَيْنَنَا
مِنَ الْبِيدِ (٢) مَعْدُوُّ (٣) الْفِجَاجِ وَسِيعُ

أُعالِجُ نَفْسًا قَدْ تَوَلَّى بِهَا الأَسَى
وَطَرْفًا يَجِفُّ الْمُزْنُ (٣) وَهْوَ هَمُوعُ

وَمِنْ خَطِّهِ أَيْضًا بَيْتَانِ صَدَّرْتُ بِهِمَا كِتَابًا فِى هَذِهِ الرُّقْعَةِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ بِمَكَّةَ — حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى — :

أَلَا قُلْ لِجِيرَانِ الصَّفَا لَيْتَ دَاعِيَ التْـ
تَفَرُّقِ أُعْمِيَ يَوْمَ رَاحَ مُنَـــادِيَا

---

(١) ريع : مجهول راعه الشىء : أى أفزعه وأخافه فهو مروع أى مخوف ، والبين : الفراق والبعد . والمشت : المفرق المشتت (٢) البيد : جمع بيداء ، وهي الفلاة ، ومعدو : من عداه إذا تجاوزه إلى غيره وتركه ، أو من عداه إذا منعه ، يريد أن هذه البيد غير مطروقة ولا مسلوكة بل يعدوها السابلة إلى غيرها خشية أهوالها وخوف الضلال فيها ، والفجاج جمع فج : وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين أو ما انخفض من الطرق
« عبد الخالق »

(٣) المزن : السحاب أو أبيضه ، أو ذو الماء ، واحده مزنة ، وهى القطعة منه ، والمطرة . والهموع : السيال الكثير

لَعَمْرِى لَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ وَدَاعِكُمْ
بِشِعْبِ [١] الْمُنَقَّى شُعْبَةً مِنْ فُؤَادِيَا

وَمِنْ خَطِّهِ رِسَالَةٌ كَتَبَهَا إِلَى الْفَاضِلِ أَيْضاً يَسْأَلُهُ شَيْئاً مِنْ رَسَائِلِهِ ، قَالَ فِي آخِرِهَا : فَصَارَ مَثَلُ الْعَوَارِفِ [٢] الَّتِي قَدِ اقْتَصَرَ فِي ذِكْرِهَا عَلَى الْإِيمَاءِ وُقُوفاً مَعَ مَحْتِدِ [٣] سَيِّدِنَا — « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ » — مَبْسُوطَ الْيَدِ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْفَرْضِ [٤] ، مُقْرِضاً لَهُ عَنَاءَ هَمِّهِ فِيهِمْ أَحْسَنَ

(١) الشعب : فى الأصل مسيل الماء فى بطن من الارض . وشعب المنق : مكان بين أحد والمدينة وهو طريق للعرب إلى الشام كان فى الجاهلية يسكنه أهل تهامة

(٢) العوارف جمع عارفة : وهى المعروف والصنيعة (٣) المحتد : الطبع ، يقال : رجع إلى محتده إذا فعل شيئاً يناسب طبعه وعدل إليه عن غيره مما لا يلائمه — وفى بعض المراجع « محبة » يعنى الكاتب أنه اقتصر فى تعداد هذه العوارف على الاشارة إليها مراعاة الطبع لممدوح « القاضى الفاضل » وإيثارا لما يحبه ويميل اليه من عدم الاشارة بذكر صنائعه حتى لا يظن فيه الامتنان بها

« أحمد يوسف نجاتى »

(٤) الفرض : العطية المرسومة ، يقال : ما أصبت منه فرضاً ولا قرضاً — والفرض أيضا ما أوجبه الكريم على نفسه فوهبه لغيره وجاد به على من يستحقه لغير ثواب أو انتظار عوض — والقرض ما أعطاه ليكافأ عليه أو ليسترده بعينه ، قال الحكم بن عبدل :

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتى وأدرك ميسور الغنى ومعى عرضى
وما نالها حتى تجلت وأسفرت أخو ثقة منى بقرض ولا فرض

« عبد الخالق »

القَرْضِ(١) ، مُنْجِزاً لَهُمْ مَا وَعَدَ . «وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» عِنْدَ الْخَادِمِ . وَمَثَلُهُ كَالْبَيْتِ مِنَ الْقَرِيضِ قَبْلَ الْقَافِيَةِ ، وَالْمَرِيضِ الَّذِى مَطَلَتْهُ الْأَيَّامُ بِالْعَافِيَةِ ، فَلَا يَكْمُلُ ذَاكَ وَلَا يَرُوقُ ، وَلَا يَتَطَرَّبُ بِهِ الْمَشُوقُ ، وَلَا يَتَرَنَّمُ بِهِ الْكَئِيبُ ، وَلَا يَتَسَلَّى بِهِ الْغَرِيبُ دُونَ تَمَامِهِ ، وَتَكَافُؤِ أَجْزَاءِ نِظَامِهِ ، وَعَبَقِهِ بِمِسْكِ خِتَامِهِ ، وَلَا يُحِسُّ هَذَا بِلَذَّةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ — وَإِنْ شَرُفَتْ — حَتَّى يَجِدَ رُوحَهُ رُوحَ الشِّفَاءِ فَيُدْرِكَ مَزِيَّتَهَا بِطُرُقِ الصِّحَّةِ ، وَمُرُوءَتَهَا بِجَلَاسَةِ سَمْعِهَا ، وَتُسَاعِفَهُ الْأَقْدَارُ بِتَكْمِيلِهَا لَكَ وَجَمْعِهَا .

وَمَا أَسَفِى إِلَّا عَلَيْهَا فَإِنَّنِى
بِقِرْطَاسِهَا لَا بِالدَّنَانِيرِ أَكْلَفُ(٢)

---

(١) يشير الى قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له »

(٢) كلف بالشىء « كفرح » إذا أولع به واشتد غرامه ولهج بذكره

فَجُدْ لِي بِمَا أَهْوَاهُ مِنْهَا فَإِنَّنِي
سَأُلْحِفُ فِي اسْتِيهَابِهَا وَأُكَلِّفُ (١)
وَمَا هَذِهِ الْأَهْوَاءُ إِلَّا غَرَائِزٌ
قَبِيحٌ لَدَى نُقَّادِهَا الْمُتَكَلِّفُ (٢)
وَإِنْ كَانَ الْخَادِمُ عَنْ حَالِ مَنْ شَرُفَ بِهَذَا مِنْ أَفْنَاءِ (٣)

---

(١) من كلفه الأمر فتكلفه: إذا جشمه على مشقة وعلى خلاف عادة ـ يعنى أن الشاعر سيلح فى طلب هذه الهبة «الرسائل» من القاضى الفاضل ويكلف نفسه فى هذا الالحاح والالحاف الذى لم يألفه ما يشق عليها لنفاسة المطلوب وعزته حتى لا يبالى أن يراق فى طلبه ماء الوجه فعلى قدر المطلوب يكون الجهد «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هذا مثل قول الشاعر:

دع التخلق يبعد عنك أوله إن التخلق يأتى دونه الخلق

(٣) الأفناء من الناس: الأخلاط واحدة «فنو» بكسر الفاء وأكثر ما يستعمل فى الجماعة: فيقال هؤلاء القوم من أفناء الناس، يعنى أنهم قوم نزاع من هنا وههنا، وقال الحطيئة:

وتعذلنى أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد

وكان الكاتب يريد أن يتواضع لمقام القاضى الفاضل ويقول: إن كنت بالنسبة لمن شرف بالحظوة برسائل الممدوح أعد من أخلاط الناس وعامتهم، لا من خواصهم الذين يدركون بلاغة هذه الرسائل، ويحق لهم أن يفوزوا بأهدائها لمعرفتهم قيمتها، فليس لى أن أعترض على هذا الايثار بل ليس لى إلا التسليم بما يراه الفاضل الذى تبين أقدار الناس عنده وتتفاوت مراتبهم لديه بما يشرفهم به من رسائله السامية — وهو تواضع فيه شىء من للتعريض والاغراء حتى يبادر الفاضل بأهدائه ما يريد خشية أن يظن السائل أن القاضى يراه كما يصف نفسه وقد يحتمل الكلام معنى آخر وهو ظاهر

«أحمد يوسف نجاتى»

النَّاسِ ، وَلَمْ يَكْمُلْ بِعُدَّتِهِ الاِسْتِئْنَاسُ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُعْتَرِضاً ، وَلَا أَنْ يَتَلَقَّى ذَلِكَ بِغَيْرِ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ، فَإِنَّ الْخِدْمَةَ السَّامِيَةَ هِيَ الَّتِي تَبَيَّنُ لَدَيْهَا الْأَقْدَارُ ، وَبِأَفْعَالِهَا تَتَرَتَّبُ الْمَنَازِلُ وَتَتَفَاتُ الْأَخْطَارُ .

وَكُنْتُ عِنْدَ كَوْنِي بِمَرْوَ(١) عَرَضَ عَلَيَّ شَيْخُنَا فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ تَاجِ الْإِسْلَامِ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ(٢)

---

(١) مرو : كانت أشهر مدن خراسان وقصبتها وتسمى مرو الشاهجان « والشاهجان لفظ فارسى معناه نفس السلطان ، وجان = نفس أو روح . وشاه = سلطان » سميت بذلك لجلالتها عندهم ، وقد أخرجت مدينة مرو من الاعيان وعلماء الدين وأقطاب الشريعة ماقل أن تخرجه مدينة أخرى . وقد كان مؤلف الكتاب بها سنة ٦١٦ وأقام فيها ثلاثة أعوام ، ويقول : ولولا ماعرا من ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها مافارقتها إلى الممات لما فى أهلها من الرفد ولين الجانب ، وكثرة كتب الاصول المتقنة بها فأنى فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة . . . ثم قال وكانت « أى الكتب » سهلة التناول لايفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها وأنسانى حبها كل بلد ، وألهانى عن الاهل والولد . إلى أن خرجت عنها مفارقا ، وإلى تلك المواطن ملتفتا وامقا الخ

(٢) هو أبو المظفر فخر الدين عبد الرحيم بن الحافظ أبى سعيد عبد الكريم بن الحافظ أبى بكر محمد بن الامام أبى المظفر منصور بن محمد التميمى المروزى الشافعى الفقيه المحدث ولد سنة ٥٣٧ وتضلع من علوم الشريعة وروى جل كتبها القيمة ورحل الناس إليه ورووا عنه وانتهت اليه رياسة الشافعية ببلده . توفى عند دخول التتار بلاد خراسان وإبادتهم العباد والبلاد وإهلاكهم الحرث والنسل ، وذلك سنة ٦١٧ « أحمد يوسف نجاتى »

— تغمدهما الله برحمته — جزءا يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط [١] محشوة بالسب له والثلب [٢] تصريحا لا تعريضا، ويلزمه الحجة فى أنه نهب كتبه، وسلبه نتيجة عمره، ويستحسب [٣] الله عليه. وضاق نطاق الزمان من تحصيلها وكتبها، وقلت:

وكم منية خلفت خلفى وبغية
ومن حاج نفس حال من دونها الترك

(١) هو الكاتب المشهور محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: كان من أفراد عصره جامعا بين جودة المنثور والمنظوم خبيرا باللغة وعلومها وآدابها واقفا على أسرار بلاغتها ودلائل أعجازها ملما باللغة الفارسية فجمع بذلك بين عزيمتين ونال باتقان اللغتين الحسنيين ولد بمدينة بلخ بخوارزم سنة ٥٧٣ « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) ثلبه « كضرب » إذا لامه وعابه وصرح بسبه وقال فيه وتنقصه، أو الثلب: وشدة اللوم والاخذ باللسان وثلم الاعراض، ويقال: ما اشتهى الثلب إلا من أشبه الكلب

(٣) من قولهم: حسيبه الله أى طلب من الله مجازاته وحسابه وحسبه الله أى انتقم منه، وقال الفراء فى قوله تعالى: « وكفى بالله حسيبا »، وقوله تعالى: إن الله على كل شىء حسيبا »: أى مجازيا ومحاسبا، ومن ذلك: احتسب فلان على زيد عمله: إذا أنكر عليه قبيح فعله

إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ حَنَّتْ وَأَرْزَمَتْ [١]

وَوَدَّتْ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَدْرَكَهَا الْفَتْكُ [٢]

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَقُدِّسَتْ

نُفُوسٌ بِمَثْوَاهَا [٣] ثَوَى الْعِلْمُ وَالنُّسْكُ

وَبَقِيَتْ نَفْسِي إِلَيْهَا مُتَطَلِّعَةً، وَإِلَى مَكْنُونِهَا مُتَلَفِّتَةً، فَظَفِرْتُ بِرَسَائِلِ الرَّشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْعُمَرِيِّ الْبَلْخِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْوَطْوَاطِ، مُتَضَمِّنَةً لِأَجْوِبَةٍ يَدُلُّ آخِرُهَا عَلَى إِضْرَابِ الْقَطَّانِ عَنْ تُهْمَتِهِ، وَالْإِذْعَانِ بِإِبْرَاءِ سَاحَتِهِ:

نُسْخَةُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »: قَرَعَ سَمْعِي مِنْ أَفْوَاهِ الْوَارِدِينَ وَأَلْسِنَةِ الطَّارِئِينَ عَلَى خُوَارِزْمَ أَنَّ سَيِّدَنَا ـ أَدَامَ اللهُ

(١) أرزمت الناقة: حنت إلى ولدها وكان لها صوت (٢) يريد لو أدركها الفتك، وقد عوملت « لو » هنا معاملة « أن » فحذفت لأنها مصدرية مثلها. ولو قال: لو نالها الفتك لكان أسلم « عبد الخالق » (٣) المثوى مصدر ثوى يعنى موتها —

فَضْلَهُ - كُلَّمَا تَفَرَّغَ[١] مِنْ مُهِمَّاتِ نَفْسِهِ ، وَوَظَائِفِ دَرْسِهِ أَقْبَلَ بِمَجَامِعِهِ عَلَى أَكْلِ لَحْمِى ، وَالْإِطْنَابِ فِى سَبِّى وَشَتْمِى ، وَيَنْسُبُنِى إِلَى الْإِغَارَةِ عَلَى كُتُبِهِ ، وَيُبَالِغُ فِى هَتْكِ أَسْتَارِ الْكَرَمِ وَحُجُبِهِ . أَهَذَا يَلِيقُ بِالْفَضْلِ وَالْمُرُوَّةِ ؟ أَوْ يَجْمُلُ بِالْكَرَمِ وَالْفُتُوَّةِ أَنْ يَفْتَرِىَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِمِثْلِ هَذَا الْكَذِبِ الْمُقْلِقِ ، وَالْبُهْتَانِ الْمُؤْلِمِ ، وَاللهِ إِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ يَوْمَ النُّشُورِ ، وَبُعِثَتْ هَذِهِ الرِّمَمُ الْبَالِيَةُ ، مِنَ الْأَجْدَاثِ مُتَدَرِّعَةً مَلَابِسَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ ، وَجُمِعَتْ عِبَادُ اللهِ فِى مَوَاقِفِ الْعَرَصَاتِ[٢] ، وَتَطَايَرَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَسُئِلَتْ كُلُّ نَفْسٍ عَمَّا كَسَبَتْ ، فَمِنْ مُسِيءٍ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ ، وَمِنْ

---

(١) كلما تفرغ : هكذا فى الاصل وفى العماد وفى رسائل الوطواط ، وكلما أداة استغراقية لا يليها إلا الماضى كقوله تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيه — كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » إلى غير ذلك من الشواهد ، وأنى ألفت نظر بعض الناشئين إلى هذا الاستعمال ليحتذوه « عبد الخالق »

(٢) جمع عرصة : البقعة الواسعة ليس فيها بناء

مُحْسِنٍ يُحْمَلُ عَلَى أَعْطَافِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْجَنَّةِ (١) ، لَمْ يَتَعَلَّقْ فِى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْهَائِلِ أَحَدٌ بِذَيْلِى طَالِباً مِنِّى مُلْكاً غَصَبْتُهُ ، وَلَا مَالًا نَهَبْتُهُ ، أَوْ دَماً سَفَكْتُهُ ، أَوْ سِتْراً هَتَكْتُهُ ، أَوْ شَخْصاً قَتَلْتُهُ ، أَوْ حَقًّا أَبْطَلْتُهُ ، وَهَأَنَذَا قَدْ آتَانِى اللّٰهُ مِنَ الْوَجْهِ الْحَلَالِ قَرِيباً مِنْ أَلْفِ مُجَلَّدٍ مِنَ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ ، وَالدَّفَاتِرِ الْفَائِقَةِ ، وَالنُّسَخِ الشَّرِيفَةِ ، وَوَقَفْتُ كُلَّهَا عَلَى خَزَائِنِ الْكُتُبِ الْمَبْنِيَّةِ فِى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ـ عَمَرَهَا اللّٰهُ ـ لِيَنْتَفِعَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا ، وَمَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ هَكَذَا كَيْفَ يَسْتَجِيزُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُغِيرَ عَلَى كُتُبِ إِمَامٍ مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ ، أَنْفَقَ جَمِيعَ عُمُرِهِ حَتَّى حَصَّلَ أَوْرَاقاً يَسِيرَةً ، لَوْ بِيعَتْ فِى الْأَسْوَاقِ لَمَا أُحْضِرَ بِثَمَنِهَا مَائِدَةُ لَئِيمٍ ، اللّٰهَ اللّٰهَ ، لَا يَفْتَرِيَنَّ سَيِّدُنَا — أَدَامَ اللّٰهُ فَضْلَهُ — ، فَافْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَى مِثْلِى ذَنْبٌ يَتَعَثَّرُ فِى أَذْيَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلْيَخَافَنَّ اللّٰهَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَلْيَتَذَكَّرَنَّ يَوْماً يُثَابُ

---

(١) لا يخفى أنه استعان فى هذه الرسالة السهلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف

الصَّادِقُ فِيهِ عَلَى صِدْقِهِ ، وَيُعَاقِبُ الْكَاذِبَ عَلَى كَذِبِهِ ، وَالسَّلَامُ . فَوَرَدَ عَلَى الرَّشِيدِ جَوَابٌ عَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ يَكُونُ فِي نَحْوِ كُرَّاسَتَيْنِ يُغْلِظُ لَهُ فِي الْقَوْلِ ، وَيُصَرِّحُ فِيهِ بِالسَّبِّ وَالتُّهْمَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » وَرَدَ كِتَابُ سَيِّدِنَا — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — فِي دَوْلَةٍ مُفْتَرَّةِ[1] الْمَبَاسِمِ ، وَنِعْمَةٍ مُتَجَدِّدَةِ الْمَرَاسِمِ — مُشْتَمِلًا مِنَ الْإِيذَاءِ وَالْإِيحَاشِ ، وَالْإِبْذَاءِ[2] وَالْإِفْحَاشِ عَلَى كَلِمَاتٍ ، بَلْ عَلَى ظُلُمَاتٍ ، لَوْ أَطْفَأَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - بَعْضَ لَهَبِهِ ، وَسَكَّنَ نَائِرَةَ[3] غَضَبِهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ مُتَصَفِّحًا لِأَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ ، مُتَفَحِّصًا عَنْ مَقَاطِعِهِ وَمَبَانِيهِ ، لَمَا ارْتَضَى ذَلِكَ مِنْ دِينِهِ وَعَقْلِهِ ، وَلَمَا

---

(١) افتر : أى ضحك ضحكا حسنا ، وأبدى أسنانه ، وافتر عن ثغره : إذا تبسم ضاحكا ومنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم : ويفتر عن مثل حب الغمام ، أى يكشف إذا تبسم فى غير قهقهة . عن مثل حب الغمام (٢) من البذاءة : وهى الأفحاش فى القول ، والبذىء : لرجل الفاحش ، وبذا عليهم وأبذاهم : إذا تكلم بكلام قبيح مفحش

(٣) النائرة : العداوة والشحناء ونائرة : الحرب شرها وهيجها ، من نارت الفتنة : وقعت وانتشرت فهى نائرة .

أَسْتَحْسَنَهُ مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ ، إِلَّا أَنِّى أَعْذِرُهُ فِيمَا قَالَ ، قَصُرَ كَلَامُهُ أَوْ طَالَ ، لِعِلْمِى أَنَّهُ ـ أَدَامَ اللّٰهُ عُلُوَّهُ ـ مَسْلُوبٌ مَغْلُوبٌ ، جَرِيحُ أَسِنَّةِ الْقَهْرِ ، طَرِيحُ صَدَمَاتِ الدَّهْرِ ، عَضَّتْهُ أَنْيَابُ النَّوَائِبِ ، وَخَدَشَتْهُ أَظْفَارُ الْمَصَائِبِ ، نُهِبَتْ كُتُبُهُ وَأَمْوَالُهُ ، وَغُصِبَتْ رِحَالُهُ[(١)] وَأَثْقَالُهُ ، وَطَالِبُ الثَّأْرِ يَقْصِدُ كُلَّ رَاجِلٍ وَفَارِسٍ ، وَصَاحِبُ الضَّالَّةِ يَتَّهِمُ كُلَّ قَائِمٍ وَجَالِسٍ ، وَلَقَدْ عَلِمَ سَيِّدُنَا ـ أَدَامَ اللّٰهُ عُلُوَّهُ ـ أَنَّ وَقْعَةَ مَرْوٍ[(٢)] عَمَرَهَا اللّٰهُ كَانَتْ وَاقِعَةً عَامَّةً ، شَمِلَتْ كُلَّ جَبْهَةٍ[(٣)] وَحَافِرٍ ، وَطَبَّقَتْ كُلَّ صَائِحٍ[(٤)] وَصَافِرٍ[(٥)] ، وَكَانَ قَدْ لَحِقَتْ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ بِعَسْكَرِ

---

(١) أثقال جمع ثقل « بفتحتين » : وهو متاع المسافر وأدواته وحشمه، وكل شىء خطير نفيس مصون له قدر وقيمة ، ورحل الرجل: منزله وبيته وما يستصحبه من الأثاث والمتاع

(٢) أظنه يريد حوادث التتار (٣) يريد العموم والشمول ، وبالجبهة ماعلا ، وبالحافر : ماسفل ، أو كنى بالجبهة عن الناس ، وبالحافر عن الحيوان ، أو أراد بالجبهة : سادة الناس وسروات القوم ووجوههم ، وبالحافر : الطبقات الدنيا منهم .

(٤) يريد كذلك العموم والشمول، وأنهم لم يبقوا على شىء . فكنى بالصائح عن أنواع الحيوان . والصافر : كل ذى صوت من الطير . ويقال أيضا : ما بالدار من صافر أى أحد يصفر

(٥) يريد بكل صائح وصافر كل مكان عامر ، وكل مكان خرب ، فجعل الصياح كناية عن الأمكنة العامرة ، والصفر كناية عن الأمكنة الخربة . « عبد الخالق »

خُوارِزمشاه مِنْ طبقاتِ النَّاسِ أَوْزَاعٌ[١] وأَخْيافٌ ، وَمِنْ حشَرَاتِ الأَرْضِ أَنْواعٌ وأَصْنَافٌ ، قُصارَى[٢] هَمِّهِمُ القتلُ والإغارَةُ ، وَمُنْتَهى أَرَبِهِمُ الإحْرَاقُ وَالإبَارَةُ[٣] وَأَوْبَاشُ مَرْوَ أيضاً كانُوا يَخْرُجُونَ مِنْ مَكامِنِهِمْ في اللَّيالِي ، وَيَتعرَّضُونَ لبُيُوتِ السَّادَاتِ وَالْمَوالِي ، فَلَيْسَ بِمُستبْعَدٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَفِرَ بِكُتُبِهِ مِنْ أُولَئِكَ الأَقْوامِ أَحَدٌ لا يُعْرَفُ شَأْنُهُ ، وَلا يُعْلَمُ مَكانُهُ[٤] ، أَمَّا أَنا فاللهُ تعالى يَعْلَمُ – وَقَدْ خابَ مَنِ اسْتَشْهَدَهُ بَاطِلًا – أَنِّى مَا فَتَحْتُ لِلإغارَةِ بَابَهُ[٥] ، وَلا نَهَبْتُ كِتابَهُ ، بَلْ ذَهَبْتُ يَوْماً عَلَى مُقْتَضَى إِشَارَتِهِ الْكَرِيمَةِ لِأَحْمِلَ كُتُبَهُ إِلَى الْمُعَسْكَرِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ دَارَهُ الرَّفِيعَةَ ، وَرَأَيْتُ كُتُباً كَثِيرَةً فَوْقَ

---

(١) أوزاع : أى جماعات وضروب متفرقة ، والأخياف : الأقوام المختلفون ، ومنه : إخوة أخياف : أى أمهم واحدة والآباء شتى (٢) أى غاية وجهد

(٣) أبار الشىء : أهلكه وأفسده وأباده (٤) يريد أحدا من الناس مجهولا هذا إذا بنى الفعلان يعرف ويعلم للمجهول ويرفع « شأنه ، ومكانه » نائبى فاعل ، وإن بنى الفعلان للمعلوم ونصب قافية السجع ، كان الغرض أن السارق لم يعرف منزلة الشيخ صاحب الكتب ولم يعلم حاله ، ولو عرف ذلك لأبقاها عليه « عبد الخالق »

(٥) فى مجموع الرسائل : بابا وكتابا « وذلك أعم وأشمل » .

مَا يُحِيطُ بِهِ عَدٌّ ، أَوْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حَدٌّ ، فَقِلْتُ : تَقِلُ هَذِهِ أَمْرٌ مُشْكِلٌ ، وَحَمْلُ هَذِهِ خَطْبٌ مُعْضِلٌ ، فَتَرَكْتُهَا بِحَالَتِهَا فِى أَمَاكِنِهَا ، وَخَلَّيْتُهَا بِرُمَّتِهَا فِى مَعَادِنِهَا ، وَخَرَجْتُ كَمَا دَخَلْتُ خَالِىَ الْحَقَائِبِ ، فَارِغَ الزَّكَائِبِ(١) ، فَإِنْ كُنْتُ غَصَبْتُ يَوْمَ وَقْعَةِ مَرْوَ أَوْ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا مِنْ كُتُبِهِ ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ كِتَاباً أَوْ جُزْءاً أَوْ دَفْتَراً(٢) أَوْ مِنْ سَائِرِ أَمْوَالِهِ شَيْئاً صَغُرَ أَوْ جَلَّ ، كَثُرَ أَوْ قَلَّ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَغْصِبَهُ أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِي وَالْمُنْتَمِينَ إِلَيَّ ، أَوْ عَرَفْتُ غَاصِباً غَصَبَهُ ، أَوْ نَاهِباً نَهَبَهُ ، فَأَخْفَيْتُ ذَلِكَ عَنْهُ ، أَوْ كَتَمْتُهُ مِنْهُ ، فَأَنَا بَرِىءٌ مِنَ اللهِ وَهُوَ بَرِىءٌ مِنِّى ، وَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ بِنَفْسِى شَيْئاً مِمَّا ذَكَرْتُ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِي ، أَوْ عَرَفْتُ فَاعِلاً فَعَلَهُ ، فَعَلَيَّ لِلهِ أَنْ أَحُجَّ بَيْتَهُ الْمُعَظَّمَ الْمُكَرَّمَ رَاجِلاً حَافِياً ، وَعَلَى عَاتِقِى الزَّادُ وَالْمَزَادَةُ(٣) عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَإِنْ

---

(١) الزكائب : شبه الجوالق كلمة مصرية (٢) فى المجموع « أو ورقا »

(٣) أى الراوية « كالقربة »

كُنْتُ فعلتُ شيئًا مِن ذَلِكَ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفعلَه أَحدٌ مِنَ الْمُتعلِّقِينَ بِي ، أَوْ عَرفتُ فَاعِلًا فعلَه ، فَكُلُّ مَالٍ مَلَكتُه يَمِينِي فهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى مسَاكِينِ الحَرَمَيْنِ ، وَإِنْ كُنتُ فَعَلتُ شيئًا مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفعلَه أَحدٌ مِنَ الْمُتعلِّقِينَ بِي أَوْ عَرفتُ فَاعِلًا فعلَه ، فَكُلُّ عبدٍ مَلَكتُه أَوْ أَملِكُه فهُوَ حرٌّ ، وَإِنْ كُنتُ فَعَلتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ رَضِيتُ أَنْ يَفعلَه أَحدٌ مِنَ الْمُتعلِّقِينَ بِي أَوْ عَرفتُ فَاعِلًا فَعلَه ، فَكُلُّ امْرَأَةٍ تزَوَّجتُهَا أَوْ أَتزوَّجهَا فهِيَ طَالِقٌ مِنِّي ثَلاثَ طَلَقَاتٍ ، هَذِهِ الأَيْمَانُ وَالنُّذُورُ كَتَبْتُهَا بِبَنَانِي ، وَأَجْرَيْتُهَا عَلَى لِسَانِي ، لَاخَوْفًا مِنْ غوَائِلِهِ ، وَلَا هرَبًا مِنْ حبَائِلِهِ ، فَإِنَّ الصُّلْحَ آمَنَ أَهْلَهُ ، وَالإِسْلَامَ جَبَّ مَاقَبلَهُ ، وَلَكِنْ إِظْهَارًا لخُلُوِّ رَاحَتِي ، وَبَرَاءَةِ سَاحَتِي ، وَشَفَقَةً دَلِيهِ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — وَصِيَانَةً لِفَاضِلٍ مِثْلِهِ لَامَثِيلَ لَهُ فِي أَقطَارِ الشَّرقِ وَالغَربِ ، وَأَقَاصِي البَرِّ وَالبَحْرِ ، أَنْ يَسلُكَ طَرِيقَةً غَيْرَ مُسْتَصْوَبَةٍ .

وَيَخْتَارَ شَرِيعَةً غَيْرَ مُسْتَعْذَبَةٍ . — عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ — مِمَّا يُورِثُ ذَمًّا ، وَيُعْقِبُ إِثْمًا .

وَقَدْ بَعَثَ فِى قِرَانِ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ خِدْمَةً أُخْرَى مُفْرِطَةً فِى الطُّولِ ، مُجَرِّرَةً لِلذُّيُولِ ، مَنْسُوجَةً عَلَى مِنْوَالِ آخَرَ ، كَالْكَىِّ لِلدَّاءِ[1] إِذَا اسْتَحْكَمَتْ شِدَّتُهُ ، وَتَطَاوَلَتْ مُدَّتُهُ ، وَعَجَزَ الْأُسَاةُ عَنْ مُعَالَجَتِهِ ، وَالْأَطِبَّاءُ عَنْ مُدَاوَاتِهِ ، وَهَدَيْتُه — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — فِيهِمَا النَّجْدَيْنِ ، وَأَرَيْتُهُ الطَّرِيقَيْنِ ، وَدَفَعْتُ عِنَانَ الِاخْتِيَارِ إِلَيْهِ ، وَوَضَعْتُ زِمَامَ الْإِيسَارِ فِى يَدَيْهِ ، لِيَسْلُكَ مِنْهُمَا مَا يَشَاءُ ، إِمَّا مَا يُسَرُّ بِهِ وَإِمَّا مَا يُسَاءُ[2] . — وَفَّقَهُ اللهُ لِلصَّوَابِ وَالْأَصْلَحِ ، وَأَسْعَدَهُ بِالْأَرْشَدِ وَالْأَنْجَحِ ، وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ ، وَالْفَائِزِينَ الْمُفْلِحِينَ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ الْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ : صَادَفَنِى — أَطَالَ اللهُ بَقَاكَ —

---

(١) فى هذا إشارة للمثل العربى السائر : « آخر الدواء الكى »

(٢) لعل هنا جارا ومجرورا لم يذكر مثل به أو منه

- فِى دَوْلَةٍ مُشْرِقَةِ الْكَوَاكِبِ، وَنِعْمَةٍ هَاطِلَةِ السَّحَائِبِ، وَسَلَامَةٍ طَيِّبَةِ الْمَشَارِعِ وَالْمَشَارِبِ- خِطَابُهُ الْكَرِيمُ وَكِتَابُهُ الشَّرِيفُ بِخُوَارِزْمَ، وَأَنَا نَاعِمُ الْبَالِ مُنْتَظِمُ الْحَالِ، وَمِنَ النَّفْسِ فِى دَعَةٍ، وَمِنَ الْعَيْشِ فِى سَعَةٍ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى ذَلِكَ، وَبِهِ الثِّقَةُ[1] وَالْحَوْلُ، وَلَهُ الْمِنَّةُ وَالطَّوْلُ، وَحِينَ تَنَسَّمْتُ مِنْ يَدِ حَامِلِهِ رَيَّاهُ، وَثَبْتُ مِنْ مَكَانِى مُسْتَقْبِلًا إِيَّاهُ، وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ يَمِينِى مَدَّ مُعِزٍّ مُكْرِمٍ. وَأَخَذْتُهُ بِطَرَفِ كُمِّى أَخْذَ مُجِلٍّ مُعَظِّمٍ، وَقُلْتُ فِى نَفْسِى: كَرَامَةٌ سَاقَهَا اللّٰهُ تَعَالَى إِلَىَّ، وَسَعَادَةٌ أَلْقَتْ أَنْوَارَهَا عَلَىَّ، وَأَرْسَلْتُ فِى الْحَالِ قَاصِدًا ذِرْوَاتِ الْأَشْرَافِ، وَسَرَوَاتِ الْأَطْرَافِ، وَبَعَثْتُ فِى السَّاعَةِ مُسْرِعًا إِلَى رِجَالَاتِ الْأَخْبِيَةِ وَالْأَبْنِيَةِ، وَسَاكِنَةِ الْأَبَاطِحِ وَالْأَوْدِيَةِ، وَدَعَوْتُ مِنْ كُلِّ حَلَّةٍ[2] رَئِيسَهَا وَزَعِيمَهَا، وَمِنْ كُلِّ خِطَّةٍ[3] كَبِيرَهَا وَعَظِيمَهَا، حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدِى الْبَدَوِىُّ

---

(١) فى المجموعة: القوة وهي أنسب (٢) الحلة بفتح الحاء: المحلة

(٣) الخطة: بالكسر: الأرض التى يختطها الرجل لنفسه، بأن يعلم عليها علامة يخطها بها ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها، والجمع خطط.

وَالْحَضَرِيُّ ، وَاحْتَشَدَ فِي رَبْعِي[١] الرَّبَعِيُّ وَالْمُضَرِيُّ ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ كِتَاباً شَرِيفاً بِخَتْمِهِ ، وَحَنَيْتُ ظَهْرِي لِتَقْبِيلِهِ وَلَثْمِهِ ، وَطَالَبْتُ خَطِيباً مِصْقَعاً مِنْ بُلَغَاءِ بَنِي مَعَدٍّ صَحِيحَ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، وَوَضَعْتُ لَهُ فِي مَنْزِلِي مِنْبَراً مِنَ السَّاجِ[٢] ، مُغَشًّى بِالدُّرَرِ وَالدِّيبَاجِ ، لِيَصْعَدَ بِهِ ذُرَا الْأَعْوَادِ ، وَيَقْرَأَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، فَرَفَعَ الْكُلُّ أَصْوَاتَهُمْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَسَأَلُونِي خُفْيَةً وَجَهْرَةً ، مَا هَذَا الَّذِي تُظْهِرُهُ لَنَا وَتَعْرِضُهُ ؟ وَتُوجِبُ عَلَيْنَا سَمَاعَهُ وَتَفْرِضُهُ ؟ فَقُلْتُ : كِتَابُ إِمَامٍ لَمْ تَلْمَحْ عَيْنُ الزَّمَانِ لِمِثْلِهِ ، وَلَمْ تَسْمَحْ يَدُ اللَّيَالِي بِشَكْلِهِ ، كِتَابُ إِمَامٍ هُوَ فِي الْعِلْمِ صَاحِبُ آيَاتٍ ، وَفِي الْفَضْلِ سَابِقُ غَايَاتٍ ، إِمَامٌ تَطْلُعُ نُجُومُ الْجَوِّ دُونَ قَدْرِهِ ، وَتَحْسُدُ رِيَاضُ الْخُلْدِ أَطَايِبَ صَدْرِهِ ، كِتَابُ إِمَامٍ تَمَّ بِهِ حِسَابُ الْعُلَمَاءِ ، كَمَا تَمَّ بِرَسُولِ اللهِ

(١) الربع في الاصل : الموضع يتربعون فيه في الربيع، ثم أطلق على كل موضع إقامة والربعي : نسبة إلى ربيعة بن نزار (٢) الساج : شجر خشبه أسود رزين لا تكاد الارض تبليه وهو يشبه الآبنوس ، أو هو نوع من الصنوبر

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِسَابُ الأَنْبِيَاءِ ، صَحِيفَةُ فَخْرٍ حَرَّرَتْهَا يَدٌ بَيْضَاءُ ، وَقِلَادَةُ مَجْدٍ رَصَّعَتْهَا هِمَّةٌ رَوْعَاءُ ، وَنَشَرَتْ مِنْ مَعَالِى سَيِّدِنَا — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ وَمَفَاخِرَهُ — وَذَكَرَتْ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَمَآثِرِهِ ، مَا امْتَلأَ بِنَشْرِهِ النَّادِى ، وَسَالَ مِنْ ذِكْرِهِ الْوَادِى ، فَسَكَنُوا وَسَكَتُوا ، وَأَصْغَوْا وَأَنْصَتُوا ، فَلَمَّا فَضَضْتُ خِتَامَهُ ، وَحَدَرْتُ لِثَامَهُ ، شَاهَدْتُ فِى أَثْنَائِهِ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَعَايَنْتُ فِى أَدْرَاجِهِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْمَحْشَرِ ، مَا أَطَالَ السُّهَادَ ، وَأَطَارَ الرُّقَادَ ، وَشَقَّ جِلْبَابَ الصَّبْرِ وَمُرَيْطَاءَ[1] الْجَلَدِ ، وَجَرَحَ سَوَادَ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءَ الْخَلَدِ[2] ، حَسِبْتُهُ حُلَّةً خُسْرُوَانِيَّةً[3] ، فَوَجَدْتُهُ حَرْبَةً هُنْدُوَانِيَّةً ، كِتَابٌ لَا بَلْ كَتَائِبُ تَفُلُّ كُلَّ جَيْشٍ ، وَخِطَابٌ لَا بَلْ خُطُوبٌ تُكَدِّرُ كُلَّ عَيْشٍ ، وَكَلَامٌ

(١) المريطاء : بالتصغير والمد ، ما بين السرة أو الصدر إلى العانة . أو جلدة رقيقة بينهما ، أو عرقان يعتمد عليهما الصائح . ومنه فى حديث عمر لأبى محذورة ، وقد رفع صوته بالأذان : « أما خشيت أن تنشق مريطاؤك » وفى ظنى أنها مريط لأنه يناسب جلباب ولكن هكذا وردت فشرحت كما ترى (٢) الخلد : البال والقلب والنفس ، والمراد هنا القلب (٣) منسوبة إلى « خسرو »

لَا بَلْ فِي الْأَضَالِعِ كِلَامٌ(١)، وَفُصُولٌ لَا بَلْ فِي الْجَوَانِحِ نُصُولٌ، وَأَسْجَاعٌ مُؤْنِقَةٌ لَا بَلْ أَوْجَاعٌ مُوبِقَةٌ، كُلُّهُ كَأَنَّهُ نَازِلَةُ الدَّهْرِ، وَقَاصِمَةُ(٢) الظَّهْرِ، كَأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ أَنْيَابُ الْأَرَاقِمِ، وَمَعَانِيهِ أَظْفَارُ الضَّرَاغِمِ، هُوَ ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ دَفَّاعُ الْأَمْرَاضِ بِطِبِّهِ، فَلِمَ أَمْرَضَنِي بِفَضَائِحِ سَبِّهِ؟. وَنِطَاسِيُّ الْجِرَاحِ بِعِلْمِهِ، فَلِمَ جَرَحَنِي بِقَبَائِحِ ظُلْمِهِ؟!

وَمِمَّنْ أُرَجِّي شِفَاءَ السَّقَامِ
وَمُسْقِمَتِي جَفَوَاتُ الطَّبِيبِ؟!

مَا هَذَا الْإِنْذَارُ وَالْإِيعَادُ؟ وَمَا هَذَا الْإِبْرَاقُ وَالْإِرْعَادُ؟ كَأَنَّهُ صَاحِبُ دُلْدُلٍ(٣) وَفَارِسُ يَلْيَلٍ(٤)، أَوْ كَأَنَّهُ

(١) كلام بكسر الكاف جمع كلم بفتحها: الجرح (٢) يقال: نزلت بهم قاصمة الظهر: أى الهلاك (٣) دلدل: بغلة شهباء كانت للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) يليل: جبل بالبادية أو موضع قرب وادى الصفراء «وهو واد ناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير فى طريق الحاج بينه وبين بدر مرحلة» وكان من أعمال المدينة قرب ينبع، وقد جاء ذكره فى غزوة بدر «وفارس يليل» هو عمرو بن عبد وفيه يقول مسافع بن عبد مناف:

عمرو بن عبد كان أول فارس   جزع المذاد وكان فارس يليل

جزع المكان قطعه والمذاد: موضع بالمدينة، وهو الموضع الذى حفر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق. هذا وفى الاصل «بليل» وهو تصحيف لامعنى له
«أحمد يوسف نجاتى»

مِنْ أَقْيَالِ الْيَمَنِ ، وَأَبْطَالِ الزَّمَنِ ، أَوْ كَأَنَّهُ ثُعْبَانُ الْحَرْبِ ، وَشَيْطَانُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وَذِكْرُ الْبَوْلِ ، أَوْلَى بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْهَوْلِ . وَحَدِيثُ الْبَرَازِ[1] . أَوْلَى بِهِ مِنْ حَدِيثِ الْبِرَازِ :

إِنَّ لِلْهَجْرِ رِجَالًا وَرِجَالًا لِلْوِصَالِ

قَالَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - : مَصَصْتَ دَمِي مِنْ عِرْقٍ ،أَوَلَيْسَ يَدْرِى أَنَّ امْتِصَاصَ الدِّمَاءِ مِنْ خَصَائِصِ بِضَاعَتِهِ ، وَالتَّصَرُّفَ فِى اللُّحُومِ وَالْعِظَامِ مِنْ لَوَازِمِ صِنَاعَتِهِ ؟؟ - رَحِمَ اللهُ - امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ ، وَشَرُّ مَافِى بَنِى آدَمَ مِنَ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ ، وَالْأَفْعَالِ اللَّئِيمَةِ ، إِيذَاءُ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَإِيحَاشُ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ . وَهٰذَا لَهُ :- أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ - جِبِلَّةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا ، وَطَبِيعَةٌ اسْتَرْسَلَ مَعَهَا ، وَسَجِيَّةٌ شُهِرَ

(١) أصل البراز : الفضاء الواسع كنى به عن قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضونها فى الفضاء ، ولا يخفى أن المرسل إليه كان يتطبب ويشتغل بعلاج المرضى كما تصرح به الرسالة فى غير موضع ، فهو يقول له : إنه طبيب من شأنه أن ينظر فى بول المرضى وبرازهم فلا شأن له بغيره . ولا يخفى ما فى ذلك من التعريض فقد جعله « وإن كان طبيبا » لا يحسن به أن ينظر إلا فى هذه الفضلات القذرة التى تناسب عمله « أحمد يوسف نجاتى »

بَيْنَ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ بِهَا ، يَشْتُمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِهِ وَمَكَانِهِ ، وَعَلَى سُدَّةِ دَارِهِ وَطَرَفِ دُكَّانِهِ ، خَلْقاً كَثِيراً ، وَجَمًّا غَفِيراً ، مِنَ الرَّافِعِينَ قَصَصاً إِلَيْهِ ، وَالعَارِضِينَ عِلَلَهُمْ عَلَيْهِ ، فَيَرْجِعُونَ وَجُفُونُهُمْ تَتَصَوَّبُ(١) عَبَرَاتُهَا ، وَقُلُوبُهُمْ تَتَصَعَّدُ زَفَرَاتُهَا ، لِمَا يُلَاقُونَ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ ، وَيُقَاسُونَ مِنْ خُشُونَةِ نُطْقِهِ ، وَيَقُولُونَ وَأَلَمُ ذَلِكَ التَّهَجُّمِ وَالإِعْرَاضِ ، وَالوَقِيعَةِ فِي الأَحْسَابِ وَالأَعْرَاضِ ، أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَلَمِ الأَسْقَامِ وَالأَمْرَاضِ ، وَلِهَذَا جَعَلَ شَخْصَهُ وَصَيَّرَ نَفْسَهُ ، — مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ زَمَانِهِ ، وَأَعْلَمُ أَوْلَادِ قِرَانِهِ — ضُحْكَةَ الأَدَانِي وَالأَقَاصِي ، وَسُخْرَةً لِلأَذْنَابِ(٢) وَالنَّوَاصِي ، حَتَّى صَارَ بِحَيْثُ إِذَا مَشَى فِي الأَسْوَاقِ تَعَادَى(٣) صِبْيَانُ البَلَدِ حَوْلَهُ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَيَضْحَكُونَ عَلَيْهِ ، وَيَنْعَرُونَ(٤)

---

(١) تصوب الشيء: انحدر من أعلى إلى أسفل (٢) الأذناب جمع ذنب ، والنواصي جمع ناصية ، ويراد بهما هنا : المتأخرون والمتقدمون . أو يراد بأذناب الناس : سفلتهم وعامتهم وغوغاؤهم ، وبالنواصي : العلية والسادة منهم وخاصتهم يعني أن كل طبقات الناس تهزأ به وتسخر منه . (٣) تعادى : جرى

(٤) ينعرون الخ : نعر ينعِر وينعَر : نعيراً ونُعارا : صاح وصوت بخيشومه

فى قفاه ، ولا أقول فيه — أدام الله علوه — إلا ما قال الخليل بن أحمد الفراهيدى فى ابن المقفع حين رأى كمال فضله ، ونقصان عقله : « علم وافر ، وعقل قاصر » ومن قصور عقل ابن المقفع : أنه مر ببيت النار وكان من أولاد كسرى ، فتنفس الصعداء ، وتمثل ببيت الأحوص بن محمد الأنصارى :

يا بيت عاتكة الذى أتعزل(١)
حذر العدى وبه الفؤاد موكل

فاتهم بالمجوسية ، فألقى فى تنور مسجور فأحرق ، وما أصدق من قال : « قيراط عقل ، خير من قنطار فضل ، ومثقال حلم ، أنفع من مكيال علم » أنكر — أدام الله علوه — رشاد مذهبى وإنكاره ضلال ، وجحد سداد سيرتى وجحوده باطل محال ، فياطير الله جمجمة فرخت(٢) فيها الأضاليل

(١) أى أتكلف الابتعاد عنه ، وبعد البيت :

إنى لأمنحك الصدود وإننى قسما إليك مع الصدود لأميل

« عبد الخالق »

(٢) فرخت فيها الأضاليل : أى جعلها تنتج أضاليل

وَبَاضَتْ ، وَيَا أَسْكَتَ اللهُ شِقْشِقَةً دُفِعَتْ مِنْهَا الْأَبَاطِيلُ وَفَاضَتْ ، وَلَا أَعْنِي بِهَذِهِ الْجُمْجُمَةِ إِلَّا جُمْجُمَتَهُ الَّتِي لَا عَقْلَ فِيهَا ، وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الشِّقْشِقَةِ [١] إِلَّا شِقْشِقَتَهُ الَّتِي يُبَايِنُهَا الصِّدْقُ وَيُنَافِيهَا . حَتَّى مَتَى يَتَّهِمُنِي بِظَنِّهِ ؟! وَإِلَى كَمْ يُجَرِّعُنِي دُرْدِيَّ [٢] دَنِّهِ ؟ أَيَحْسَبُ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ - أَنَّ ظَنَّهُ الْبَاطِلَ ، وَخَيَالَهُ الْفَاسِدَ ، وَوَهْمَهُ الْكَاذِبَ ، وَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَهِيٌّ ، أَوْ إِلْهَامٌ فِي الْحَقِيقَةِ رَبَّانِيٌّ ، أَوْ آيَةٌ [٣] نَفَثَ بِهَا رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِهِ ، لَا بَلْ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَبْنَاءِ زَمَانِنَا ، وَهَذَا شَرُّ الْأَزْمِنَةِ ، عَجَمَ الشَّيْطَانُ عُودَهُ فَاسْتَلَانَهُ ، فَصَيَّرَ خِزَانَةَ خَيَالِهِ مَكَانَهُ ، فَهَذِهِ الْخَطَرَاتُ الَّتِي تَخْتَلِجُ [٤] فِي

---

(١) الشقشقة : مايخرج من فم البعير وإليه نسبت الخطبة الشقشقية للامام على — رضى الله عنه — لأنه كان عند الكلام يهدر كما يهدر البعير بشقشقته مما لحقه من غضب وانفعال « عبد الخالق »

(٢) الدردى : من الزيت ونحوه : الكدر الراسب فى أسفله (٣) فى الأصل : « أنه » وهو تصحيف يكون به مقر الكلام قلقة والمعنى مبهماً « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) تختلج فى جنانه : اختلج الشىء فى صدره : احتك مع شك ، والجنان : القلب

جَنَانِهِ ، وَتَدُورُ حَوْلَ حِسْبَانِهِ[١] مِنْ تِلْكَ الْخَيَالَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، لَا مِنَ الْإِلْهَامَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ . وَلَقَدْ بَلَغَنِي مِنْ أَفْوَاهِ الرُّوَاةِ وَأَلْسِنَةِ الثِّقَاتِ ، أَنَّهُ : — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — أَخَذَ بِعَيْنِ هٰذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ قَبْلَ هٰذَا وَاحِداً مِنْ أَعْيَانِ جِلْدَتِهِ ، وَسُكَّانِ بَلْدَتِهِ ، وَهُوَ مَسْعُودُ بْنُ الْمُنْتَخَبِ ، — رَحِمَهُ اللهُ — فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ وَبَيْتِهِ ، وَتَعَرَّضَ لِحَيِّهِ وَمَيِّتِهِ ، وَخَرَّبَ دُورَهُ وَرِبَاعَهُ ، وَغَصَبَ أَثَاثَهُ وَبَاعَهُ ، مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ صَحَّحَهَا ، وَلَا بَيِّنَةٍ أَوْضَحَهَا ، ـ اللَّهُمَّ أَصْرَعِ الظَّالِمَ عَلَى الْهَامَةِ[٢] ، وَخُذْ مِنْهُ لِلْمَظْلُومِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ وَمِمَّا أَقْفَى[٣] مِنْهُ الْعَجَبَ أَنَّ عَهْدِيَ بِهِ — أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ — قَدْ كَانَ يُخَرِّبُ الْأَبْدَانَ ، فَهَا هُوَ الْآنَ يُخَرِّبُ الْأَوْطَانَ ، وَمَا أَسْرَعَ الدَّهْرَ إِلَى تَغْيِيرِ الْبَشَرِ ، وَمَا أَقْدَرَهُ عَلَى تَبْدِيلِ الصُّوَرِ وَالسِّيَرِ !! .

---

(١) حسبانه : بالكسر أى ظنه — ومنه : ما كان فى حسبانى كذا ، أى فى ظنى

(٢) الهامة : الرأس (٣) فى المجموع « ومما أنفى منه إلى العجب »

قرأتُ فى بعضِ الكتبِ أنَّ خليفةً من الخلفاء رأى فى منامهِ أنَّ واحداً مِنْ ندمائِهِ وثبَ عليْهِ ليقتلَهُ ، فلمّا أصبحَ استدعى النديمَ وأمرَ بقتلِهِ ، فقالَ لهُ النديمُ : ماذا فعلتُ مِنَ الذنبِ حتَّى استوجبتُ هذهِ العقوبةَ ؟ قالَ الخليفةُ : ما فعلتَ شيئاً ، ولكنِّى رأيتُ فى المنامِ أنكَ تقتلُنِى ، فقالَ لهُ النديمُ : إنَّ يوسفَ بنَ يعقوبَ ـ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِما ـ معَ كونِهِ صدِّيقاً نبيًّا احتاجتْ رؤياهُ إلى تعبيرٍ ، وافتقرتْ أحاديثُهُ إلى تأويلٍ وتفسيرٍ . أفتستغنِى رؤياكَ عنْ مثلِ ذلكَ ؟ فضحكَ الخليفةُ وخلَّاهُ . وأنا أقولُ : هكذا ظنونُ جميعِ ذوى الألبابِ ، معرَّضةٌ للخطأِ والصوابِ ، كأنَّهُ ـ أدامَ اللهُ علوَّهُ ـ تفرَّدَ منْ بينهِمْ بذاتِهِ ، وتوحَّدَ بعظمةِ صفاتِهِ ، فتنزَّهتْ ظنونُهُ عنِ السهْوِ ، وتقدَّستْ أحاديثُهُ عنِ اللغوِ ، عصمَنا اللهُ منَ الكبْرِ البائنِ (1) ، والعُجْبِ الشائنِ ، أمَا حانَ أنْ ينتبهَ ـ أدامَ اللهُ علوَّه ـ

(١) البائن اسم فاعل من بان يبين بمعنى ظهر واضحا

مِنْ غَفْلَتِهِ ، وَيَسْتَيقِظَ مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ شَيْبِهِ ، وَأَخَذَ الْمَوْتُ بِلِحْيَتِهِ وَجَيْبِهِ ، يَقْرَعُ كُلَّ سَاعَةٍ مُنَادِي الْفَنَاء ، فِي أُذُنِهِ الصَّمَّاء ، أَنِ اتْرُكْ أَوْطَانَكَ ، وَاهْجُرْ أَهْلَكَ وَجِيرَانَكَ ، وَارْحَلْ إِلَى جَهَنَّمَ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ، فَإِنَّهَا قَدْ قَدْ أُوقِدَتْ نِيرَانُهَا لِأَجْلِكَ ، وَمَا حِرْصُ جَهَنَّمَ عَلَى شَيْء كَحِرْصِهَا عَلَى إِحْرَاقِ شَيْخٍ غَوِيٍّ ، وَهِمٍّ[1] غَبِيٍّ ، سَيِّء الْخَلِيقَةِ ، مَذْمُومِ الطَّرِيقَةِ ، يَتَظَاهَرُ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَيَتَّبِعُ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، هُوَ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — بَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ[2] ، وَهَمَّ بَحْرُ عُمْرِهِ بِالنُّضُوبِ[3] وَمَالَ نَجْمُ بَقَائِهِ لِلْغُرُوبِ ، فَمَا ظَنُّهُ ؟ هَلْ فِي الْحَيَاةِ طَمَعٌ وَقَدْ بَلِيَتْ جِدَّتُهُ[4] وَفَنِيَتْ مُدَّتُهُ ، وَتَرَاجَعَ أَمْرُهُ ، وَأَرْبَى عَلَى الثَّمَانِينَ عُمْرُهُ ؟ :

---

(١) الهم بالكسر : الشيخ الفانى (٢) ثنية الوداع : منعطف يودع الحاج فيه الاماكن المطهرة ، فكأنه يودع الحياة . (٣) النضوب : نفاد الماء

(٤) جدة الثوب بالكسر : كونه جديدا .

أَيَرْجُو الْفَتَى عَوْداً إِلَى طَيِّبَاتِهِ
وَقَدْ جَاوَزَتْ رَأْسَ الثَّمَانِينَ سِنُّهُ ؟

كَتَبْتُ هَـذِهِ الْأَحْرُفَ عَلَى سَبِيلِ النَّمُوذَجِ ، وَالْجَوَابُ بَعْدُ فِي الْجِرَابِ ، وَالسَّيْفُ لَمْ يُسَلَّ مِنَ الْقِرَابِ ، فَإِنِ انْزَجَرَ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — وَاتَّعَظَ ، وَتَرَكَ الْفَظَاظَةَ وَالْغِلَظَ ، وَعَادَ إِلَى كَرَمِ الْعَهْـدِ ، وَصَفَاءِ الْوُدِّ ، فَأَنَا خَادِمٌ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ مُطِيعٌ ، وَتِلْمِيذٌ مُعْتَقِدٌ :

وَإِلَّا فَعِنْدِي لِلْعَـدُوِّ وَقَائِعٌ
تُرِيهِ الْمَنَايَا (١) لَا يُنَادَى وَلِيدُهَا

(١) المنايا : جمع منية : وهى الموت ، لأنها مقدرة ، وقوله لا ينادى وليدها : جملة حالية من المنايا أى الموت الشديد الذى يذهل الأم عن ولدها . والعرب تقول فى أمثالها « هم فى أمر لا ينادى وليده » كناية عن كونه أمرا جليلا وخطبا شديدا لاينادى فيه الوليد ، ولكن ينادى فيه الجلة ذوو الغناء من الرجال ، أو أنهم لشدة اشتغالهم به لهوا عن غيره حتى لو مد الوليد يده إلى أعز الاشياء ليعبث بها لا ينادى عليه زجراً له ، ثم قيل ذلك لكل أمر عظيم ولكل شىء كثير ، فيقال : جاء بطعام لا ينادى وليده ، وفى الارض عشب لا ينادى وليده الخ « أحمد يوسف نجاتى »

١٢ – الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ *

الحسن بن محمد المهلبي

« قَدْ سَقَطَتْ مِنْ نُسْخَتِنَا أَوَائِلَ التَّرْجَمَةِ » قَصِيدَةٌ يُخَاطِبُ فِيهَا أَبَا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ ، وَيَذْكُرُ الْمُهَلَّبِيَّ – وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ – :

مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْقَاطُولِ (١) لَا هَطَلَتْ
فِيهِ السَّحَابُ وَلَا سَقَتْهُ تَهْتَانَا (٢)
فَقَدْ سَدَدْنَاهُ وَارْتَدَّتْ غَوَادِيهِ (٣)
حَسْرَى وَلَمْ نَأْلُ إِحْكَامًا وَإِتْقَانَا
وَقَدْ دَعَمْنَا لَهُ سِكْرًا (٤) سَمَا وَطَمَا
حَتَّى تَوَهَّمَهُ رَاءُوهُ ثَهْلَانَا

(١) القاطول : موضع على دجلة بالعراق (٢) تهتانا : مصدر هتنت السماء تهتن : انصبت . أو هو فوق المطل ، أو الضعيف الدائم ، أو مطر ساعة ، ثم يفتر ثم يعود .
(٣) الغوادى : جمع غادية : السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة
(٤) السكر بالكسر : إسم من سكر النهر أى سده ، وما سد به النهر وثهلان : جبل
(*) راجع فوات الوفيات جزء أول صفحة ١٧٨
وتجد ترجمته فى وفيات الاعيان « لابن خلكان » فى حرف الحاء وتوفى سنة ٣٥٢

وَاستفرغَ الوُسعَ حتى طمَّ (١) خادِمكَ الـ
مُهلبيّ وقاسى فيه أشجانا
نجّاهُ منهُ بآراءٍ مُثقّفةٍ
تخالُها في ظلامِ الليلِ نيرانا
رميتَ بحرًا بطودٍ (٢) فاستكانَ لهُ
كرهًا وأيقظتَ فيما باتَ يقظانا
وما تقابلُ بالإقبالِ مُمتنِعًا
إلّا تبدّلَ بالعصيانِ إذعانا

ثمّ خرجَ معزُّ الدولةِ والصيمريُّ إلى الموصلِ لقتالِ ناصرِ (٣) الدولةِ ، فاستخلفَ الصيمريُّ المهلبيَّ وأبا الحسنِ طازادَ بنَ عيسى على الأمورِ بمدينةِ السلامِ إلى أنْ عادَ ،

---

(١) طمه : غلبه وعضه (٢) الطود : الجبل أو عظيمه .

(٣) ناصر الدولة هو أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أخو سيف الدولة وابن عم أبي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان ، استولى على الموصل وبعض البلاد بنواحيها — وكان خروج معز الدولة إلى الموصل سنة ٣٤٦ ولكن ناصر الدولة لما علم بذلك أرسل إلى معز الدولة مالا فعاد إلى بغداد وقبل الصلح لما كان ببغداد من الحوادث والفتن المثيرة وكانت بين ناصر الدولة وبين معز الدولة ببغداد من قبل ذلك حروب شعواء في سنة ٣٣٤ واستولى معز الدولة على الموصل سنة ٣٤٧ « أحمد يوسف نجاتي »

ثُمَّ خَرَجَ الصَّيْمَرِيُّ إِلَى الْبَطِيحَةِ لِطَلَبِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ[١] ، وَاسْتَنَابَ بِحَضْرَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ وَحْدَهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَخَدَمَ أَبُو مُحَمَّدٍ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ خِدْمَةً خَفَّفَ بِهَا عَنْهُ وَخَفَّ عَلَى قَلْبِهِ ، فَقَبِلَهُ وَمَالَ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ ، وَبَلَغَ أَبَا جَعْفَرٍ ذَلِكَ فَثَقُلَ عَلَيْهِ ، فَتَطَلَّبَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الذُّنُوبَ وَتَحَمَّلَ مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَ فِيهِ لِسَانَهُ بِالْوَقِيعَةِ[٢] وَالتَّهَدُّدِ ، وَبَلَغَ أَبَا مُحَمَّدٍ ذَلِكَ ، فَقَلِقَ وَاسْتَشْعَرَ النَّكْبَةَ وَالْهَلَكَةَ[٣] ، لِأَنَّهُ لَمْ يَطْمَعْ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي نُصْرَتِهِ عَلَيْهِ ، وَعِصْمَتِهِ مِنْهُ ، فَمَا رَاعَهُ إِلَّا وُرُودُ كِتَابِ الطَّائِرِ بِوَفَاةِ الصَّيْمَرِيِّ[٤] ، فَجَلَسَ لَهُ فِي

---

(١) هو رجل خارج ثائر وأصله من أهل الجامدة : وهى قرية كبيرة من أعمال واسط وهرب إلى البطيحة خوفاً من السلطان وأقام بين الآجام يقطع الطريق ، وانضم إلى أناس من أهل الشر وجماعة من الفتاك فقوى بهم أمره ثم أبدى صفحته لمعز الدولة وحاربه سنة ٣٣٨ وقاسى معز الدولة منه عناء « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) الوقيعة : غيبة الناس (٣) الهلكة : محركة : الهلاك (٤) هو أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى ، كان وزيرا جليلا شجاعاً توفى سنة ٣٣٩ بأعمال الجامدة وكان قد عاد من فارس إليها وأقام يحاصر عمران بن شاهين فأخذته حمى حادة مات منها ، واستوزر معز الدولة بعده الوزير المهلبي وكان من قبل يخلف الصيمرى بحضرة —

العَزَاء ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْحُزْنَ الشَّدِيدَ وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ ، وَاسْتَدْعَاهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَأَمَرَهُ بِالْحُضُورِ وَتَمْشِيَةِ الْأُمُورِ ، إِلَى أَنْ يُقَلِّدَ مَنْ يَرَى تَقْلِيدَهُ الْوِزَارَةَ ، وَتَرَشَّحَ لِلْوِزَارَةِ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ بْنِ نَصْرٍ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَافَرُوخِيُّ (١) وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحُومِينِيُّ وَبَذَلُوا الْبُذُولَ ، وَضَمِنُوا الْأَمْوَالَ ، وَوَسَّطَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ فِي أَمْرِهِ وَالِدَةَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَبَذَلَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَاجِلَةً عَلَى سَبِيلِ الْهَدِيَّةِ بِمُطَالَبَةِ (٢) مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَحَمَلَ مِنْهُ مِائَةً وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : قَدْ بَقِيَ بَقِيَّةٌ يَسِيرَةٌ إِذَا ظَهَرَ أَمْرِي حَمَلْتُهَا ، فَقَالَ

— معز الدولة ، فعرف أحوال الدولة والدواوين ، وامتحنه معز الدولة فرأى فيه ما يريده من الأمانة والكفاية والمعرفة بمصالح الدولة وحسن السيرة ، فاستوزره ومكنه من وزارته ، فأحسن السيرة وأزال كثيرا من المظالم ، وقرب أهل العلم والادب وأحسن اليهم ، وتنقل فى البلاد لكشف ما فيها من الظلم ، ورد الحقوق إلى ذويها وتخليص الأموال من غاصبيها ، فحسن أثره ، وحمدت سيرته — رحمه الله تعالى — والصيمرى منسوب إلى صيمرة وهى قرب البصرة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) كان كاتباً لمعز الدولة وتوفى سنة ٣٤٨ فاستكتب معز الدولة بعده أبا بكر بن أبى سعيد

(٢) لأن معز الدولة طلب ذلك

مُعِزُّ الدَّوْلَةِ : لا أفعلُ إلَّا بعدَ استيفاء المالِ ، فعَلِمَ الطَّبَرِيُّ أنَّهُ خُدِعَ ، ونَدِمَ على ما حَمَلَهُ . ثُمَّ حضَرَ الجَمَاعَةُ المُتَرَشِّحُونَ الخَاطِبُونَ وكُلٌّ منهُمْ يَعتقِدُ أنَّهُ المُخْتَارُ المُقلَّدُ ، وجَلَسُوا في خَرْكَاةٍ (١) يَنْتَظِرُونَ الإِذْنَ ، ثُمَّ وَصَلَ القَوْمُ وَوَقَفُوا عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَدَخَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ بَعْدَهُمْ وَقَامَ فِي أُخْرَيَاتِهِمْ ، فَلَمَّا تَكَامَلَ النَّاسُ أَسَرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَازِنِ قَوْلًا لَمْ يُسْمَعْ ، فَمَشَى إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ المُهَلَّبِيِّ وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَخَاطَبَهُ بِالأُسْتَاذِيَّةِ عَلَى مَا كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يُخَاطَبُ بِهِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى الخِزَانَةِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ القَبَاءَ وَالسَّيْفَ وَالمِنْطَقَةَ .

قَالَ هِلَالٌ : قَالَ جَدِّي : فَوَاللهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ مِمَّنْ أَسْمَيْنَاهُ وَمَنْ يَتْلُوهُمْ مِنَ الجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَصَلَ إِلَى يَدِهِ فَقَبَّلَهَا . وَعَادَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى حَضْرَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فَخَاطَبَهُ بِالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ فِي تَقَلُّدِ وَزَارَتِهِ وَتَدْبِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَشَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ شُكْرًا أَطَالَ

(١) خركاة : الحركاة بالفارسية : القبة التركية ، ويقال في تعريبها : خرقاهة وجمعها خركات ، وخركاهات .

فِيهِ ، وَخَرَجَ مُنْصَرِفاً إِلَى دَارِهِ ، فَقُدِّمَ لَهُ شِهْرِيٌّ[١] بِمَرْكَبِ ذَهَبٍ ، وَسَارَ أَبُو مُحَمَّدٍ سُبُكْتِكِينُ الْحَاجِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْقُوَّادُ وَالنَّاسُ فِي مَوْكِبِهِ ، وَذَلِكَ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ جُدِّدَتْ لَهُ الْخِلَعُ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ بِالسَّوَادِ[٢] وَالسَّيْفِ وَالْمِنْطَقَةِ ، فَأَثْقَلَتْهُ هَذِهِ الْخِلَعُ — وَكَانَ ذَا جُثَّةٍ وَالزَّمَانُ صَيْفٌ — وَقَدْ مَشَى فِي تِلْكَ الصُّحُونِ[٣] الْكَثِيرَةِ ، فَسَقَطَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْمُطِيعِ لِلهِ وَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأُقِيمَ ، وَظُنَّ أَنَّهُ يَحْصَرُ[٤] لِمَا جَرَى ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

خَرْسَنُوهُ[٥] وَمَا دَرَى مَا خُرَاسَا
نُ بِلُبْسِ الْقَبَاءِ وَالْمَوْزَجَيْنِ[٦]

---

(١) شهرى : الشهرى : ضرب من البراذين ، والجمع شهارى

(٢) بالسواد : السواد : شعار العباسيين (٣) الصحون جمع صحن : وهو وسط الدار (٤) يحصر : أى يعيا فى المنطق ، من حصر يحصر حصرا ، أى عى ولم يقدر على النطق (٥) خرسنوه : أى نسبوه إلى خراسان ، ولم يعلم بها الخ

(٦) فى الأصل : « موزخين » وهو تصحيف : والموزجان مثنى « موزج » : وهو الخف ، وهو لفظ فارسى معرب « موزه » « أحمد يوسف نجاتى »

ثُمَّ أَكْثَرَ الشُّكْرَ وَأَطَالَ فِيهِ، فَاسْتُحْسِنَتْ مِنْهُ هذهِ البَدِيهَةُ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ، وَرَكِبَ إِلَى دَارِهِ وَجَمِيعُ الجَيْشِ مَعَهُ وَحُجَّابُ الخِلَافَةِ وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلاثِمائَةٍ، لَهِجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِذِكْرِ عُمَانَ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا، وَأَغْرَاهُ بِذَلِكَ المَعْرُوفُ بِكَرَكَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ الأَصَاغِرِ، فَأَمَرَ المُهَلَّبِيَّ بِالخُرُوجِ إِلَيْهَا فَدَافَعَهُ وَوَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ يُزَهِّدُهُ فِيهَا فَلَمْ يَزْدَدْ إِلَّا لَجَاجاً، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يُؤْذِي (١) حَاشِيَةَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَإِنَّهُ أَلْزَمَهُمْ تَقْسِيطاً فِي نَفَقَةِ البِنَاءِ الَّذِي اسْتَحْدَثَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْرُجَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى عَسْفٍ، فَأَحْفَظَهُمْ (٢) فِعْلُهُ، فَبَعَثُوا مُعِزَّ الدَّوْلَةِ عَلَى إِخْرَاجِهِ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ ضَمِنَ لَهُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ هَؤُلَاءِ جُمْلَةً كَبِيرَةً يَسْتَعِينُ بِهَا فِي هَذَا الوَجْهِ، فَمَكَّنَهُ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ شَرَطَ عَلَيْهِ أَخْذَ العَفْوِ وَتَجَنُّبَ الإِجْحَافِ، فَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَأَخَذَ مِنْهُمْ

---

(١) في الأصل: «وزر» ولا معنى لها (٢) أحفظهم: أي أغضبهم

أَلْفَىْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مِنْهَا خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَانِيِّ الْخَازِنِ ، وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى غَايَةِ الْعِنَايَةِ بِأَمْرِهِ وَالثِّقَةِ بِأَنَّهُ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَظْهَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَقْرَ وَسُوءَ الْحَالِ ، وَأَنَّهُ اقْتَرَضَ الْمَالَ الَّذِي أَدَّاهُ مِنَ النَّاسِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَظَنَّهُ حَقًّا ، وَاعْتَلَّ أَبُو عَلِيٍّ عَقِيبَ ذَلِكَ وَمَاتَ ، فَاعْتَقَدَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ قَتَلَهُ لِمَا عَامَلَهُ بِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَلُومُهُ وَيَحْلِفُ لَهُ أَنَّهُ يُقِيدُهُ[1] بِهِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَادَرَ إِلَى دَارِ أَبِي عَلِيٍّ وَقَبَضَ عَلَى خَادِمٍ لَهُ صَغِيرٍ كَانَ يَخْتَصُّهُ وَيَثِقُ بِهِ ، وَمَنَّاهُ[2] وَوَعَدَهُ ، فَدَلَّهُ عَلَى دَفِينٍ[3] كَانَ لِأَبِي عَلِيٍّ فِي الدَّارِ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِدَّةَ قَمَاقِمَ فِيهَا نَيِّفٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَهَا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَقَالَ لَهُ : هَذَا قَدْرُ أَمَانَةِ خَازِنِكَ الَّذِي ظَنَنْتَ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ بِالْيَسِيرِ

(١) يقيده به : أى يقتله به قودا من أقاد القاتل بالقتيل : قتله به

(٢) مناه الشىء وبه : جعل له أمنية منه (٣) فى الاصل « دفتر »

الَّذِي أَخَذْتُهُ لَكَ مِنْهُ ، وَمَا فِيهِ دِرْهَمٌ مِنْ مَالِكَ ، وَإِنَّمَا اُقْتَرَضْتُهُ مِنْ أَوْلَادِكَ وَحُرَمِكَ وَغِلْمَانِكَ وَشَنَّعَ (١) عَلَيْكَ ، ثُمَّ تَتَبَّعَ أَسْبَابَهُ (٢) وَأَخَذَ مِنْهُمْ تَمَامَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَدَّرَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ يُمَكِّنُهُ مِنَ الْحَاشِيَةِ الْبَاقِينَ وَيُعْفِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَجَدَّ بِهِ جِدًّا شَدِيدًا فِي الِانْحِدَارِ ، فَانْحَدَرَ (٣) فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَتَمَادَتْ أَيَّامُهُ بِالْبَصْرَةِ لِلتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَامْتَنَعَ الْعَسْكَرُ الْمُجَرَّدُ (٤) مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ ، فَبَلَغَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، فَاتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَ الْعَسْكَرَ عَلَى الشَّغْبِ (٥) ، فَكَاتَبَهُ بِالْجِدِّ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِي تَوَقُّفِهِ وَإِلْزَامِ الْمَسِيرِ ، وَوَجَدَ أَعْدَاؤُهُ طَرِيقًا لِلطَّعْنِ عَلَيْهِ ، وَاغْتَنَمُوا

---

(١) شنع من الشناعة : وهى التشهير بالشخص (٢) أى من لهم به رابطة (٣) الانحدار : الانتقال والخروج إلى ما يراد منه (٤) المجرد : الذى جرد من الاقامة ويتأهب للسفر (٥) الشغب بسكون الغين : تهييج الشر ، ولا يقال شغب بالتحريك

تَنَكُّرَ (١) مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ (٢) ، وَأَقَامُوا فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَنْحَدَرَ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ الْعَوْدَ إِلَيْهَا ، وَأَنَّهُ سَيَغْلِبُ عَلَى الْبَصْرَةِ كَمَا تَغَلَّبَ الْبَرِيدِيُّونَ ، وَأَنَّ الْعَسْكَرَ الَّذِي مَعَهُ وَالْعَشَائِرَ هُنَاكَ عَلَى طَاعَةٍ لَهُ ، وَعَظَّمُوا عِنْدَهُ أَحْوَالَهُ ، فَتَدَوَّخَ (٣) مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِأَقَاوِيلِهِمْ ، وَعَرَفَ أَبُو مُحَمَّدٍ ذَلِكَ فَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيهِمْ ، وَخَرَقَ السِّتْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَتَطَابَقَتِ الْجَمَاعَةُ فِي الْمَشُورَةِ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَالِاعْتِيَاضِ بِأَمْوَالِهِ عَمَّا يُقَدَّرُ حُصُولُهُ مِنْ عُمَانَ ، وَجَعَلُوهُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُمْ يَسُدُّونَ مَسَدَّهُ ، فَمَالَ إِلَى قَوْلِهِمْ وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ يُعْفِيهِ مِنَ الْإِتْمَامِ إِلَى عُمَانَ ، وَيَرْسِمُ لَهُ الِانْكِفَاءَ (٤) إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَعَلِمَ

(١) تنكر : أى تغير (٢) كان أعداء الوزير المهلبي لايجدون فرصة للسعاية به إلى مخدومه معز الدولة إلا انتهزوها حتى أنه فى سنة ٣٤١ ضربه بالمقارع مائة وخمسين مقرعة ، ووكل به فى داره ولكنه لم يعزله من وزارته ، وكان قد نقم منه أمورا جسمها له أعداؤه حتى ضربه بسببها « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) تدوخ : مطاوع دوخ فلاناً : أى أذله ، فتدوخ وذل والمراد تأثر

(٤) أى الرجوع

أَبُو مُحَمَّدٍ بِالْحَالِ، وَوَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَرُكُوبِ أَصْعَبِ الْمَرَاكِبِ فِيهِ، وَأَنْ يَدْخُلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْقَوْمُ، وَيَتَوَلَّى هُوَ مُصَادَرَةَ نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخُصُومِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَكَانَ مَلِيًّا[١] بِذَلِكَ، فَهَجَمَتْ عَلَيْهِ عِلَّتُهُ الَّتِي مَاتَ مِنْهَا، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ إِفَاقَةٍ وَنَكْسَةٍ[٢] إِلَى أَنْ وَرَدَتِ الْكُتُبُ بِالْيَأْسِ مِنْهُ، فَأَنْفَذَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ أَحَدَ ثِقَاتِهِ عَلَى ظَاهِرِ الْعِيَادَةِ لَهُ، وَبَاطِنِ الاسْتِظْهَارِ عَلَى مَالِهِ وَحَاشِيَتِهِ، فَأَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ مَحْمُولًا فِي مِحَفَّةٍ[٣] كَبِيرَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفُرُشِ الْوَثِيرَةِ، وَمَعَهُ فِيهَا مَنْ يَخْدُمُهُ وَيُعَلِّلُهُ[٤]، وَيَتَنَاوَبُ فِي حَمْلِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَمَّالِينَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى زَاوَطَا[٥] قَضَى نَحْبَهُ وَمَضَى لِسَبِيلِهِ، وَسَقَطَ

---

(١) أى ممتلئا بفكرته واثقاً من نجاحها — ويقال أيضاً : فلان ملى بالأمر « مخفف ملىء » إذا كان أهلا له يوثق به فيه — والملى أيضاً : حسن القضاء للمال فى إعطاء الدين وتسليمه لصاحبه ومتقاضيه بلا مشقة (٢) النكس والنكاس : عود المرض بعد النقه، والنكسة بفتح النون : المرة منه (٣) المحفة : مركب للنساء ولكنها لا تقبب أى ليس لها قبة (٤) يعلله : يعالجه من علته (٥) زاوطا : بليدة بين واسط وخوزستان والبصرة، وقد يقال لها زواطة .

الطَّائِرُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بِذَلِكَ ، فَقُبِضَ عَلَى أَسْبَابِهِ وَحُرَمِهِ وَوَلَدِهِ ، فَصُودِرَتِ الْجَمَاعَةُ ، وَوَقَعَ السَّرَفُ فِي الْاِسْتِقْصَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَظْهَرْ لِأَبِي مُحَمَّدٍ مَالٌ صَامِتٌ (١) وَلَا ذَخِيرَةٌ بَاطِنَةٌ ، وَبَانَتْ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ نَصِيحَتُهُ ، وَبُطْلَانُ النَّكِيرِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ الرِّقَابِ فِي ضِيَاعِهِ وَمَا يَأْخُذُهُ مِنْ إِقْطَاعِهِ ، وَيَسْتَثْنِي بِهِ عَلَى عُمَّالِهِ مَالٌ كَثِيرٌ يَسْتَوْفِيهِ جَهْرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُوَقَّعَ فِيهِ أَمَانَةٌ ، وَيَصْرِفُ جَمِيعَهُ فِي مُئُونَتِهِ وَنَفَقَاتِهِ وَصِلَاتِهِ وَهِبَاتِهِ ، وَإِلَى هَدَايَا جَلِيلَةٍ كَانَ يَتَكَلَّفُهَا لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي أَيَّامِ النَّوَارِيزِ (٢) وَالْمَهَارِيجِ (٣)

وَعَطَفَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْجَمَاعَةِ يُطَالِبُهُمْ بِالضَّمَانَاتِ

(١) الصامت من المال : الذهب والفضة ، والناطق منه : الإبل ونحوها من الماشية

(٢) النوارز : جمع نيروز ، وهو أول يوم من السنة الشمسية . لكن عند الفرس : عند نزول الشمس برج الحمل ، معرب نوروز ، بالفارسية ، ومعناه : يوم جديد وربما أريد به : يوم حظ وتنزه (٣) المهاريج : جمع مهرجان : وهو عيد الفرس ، وهي كلمتان مهر ، وجان ـ ركبتا حتى صارتا كالكلمة الواحدة ، ومعناها : محبة الروح . قيل كان المهرجان يوافق أول الشتاء ، ثم يقدم عند إهمال الكبس حتى بقي في الخريف وهو اليوم السادس عشر من مهرماه ، وذلك عند نزول الشمس برج الميزان

الَّتِي ضَمِنُوهَا ، فَاحْتَجُّوا بِوَفَاتِهِ ، وَوَعَدُوا بِالْبَحْثِ عَنْ وَدَائِعِهِ ، وَتَدَافَعَتِ الْأَيَّامُ وَانْدَرَجَ الْأَمْرُ ، فَكَانَ الَّذِي صَحَّ مِنْ مَالِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَمَالِ حُرَمِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَسْبَابِهِ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فِيهَا الصَّامِتُ وَالنَّاطِقُ وَالْبَاطِنُ ، وَأَثْمَانُ الْغَلَّاتِ وَارْتِفَاقُ (١) الْأَمْلَاكِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَمْوَالُ جَمَاعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ أُخِذَتْ بِالتَّأْوِيلَاتِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَبَبًا لِصِيَانَتِهِ عَنْ عَاجِلِ ابْتِذَالِهِمْ لَهُ ، وَصِيَانَتِهِمْ عَنْ آجِلِ بَلْوَاهُمْ بِهِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَوَفَاتُهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَلِأَبِي مُحَمَّدٍ :

قَضَيْتُ نَحْبِي فَسُرَّ قَوْمٌ … حَمْقَى لَهُمْ غَفْلَةٌ وَنَوْمُ
كَأَنَّ يَوْمِي عَلَيَّ حَتْمٌ … وَلَيْسَ لِلشَّامِتِينَ يَوْمُ

قَالَ هِلَالٌ : وَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ جَدِّي قَالَ : صَاغَ

(١) كانت فى الاصل « ارتفاع »

أَبُو مُحَمَّدٍ دَوَاةً وَمَرْفعاً (١) وَحَلَّاهُمَا حِلْيَةً كَثِيرَةً مُشْرِقَةً وَكَانَتْ ذِرَاعاً وَكَسْراً فِي عَرْضِ شِبْرٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ آلَاتُهُ عِظَاماً ، حَتَّى إِنَّ آلَةَ (٢) دَسْتِهِ مِثْلَ مَخَادِّهِ مِثْلُ مَسَانِدِ الدُّسُوتِ إِلَى مَايَجْرِى هَذَا الْمَجْرَى مِنْ آلَاتِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَقُدِّمَتِ الدَّوَاةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَرْفَعِهَا وَأَبُو أَحْمَدَ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشِّيرَازِيُّ وَأَنَا إِلَى جَانِبِهِ ، فَتَذَاكَرْنَا سِرًّا حُسْنَ الدَّوَاةِ وَجَلَالَتَهَا وَعِظَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِي :

مَا كَانَ أَحْوَجَنِي إِلَيْهَا لِأَبِيعَهَا وَأَتَّسِعَ بِثَمَنِهَا ! فَقُلْتُ : وَأَيَّ شَيْءٍ يَعْمَلُ الْوَزِيرُ ؟ قَالَ : يَدْخُلُ فِي حِرِ أُمِّهِ . وَسَمِعَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَاجَرَى بَيْنَنَا بِالْإِصْغَاءِ مِنْهُ إِلَيْنَا ، وَذَهَبَ ذَاكَ عَلَيْنَا ، فَاجْتَمَعْتُ مَعَ أَبِي أَحْمَدَ مِنْ غَدٍ فَقَالَ لِي : عَرَفْتَ خَبَرَ الدَّوَاةِ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَ : جَاءَنِي الْبَارِحَةَ رَسُولُ الْوَزِيرِ وَمَعَهُ الدَّوَاةُ وَمَرْفَعُهَا ، وَمِنْدِيلٌ فِيهِ عَشْرُ

---

(١) شيء توضع فيه الدواة وكأنه مرتفع (٢) كانت فى الاصل هكذا « آلة »

قِطَعٍ ثِيَاباً حِسَاناً وَخَمْسَةُ آلافِ دِرْهَمٍ وَقَالَ: الْوَزِيرُ يَقُولُ لَكَ : أَنَا عَارِفٌ بِأَمْرِكَ فِي قُصُورِ الْمَوَادِّ عَنْكَ، وَتَضَاعُفِ الْمُؤَنِ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ شُغْلِي وَانْقِطَاعِي بِهِ عَنْ كُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُنِي ، وَقَدْ آثَرْتُكَ بِهٰذِهِ الدَّوَاةِ لِمَا ظَنَنْتُهُ مِنَ اسْتِحْسَانِكَ إِيَّاهَا الْيَوْمَ عِنْدَ مُشَاهَدَتِكَ ، وَحَمَلْتُ مَعَهَا مَا تُجَدِّدُ بِهِ كُسْوَتَكَ وَتُصَرِّفُهُ فِي بَعْضِ نَفَقَتِكَ ، وَانْصَرَفَ الرَّسُولُ ، وَبَقِيتُ مُتَحَيِّراً مُتَعَجِّباً مِنِ اتِّفَاقِ مَا تَجَارَيْنَا بِهِ أَمْسِ وَحُدُوثِ هٰـذَا عَلَى أَثَرِهِ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِصِيَاغَةِ دَوَاةٍ أُخْرَى عَلَى شَكْلِهَا وَمَرْفَعٍ مِثْلِ مَرْفَعِهَا ، فَصِيغَتْ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ ، وَدَخَلْنَا إِلَى مَجْلِسِهِ وَقَدْ فُرِغَ مِنْهَا وَتُرِكَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوَقِّعُ مِنْهَا .

وَنَظَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَيَّ وَإِلَى أَبِي أَحْمَدَ وَنَحْنُ نَلْحَظُهَا فَقَالَ : هِيهِ مَنْ مِنْكُمَا يُرِيدُهَا بِشَرْطِ الإِعْفَاءِ مِنَ الدُّخُولِ [1] ؟ فَخَجِلْنَا وَعَلِمْنَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَنَا . وَقُلْنَا :

(١) إشارة إلى الجملة التي سبقت ، وأبو اسحاق وأبو أحمد يتحادثان سراً

بَلْ يُمَتِّعُ اللهُ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا الْوَزِيرَ بِهَا ، وَيُبْقِيهِ حَتَّى يَهَبَ أَلْفًا مِثْلَهَا ، اللَّهُمَّ أَنْتَ جَدِّدِ الرَّحْمَةَ وَالرِّضْوَانَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ، بَلْ لَحْظَةٍ بَلْ لَمْحَةٍ ، وَعَلَى كُلِّ نَفْسٍ شَرِيفَةٍ وَهِمَّةٍ عَالِيَةٍ ، إِنَّكَ الْعَلِيُّ تُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا ، وَتُبْغِضُ سَفْسَافَهَا[1] .

قَالَ : وَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ يُنَاصِفُ[2] الْعِشْرَةَ أَوْقَاتَ خَلْوَتِهِ ، وَيَبْسُطُنَا[3] فِي الْمَزْحِ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ ، فَإِذَا جَلَسَ لِلْعَمَلِ كَانَ أَمْرًا وَقُورًا ، وَمَهِيبًا وَمَحْذُورًا ، آخِذًا فِي الْجِدِّ الَّذِي لَا يَتَخَوَّنُهُ نَقْصٌ ، وَلَا يَتَدَاخَلُهُ ضَعْفٌ ، فَاتَّفَقَ أَنْ صَعِدَ يَوْمًا مِنْ طَيَّارَةٍ إِلَى دَارِهِ ـ وَقَدْ حَقَنَهُ الْبَوْلُ وَمَا كَانَ يَعْتَرِيهِ مِنْ سَلَسِهِ ـ فَقَصَدَ بَعْضَ الْأَخْلِيَةِ فَوَجَدَهُ مُقْفَلًا ـ وَكَذَاكَ كَانَتْ عَادَتُهُ جَارِيَةً فِي أَخْلِيَةِ دَارِهِ حِفَاظًا لَهَا عَنْ

---

(١) السفساف : الردىء من كل شىء . والأمر الحقير (٢) يناصف العشرة : أى ينصف ويعدل فى المعاشرة بينه وبين معاشريه (٣) بسط فلانا يبسطه كنصر : سره

الاِبْتِذَالِ - فَأَبَى أَنْ يَدْعُوَ الفَرَّاشَ وَيُحْضِرَ[١] ، فَقَالَ لِى مُتَبَادِراً عَلَى نَفْسِهِ :

فَهَبْكَ طَعَامَكَ اُسْتَوْثَقْتَ مِنْهُ
فَمَا بَالُ الْكَنِيفِ عَلَيْهِ قُفْلُ ؟

فَقُلْتُ : لَعَمْرِى إِنَّهُ مَوْضِعٌ عَجَبٍ ، وَإِذَا وَقَعَ الِاحْتِيَاطُ فِى الأَصْلِ فَقَدْ اُسْتُغْنِيَ عَنْهُ فِى الفَرْعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَوْسَعْتَنَا هِجَاء . فَقُلْتُ : وَجَدْتُ مَقَالاً[٢] . فَقَالَ : اُسْكُتْ يَا فَاعِلُ يَا صَانِعُ .

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : وَأَجْلَسَنِي مُعِزُّ الدَّوْلَةِ لِأَكْتُبَ بَيْنَ يَدَيْهِ - وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَائِمٌ يَحْجُبُنِي عَنِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى هَذَا الظِّلَّ ؟ فَقُلْتُ : ثَخِينٌ . فَقَالَ : وَاعَجَباً ! أُحْسِنُ وَتُسِيءُ . وَضَحِكَ ! وَمِنْ شِعْرِ الْمُهَلَّبِيِّ :

---

(١) بياض بالاصل ولعله يريد « المفتاح » (٢) يريد أنت دعوتني للقول

يَا هِلَالًا يَبْدُوا لِتَهْتَاجَ[1] نَفْسِى
وَهَزَاراً[2] يَشْدُو فَيَزْدَادُ عِشْقِى

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ رِقَّكَ مِلْكِى
كَذَبَ النَّاسُ أَنْتَ مَالِكُ رِقِّى

وَحَدَّثَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِىُّ قَالَ: كُنْتُ أَيَّامَ حَدَاثَتِى وَقِصَرِ حَالِى، وَصِغَرِ تَصَرُّفِى أَسْكُنُ دَاراً لَطِيفَةً - وَنَفْسِى مَعَ ذَلِكَ تُنَازِعُ فِى الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ، إِلَّا أَنَّ الْجَدَّ[3] قَاعِدٌ، وَالْمَقْدُورَ غَيْرُ مُسَاعِدٍ - فَأَصْبَحْتُ يَوْماً وَقَدْ جَاءَ الْمَطَرُ وَازْدَادَتِ الْحُجْرَةُ إِظْلَاماً، وَصَدْرِى بِهَا ضِيقاً، فَقُلْتُ:

أَنَا فِى حُجْرَةٍ تَجِلُّ عَنِ الْوَصْـ
ـفِ وَيَعْمَى الْبَصِيرُ فِيهَا نَهَارَا

هِىَ فِى الصُّبْحِ كَالظَّلَامِ وَفِى اللَّيْـ
ـلِ يُوَلِّى الْأَنَامُ عَنْهَا فِرَارَا

---

(١) لتهتاج: أى لتثور. ولعله «فتهتاج» (٢) الهزار: العندليب من نوع الطيور المفردة المنتجبة (٣) الجد: الحظ

أَنَا مِنْهَا كَأَنَّنِي جَوْفَ(١) بِئْرٍ
أَتَّقِي عَقْرَبًا وَأَحْذَرُ فَارَا
وَإِذَا مَا الرِّيَاحُ هَبَّتْ رُخَاءً(٢)
خِلْتُ حِيطَانَهَا تَمِيدُ انْهِيَارَا(٣)
رَبِّ عَجِّلْ خَرَابَهَا وَأَرِحْنِي
مِنْ حِذَارِي فَقَدْ مَلِلْتُ الحِذَارَا

وَتَحَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ قَالَ: حَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُزَيْعَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ بِالْأَهْوَازِ، فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرْتُ عِنْدَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ شَهْرِ رَمَضَانَ -، وَالزَّمَانُ صَائِفٌ وَالْحَرُّ شَدِيدٌ، وَنَحْنُ فِي خَيْشٍ بَارِدٍ -، فَسَمِعَ صَوْتَ رَجُلٍ يُنَادِي عَلَى النَّاطِفِ(٤) فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُ أَيُّهَا الْقَاضِي صَوْتَ هَذَا الْبَائِسِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ؟ وَالشَّمْسُ عَلَى رَأْسِهِ، وَحَرُّهَا تَحْتَ قَدَمِهِ، وَنَحْنُ نُقَاسِي فِي مَكَانِنَا هَذَا الْبَارِدِ مَا يُقَاسِيهِ

(١) جوف ظرف مكان (٢) الرخاء: الريح اللينة (٣) فى الأصل « تبيد انتشاراً » (٤) الناطف: القبيطى وهو نوع من الحلوى، سمى به لأنه ينطف قبل استضرابه أى يقطر

مِنَ الْحَرِّ ؟ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَأُحْضِرَ ، فَرَآهُ شَيْخاً ضَعِيفاً عَلَيْهِ قَمِيصٌ رَثٌّ وَهُوَ بِغَيْرِ سَرَاوِيلَ وَفِي رِجْلِهِ تَاسُومَةٌ مُخْلَقَةٌ ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِئْزَرٌ ، وَمَعَهُ نَبِيخَةٌ(١) فِيهَا نَاطِفٌ لَا تُسَاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ يَكُنْ لَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ فِي طَرَفَيِ النَّهَارِ مَنْدُوحَةٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَتَنَفَّسَ وَقَالَ : مَا أَهْوَنَ عَلَى الرَّاقِدِ سَهَرَ السَّاهِدِ ! وَقَالَ :

مَا كُنْتُ بَائِعَ نَاطِفٍ فِيمَا مَضَى
لَكِنْ قَضَتْ لِي ذَاكَ أَسْبَابُ الْقَضَا
وَإِذَا الْمُعِيلُ(٢) تَعَذَّرَتْ طَلَبَاتُهُ
رَامَ الْمَعَاشَ وَلَوْ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا(٣)

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : أَرَاكَ مُتَأَدِّباً ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَيُّهَا الْوَزِيرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ صِنَاعَتُهُ مَا تَرَى - وَأَسَرَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ مَعْنِ بْنِ

(١) فى القاموس عجين أنبخانى ما يسوى من الكعك فينتفخ فيصب عليه الماء فيسترخى ، وخبزة أنبخانية : ضخمة والظاهر أن الأداة التى يباع فيها سميت نبيخة باسم ما فيها والناطف نوع من هذه العجائن «عبد الخالق»

(٢) المعيل : ذو العيال (٣) جمر الغضا : الغضا شجر عظيم واحدته غضاة

زَائِدَةَ - فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِينَارٍ وَخَمْسَةَ أَثْوَابٍ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ رَسْماً لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ قَالَ : شَاهَدْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ قَدِ ٱبْتِيعَ لَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَرْدٌ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَرَشَ بِهِ مَجَالِسَ وَطَرَحَهُ فِي بِرْكَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ فِي دَارِهِ ، وَلَهَا فَوَّارَاتٌ[1] عَجِيبَةٌ يَطْرَحُ الْوَرْدُ فِي مَائِهَا وَيَنْفُضُهُ ، وَبَعْدَ شُرْبِهِ عَلَيْهِ وَبُلُوغِهِ مَا أَرَادَهُ مِنْهُ أَنْهَبَهُ . وَلِأَبِي عُبَيْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ ٱبْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَجَّاجِ يَرْثِي أَبَا مُحَمَّدٍ :

يَا مَعْشَرَ الشُّعَرَاءِ دَعْوَةُ مُوجَعٍ
لَا يُرْتَجَى فَرَحُ السُّلُوِّ لَدَيْهِ
عَزُّوا الْقَوَافِيَ بِالْوَزِيرِ فَإِنَّهَا
تَبْكِي دَماً بَعْدَ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ
مَاتَ الَّذِي أَمْسَى الثَّنَاءُ وَرَاءَهُ
وَجَمِيلُ عَفْوِ اللهِ بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) الفوارات : جمع فوارة ، وهي منبع الماء

هَدَمَ الزَّمَانُ بِمَوْتِهِ الْحِصْنَ الَّذِى
كُنَّا نَفِرُّ مِنَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ
وَتَضَاءَلَتْ هِمَمُ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
وَانْبَتَّ حَبْلُ الْمَجْدِ مِنْ طَرَفَيْهِ
عَمْرِى لَئِنْ قَادَتْهُ أَسْبَابُ الرَّدَى
مِثْلَ الْجَوَادِ يُقَادُ فِى شَطَنَيْهِ (١)
فَلْيَعْلَمَنَّ بَنُو بُوَيْهٍ أَنَّمَا
فُجِعَتْ بِهِ أَيَّامُ آلِ بُوَيْهِ

وَلِأَبِى مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ :

أَمِثْلِى يَا أَخِى وَقَسِيمَ نَفْسِى
يُفَارِقُ عَهْدَهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ ؟
وَيَسْلُو سَلْوَةً مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ
وَيَنْسُبُهُ الشَّقِيقُ إِلَى الشِّقَاقِ
فَأُقْسِمُ بِالْعِنَاقِ وَتِلْكَ أَشْفَى
وَأَوْفَى مِنْ يَمِينِى بِالْعِتَاقِ (٢)

---

(١) شطنيه : مثنى شطن : وهو الحبل مطلقا ، أو الحبل الطويل (٢) العتاق : قوله إن فعلت كذا عتق عبيدى وإمائى

لَقَدْ أَلْصقْتَ بِي طَلَباً قَبِيحاً
تَجَافَى جَانِبَاهُ عَنِ ٱلْتِصَاقِ (١)

وَحدَّثَ أَبُو النَّجِيبِ شَدَّادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَزَرِيُّ الشَّاعِرُ الْمُلَقَّبُ بِالظَّاهِرِ قَالَ: كُنْتُ كَثِيرَ الْمُلَازَمَةِ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ، فَاتَّفَقَ أَنِّى غَسَلْتُ ثِيَابِي وَأَنْفَذَ إِلَىَّ يَدْعُونِى، فَاعْتَذَرْتُ بِعُذْرٍ فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَأَلَحَّ فِى ٱسْتِدْعَائِى، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

عَبْدُكَ تَحْتَ ٱلْحَبْلِ عُرْيَانُ
كَأَنَّهُ — لَا كَانَ — شَيْطَانُ
يَغْسِلُ أَثْوَاباً كَأَنَّ الْبِلَى
فِيهَا خَلِيطٌ (٢) وَهْىَ أَوْطَانُ
أَرَقُّ مِنْ دِينِى إِنْ كَانَ لِى
دِينٌ كَمَا لِلنَّاسِ أَدْيَانُ

---

(١) قوله تجافى الخ: يريد استناداً إلى فرش، وذلك كناية عن الأرق « عبدالخالق »

(٢) خليط: شريك أو الجماعة المخالطون المعاشرون

كَأَنَّهَا حَالِيَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُصْبِحَ عِنْدِي لَكَ إِحْسَانُ
يَقُولُ مَنْ يُبْصِرُنِي مُعْرِضاً(١)
فِيهَا وَلِلأَقْوَالِ بُرْهَانُ
هَذَا الَّذِي قَدْ نُسِجَتْ فَوْقَهُ
عَنَاكِبُ الْحِيطَانِ إِنْسَانُ ؟(٢)

فَأَنْفَذَ لِي جُبَّةً وَقَمِيصاً وَعِمَامَةً وَسَرَاوِيلَ وَكِيساً فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ وَقَالَ :

قَدْ أَنْفَذْتُ لَكَ مَا تَلْبَسُهُ وَتَدْفَعُهُ إِلَى الْخَيَّاطِ لِيُصْلِحَ لَكَ الثِّيَابَ عَلَى مَا تُرِيدُهُ ، فَإِنْ كُنْتَ غَسَلْتَ التِّكَّةَ

---

(١) أى أعرض فيها (٢) يريد أهذا إنسان فالذى بدل من هذا ومن أحسن مافى البيت تشبيه ثيابه بنسيج العنكبوت ، ويرى زميلى حضرة الاستاذ أحمد يوسف نجاتى الرأى الآتى فى إعراب هذا البيت وهو أن يكون « إنسان » خبرا لمبتدإ « هذا » وجملة قد نسجت فوقه الخ من الفعل ونائب فاعله صلة أى هو إنسان وإن كان يلبس نسيج العناكب فلا تظنوا أنه عنكبوت وفيه تعريض بمن أهملوه وحسن طلب من الوزير أن الانسان لاينبغى له أن يلبس نسيج العناكب وبنو نوعه من بنى الانسان قادرون على كسوته ثياب الناس لاثياب الحشرات ونسيجها « عبد الخالق »

وَاللَّالكَةَ فَعَرَّفَنِي لِأُنْفِذَ لَكَ عِوَضَهَا. وَلِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ:

وَيَوْمٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْغَيْمُ دُونَهَا
حِجَابٌ بِهِ صِينَتْ فَمَا يَتَهَتَّكُ
عَرُوسٌ بَدَتْ فِي زُرْقَةٍ مِنْ ثِيَابِهَا
تَجَلَّلَهَا[١] فِيهَا رِدَاءٌ مُمَسَّكُ

قَرَأْتُ بِخَطِّ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِىءِ: أَنْشَدَنِي وَالِدِي قَالَ: أَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ:

إِذَا تَكَامَلَ لِي مَا قَدْ ظَفِرْتُ بِهِ
مِنْ طِيبِ مُسْمِعَةٍ وَصَوْتِ رَنَّانِ[٢]
وَقَهْوَةٍ لَوْ تَرَاهَا خِلْتَ رِقَّتَهَا
دِينِي وَمِنْ حَاجِزٍ[٣] إِنْ شِئْتُ أَغْنَانِي
فَمَا أُبَالِي بِمَا لَاقَى الْخَلِيفَةُ مِنْ
بَغْيِ الْخَصِيِّ وَعِصْيَانِ ابْنِ حَمْدَانِ

---

(١) أي عمها وجلل الشيء تجليلا، أي عم (٢) كانت في الأصل « ظرف رمان » وفي نفسي من قوله ظرف رمان شيء وأراها صوت رنان كما ذكرت ولعلي مصيب لأني لا أرى للجملة الاولى معنى (٣) والحاجز من يقوم فيمنع الظالم أو يمنع الداخلين عليه وفي الاصل هكذا:

* ديني حافز ومن أين شئت غنانى *

« عبد الخالق »

وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ : أَنْشَدَنِي الْأُسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ :

قَالَ لِي مَنْ أُحِبُّ وَالْبَيْنُ قَدْ جَدْ
دَ وَفِي مُهْجَتِي لَهِيبُ الْحَرِيقِ
مَا الَّذِي فِي الطَّرِيقِ تَصْنَعُ بَعْدِي
قُلْتُ أَبْكِي عَلَيْكَ طُولَ الطَّرِيقِ ؟

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى طَعَامِهِ وَكَانَ طَيِّبَ الْحَدِيثِ ، وَأَكْثَرُهُ مُذَاكَرَةٌ بِالْأَدَبِ وَضُرُوبِ الْحَدِيثِ عَلَى الْمَائِدَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ يَجْمَعُهُمْ عَلَيْهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْكُتَّابِ وَالنُّدَمَاءِ ، وَكُنْتُ كَثِيراً مَا أَحْضُرُ ، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ حَجَلٌ[1] فَقَالَ لِي :

أَذْكَرَنِي هَذَا حَدِيثاً طَرِيفاً ، وَهُوَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ

---

(١) الحجل واحده حجلة : وهو الكروان

مَنْ كَانَ يُعَاشِرُ الرَّاسِبِيَّ(١) الأَمِيرَ قَالَ : كُنْتُ آكُلُ مَعَهُ يَوْماً وَعَلَى الْمَائِدَةِ خَلْقٌ عَظِيمٌ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الأَكْرَادِ الْمُجَاوِرِينَ لِعَمَلِهِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ فَآمَنَهُ وَاخْتَصَّهُ ، وَطَالَتْ أَيَّامُهُ مَعَهُ ، وكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى مَائِدَتِهِ إِذْ قُدِّمَ حَجَلٌ فَأَلْقَى الرَّاسِبِيُّ مِنْهُ وَاحِدَةً إِلَى الْكُرْدِيِّ كَمَا تُلَاطِفُ الرُّؤَسَاءُ مُؤَاكِلِيهِمْ ، فَأَخَذَهَا الْكُرْدِيُّ فَجَعَلَ يَضْحَكُ ، فَتَعَجَّبَ الرَّاسِبِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : مَاسَبَبُ هَذَا الضَّحِكِ وَمَا جَرَى مَا يُوجِبُهُ ؟ فَقَالَ : خَبَرٌ كَانَ لِي ، فَقَالَ أَخْبِرْنِي بِهِ ، فَقَالَ : شَيْءٌ ظَرِيفٌ ذَكَرْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ هَذِهِ . قَالَ : فَمَا هُوَ ؟ قَالَ :

كُنْتُ أَيَّامَ قَطْعِ الطَّرِيقِ قَدِ اجْتَزْتُ فِي الْمَحَجَّةِ(٢) الْفُلَانِيَّةِ فِي الْجَبَلِ الْفُلَانِيِّ وَأَنَا وَحْدِي فِي طَلَبِ مَنْ آخُذُ ثِيَابَهُ ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ وَحْدَهُ ، فَاعْتَرَضْتُهُ وَصِحْتُ عَلَيْهِ فَاسْتَسْلَمَ إِلَيَّ وَوَقَفَ ، فَأَخَذْتُ مَا كَانَ مَعَهُ وَطَالَبْتُهُ أَنْ

---

(١) فى الاصل « الشرابى » والراسبي عامل خوزستان كما قال الذهبي فى طبقاته

(٢) المحجة : جادة الطريق

يتعرى ففعل ومضى لينصرف ، فخفت أن يلقاه فى الطريق من يستفزه على فأطلب وأنا وحدى فأوخذ ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لأقتله ، فقال ياهذا : أى شىء بينى وبينك ؟ أخذت ثيابى ولا فائدة لك فى قتلى ، فكتفته ولم ألتفت إلى قوله ، وأقبلت أقنعه (١) بالسيف ، فالتفت كأنه يطلب شيئا فرأى حجلة قائمة على الجبل فصاح : يا حجلة اشهدى لى عند الله تعالى أنى أقتل مظلوما ، فما زلت أضربه حتى قتلته ، وسرت فما ذكرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة ، فذكرت حماقة هذا الرجل فضحكت ، فانقلب عليه الراسبى فى رأسه حرد (٢) وقال :

لا جرم والله إن شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم فى الدنيا قبل الآخرة ، وما آمنتك إلا على ما كان منك من إفساد السبيل ، فأما الدماء فمعاذ الله أن أسقطها

---

(١) أقنعه بالسيف : أى أغشيه به وأضربه (٢) حرد : أى غضب . يقال حرد عليه : أى غضب

عَنكَ يَابْنَ الفَاعِلَةِ بِالْأَمَانِ ، وَقَدْ أَجْرَى اللهُ عَلَى لِسَانِكَ الْإِقْرَارَ عِنْدِي . يَا غِلْمَانُ اضْرِبُوا عُنُقَهُ ، قَالَ : فَبَادَرَ الْغِلْمَانُ إِلَيْهِ بِسُيُوفِهِمْ يَخْبِطُونَهُ حَتَّى تَدَحْرَجَ رَأْسُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَلَى الْمَائِدَةِ وَجَرَتْ جُثَّتُهُ ، وَمَضَى الرَّاسِبِيُّ حَتَّى أَتَمَّ غَدَاءَهُ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : حَضَرْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ فِي وِزَارَتِهِ ، وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ شَاعِرٌ رُقْعَةً صَغِيرَةً فَقَرَأَهَا وَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَطَرَحَ الرُّقْعَةَ فَقَرَأْتُهَا وَإِذَا فِيهَا :

يَا مَنْ إِلَيْهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ
قَدْ مَسَّ حَالَ عُبَيْدِكَ الضُّرُّ
لَا تَتْرُكَنَّ الدَّهْرَ يَظْلِمُنِي
مَا دَامَ يَقْبَلُ قَوْلَكَ الدَّهْرُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّابِئُ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يُخَاطَبُ بِالْأُسْتَاذِيَةِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : كُنْتُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ ، فَحَضَرَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَاصْطَحَبْتُ أَنَا وَأَبُو الْفَتْحِ عَبْدُ الْوَاحِدِ

ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ الْكَاتِبُ فِي دَارِ أَبِي الْغَنَائِمِ الْفَضْلِ بْنِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ لِنُهَنِّئَهُ بِالشَّهْرِ عِنْدَ تَوَجُّهِ أَبِيهِ إِلَى عُمَانَ، وَبَلَغَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ يُعْرَفُ بِعَلْيَابَاذَ[1]، فَفَتَرَتْ نِيَّتُهُ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى عُمَانَ، وَاسْتَوْحَشَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْهُ وَفَسَدَ رَأْيُهُ فِيهِ، وَاعْتَلَّ الْمُهَلَّبِيُّ هُنَاكَ، ثُمَّ أَمَرَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالرُّجُوعِ مِنْ عَلْيَابَاذَ، وَأَلَّا يَتَجَاوَزَهُ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَالنَّاسُ بَيْنَ مُرْجِفٍ[2] بِأَنَّهُ يُقْبَضُ عَلَيْهِ إِذَا حَصَلَ بِوَاسِطَ أَوْ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى بَغْدَادَ، وَقَوْمٌ يُرْجِفُونَ بِوَفَاتِهِ، وَخَلِيفَتُهُ إِذْ ذَاكَ عَلَى الْوَزَارَةِ بِبَغْدَادَ: أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ ابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ابْنِ الْحُسَيْنِ، فَجِئْنَا إِلَى أَبِي الْغَنَائِمِ، وَدَخَلْنَا إِلَيْهِ

(١) هو غير الموضع المذكور فى معجم البلدان (٢) مرجف: من أرجف القوم: أى خاضوا فى أخبار الفتن ونحوها على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب، من غير أن يصح عندهم شىء. ومنه قوله تعالى فى سورة الأحزاب: «والمرجفون فى المدينة»

وَهُوَ جَالِسٌ فِي عُرْضِيٍّ دَارِهِ الَّتِي كَانَتْ لِأَبِيهِ عَلَى دِجْلَةَ عَلَى الصَّرَاةِ عِنْدَ شُبَّاكٍ عَلَى دِجْلَةَ ، وَهُوَ فِي دَسْتٍ كَبِيرٍ عَالٍ جَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، فَهَنَّأْنَاهُ بِالشَّهْرِ وَجَلَسْنَا ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ صَبِيٌّ غَيْرُ بَالِغٍ إِلَّا أَنَّهُ مُحَصَّلٌ(١) ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْفَرَجِ فَدَخَلَا إِلَيْهِ وَهَنَّآهُ بِالشَّهْرِ ، فَأَجْلَسَ أَحَدَهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ عَلَى طَرَفِ دَسْتِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ فَضْلَةُ الْمَخَادِّ إِلَى الدَّسْتِ ، مَا تَحَرَّكَ لِأَحَدِهِمَا وَلَا انْزَعَجَ وَلَا شَارَكَاهُ فِي الدَّسْتِ ، وَأَخَذَا مَعَهُ فِي الْحَدِيثِ ، وَزَادَتْ مُطَاوَلَتُهُمَا ، وَأَبُو الْفَضْلِ يَسْتَدْعِي خَادِمَ الْحَرَمِ فَيُسَارُّهُ فَيَمْضِي وَيَعُودُ وَيُخَاطِبُهُ سِرًّا ، إِلَى أَنْ جَاءَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ فَسَارَّهُ فَنَهَضَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَرَجِ : إِلَى أَيْنَ يَاسَيِّدِي ؟ فَقَالَ : أُهَنِّئُ مَنْ يَجِبُ تَهْنِئَتُهُ وَأَعُودُ إِلَيْكَ ، فَكُنْ مَكَانَكَ ، وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ زَوْجَ زِينَةَ ابْنَةِ أُخْتِ أَبِي الْغَنَائِمِ

---

(١) يقال حصل الشيء : أي جمعه فهو محصل أي جامع لصفات الرجولة وكمال الأدب

مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ تَجَنِّى ، فَحِينَ دَخَلَ وَاطْمَأَنَّ قَلِيلًا وَقَعَ الصُّرَاخُ وَتَبَادَرَ الْخَدَمُ وَالْغِلْمَانُ ، وَدُعِيَ الصَّبِيُّ وَكَانَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِ خَبَرُ مَوْتِ أَبِيهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِشِدَّةِ عِلَّتِهِ ، فَقَامَ فَأَمْسَكَهُ أَبُو الْفَرَجِ وَقَالَ : اجْلِسْ - وَقَبَضَ عَلَيْهِ - وَخَرَجَ أَبُو الْفَضْلِ وَقَدْ قَبَضَ عَلَى تَجَنِّى أُمِّ الصَّبِيِّ وَوَكَّلَ بِهَا خَدَمًا وَخَتَمَ الْأَبْوَابَ ، ثُمَّ قَالَ لِلصَّبِيِّ : قُمْ يَا أَبَا الْغَنَائِمِ إِلَى مَوْلَانَا — يَعْنِي مُعِزَّ الدَّوْلَةِ — فَقَدْ طَلَبَكَ ، وَقَدْ مَاتَ أَبُوكَ ، فَبَكَى الصَّبِيُّ وَسَعَى إِلَيْهِ وَعَلِقَ بِدُرَّاعَتِهِ [1] وَقَالَ :

يَا عَمِّ اللَّهَ اللَّهَ فِيَّ — يُكَرِّرُهَا — فَضَمَّهُ أَبُو الْفَضْلِ إِلَيْهِ وَاسْتَعْبَرَ وَقَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ وَلَا خَوْفٌ ، وَانْحَدَرُوا إِلَى زَبَازِبِهِمْ [2] ، فَجَلَسَ أَبُو الْفَرَجِ فِي زَبْزَبِهِ ، وَجَلَسَ أَبُو الْفَضْلِ فِي زَبْزَبِهِ وَأَجْلَسَ الْغُلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَصْعَدَتِ الزَّبَازِبُ تُرِيدُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ .

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف ، والجمع دراريع

(٢) زبازبهم : جمع زبزب : وهو ضرب من السفن

فَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ : مَارَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ ، لَعَنَ اللهُ الدُّنْيَا ، أَلَيْسَ السَّاعَةَ كَانَ هَذَا الْغُلَامُ فِي الصَّدْرِ مُعَظَّماً وَخَلِيفَتَا أَبِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمَا افْتَرَقَا حَتَّى صَارَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ذَلِيلًا حَقِيراً ، ثُمَّ جَرَى مِنَ الْمُصَادَرَاتِ عَلَى أَهْلِهِ وَحَاشِيَتِهِ مَالَمْ يَجْرِ عَلَى أَحَدٍ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ وِشَاحٍ الْكَاتِبُ : قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ (١) بْنِ سُكَّرَةَ الْهَاشِمِيُّ مِنْ وَلَدِ الْمَهْدِيِّ : خَرَجْتُ إِلَى الْأَهْوَازِ قَاصِداً لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ مَادِحاً لَهُ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ أَنْشَدْتُهُ :

قِفِي حَيْثُ انْتَهَيْتِ مِنَ الصُّدُودِ
وَلَا تَتَعَمَّدِي قَتْلَ الْعَمِيدِ (٢)
فَقَدْ وَهَوَاكِ وَهْوَ أَجَلُّ حِلْفِي
حَمَيْتِ نَظِيرَتَيْكِ مِنَ الْهُجُودِ

---

(١) فى اليتيمة : عبد الله (٢) أى المعمود من الحب . والعميد منه : من هده العشق

هَجَرْتِ مُقِيمَةً وَظَعَنْتِ (١) غَضْبَى
تَخَرَّبْتِ الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ

فِرَاقُ ظَعِينَةٍ وَفِرَاقُ رَأْيٍ
يَكُرُّهُمَا عَلَيَّ فِرَاقُ جُودِ

ثَلَاثٌ مَا اجْتَمَعْنَ عَلَى ابْنِ حُبٍّ
صُدُودٌ فِي صُدُودٍ فِي صُدُودِ

قَالَ وَانْصَرَفْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اسْتَدْعَانِي وَقَالَ :
اسْمَعْ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَتَانِي فِي قَمِيصِ اللَّاذِ (٢) يَمْشِي
عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

فَقُلْتُ لَهُ فَدَيْتُكَ كَيْفَ هَذَا
بِلَا وَاشٍ أَتَيْتَ وَلَا رَقِيبِ ؟

فَقَالَ الشَّمْسُ أَهْدَتْ لِي قَمِيصاً
رَقِيقَ الْجِسْمِ مِنْ شَفَقِ الْغُرُوبِ

(١) ظعنت : رحلت (٢) اللاذ : واحده لاذة . واللاذة : ثوب حرير أحمر صينى فارسى معرب

فَثَوْبِي وَالْمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي
قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبِ

١٣ – الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ أَبِي الشَّخْبَاءِ *

الحسن بن محمد العسقلاني

أَبُو عَلِيٍّ الْعَسْقَلَانِيُّ صَاحِبُ الرَّسَائِلِ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مُعْتَقَلًا بِمِصْرَ فِي خِزَانَةِ الْبُنُودِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُجِيدِ ذِي الْفَضِيلَتَيْنِ ، أَحَدُ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ الشُّعَرَاءِ ، لَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ مَشْهُورَةٌ ، قِيلَ : إِنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنَ الْبَيْسَانِيِّ مِنْهَا اسْتَمَدَّ ، وَبِهَا اعْتَدَّ ، وَأَظُنُّهُ كَتَبَ فِي دِيوَانِ الرَّسَائِلِ لِلْمُسْتَنْصِرِ صَاحِبِ مِصْرَ ، لِأَنَّ فِي رَسَائِلِهِ جَوَابَاتٍ إِلَى الْفَسَاسِيرِيِّ ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ رَسَائِلِهِ إِخْوَانِيَّاتٌ ، وَمَا كَتَبَهُ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَوُزَرَاءِ أُمَرَاءِ زَمَانِهِ ، وَهَا أَنَا أَكْتُبُ مِنْهَا مَاسَنَحَ لِتَعْرِفَ

(*) راجع وفيات الأعيان ج ثان ص ١٣٣

قَدْرَ بِضَاعَتِهِ ، وَمَغْزَى صِنَاعَتِهِ نَظْمًا وَنَثْرًا . قَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَخَذَتْ لَحَاظِي مِنْ جَنَا خَدَّيْكِ
أَرْشَ (١) الَّذِي لَاقَيْتُ مِنْ عَيْنَيْكِ
هَيْهَاتَ ، إِنِّي إِنْ وَزَنْتُ بِمُهْجَتِي
نَظَرِي إِلَيْكِ فَقَدْ رَبِحْتُ عَلَيْكِ
غُضِّي جُفُونَكِ وَانْظُرِي تَأْثِيرَ مَا
صَنَعَتْ لَحَاظُكِ فِي بَنَانِ يَدَيْكِ
هُوَ - وَيْكِ - نَضْحُ دَمِي وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ
أَلْقَاكِ فِي عُرْضِ الْخِطَابِ بِوَيْكِ
فَسَلَكْتُ فِي فَيْضِ الدُّمُوعِ مَسَالِكًا
قَصُرَتْ بِهَا يَدُ عَامِرٍ وَسُلَيْكِ
صَانُوكِ بِالسُّمْرِ اللِّدَانِ وَصُفِّهِمْ
بِنَوَاظِرٍ لَحَمَيْتِهِمْ وَحَمَوْكِ

(١) الأرش : الدية ، وفى الشرع : بدل مادون النفس من الأطراف

لَوْ يُشْهِرُونَ سُيُوفَ لَحْظِكِ فِى الْوَغَى
لَاسْتَقْرَءُوا فِيهَا قَنَا أَبَوَيْكِ

وَقَدْ كَتَبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : لَمَّا حُدِيَتْ رِكَابُ مَوْلَاىَ أَخَذَ صَبْرِى مَعَهُ ، وَصَحِبَهُ قَلْبِي وَتَبِعَهُ :

فَعَجِبْتُ مِنْ جِسْمٍ مُقِيمٍ سَائِرٍ
كَمَسِيرِ بَيْتِ الشِّعْرِ وَهْوَ مُقَيَّدُ

وَبَقِيتُ بَعْدَهُ أُقَاسِى أُمُوراً تُخِفُّ (١) الْحَلِيمَ ، وَتُرَوِّعِى الْهَشِيمَ ، إِنْ رَجَوْتُ مِنْهَا غَفْلَةً اقْتَحَمَتْ ، وَإِنْ رُمْتُ مِنْهَا فُرْجَةً تَضَايَقَتْ وَالْتَحَمَتْ ، وَأَمَّا الْوَحْشَةُ فَقَدِ اصْطَبَحْتُ مِنْهَا كَأْساً مُتْرَعَةً ، وَتَجَرَّعْتُ مِنْ صَابِهَا أَمَرَّ جُرْعَةٍ ، وَرَأَيْتُ فُؤَادِى إِذَا مَرَّ ذِكْرُ مَوْلَاىَ ، يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ خِدْرِهِ ، وَيَرْغَبُ فِى مُفَارَقَةِ صَدْرِهِ ، حَنِيناً يُجَدِّدُهُ السَّمَاعُ ،

---

(١) تخف الحليم : من أخف : أى تزيل حلمه وتحمله على الخفة

وَصُدُوداً يَنْتَفِضُ مِنْهُ الأَضْلَاعُ [١] وَزَفْرَةً يَدْمِي فِي غِرَارِهَا، وَيَطْلُعُ فِي التَّرَائِبِ [٢] شَرَارُهَا:

أُدَارِي شَجَاهَا [٣] كَيْ تُخَلِّي مَكَانَهَا
وَهَيْهَاتَ أَلْقَتْ رَحْلَهَا وَاطْمَأَنَّتِ

وَأَمَّا مَا أُعَانِي بَعْدَ مَسِيرِهِ فَأَشْيَاءُ: مِنْهَا عَيْثُ [٤] الأَلَمِ مَرَّةً، وَزَوَالُ الاسْتِمْتَاعِ بِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ تِلْكَ المَسَرَّةِ، وَمِنْهَا اضْطِرَارِي إِلَى كَثْرَةِ مُكَابَرَةِ مَنْ أَعْلَمُ دَخَلَ [٥] سَرَائِرِهِ، وَاخْتِلَافَ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَتَكَلُّفَ اللِّقَاءِ لَهُ بِصَفْحَةٍ مُسْتَبْشِرَةٍ، وَأَخْلَاقٍ غَيْرِ مُتَوَعِّرَةٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ نُفُورَ طِبَاعِي مِمَّنْ رَآهُ أَهْلُ الأَدَبِ مِنَ الأَدَبِ غُفْلاً [٦]، وَمِنْ ذَخَائِرِهِ مُقْفَلاً، لَكِنَّ السِّيَاسَةَ تَقْتَضِي اعْتِمَادَ مَا ذَكَرْتُ، وَتُوجِبُ قَصْدَ مَا شَرَحْتُ، وَإِنْ كَانَ مَوْرِداً غَيْرَ عَذْبٍ، وَثَقِيلاً عَلَى العَيْنِ وَالقَلْبِ:

---

(١) فى الأصل: الاظلاع (٢) الترائب: عظام الصدر. جمع تريبة (٣) الشجى: الهم والحزن (٤) العيث: مصدر عاث الشىء يعيث يريد الافساد وفى رأيى أنها عبء الألم أى ثقله « عبد الخالق » (٥) فى الأصل « ذحل سرائره » الذحل: العداوة والحقد، والجمع أذحال وذحول وقد جعلناها « دخل » لمناسبة ما بعدها (٦) غفلا: أى لا نصيب له منه

وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الفَتَى وَفُؤَادُهُ
شَرِقُ الضُّلُوعِ بِرَنَّةٍ وَعَوِيلِ

وَمِنْهَا انعِكَاسُ كَثِيرٍ مِنَ الآمَالِ ، وَارْتِشَافُ (١) الصُّبَابَةِ البَاقِيَةِ مِنَ الحَالِ ، بِجَوائِحَ (٢) مِصْرِيَّةٍ وَشَامِيَّةٍ ، وَفَوَادِحَ (٣) أَرْضِيَّةٍ وَسَمَاوِيَّةٍ ، وَلَا أَشْكُو بَلْ أُسَلِّمُ لَهُ مُذْعِنًا ، وَأَرَى فِعْلَهُ كَيْفَ تَصَرَّفَتِ الأَحْوَالُ جَمِيلًا حَسَنًا :

وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوائِبِ أَصْبَحَتْ
خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوائِبَا

وَاللهُ تَعَالَى المَسْئُولُ أَنْ يَهَبَ لِي مِنْ قُرْبِ مَوْلَايَ مَا يَأْسُو هَذِهِ الكُلُومَ ، وَيُجَدِّدُ مِنَ المَسَرَّةِ عَافِيَ الرُّسُومِ ، بِجَمِيعِ الحَوادِثِ ، وَسَائِرِ النَّوَائِبِ الكَوارِثِ ،

---

(١) الارتشاف : المبالغة فى مص الماء (٢) الجوائح جمع جائحة : وهى الشدة والمصيبة العظيمة التى تجتاح المال وتستأصله كله (٣) الفوادح : خطوب الدهر ، جمع فادحة

إِذَا قَرُبَتِ الْخُطْوَةُ ، وَاسْتُجِيبَتْ هَـذِهِ الدَّعْوَةُ ، تُمْسِي غَيْرَ مَذْكُورَةٍ ، وَبِجَنَاحِ التَّجَاوُزِ مَكْفُورَةً .

وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْفَرَجِ الْمُوَفَّقِيِّ جَوَابًا عَنْ رُقْعَةٍ :

وَصَلَتْ رُقْعَةُ مَوْلَاىَ وَالصُّبْحُ قَدْ سَلَّ عَلَى الْأُفُقِ مِقْضَبَهُ (١) ، وَأَزَالَ بِأَنْوَارِ الْغَزَالَةِ غَيْهَبَهُ (٢) ، فَكَانَتْ بِشَهَادَةِ اللهِ صُبْحَ الْآدَابِ وَنَهَارَهَا ، وَثِمَارَ الْبَلَاغَةِ وَأَزْهَارَهَا ، قَدْ تَوَشَّحَتْ بِضُرُوبٍ مِنَ الْفَضْلِ تُقَصِّرُ قَاصِيَةَ الْمَدَى ، وَيَجْرِى بِهِ فِى مِضْمَارِ الْأَدَبِ مُفْرَدًا :

فَكَأَنَّ رَوْضَ الْحُسْنِ تَنْثُرُهُ الصَّبَا
فَأَطَلْتُ مِنْ قِرْطَاسِهَا أَتَصَفَّحُ (٣)

فَأَمَّا مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ وَصْفِى ، فَقَدْ صَارَتْ حَضْرَتُهُ السَّامِيَةُ تَتَسَمَّحُ فِى الشَّهَادَةِ بِذَلِكَ مَعَ مُنَاقَشَتِهَا فِى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَنَّهَا لَا تُوقِعُ أَلْفَاظَهَا إِلَّا مَوَاقِعَ الْحَقِيقَةِ . فَإِنْ

---

(١) المقضب : آلة القضب ، وهو القطع (٢) الغيهب : الظلمة (٣) عجز البيت كما فى العماد وفى الاصل : « فأطلعت » وأصلها أطلت فحذفت العين فصار أطلت على حد قولهم فى أقررت أقرت « عبد الخالق »

كُنْتُ قَدْ بَهْرَجْتُ عَلَيْهَا فَتُرَاجِعُ (١) نَقْدَهَا تَجِدْنِي لَا أَسْتَحِقُّ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْهَابِ فَضْلًا ، وَلَا أُعَدُّ لِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ أَهْلًا ، وَبِالْجُمْلَةِ فَاللَّهُ يُنْهِضُنِي بِشُكْرِ هَذَا الْإِنْعَامِ الَّذِي يَقِفُ عِنْدَهُ الثَّنَاءُ ، وَيَضْلَعُ (٢) ، وَيَحْصَرُ دُونَهُ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ :

هَيْهَاتَ تُعْيِي الشَّمْسُ كُلَّ مُرَامِقٍ (٣)

وَيَعُوقُ دُونَ مَنَالِهَا الْعَيُّوقُ (٤)

وَأَمَّا الْفَصْلُ الَّذِي أَوْدَعَهُ الرُّقْعَةَ الْكَرِيمَةَ مِنْ قَوْلِهِ : « فَأَمَّا فُلَانٌ فَيَحُلُّ فِي قَوْمِهِ ، وَيَفْرَحُ بِالضُّيُوفِ فَرَحَ حَنِيفَةَ بِابْنِ الْوَلِيدِ ، قُدُورُهُ عَمَّارِيَّةٌ ، وَعَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّةٌ ، وَيَهْوَيْنَ لَوْ خُلِقَ الرِّجَالُ خَلْقَ الضِّبَابِ ، يَتَضَوَّعْنَ النَّشْرَ الْعَبْقَسِيَّ ، وَيَرْضَعْنَ مَرَاضِعَ ثُعَالَةَ الْمُجَاشِعِيِّ » وَمَا أَمَرَتْ حَضْرَتُهُ السَّامِيَةُ مِنْ ذِكْرِ مَا عِنْدِي فِيهِ فَقَدْ تَأَمَّلْتُهُ

(١) فى الاصل : فتراجع (٢) يضلع : أى يعيا لأنه لا يفى بما له

(٣) المرامق : الذى ينظر إلى الشىء (٤) العيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الثريا لا يتقدمها

طَوِيلًا ، وَعَذَرَ الخَادِمُ فِيهِ بِمَا أَنَا ذَاكِرُهُ ، رَاغِباً فِي الرِّضَا بِمَا بَلَغَتْ إِلَيْهِ المَقْدُرَةُ ، وَتَجْلِيلِ ذَلِكَ بِسُجُوفِ(١) الصَّفْحِ .

أَمَّا قَوْلُهُ : « يَفْرَحُ بِالضُّيُوفِ فَرَحَ حَنِيفَةَ بِابْنِ الْوَلِيدِ » فَيَقَعُ لِي أَنَّهُ أَرَادَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيَّ ، وَذَلِكَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الْحَنَفِيَّ كَانَ قَدْ تَنَبَّأَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَدِيثُهُ مَشْهُورٌ - فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَفَتَحَ الْيَمَامَةَ وَقَتَلَ مُسَيْلِمَةَ وَأَبَادَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ(٢) . وَأَمَّا قَوْلُهُ . « قُدُورُهُ عَمَّارِيَّةٌ » فَإِنَّ هَذَا الْفَصْلَ لَمَّا كَانَ مَبْنِيّاً عَلَى الذَّمِّ وَجَبَ أَنْ يُتَطَلَّبَ لِهَذَا السَّبَبِ مَعْنًى يَجِبُ حَمْلُهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ نَجِدْ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ إِلَّا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ :

لَوْ أَنَّ قِدْراً بَكَتْ مِنْ طُولِ مَا حُبِسَتْ
عَنِ(٣) الْحُقُوقِ بَكَتْ قِدْرُ ابْنِ عَمَّارِ

(١) السجوف جمع سجف وسجاف : وهو الستر (٢) وأرى أن هذا لايكون فكيف تفرح حنيفة بخالد وقد أباد من أباد إلا إن قلنا إن حنيفة كانت تكره مسيلمة (٣) فى الأصل : على

مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مُذْ فُضَّ (١) مَعْدِنُهَا
وَلَا رَأَتْ بَعْدَ نَارِ الْقَيْنِ مِنْ نَارِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « عَطَسَاتُ جَوَارِيهِ أَسَدِيَّةٌ » فَيَقْوَى فِى وَهْمِى أَنَّهُ أَرَادَ قَوْلَ الْأَوَّلِ فِى هِجَائِهِ :

إِذَا أَسَدِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنِكْهَا
فَإِنَّ عُطَاسَهَا طُرُقُ الْوِدَاقِ (٢)

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « يَهْوَيْنَ لَوْ خُلِقَ الرَّجُلُ خَلْقَ الضِّبَابِ » فَإِنَّ الْجَاحِظَ ذَكَرَ فِى كِتَابِ الْحَيَوَانِ ، أَنَّ لِلضَّبِّ أَيْرَيْنِ وَلِلضَّبَّةِ حِرَيْنِ ، وَحَكَى أَنَّ أَيْرَ الضَّبِّ أَصْلُهُ وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا يَتَفَرَّقُ فَيَصِيرُ أَعْلَاهُ اثْنَيْنِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ (٣) :

رَعَيْنَ الدَّبَا وَالْبَقْلَ حَتَّى كَأَنَّمَا
كَسَاهُنَّ سُلْطَانٌ ثِيَابَ مَرَاجِلِ

---

(١) فض : أى ثقب : والقين : الحداد (٢) الوداق : اسم من ودقت ذات الحافر ودقا : أرادت النحل ، فهى وادق (٣) فى كتاب الحيوان « ٦ : ٢٢ » أورد للفرزدق أربعة أبيات ، منها البيتان

سِبَحْلٌ لَهُ نِزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً
عَلَى كُلِّ حَافٍ فِى الْبِلَادِ وَنَاعِلِ

وَالنِّزْكُ : اسْمُ أَيْرِ الضَّبِّ . وَأَنْشَدَ الأَصْمَعِيُّ لِابْنِ دَزْمَاءَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو خَالِدٍ النُّمَيْرِيُّ (١) :

تَفَرَّقْتُمُ لَا زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدٍ
تَفَرُّقَ أَيْرِ الضَّبِّ وَالْأَصْلُ وَاحِدُ

وَمِنْ هَهُنَا قَالَتْ حُبَّى (٢) الْمَدَنِيَّةُ لَمَّا عَذَلَهَا أَبُوهَا فِى تَزَوُّجِهَا ابْنَ أُمِّ كِلَابٍ :

وَدِدْتُ بِأَنَّهُ ضَبٌّ وَأَنِّى
ضُبَيْبَةُ كُدْيَةٍ (٣) وَجَدَتْ خَلَاءَ

(١) النميرى : هو أبو حية دون أبى خالد . وقد غلط الراوى كثيرا فيما أورده ههنا

(٢) كانت بالاصل . « الحسبي »وأصلحناه إلى« حبى » فهى المشهورة بأنها كانت تهوى ابن أم كلاب ، وفى ذلك يقول هدبة بن خشرم العذرى :

فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد حبى بابن أم كلاب

وهى حبى بنت الأسود من بنى بحتر بن عتود ، وكان حريث بن عتاب الطائى يهواها فخطبها ولم ترضه وتزوجت غيره من بنى ثعل فطفق يهجو بنى ثعل لذلك « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) الكدية والكداية : الارض الغليظة . ويقال : ضب الكدية ، وضباب الكدى لولعها بحفرها .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « يَتَضَوَّعْنَ النَّشْرَ » فَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : هُوَ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخِ مَهْوٍ ، وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ابْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّ إِيَادًا كَانَتْ أَفْسَى الْعَرَبِ ، فَوَفَدَ وَافِدُهُمْ إِلَى الْمَوْسِمِ بِسُوقِ عُكَاظَ وَمَعَهُ حُلَّةٌ نَفِيسَةٌ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، مَنْ يَشْتَرِى مِنِّى مَثْلَبَةً (١) قَوْمٍ لَا تَضُرُّهُ بِحُلَّتِى هَذِهِ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ الْمَهْوِىُّ : أَنَا أَشْتَرِيهَا . فَقَالَ الْإِيَادِىُّ : أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَنِّى قَدْ بِعْتُ فُسَاءَ إِيَادٍ لِوَافِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِحُلَّتِى هَذِهِ ، وَتَصَافَحَا وَافْتَرَقَا مُتَرَاضِيَيْنِ وَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهِمَا أَهْلُ الْمَوْسِمِ ؛ فَصَارَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ أَفْسَى الْعَرَبِ . وَقِيلَ لِابْنِ مَنَاذِرٍ (٢) : كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ فَقَالَ شُمَّ وَمُرَّ :

فَإِنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ مِنْ لُؤْمِهَا
تَفْسُو فُسَاءً رِيحُهُ تَعْبَقُ

(١) المثلبة بفتح اللام وضمها : اللوم والعيب (٢) مناذر : بفتح الميم وقد تضم شاعر بصرى وسمى كذلك لأنه منذر بن منذر بن منذر

مَنْ كَانَ لَا يَدْرِى لَهَا مَنْزِلًا
فَقُلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « أَعْطَشُ مِنْ ثُعَالَةَ الْمُجَاشِعِىِّ » فَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْكَلْبِيُّ قَالَ : هُمَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ عَطِشَا فَالْتَقَمَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيْرَ صَاحِبِهِ يَشْرَبُ بَوْلَهُ ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا شَيْئًا ، وَمَاتَا عَطَشًا وَوُجِدَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو بَنِى دَارِمٍ :

رَضَعْتُمْ ثُمَّ بَالَ عَلَى لِحَاكُمْ
ثُعَالَةُ حِينَ لَمْ يَجِدَا الشَّرَابَا

هَذَا مَا وَقَعَ لِى فِى هَذَا الْفَصْلِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ[1] قَدْ ذَهَبْتُ إِلَى مَاقَصَدَهُ قَائِلُهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ يُهَنِّئُ بِكَسْرِ أَتْسِزَ[2] بْنِ أَوْقٍ الْغُزِّىِّ ، وَكَانَ

---

(١) فى الاصل : تكون (٢) هو أتسز بن أوق الخوارزى التركمانى صاحب الشام ومقدم الاتراك ظهر سنة ٦٣ ، وفتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وخرب الشام ، وفى سنة ٦٨ ، استولى على دمشق وخطب بها للخليفة المقتدى العباسى ، وقتله تاج الدولة تتش السلجوق سنة ٦٨ ، واستولى على الشام « أحمد يوسف نجاتى »

ذَلِكَ لِثَمَانِ سَاعَاتٍ مَضَيْنَ مِنْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» قَدِ ارْتَفَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْكَافَّةِ أَنَّ اللهَ ذَخَرَ لِلدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ـ ثَبَّتَ اللهُ أَرْكَانَهَا ـ، مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَنْصُورَةِ الْجُيُوشِيَّةِ ـ خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهَا ـ، مَنْ حَمَى سَوَادَهَا، وَنَصَرَ أَعْلَامَهَا، وَضَمَّ نَشْرَهَا، وَحَفِظَ سَرِيرَهَا وَمِنْبَرَهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَ الْأَعْدَاءُ الَّذِينَ ارْتَضَعُوا دَرَّ إِنْعَامِهَا، وَتَوَسَّمُوا بِشَرَفِ أَيَّامِهَا، فَطَرَدَتْ يَدُ الاصْطِنَاعِ [1] إِمْلَاقَهُمْ، وَأَثْقَلَتْ قَلَائِدُ الْإِحْسَانِ أَعْنَاقَهُمْ، نَخَفَرُوا [2] ذِمَمَ الْوَلَاءِ، وَكَفَرُوا سَوَابِغَ الْآلَاءِ، فَفَجَأَتْهُمُ الْحَوَادِثُ

(١) الاصطناع: الاحسان، والاملاق: الفقر والحاجة (٢) خفر العهد: أي نقضه وغدر

مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَنَعَبَ بِهِمْ غُرَابُ الشَّتَاتِ وَالتَّفْرِيقِ ، وَاسْتَبَاحَتْهُمْ يَدُ الشَّدَائِدِ « وَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ » ، وَلَمْ تَزَلِ النُّفُوسُ مُنْذُ طَرَقَ أَتْسِزُ اللَّعِينُ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَأَنْجَمَ فِيهَا أَنْجُمَ الْفَسَادِ ، وَتَعَدَّى حُدُودَ اللهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَتَعَرَّضَ لِمُسَاخَطَتِهِ وَنِقْمَاتِهِ . عَالِمَةً بِأَنَّ إِمْلَاءَ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ — مَدَّ اللهُ ظِلَّهَا عَلَى الْكَافَّةِ — لَمْ يَكُنْ عَنِ اسْتِعْمَالِ رُخْصَةٍ فِي هَذِهِ الْحَالِ ، وَلَا سُكُونٍ إِلَى عَوَارِضَ مِنَ الْإِغْفَالِ وَالْإِهْمَالِ ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ رُكِبَ فِيهِ مَتْنُ التَّدْبِيرِ ، وَجَرَتْ بِمِثْلِهِ (١) الْمَقَادِيرُ ، وَاتُّبِعَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَأَمْلَيْتُ (٢) لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ » وَحِينَ خَدَعَتْهُ (٣) الْمَطَامِعُ الْمُرْدِيَةُ إِلَى الْأَعْمَالِ الْقَاهِرَةِ مُؤَمِّلاً انْفِصَامَ عُرْوَةِ اللهِ الْمَتِينَةِ ، وَأُفُولَ مَاتَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، سَكَنَتِ

---

(١) فى الاصل : « بعقلة » فأصلحت إلى مثله وفى العماد « عليه »

(٢) أملى الله له : أى أمهله وطول له (٣) فى الاصل « خدمته المطالع » وصوابها مافى العماد مما أصلح الاصل به ، فأنه مناسب المقام

النُّفُوسُ إِلَى أَنَّ الْحَضْرَةَ الْعَلِيَّةَ — ثَبَّتَ اللهُ مَجْدَهَا — سَتُجَرِّدُ لَهُ مِنْ عَزَمَاتِهَا الْمَاضِيَةِ مَا يُعَجِّلُ دَمَارَهُ(١) ، وَتَنْتَضِي لَهُ مِنْ آرَائِهَا الْكَامِلَةِ مَا يُعَفِّي آثَارَهُ ، وَحِينَ اصْطَدَمَتِ الرِّجَالُ ، وَتَوَالَتِ الْأَنْبَاءُ بِانْكِسَارِ اللَّعِينِ ، وَمَا مَنَحَتْهُ الْحَضْرَةُ مِنَ النَّصْرِ الْمُبِينِ ، حَتَّى نُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَتَحَكَّمَتِ السُّيُوفُ بِحُكْمِ الْقَادِرِ الْغَالِبِ . وَأَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ أَكْلَ الْغَرْثَانِ(٢) السَّاغِبِ ، وَأَنْشَبَتْ فِيهِمْ أَظْفَارَهَا الْمَنِيَّةُ ، وَكُسِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ دِمَائِهِمْ حُلَّةً عَسْجَدِيَّةً ، وَوَلَّى الْمَخْذُولُ عَلَى أَدْبَارِهِ ، وَنَكَصَ عَلَى أَعْقَابِهِ بِوَبِيلِ أَوْزَارِهِ ، يَخَافُ مِنْ نُجُومِ اللَّيْلِ أَنْ تَرْجُمَهُ ، وَمِنْ شَمْسِ النَّهَارِ أَنْ تَصْطَلِمَهُ ، وَتَرَكَ مَا مَعَهُ يُقَسَّمُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَمَنْ حَشَدَهُ يُقْتَلُ رُكْبَانًا وَرِجَالًا ، عَلِمَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِنَايَةً بِالدَّوْلَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ رِعَايَةً بِالْمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ ، تَحُوطُ أَقْطَارَهَا ، وَتُضَاعِفُ أَنْوَارَهَا ، وَلُطْفًا خَفِيًّا بِهَذِهِ الرَّعِيَّةِ ،

---

(١) الدمار : الهلاك ، وفى الأصل « ذماره بالذال » (٢) الغرثان : الجائع

وَمَشِيئَةً نَافِذَةً فِى هَذِهِ الْبَرِيَّةِ ، الَّتِى لَوْلَا مَقَامُ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ لَمُزِّقَ أَدِيمُهَا ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهَا ، وَاللهُ الْمَحْمُودُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَالْمَسْئُولُ أَنْ يَشُدَّ بِبَقَاءِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ ، وَيَسِمَ بِمَحَامِدِهَا أَغْفَالَ الْأَيَّامِ ، وَيَسْتَخْدِمَ لَهَا السُّيُوفَ وَالْأَقْلَامَ ، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَفْحَصُ[1] قَطَاةٍ إِلَّا وَقَدْ دَوَّخَهَا سَنَابِكُ[2] خُيُولِهَا ، وَلَا مَسْقَطُ نَوَاةٍ إِلَّا وَقَدْ رَكَزَتْ فِيهِ صُدُورَ رِمَاحِهَا وَنُصُولِهَا ، فَقَدْ دَفَعَتْ — أَدَامَ اللهُ جَمَالَ الدُّنْيَا بِبَقَائِهَا ، وَأَعَزَّ كَمَالَ الدِّينِ بِبَأْسِهَا وَأَصَالَةِ رَأْيِهَا — خَطْبًا جَسِيمًا ، وَاسْتَلْقَحَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ أَمْرًا عَقِيمًا ، وَأَعَادَتْ شَمْلَ الْأُمَّةِ مَلْمُومًا نَظِيمًا « ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » فَأَمَّا الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ فَقَدْ تَلَاعَبَتْ بِهِ أَيْدِى الْأَقْدَارِ ، وَقَذَفَتْهُ الْعُطْلَةُ فِى هُوَّةٍ بَعِيدَةِ الْأَقْطَارِ ، وَهُوَ يَعِدُ نَفْسَهُ وَيُوَقِّيهَا ، وَيُسَوِّفُهَا وَيُمَنِّيهَا ، أَنَّ مَرَاحِمَ

---

(١) مفحص القطاة : مجثمها ، وهو الموضع الذى تفحص التراب عنه ، أى تكشفه وتنحيه لتبيض فيه (٢) سنابك الخيل : حوافرها

الْحَضْرَةِ نَصَرَ اللهُ أَعْلَامَهَا ، تُعِيدُ[١] كَسَادَ بِضَاعَتِهِ نَفَاقًا ، وَاضْطِرَابَ حَالِهِ انْتِظَامًا وَاتِّسَاقًا ، وَسُكُونَ رِيحِهِ خُفُوقًا[٢] ، وَغُرُوبَ حَظِّهِ شُرُوقًا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ : أَغَبَّ كِتَابُ مَوْلَاىَ حَتَّى أَضْرَمَ نَارًا فِى الْفُؤَادِ ، وَحَالَفَ بَيْنَ جَفْنِى وَالسُّهَادِ :

ثُمَّ وَافَى بِلَفْظِهِ الرَّائِقِ الْعَذْ
بِ وَأَغْنَى عَنِ الزُّلَالِ[٣] الْبَرُودِ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

وَقَرَأْتُهُ مُتَـــنَزِّهًا فِى رَوْضِهِ وَغَدِيرِهِ
جَمَعَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا تَخْتَالُ بَيْنَ سُطُورِهِ
فَالدُّرُّ فِى مَنْظُومِهِ وَالسِّحْرُ فِى مَنْثُورِهِ

وَعَرَفْتُ ذِكْرَ الشَّوْقِ الَّذِى هَيَّجَ أَحْزَانًا ، وَنَكَأَ[٤] قُرْحًا لَا يَنْدَمِلُ زَمَانًا ، وَإِنَّ عِنْدِى بِشَهَادَةِ اللهِ مَا يُضْرِمُ

(١) فى الأصل : تسعد (٢) خفقت الريح : صوتت بهبوبها ، وسمع لها حفيف ودوى . (٣) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد « الزلال »
(٤) نكأ القرحة ينكؤها نكأ : قشرها قبل أن تبرأ فنديت

نَارَهُ ، وَيُشِبُّ (١) أُوَارَهُ ، وَاللهُ تَعَالَى يُسَهِّلُ مِنْ أَلْطَافِهِ الْخَفِيَّةِ مَا يَجْمَعُ الشَّمْلَ ، وَيَصِلُ الْحَبْلَ ، وَيُقَرِّبُ الدَّارَ ، وَيُدْنِي الْمَزَارَ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ .

وَأَمَّا حَالِي بَعْدَهُ ، وَارْتِيَاحِي إِلَى مَا عِنْدَهُ ، وَتَأَسُّفِي عَلَى الْفَائِتِ مِنْ أَخْلَاقِهِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحُسْنِ أَدَقُّ ، وَمِنَ الْمَاءِ أَصْفَى وَأَرَقُّ : فَحَالُ صَبٍّ أُخِذَ مَا فِي فُؤَادِهِ ، وَحُولِفَ بَيْنَ طَرْفِهِ وَسُهَادِهِ ، فَحُرِمَ لِذَلِكَ لَذِيذَ رُقَادِهِ ، وَأَمَّا عَتَبُهُ عَلَيَّ لِتَأَخُّرِ كُتُبِي عَنْهُ ، وَبُعْدِهَا مِنْهُ : فَهُوَ يَعْلَمُ — حَرَسَ اللهُ مُدَّتَهُ — أَنَّنِي إِذَا وَاصَلْتُ أَوْ أَغْبَبْتُ أَنَّهُ سَمِيرُ خَاطِرِي ، وَإِنْ غَابَ عَنْ نَاظِرِي ، وَهُوَ نَازِلٌ بِضَمَائِرِي ، وَإِنْ بَانَ مِنْ بَيْنِ مُخَالِطِي وَمُعَاشِرِي :

يَا غَائِبًا عَنْ نَاظِرِي وَحَاضِرًا فِي خَاطِرِي
لَا تَخْشَ مِنِّي جَفْوَةً فَبَــــاطِنِي كَالظَّاهِرِ

وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُغْفِلْ كِتَابَهُ صَرْمًا وَهَجْرًا ،

(١) أشب النار وشبها : أوقدها وأذكاها . والأوار : اسم من أورى الزند إيراء : أخرج ناره

وَلَا أَهْمَلْتُ مُجَاوَبَتَهُ نَقْضاً لِمَوَدَّتِهِ الْكَرِيمَةِ وَلَا غَدْراً، فَإِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ بِمَكَانِ السَّوَادِ، وَمِنَ الصَّدْرِ بِمَوْضِعِ الْفُؤَادِ، وَبِسَبَبِ هَذَا الاعْتِقَادِ وَمَا ذَكَرْتُ مِنْ مَحْضِ الْوِدَادِ، أَبُثُّهُ أَشْجَانًا، وَأُطْلِعُهُ عَلَى أَسْرَارِي إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا، ثِقَةً بِوُدِّهِ، وَتَمَسُّكًا بِوَثِيقِ عَهْدِهِ وَعَقْدِهِ، — لَوْ رَآنِي فَسَحَ اللهُ مُدَّتَهُ، وَضَاعَفَ عَلَيَّ مَوَدَّتَهُ — ، لَرَأَى صَبًّا قَلْبُهُ خَفِيقٌ، وَدَمْعُهُ طَلِيقٌ:

قَاقَ الضَّمِيرِ بِظَبْيَةٍ وَهْنَانَةٍ (١)
فَلَهَا بِقَلْبِي هِزَّةٌ وَعُلُوقُ

أَلْوَجْهُ طَلْقٌ وَالْوِشَاحُ مُهَفْهَفٌ
وَالرِّدْفُ دِعْصٌ (٢) وَالْقَوَامُ رَشِيقُ

وَتَبَسَّمَتْ عَنْ وَاضِحٍ فَضَحَتْ بِهِ
سَطْعَ الْبُرُوقِ وَنَمَّ مِنْهُ رَحِيقُ

---

(١) الوهنانة من النساء: التى فيها فتور وأناة عند القيام (٢) الدعص: الكثيب من الرمل المجتمع. وشبه الردف بالدعص: لكثرة اللحم عليه

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ تُغْنِي عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَشْرَحَهُ ، وَتُنْبِئُ عَنْ مَكْنُونِ مَا سَبِيلِي أَنْ أُثْبِتَهُ وَأُوَضِّحَهُ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَقْفِيَ مَأْرَبِي بِسَعَادَةِ جَدِّهِ ، وَيُزِيلَ عَنِّي مَا أَخْشَاهُ بِتَمَامِ إِقْبَالِهِ وَمَجْدِهِ ، وَكِتَابُهُ هُوَ فُسْحَةُ لِلصَّدْرِ ، وَمُنْيَةُ مَا يُطْلَبُ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلِرَأْيِهِ عُلُوُّهُ فِي إِمْضَائِهِ إِلَيَّ وَوُفُودِهِ عَلَيَّ .

وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْمَغْرِبِيِّ يُهَنِّئُهُ بِالْفُتُوحِ :ـ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ ـ ، مَا سَطَعَ الصُّبْحُ بِعَمُودِهِ ، وَهَمْهَمَ[1] السَّحَابُ بِرُعُودِهِ ، وَطَلَعَتْ فِي الْأُفُقِ أَنْجُمُ سُعُودِهِ :

نَعْتَدُّهُ ذُخْرَ الْعُلَا وَعَتَادَهَا[2]
وَنَرَاهُ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ وَجُودِهِ

الدَّهْرُ يَضْحَكُ مِنْ بَشَاشَةِ بِشْرِهِ
وَالْعَيْشُ يَطْرَبُ مِنْ نَضَارَةِ عُودِهِ

فَقَدْ أَلْبَسَ اللَّهُ الدَّهْرَ مِنْ مَنَاقِبِ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ

---

(١) الهمهمة : كل صوت معه بحح (٢) العتاد : العدة

مَا أَخرَسَ اللَّائِمَةَ ، وَأَفَاضَ عَلَى الْكَافَّةِ مِنْ آلَائِهَا مَا تَمْلِكُ بِهِ رِقَّ الْمَآثِرِ ، وَيَعْجِزُ عَنْهُ كُلُّ نَاظِمٍ وَنَاثِرٍ ، يَقْصُرُ عَنْهُ لِسَانُ الْبَلِيغِ وَيَفْضُلُ عَنْ مُقْلَةِ النَّاظِرِ ، فَمَا يَنفَكُّ — خَلَّدَ اللهُ أَيَّامَهُ — يَذُودُ عَنِ الدَّوْلَةِ بِرَأْيٍ صَائِبٍ ، وَحُسَامٍ قَاضِبٍ ، يَتَحَاسَدُ عَلَيْهِ الدِّرْعُ وَالدُّرَّاعَةُ ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الصَّمْصَامَةُ وَالْيَرَاعَةُ ، وَالْمُلْكُ بَيْنَ هَذَيْنِ مَتِينُ الْعِمَادِ ، مُسْتَبْحِرُ الثِّمَادِ [١] :

مَا زَالَ قَائِدَ كُتْبَةٍ وَكَتِيبَةٍ
بِأَصِيلِ رَأْيٍ مُنْصَلٍ [٢] وَفُؤَادِ
شِبْهَانِ مِنْ قَلَمٍ وَمِنْ صَمْصَامَةٍ
شُهِرَا لِيَوْمِ نَدًى وَيَوْمِ جِلَادِ

وَمَا وَقَفَتْ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَوْقِفاً وَحْشِيًّا ، وَلَا وَقَعَ عِنْدَهَا مَوْقِعاً أَجْنَبِيًّا ، بَلِ اقْتَفَتْ آثَارَ أَسْلَافٍ خَفَقَتْ

---

(١) صوابه : مستبحر الثماد بالثاء كما ذكرنا : وهو القليل من الماء — والمعنى أن القليل فى عصر غيره من الملوك صار كثيرا وافيا فى عصره ، وكانت فى الأصل « مستجبر التماد » (٢) المنصل : بفتح الصاد وضمها : السيف ، والجمع مناصل

عَلَيْهِمْ أَلْوِيَةُ الْمَعَالِي وَبُنُودُهَا ، وَوُسِمَتْ بِأَسْمَائِهِمْ جِبَاهُ الْمَمَالِكِ وَخُدُودُهَا ، وَتَحَيَّفَ(١) الْكَرَمُ أَمْوَالَهُمْ وَهِيَ أَثِيثَةُ(٢) الْجَنَاحِ ، وَذَلَّلَتْ عَزَائِمُهُمُ النُّوبَ وَهِيَ شَدِيدَةُ الْجِمَاحِ :

كُتَّابُ مُلْكٍ يَسْتَقِيمُ بِرَأْيِهِمْ
أَوَدُ الْخِلَافَةِ أَوْ أُسُودُ صِبَاحِ
بِصُدُورِ أَقْلَامٍ تَرُدُّ إِلَيْهِمُ
شَرَفَ الرِّيَاسَةِ أَوْ صُدُورِ رِمَاحِ

كَانَ الْعَبْدُ خَدَمَ الْمَجْلِسَ السَّامِيَ بِخِدْمَةٍ قَصَدُهَا التَّهْنِئَةُ بِمَا فَتَحَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الظَّفَرِ بِالْعَدُوِّ الَّذِي أَطَاعَ شَيْطَانَهُ ، وَمَدَّ فِي مِضْمَارِ الْغَيِّ أَشْطَانَهُ ، وَاتَّبَعَ مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهَ رِضْوَانَهُ ، وَجَرَى اللهُ عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ فِي

(١) تحيفه : تنقصه من حيفه ، أى من نواحيه ، كتحوفه (٢) الأثيث : الأث : يقال نبت أثيث وشعر أثيث : أى كثير عظيم

زَلْزَلَةِ أَطْوَادِهِ (١) ، وَاسْتِئْصَالِ أَحْزَابِهِ وَأَجْنَادِهِ ، الَّذِينَ غَدَتِ الرِّمَاحُ تَسْتَقِي مِيَاهَ نُحُورِهِمْ ، وَالسُّيُوفُ تَنْتَهِبُ وَدَائِعَ صُدُورِهِمْ ، وَالْحِمَامُ يَجُولُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَجَالٍ ، وَيَسْتَدْنِى إِلَيْهِمْ نَوَازِحَ الْآجَالِ :

مَا طَالَ بَغْىٌ قَطُّ إِلَّا غَادَرَتْ
فَعَلَاتُهُ الْأَعْمَارَ غَيْرَ طِوَالِ

فَتْحٌ أَضَاءَ بِهِ الزَّمَانُ وَفَتَّحَتْ
فِيهِ الْأَسِنَّةُ زَهْرَةَ الْآمَالِ

وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ التَّوْفِيقُ قَضَى بِوُصُولِهَا ، وَأَذِنَ فِى قَبُولِهَا ، فَيَمْتَدَّ ظِلٌّ ، وَيُثْرِى مُقِلٌّ ، وَيَصُوبَ عَارِضٌ مُسْتَهِلٌّ (٢) .

---

(١) الطود : الجبل المنيف الثابت فى مقره — وهو مستعار للحصون والقلاع

(٢) أظنه تصحيف بيت صوابه :

أيمتد ظل يثرى مقل ☆ فيمتد ظل ويثرى المقل ☆ من صوب عارض مستهل

والبيت بعده يحقق ما أقول فهو فى سوقه ومن بحره .

أَيَعْجِزُ فَضْلُكَ عَنْ خَادِمٍ
وَأَنْتَ بِأَمْرِ الْوَرَى مُسْتَقِلٌّ؟

وَبِحُكْمِ مَا الْعَبْدُ عَلَيْهِ مِنْ تَطَلُّعِ الْأَمَلِ الْقَوِيِّ، وَتَوَقُّعِ الْإِنْعَامِ الْكِسْرَوِيِّ، عَزَّزَهَا بِهَذِهِ الْمُنَاجَاةِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ رِشَاهُ قَدْ أُلْقِيَ فِي الْغَدِيرِ الْقَرِيبِ، وَرَائِدَهُ[1] قَدْ خَيَّمَ بِالْمَرْتَعِ الْخَصِيبِ:

لَوْ رَأَيْنَا التَّوْكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ
مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ[2]

وَلَهُ — أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ — الرَّأْيُ الْعَالِي فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَكَتَبَ إِلَى صَارِمِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَعْرُوفٍ: — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْحَضْرَةِ الصَّارِمِيَّةِ — يَجْرِي الْقَدَرُ عَلَى حَسَبِ أَهْوِيَتِهَا، وَيَعْقِدُ الظَّفَرُ بِعَزَائِمِ أَلْوِيَتِهَا، وَيُحَلَّى بِذِكْرِهَا تَرَائِبُ

(١) الرائد: هنا: الرسول (٢) ثوب المؤذن: دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله حى على الصلاة أو ثنى الدعاء

الأَيَّامِ الْعَاطِلَةِ، وَيُنْجِزُ بِكَرَمِهَا عِدَاتُ الْحُظُوظِ الْمُمَاطِلَةِ، مَا أَصْحَبَ (١) الْجَامِحُ، وَأَضَاءَ السِّمَاكُ الرَّامِحُ، وَعَافَتِ الْمَاءَ الْإِبِلُ الطَّوَامِحُ (٢).

وَمَا سَحَبَتْ فِي مَفْرِقِ الْأَرْضِ ذَيْلَهَا
خَوَافِقُ رِيحٍ لِلسَّحَابِ لَوَاقِحُ
إِذَا رَفَضَ النَّاسُ الْمَدِيحَ وَطَلَّقُوا
بَنَاتِ الْعُلَا زُفَّتْ إِلَيْهِ الْمَدَائِحُ (٣)

أَيَّامُ النَّاسِ شُهُودٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْأَقْوَالِ، وَصُنُوفٌ مُتَبَايِنَةُ الْأَحْوَالِ، فَيَوْمٌ تُؤَرِّخُ السِّيَرُ بِسُودَدِهِ وَسَنَائِهِ، وَيَنْطِقُ بِمَحَامِدِ قَوْمٍ أَلْسِنَةُ أَبْنَائِهِ، وَيَوْمٌ يَخْبُو فِي مَوْقِفِ الْجِدِّ شِهَابُهُ، وَيَعْبَقُ بِمِسْكِ الْمُدَامِ إِهَابُهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَضْرَةَ

---

(١) أصحب الجامح : ذل وانقاد والصفة منه مصحب كحسن بمعنى الذليل المنقاد

(٢) يقال طنحت الابل كفرح بشمت وسمت وهي إذا تعاف الماء وترى فى البلاد إبلا صائمة عن الماء زمن البرسيم ولا تأكل إلا إذا ألقمها قائدها فلعل الكلمة الطوانح بالنون ولقد يكون الطوامح من طمح فى الطلب أبعد فهى إذا لاتقبل على الماء جدا فيما يراد منها (٣) فى الوقت الذى يرفض الناس المدح ويصدون عن المكارم « بنات العلا » يتفسح صدره للمادحين « عبد الخالق »

السَّامِيَةَ عِقَالَ الْخُطُوبِ الْعَوَارِمِ [١]، وَنِظَامَ الْمَحَاسِنِ وَالْمَكَارِمِ، يَعْتَدُّهَا الزَّمَنُ نَسِيمَ أَصَائِلِهِ، وَزَهْرَ خَمَائِلِهِ، وَشُمُوسَ مَشَارِقِهِ، وَتِيجَانَ مَفَارِقِهِ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ ضَمَّ الْيَرَاعَةَ بَنَانُهُ، وَأُطْلِقَ فِي مَيْدَانِ الْبَرَاعَةِ عِنَانُهُ، أَلَّا يُخْلِيَ مَجْلِسَهُ مِنْ مَدْحٍ مَعْرُوضَةٍ، وَخِدَمٍ مَفْرُوضَةٍ، يُسْهِبُ فِيهَا الْوَاصِفُ، وَيُوجِبُهَا الْإِنْعَامُ الْمُتَرَاصِفُ [٢]:

عَسَى مِنَّةٌ تَقْوَى عَلَى شُكْرِ مِنَّةٍ
وَهَيْهَاتَ أَعْيَا الْبَحْرُ مَنْ هُوَ رَاشِفُ

وَلَوْ كُنْتَ لَا تُولِي يَدًا مُسْتَجَدَّةً
إِلَى أَنْ تُوَفَّى شُكْرَ مَا هُوَ سَالِفُ

حَمَيْتَ حَرِيمَ الْمَالِ مِنْ سَطْوَةِ النَّدَى
وَغَاضَتْ وَحَاشَاهَا لَدَيْكَ الْعَوَارِفُ

وَكَمْ عَزْمَةٍ فِي الشُّكْرِ كَانَتْ قَوِيَّةً
فَأَضْعَفَهَا إِحْسَانُكَ الْمُتَضَاعِفُ

---

(١) العوارم : الشديدة ، جمع عارم (٢) المتراصف : المتراص

رَعَى اللهُ مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ عَدْلُهُ
فَأَنْصِفَ مَظْلُومٌ وَأُومِنَ خَائِفُ
لَهُ مِنَنٌ فِى حَرْبِ خَطْبٍ عَوَاطِفٌ
دِمَاثٌ وَفِى صَدْرِ الْخُطُوبِ عَوَاصِفُ(١)

فَكَمْ أَهْلِ هِدَايَةٍ ـ نَصَرَ اللهُ عَزَائِمَهَا بَعْدَ الضَّلَالِ ـ ، وَحُرٍّ اُسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ حَبَائِلِ الإِقْلَالِ ، وَمُرْهَقٍ خَفَّفَتْ عَنْهُ وَطْأَةَ الزَّمَنِ الْمُتَثَاقِلِ ، وَطَرِيدٍ بَوَّأَتْهُ مِنْ حَرَمِهَا أَمْنَعَ الْمَعَاقِلِ :

مَنَازِلُ عِزٍّ لَوْ يَحُلُّ ابْنُ مُزْنَةٍ (٢)
بِهَا لَسَلَا عَمَّا لَهُ مِنْ مَنَازِلِ
فَيَا صَارِماً يُعْطِى وَيَنْسَى عَطَاءَهُ
وَلَمْ نَرَ سَيْفاً ذَا وَفَاءٍ وَنَائِلِ
يَكَادُ يَفِيضُ الْبَرْقُ مِنْ وَجَنَاتِهِ
إِذَا مَا أَتَاهُ سَائِلٌ بِوَسَائِلِ

(١) فى الاصل معاطف بدل « عواطف » وعواطف بدل « عواصف » والدماث جمع دمثه : السهلة اللينة (٢) ابن مزنة : المطر .

إِذَا هُوَ عَرَّى سَيْفَهُ مِنْ غُمُودِهِ
وَأَفْقَى بِفَضْفَاضٍ (١) مِنَ السَّرْدِ ذَابِلِ
وَقَدْ صَبَغَ النَّقْعُ النَّهَارَ بِصِبْغَةٍ
تَرَى نَاصِلاً مِنْهَا بَيَاضُ الْمَنَاصِلِ
رَأَيْتَ مُتُونَ الْخَيْلِ تَحْمِلُ ضَيْغَماً
مَرِيرَ مَذَاقِ الْكَيْدِ حُلْوَ الشَّمَائِلِ
يَلَذُّ لَهُ طَعْمُ الْكُمَاةِ (٢) كَأَنَّمَا
جَرَى الشَّنَبُ الْمَعْسُولُ فَوْقَ الْعَوَاسِلِ
وَكَمْ أَخْرَسَتْ أَطْرَافُهَا مِنْ غَمَاغِمٍ (٣)
لِأَقْرَانِهِ وَاسْتَنْطَقَتْ مِنْ ثَوَاكِلِ
مِنَ الْقَوْمِ لَمْ تَتْرُكْ لَهُمْ عِنْدَ كَاشِحٍ
طِوَالُ رُدَيْنِيَّاتِهِمْ (٤) مِنْ طَوَائِلِ

(١) الفضفاض : الواسع ، والسرد : الدرع المسرودة ، أى المتداخلة الحلقات منه

(٢) الكماة : جمع كمى : وهو الشجاع . والشنب هنا : لعاب الفم ، والعواسل : الرماح التى تهتز لينا . جمع عاسل (٣) غماغم : جمع غمغمة : وهى أصوات الأبطال عند القتال

(٤) الردينيات : الرماح المنسوبة إلى ردينة ، وهي امرأة فى خط هجر كانت هى وزوجها سمهر يقومان الرماح ، فنسبت إليهما

إِذَا مَاسَرَوْا خَلْفَ الْعَدُوِّ وَهَجَّرُوا [١]

تَظَلَّلُ مِنْ أَرْمَاحِهِمْ فِي ظَلَائِلِ

وَمَا ذَبَلَتْ يَوْماً خَمِيلَةُ عِزَّةٍ

إِذَا زُرِعَتْ فِيهَا كُعُوبُ الذَّوَابِلِ

أَوَائِلُ مَجْدٍ لَمْ يَزَلْ فَاخِراً بِهَا

تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ أَوْ كُلَيْبُ بْنُ وَائِلِ

ثُمَّ جَاءَتْهُ مَنَاقِبُ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ ، فَتَمَّ بِهَا مَنَاقِبُ تَمِيمٍ ، وَحَكَمَ لِآلِ الْقَعْقَاعِ أَمْرٌ حَكِيمٌ ، وَنَصَرَ لِوَاءَ بَنِي نَصْرٍ ، وَأَبْدَرَتْ أَهِلَّةُ بَنِي بَدْرٍ ، وَنَبَّهَ مُنَبِّهُ هَوَازِنَ ، وَظَهَرَتْ مُزَيْنَةُ وَمَازِنُ ، وَضَحِكَ لِعَبْسٍ عَابِسُ الدَّهْرِ ، وَرَاحَتِ الْكَمَلَةُ [٢] كَامِلَةَ الْفَخْرِ ، وَزَادَتْ مَغَايِظُ الْأَزْدِ ، وَقَشَرَتْ [٣] قُشَيْراً عَنْ بُلُوغِ الْمَجْدِ ، وَأَغْمَدَتْ سُيُوفَ

(١) هجر القوم : أى ساروا فى الهاجرة وهى اشتداد الحر . ومنه الحديث : « المهجر إلى الجمعة كالمهدى بدنة » يريد ساروا فى الهاجرة (٢) فى الاصل « الكاملة » وصوابها ما ذكرنا ، والكملة من بنى عبس الذين قالت فيهم أمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية وقد سئلت أيهم أفضل ، فقالت فلان بل فلان ثم قالت : ثكلتهم إن كنت أعرف أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها والجملة الأخيرة يستشهد بها علماء البيان فى باب التشبيه « عبد الخالق » (٣) قشرت : أى نزعت

بَنِي غامِدٍ ، وَصارَتْ هَمْدانُ كَالْجَمْرِ الهامِدِ ، وَمَذْحِجُ كَالعَنْسِ مُذَلَّلَةً ، وَحِمْيَرُ بِالرَّايَةِ الْحَمْرَاء مُتَظَلِّلَةً ، وَطَوَتْ طَيِّءٌ عَماها اسْتِخْذَاءً ، وَغَضَّتْ جَفْنَةُ جُفُونَها اسْتِحْيَاءً .

ـ فَحَرَسَ اللهُ مَحاسِنَ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ ـ الَّتِي جِباهُ الْأَنامِ بِها مَوْسُومَةٌ ، وَتَمَّمَ نِعَمَها الَّتِي هِيَ بَيْنَها وَبَيْنَ النَّاسِ مَقْسُومَةٌ ، وَلا زالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّةُ تَحْمَدُ عَزائِمَها الَّتِي شَهِدَتْ لَها بِمُداوَمَةِ الكَفاءَةِ ـ وَأَنْشَرَتْ مِنَ النَّصائِحِ كُلَّ رَمِيمٍ رُفاتٍ :

كَأَنَّكَ حِينَ ضَلَّ النَّاسُ عَنْها
هُدِيتَ إِلَى رِضا هادِي الرُّعاةِ
مُزِيلُ المالِ مِنْ مُلْكِ الأَعادِي
وَناظِمُ شَمْلِهِ بَعْدَ الشَّتاتِ
سَيُنْطِقُ بِالثَّناء عَلَى عَلِيٍّ
وَعِتْرَتِهِ المَنابِرَ صامِتاتٍ

فَقَادَ لَهُ إِلَى بَغْدَادَ قَوْدًا
تَجَلَّى لَحْمُهَا جَنْبَ الْفُرَاتِ
عَلَيْهَا كُلُّ ذَانِى الْحِلْمِ ثَبْتٍ
سَفِيهِ السَّيْفِ مِنْ بَعْدِ الثَّبَاتِ
كَأَنَّهُمُ إِذَا الْتَحَمُوا الْمَنَايَا (١)
يُقِيدُونَ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ

يُسَابِقُونَ إِلَى الْعَدُوِّ الأَعِنَّةَ ، فَتَطْعَنُ عَزَائِمُهُمْ قَبْلَ الأَسِنَّةِ ، وَيَقْتَدُونَ بِالْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ فِي خَوْضِ الرَّهَجِ (٢) ، وَإِرْخَاصِ الْمُهَجِ ، وَتَحَمُّلِ الأَعْبَاءِ ، فِي مُوَالَاةِ أَصْحَابِ الْعَبَاءِ ، ـ وَلَا سَلَبَ اللهُ هَذَا الثَّغْرَ وَأَهْلَهُ ـ : مَا وَهَبَ لَهُمْ مِنْ إِنْعَامِهِ الَّذِى يَتَهَافَتُ إِلَيْهِمْ مُتَنَاسِقًا ، وَيُعِيدُ غُصْنَ مَجْدِهِمْ نَاضِرًا بَاسِقًا :

(١) فى الأصل « كأنهم لهم المنايا » والتحموا : تلاحموا واختلطوا والمنايا مفعول فيه أى فى أماكن المنايا ، ويقيدون : يأخذون القود من الأحياء للأموات

(٢) الرهج : الشغب والفتنة ، ومنه قول أبى الطيب :

عمر العدو إذا لاقاه فى رهج أقل من عمر ما يحوى إذا وهبا

« عبد الخالق »

إِذَا مَا قَلَى النَّاسُ السَّمَاحَ عَشِقْتَهُ
وَأَحْسَنُ مَا تُسْدَى الْمَكَارِمُ عَاشِقَا (١)

حَمَى اللهُ مِنْ كَيْدِ الزَّمَانِ خَلَائِقًا
وَسِعْتَ بِهَا يَابْنَ الْكِرَامِ خَلَائِقَا

إِذَا أَظْلَمُوا كَانَتْ شُمُوسًا طَوَالِعًا
وَإِنْ أَجْدَبُوا كَانَتْ غُيُوثًا دَوَافِقَا

وَقَدْ زَادَ شَهْرُ الصَّوْمِ رَبْعَكَ صَابِحًا
لَهُ بِأَفَاوِيقِ السُّعُودِ وَغَابِقَا (٢)

تُنَوِّرُ بِالْقُرْآنِ أَسْدَافُ (٣) لَيْلِهِ
فَيَبْيَضُّ مِنْهَا كُلُّ مَا كَانَ غَاسِقَا

تَأَرَّجُ مِنْ تَقْوَاكَ فِيهِ لَطَائِمٌ (٤)
يَظَلُّ لَهَا عِرْنِينُ عَامِكَ نَاشِقَا

---

(١) عاشقا فى البيت حال سدت مسد الخبر على معنى : وأحسن إسداء المكارم إذا كان المسدى عاشقا، على حد قولهم : أقرب ما يكون العبد من ربه ساجدا « عبد الخالق »

(٢) الغبوق : ما يشرب بالعشى ، كما أن الصبوح : ما يشرب فى الصباح

(٣) أسداف الليل : ظلماته ، جمع سدف (٤) اللطائم جمع لطيمة : وهى نافجة المسك : قال ذو الرمة يصف أرطاة تكنس فيها الثور الوحشى

كأنها بيت عطار تضمنه لطائم المسك يحويها وتنتهب

والعرنين : الأنف

فعِشْ أَبدًا ما شُوهِدَ الأُفْقُ أَوْرَقَا

وراحَ قضيبُ الأَيْكِ أَخضرَ أَوْرَقَا

إِذَا عُدَّ قَوْمٌ لِلْمَعَالِى أَخامِصًا(١)

عَدَدْناكَ تِيجَانًا لَها وَمَفارِقَا

﴿ ١٤ – الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدُونَ* ﴾

أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِى الْمَعَالِى بْنِ أَبِى سَعْدٍ الْكَاتِبُ. قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَبِيهِ صَاحِبِ الدِّيوَانِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِى الْمَعَالِى، وَذِكْرُ عَمِّهِ أَبِى نَصْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ، وَكَانَ أَبُو سَعْدٍ هَذَا يُلَقَّبُ تَاجَ الدِّينِ. مَاتَ أَبُو سَعْدٍ هَذَا فِى حَادِى عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ كَمَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ. وَمَوْلِدُهُ فِى صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَكَانَ – رَحِمَهُ اللهُ – مِنَ الْأُدَبَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَاهَدْنَاهُمْ، زَكِيَّ النَّفْسِ، طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ، عَالِىَ الْهِمَّةِ، حَسَنَ الصُّورَةِ، الحسن بن محمد الكاتب

(١) الأخامص جمع إخمص: وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم، ويكنى به عن القدم برمتها. فالمراد: إذا عد أناس أقداما للمعالى كنت أنت رأسها

(*) راجع تهذيب الأسماء واللغات ج ٥ ص ٣٢

مَليحَ الشَّيْبَةِ ، ضخمَ الجُثَّةِ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ طَويلَها ، طَوِيلَ القامَةِ ، نَظِيفَ اللِّبْسَةِ ، ظَرِيفَ الشَّكلِ ، وَهُوَ مِمَّنْ صَحِبْتُهُ فَحَمِدْتُ صُحْبَتَهُ ، وَشَكَرْتُ أَخْلاقَهُ ، وَكانَ قَدْ وَلِىَ عِدَّةَ وِلاياتٍ عايَنْتُ مِنْها النَّظَرَ فِى الْبِيمارِستانِ الْعَضُدِىّ ، وَكانَتْ هَيْبَتُهُ فِيهِ وَمَكانَتُهُ مِنْهُ أَعْظَمَ مِنْ مَكانَةِ أَرْبابِ الْوِلاياتِ الْكِبارِ ، لِأَنَّ النّاسَ يَرَوْنَهُ بِعَيْنِ الْعِلْمِ وَالْبَيْتِ الْقَدِيمِ فِى الرِّياسَةِ ، ثُمَّ وُلِّىَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ كِتابَةَ السِّكَّةِ بِالدِّيوانِ الْعَزِيزِ بِبغْدادَ ، يُرْزَقُ عَشَرَةَ دَنانِيرَ فِى الشَّهْرِ ، وَسَأَلْتُهُ : فَقُلْتُ حَمْدُونُ الَّذِى تُنْسَبُونَ إِلَيْهِ ، أَهُوَ حَمْدُونُ نَدِيمُ الْمُتَوَكِّلِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفاءِ ؟ فَقالَ : لا ، نَحْنُ مِنْ آلِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدانَ بْنِ حَمْدُونَ مِنْ بَنِى تَغْلِبَ ، هٰذا صُورَةُ لَفْظِهِ .

وَكانَ مِنَ الْمُحِبِّينَ لِلْكُتُبِ وَاقْتِنائِها ، وَالْمُبالِغِينَ فِى تَحْصِيلِها وَشِرائِها ، وَحَصَلَ لَهُ مِنْ أُصُولِها الْمُتْقَنَةِ

وأُمَّهَاتِهَا الْمُعَيَّنَةِ ، مَا لَمْ يُحَصِّلْ أَحَدٌ لِلْكَثِيرِ ، ثُمَّ تَقَاعَدَ بِهِ الدَّهْرُ وبَطَلَ عَنِ الْعَمَلِ ، فرأَيْتُهُ يُخْرِجُهَا ويَبِيعُهَا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ بِالدُّمُوعِ كَالْمُفَارِقِ لِأَهْلِهِ الْأَعِزَّاء ، وَالْمَفْجُوعِ بِأَحْبَابِهِ الْأَوِدَّاء . فَقُلْتُ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ — أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ — فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو دُوَلٍ ، وَقَدْ يُسْعِفُ الزَّمَانُ وَيُسَاعِدُ ، وَتَرْجِعُ دَوْلَةُ الْعِزِّ وَتُعَاوِدُ ، فَتَسْتَخْلِفُ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهَا وَأَجْوَدُ . فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّ : هَذِهِ نَتِيجَةُ خَمْسِينَ سَنَةً مِنَ الْعُمْرِ أَنْفَقْتُهَا فِي تَحْصِيلِهَا ، وَهَبْ أَنَّ الْمَالَ يَتَيَسَّرُ . وَالْأَجَلَ يَتَأَخَّرُ — وَهَيْهَاتَ — فَحِينَئِذٍ لَا أَحْصُلُ مِنْ جَمْعِهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْفِرَاقِ ، الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ ، وَأَنْشَدَ بِلِسَانِ الْحَالِ :

هَبِ الدَّهْرَ أَرْضَانِي وَأَعْتَبَ صَرْفُهُ
وَأَعْقَبَ بِالْحُسْنَى وَفَكَّ مِنَ الْأَسْرِ

فَمَنْ لِي بِأَيَّامِ الشَّبَابِ الَّتِي مَضَتْ
وَمَنْ لِي بِمَا قَدْ مَرَّ فِي الْبُؤْسِ مِنْ عُمْرِي ؟؟

ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَلَمْ يَنَلْ أُمْنِيَّتَهُ ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ ، يَجْمَعُ مِنْ أَخْبَارِ الْعُلَمَاءِ ، وَصَنَّفَ مِنْ أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ، وَأَلَّفَ كُتُبًا كَانَ لَايَجْسُرُ عَلَى إِظْهَارِهَا خَوْفًا مِمَّا طَرَقَ أَبَاهُ (١) مَعَ شِدَّةِ احْتِرَازٍ ، وَبِالْجُمْلَةِ : فَعَاشَ فِي زَمَنِ سُوءٍ وَخَلِيفَةٍ غَشُومٍ جَائِرٍ ، كَانَ إِذَا تَنَفَّسَ خَافَ أَنْ يَكُونَ عَلَى نَفَسِهِ رَقِيبٌ يُؤَدِّى بِهِ إِلَى الْعَطَبِ ، وَهُوَ كَانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ هَـذَا الْبَيْتِ الْقَدِيمِ ، وَالرُّكْنِ الدَّعِيمِ ، وَلَمْ يُخَلِّفْ إِلَّا ابْنَةً مُزَوَّجَةً مِنِ ابْنِ الدَّوَّامِيِّ ، وَمَا أَظُنُّهَا مُعْقِبَةً أَيْضًا ، وَكَانَ مَعَ اغْتِبَاطِهِ بِالْكُتُبِ وَمُنَافَسَتِهِ وَمُنَاقَشَتِهِ فِيهَا جَوَادًا بِإِعَارَتِهَا ، وَلَقَدْ قَالَ لِي يَوْمًا ـ وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ مُسَارَعَتِهِ إِلَى إِعَارَتِهَا لِلطَّلَبَةِ : مَابَخِلْتُ بِإِعَارَةِ كِتَابٍ قَطُّ وَلَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ رَهْنًا . وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ فَقَدَ كِتَابًا فِي عَارِيَةٍ قَطُّ . فَقُلْتُ :

---

(١) في الأصل « إياه » وصوابها ما ذكرنا لأن أباه كما تقدم نالته الحوادث

الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَخُلُوصُ نِيَّتِكَ فِي إِعَارَتِهَا لِلَّهِ حَفِظَهَا عَلَيْكَ .

وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الرَّائِقِ طَرَائِفَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ الْمَرْوِيَّةِ ، وَقَابَلَهَا وَصَحَّحَهَا وَسَمِعَهَا عَلَى الْمَشَايِخِ . فَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَ مِنَ الْمَشَايِخِ : أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الزَّاغُونِيُّ ، وَالنَّقِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَبَّاسِيُّ الْمَكِّيُّ ، وَأَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْغَرْنَاطِيُّ مَغْرِبِيٌّ قَدِمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّحَّاسِ الْعَطَّارُ ، وَوَالِدُهُ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ حَمْدُونَ ، وَأَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ابْنِ سُلَيْمَانَ (١) الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَطِّيِّ ، وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمْ كَثِيرَةٌ كَابْنِ كُلَيْبٍ الْحَرَّانِيِّ ، وَابْنِ بُوشٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَرَوَى شَيْئًا مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ يَسِيرًا ، وَكَانَ مُؤَيَّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُمِّيُّ نَائِبُ الْوِزَارَةِ بِبَغْدَادَ : قَدْ خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ خُوزِسْتَانَ حَيْثُ عَصَى سَنْجَرُ مَمْلُوكُ الْخَلِيفَةِ بِهَا حَتَّى

(١) فى معجم البلدان : « اسمه سلمان »

قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَادَ بِهِ وَفِى صُحْبَتِهِ عِزُّ الدِّينِ نَجَاحٌ الشَّرَابِىُّ ، فَخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ عِنْدَ عَوْدِهِ فِى الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمائَةٍ ، وَكَانَ تَاجُ الدِّينِ فِيمَنْ خَرَجَ لِتَلَقِّيهِ عِنْدَ عَوْدِهِ فِى الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمائَةٍ ، وَكَانَ عَبْلًا[1] تَرِفًا مُعْتَادًا لِلدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ ، مُلَازِمًا لِعُقْرِ دَارِهِ ، وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا وَالْوَقْتُ صَائِفًا ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَتَكَاثَفَ ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى التَّلَفِ ، فَمَاتَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِى الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ بِالْمَدَائِنِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْدَادَ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ ، فَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِبَابِ التِّبْنِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِىَ عَنْهُ ـ .

١٥ — الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّغَانِىُّ النَّحْوِىُّ *

وَيُقَالُ صَاغَانُ — مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ — قَدِمَ الْعِرَاقَ وَحَجَّ ، ثُمَّ دَخَلَ الْيَمَنَ وَنَفَقَ لَهُ بِهَا سُوقٌ ، وَكَانَ

الحسن بن محمد الصغانى

(١) العبل : الضخم

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٧

وُرُودُهُ إِلَى عدنَ سَنَةَ عشرٍ وَسِتَّمِائَةٍ ، وَلَهُ تصانيفُ فِي الْأَدَبِ ، مِنْهَا : تكملةُ الْعزيزيِّ ، وَكِتَابٌ فِي التَّصْرِيفِ وَمَنَاسِكِ الْحَجِّ خَتَمَهُ بِأَبْيَاتٍ قَالَهَا وَهِيَ :

شَوْقِي إِلَى الْكَعْبَةِ الْغَرَّاءِ قَدْ زَادَا
فَاسْتَحْمِلِ الْقُلُصَ الْوَخَّادَةَ (١) الزَّادَا
أَرَاقَكَ الْحَنْظَلُ الْعَامِيُّ مُنْتَجَعاً
وَغَيْرُكَ انْتَجَعَ السَّعْدَانَ وَارْتَادَا (٢)
أَتْعَبْتَ سَرْحَكَ (٣) حَتَّى آضَ عَنْ كَثَبٍ
نِيَاقُهَا رُزَّحاً (٤) وَالصَّعْبُ مُنْقَادَا
فَاقْطَعْ عَلَائِقَ مَا تَرْجُوهُ مِنْ نَشَبٍ
وَاسْتَوْدِعِ اللَّهَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادَا

(١) القلص : النوق ، والوخادة صفة لها وقد جرد من نفسه من خاطبه وأمره بأن يحمل الزاد على القلص الوخادة (٢) من ارتاد أي طلب ما يحلو له الإقامة فيه من الأمكنة — والسعدان نبت من أحسن مراعى الإبل يقول : أيروق في نظرك جعل الحنظل « يريد به عدم الحج » منتجعاً وغيرك انتجع أفضل المراعى وأحسن الأمكنة يريد به الحج « عبد الخالق »

(٣) سرحك : أي ماشيتك ، وآض ، بمعنى رجع — وكثب : أي قرب

(٤) الرزح : جمع رازح ورازحة من رزحت الدابة: سقطت إعياء

وَكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ بِعَدَنَ مَعَالِمُ السُّنَنِ لِلْخَطَّابِيِّ ، وَكَانَ مُعْجَباً بِهَذَا الْكِتَابِ وَبِكَلَامِ مُصَنِّفِهِ وَيَقُولُ : إِنَّ الْخَطَّابِيَّ جَمَعَ لِهَذَا الْكِتَابِ جَرَامِيزَهُ [1] ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : احْفَظُوا غَرِيبَ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، فَمَنْ حَفِظَهُ مَلَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَإِنِّي حَفِظْتُهُ فَمَلَكْتُهَا ، وَأَشَرْتُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِي بِحِفْظِهِ فَحَفِظَهُ وَمَلَكَهَا . وَفِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ كَانَ بِمَكَّةَ ، وَقَدْ رَجَعَ مِنَ الْيَمَنِ وَهُوَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ .

﴿ ١٦ – الْحَسَنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ النَّيْسَابُورِيُّ * ﴾

الحسن بن المظفر

أَبُو عَلِيٍّ ، أَدِيبٌ نَبِيلٌ ، شَاعِرٌ مُصَنِّفٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو أَحْمَدَ مَحْمُودُ بْنُ أَرْسَلَانَ فِي تَارِيخِ خُوَارِزْمَ فَقَالَ : مَاتَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ الْأَدِيبُ الضَّرِيرُ النَّيْسَابُورِيُّ ثُمَّ الْخُوَارِزْمِيُّ فِي الرَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً طَوِيلاً زَعَمَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ مُؤَدِّبَ أَهْلِ خُوَارِزْمَ فِي عَصْرِهِ ، وَمُخَرِّجَهُمْ وَشَاعِرَهُمْ وَمُقَدَّمَهُمْ

(١) الجراميز : أعضاء الجسد ، والمراد اجتهد فيه بكله وجزئه : أى أتمه وجمعه

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٣٠

وَالْمُشَارَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَهُوَ شَيْخُ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّمَخْشَرِيِّ (١) قَبْلَ أَبِي مُضَرَ ، وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ . وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا ٱسْمُهُ عُمَرُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ ، أَدِيبٌ فَقِيهٌ فَاضِلٌ ، وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ :

سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ نِدٌّ لَهُ وَأَشْبَاهُ
أَحَاطَ بِالْعَالَمِينَ مُقْتَدِراً
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدَنَا
أَحْمَدَ رَبُّ السَّمَاءِ سَمَّاهُ
أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ بِعْثَتِهِ
وَحَصْحَصَ الْحَقُّ مِنْ مُحَيَّاهُ

وَمَاتَ أَبُو حَفْصٍ هَذَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ . وَوَجَدْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ الْمُظَفَّرِ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابَ تَهْذِيبِ دِيوَانِ الْأَدَبِ ، وَكِتَابَ تَهْذِيبِ

(١) هذا محال ، فإن صاحب الكشاف ولد سنة ٤٦٧ .

إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ ، وَكِتَابَ ذَيْلِهِ عَلَى تَتِمَّةِ الْيَتِيمَةِ لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ ، كِتَابَ دِيوَانِ شِعْرِهِ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابَ دِيوَانِ رَسَائِلِهِ ، كِتَابَ مَحَاسِنِ مَنِ اسْمُهُ الْحَسَنُ ، كِتَابَ زِيَادَاتِ أَخْبَارِ خُوَارِزْمَ . نَقَلْتُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِى وَصَلَ بِهِ تَتِمَّةَ الْيَتِيمَةِ ، وَذَكَرَ فِيهِ أَشْيَاءَ مِنْ شِعْرِهِ وَرَسَائِلِهِ خَتَمَ بِهَا كِتَابَهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ : الْحَسَنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ النَّيْسَابُورِىُّ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : نَيْسَابُورِىُّ الْمَحْتِدِ ، خُوَارِزْمِيُّ الْمَوْلِدِ ، وَمِمَّنْ كَانَ عَارِفًا بِنَفْسِهِ ، غَيْرَ مَفْتُونٍ بِنَظْمِهِ وَنَثْرِهِ ، فَإِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ أَبِى مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ - رَحِمَهُ اللّٰهُ - فِيمَا أَوْرَدَهُ مِنْ شِعْرِهِ فِى آخِرِ كِتَابِ تَتِمَّةِ الْيَتِيمَةِ ، فَأَوْرَدَ نُبَذًا مِمَّا يَسْتَحْسِنُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَيَسْتَبْدِعُ مِنْ نِظَامِهِ ، فَمِنْ نَثْرِهِ السَّاذَجِ رُقْعَةٌ لَهُ :

عَرَّفَ اللّٰهُ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ بَرَكَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَوَفَّقَهُ مِنْ طَاعَتِهِ لِمَا يَكْتَسِبُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ ، وَلَوْلَا الْعُذْرُ الْوَاقِعُ مِنَ الْوُصُولِ لَقَصَدْتُ مَجْلِسَهُ - أَعْلَاهُ اللّٰهُ - بِالتَّهْنِئَةِ وَالتَّسْلِيمِ

وَقضاء حقّه العظيم ، هذا ـ أدامَ اللهُ تمكينَه ـ وعهدِى بِهِ يعدُّنى من جملة عياله ، ويخصُّنى كلَّ وقتٍ بأفضاله ، فليتَ شعرى لِمَ عدلَ إلى الفطام من ذلك الإنعام ؟ فإنْ كانَ نسيانٌ فقدْ جاءه ذكرى ، وإنْ كانَ هجرانٌ فحاشاه من هجرى . ولَهُ من أخرى : الشيخُ يسترقُّ الأحرارَ بعوائدِ فضلِه وبوادِيه[1] ، حتّى لا حرَّ بوادِيه[2]

ومن نظمِه :

أهلًا بعيشٍ كانَ جِدَّ مُوَاتِ[3]
أحيا من اللذّاتِ كُلَّ مَوَاتِ[4]

أيّامَ سِربُ الأُنسِ غيرُ منفّرٍ
والشملُ غيرُ مروَّعٍ بشتاتِ

(١) بواديه : جمع بادئة : وهى فعل الشىء ابتداء ، أى بأفضاله التى يسبق إليها ويبتدئها . والعوائد : جمع عائدة : وهى ما يصير إلى الناس من أفضاله

(٢) لاحر بواديه : هذا مثل يضرب : للمتفرد فى عصره فى علم أو عمل ، وأصله لاحر بوادى عوف ، وعوف هذا أبو عبد الرحمن بن عوف وكان من أثرياء العرب وكذلك كان عبد الرحمن ابنه ، ومن كونه ذا ثراء يفهم معنى قولهم لاحر بوادى عوف « عبد الخالق »

(٣) أى مطاوع وموافق (٤) الموات : الأرض الجدبة التى لاتنبت لعدم صلاحها

عَيْشٌ تَحَسَّرَ (١) ظِلُّهُ عَنَّا فَمَا
أَبْقَى لَنَا شَيْئاً سِوَى الْحَسَرَاتِ
وَلَقَدْ سَقَانِى الدَّهْرُ مَاءَ حَيَاتِهِ (٢)
وَالْآنَ يَسْقِينِى دَمَ الْحَيَّاتِ
لَهْفِى لِأَحْرَارٍ مُنِيتُ بِبُعْدِهِمْ
كَانُوا عَلَى غِيَرِ (٣) الزَّمَانِ ثِقَاتِى
قَدْ زَالَتِ الْبَرَكَاتُ عَنِّى كُلُّهَا
بِزِيَالِ (٤) سَيِّدِنَا أَبِى الْبَرَكَاتِ
رُكْنِ الْعُلَا وَالْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الَّذِى
قَدْ فَاتَ فِى الْحَلَبَاتِ (٥) أَىَّ فَوَاتِ
فَارَقْتُ طَلْعَتَهُ الْمُنِيرَةَ مُكْرَهاً
فَبَقِيتُ كَالْمَحْصُورِ فِى الظُّلُمَاتِ
أُضْحِى وَأُمْسِى صَاعِداً زَفَرَاتِى
لِفِرَاقِهِ مُتَحَدِّراً عَبَرَاتِى

(١) تحسر من الحسر بمعنى الكشف : أى تكشف (٢) فى الاصل ماء حياته
(٣) غير الزمان : أحداثه المغيرة جمع غيرة (٤) زيال : مصدر زايله مزايلة وزيالا : أى فارقه (٥) الحلبات : جمع حلبة : الدفعة من الخيل تجتمع للسباق

وَأَنْشَدَ فِيهِ لِنَفْسِهِ :

جَبِينُكَ الشَّمْسُ فِى الْأَضْوَاءِ وَالْقَمَرُ
يَمِينُكَ الْبَحْرُ فِى الْإِرْوَاءِ وَالْمَطَرُ
وَظِلُّكَ الْحَرَمُ الْمَحْفُوظُ سَاكِنُهُ
وَبَابُكَ الرُّكْنُ لِلْقُصَّادِ (١) وَالْحَجَرُ
وَسَيْبُكَ الرِّزْقُ مَضْمُونٌ لِكُلِّ فَمٍ
وَسَيْفُكَ الْأَجَلُ الْجَارِى بِهِ الْقَدَرُ
أَنْتَ الْهُمَامُ بَلِ الْبَدْرُ التَّمَامُ بَلِ السَّـ
ـيْفُ الْحُسَامُ بَلِ الصَّارِمُ الذَّكَرُ
وَأَنْتَ غَيْثُ الْأَنَامِ الْمُسْتَغَاثُ بِهِ
إِذَا أَغَارَتْ عَلَى أَبْنَائِهَا الْغِيَرُ

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

أَرَيَّا شَمَالٍ أَمْ نَسِيمٌ مِنَ الصَّبَا
أَتَانَا طُرُوقًا أَمْ خَيَالٌ لِزَيْنَبَا ؟؟

(١) القصاد : الحجاج . والحجر : المراد به الحجر الاسود ، وهو من شعائر الحج وهذا على التشبيه

أَمِ الطَّالِعُ الْمَسْعُودُ طَالِعَ أَرْضِنَا
فَأَطْلَعَ فِيهَا لِلسَّعَادَةِ كَوْكَبَا؟

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الضَّرِيرُ: رَأَيْتُ ابْنَ هُودَارَ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ تَحَوَّلْتَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، فَهَلْ رَأَيْتَ قَرَاراً يَا بْنَ هُودَارَ؟ قَالَ: فَأَجَابَنِي:

لَا بَلْ وَجَدْتُ عَذَاباً لَا انْقِطَاعَ لَهُ
مَدَى اللَّيَالِي وَرَبّاً غَيْرَ غَفَّارِ
وَمَنْزِلاً مُظْلِماً فِي قَعْرِ هَاوِيَةٍ[1]
قُرِنْتُ فِيهَا بِكُفَّارٍ وَفُجَّارِ
فَقُلْ لِأَهْلِي مُوتُوا مُسْلِمِينَ فَمَا
لِلْكَافِرِينَ لَدَى الْبَارِي سِوَى النَّارِ

١٧ — الْحَسَنُ بْنُ مَيْمُونٍ النَّصْرِيُّ *

أَحَدُ بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ أَسَدِ بْنِ الحسن بن ميمون

(١) الهاوية: من أسماء جهنم

(*) راجع الفهرست ص ١٠٨

خُزَيْمَةَ . رَوَى عنهُ مُحَمَّدُ بْنُ النطَّاحِ ، وَكَانَ أَخْبارِيًّا عَارِفًا ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ : لَهُ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ الدَّوْلَةِ ، كِتَابُ الْمَآثِرِ .

١٨ – الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْمَعَالِي *

الحسن بن أبي المعالي

ابْنِ مَسْعُودِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو عَلِيٍّ الْحِلِّيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَاقِلَّانِيِّ النَّحْوِيُّ . وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ ، سَمِعَ مِنْ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ كُلَيْبٍ وَغَيْرِهِ ، وَقَرَأَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَبِي الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيِّ ، وَاللُّغَةَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْمَأْمُونِ ، وَقَرَأَ الْكَلَامَ وَالْحِكْمَةَ عَلَى الْإِمَامِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ فِي هٰذِهِ الْفُنُونِ وَفِي عِلْمِ النَّحْوِ ، وَأَخَذَ فِقْهَ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ أَبِي

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٣٠ بما يأتى قال :

قال ابن النجار قدم بغداد فى صباه وقرأ النحو على كثيرين وقرأ الكلام والحكمة وبرع فى هذه العلوم وصار المشار إليه المعتمد على ما يقوله أو ينقله ، وسمع الحديث من أبى الفرج وانتهت إليه الرياسة فى علم النحو والتوحيد ، وكان له همة عالية وحرص شديد على العلم وتحصيل الفوائد . مولده سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ومات يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

الْمَحَاسِنِ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الدَّامَغَانِيِّ الْحَنَفِيِّ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ ذَا فَهْمٍ ثَاقِبٍ وَذَكَاءٍ وَحِرْصٍ عَلَى الْعِلْمِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَحْفُوظِ — وَكَتَبَ الْكَثِيرَ بِخَطِّهِ — ذَا وَقَارٍ مَعَ التَّوَاضُعِ وَلِينِ الْجَانِبِ ، لَقِيتُهُ بِبَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

﴿ ١٩ — أَبُو الْحَسَنِ الْبُورَانِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي نُحَاةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَوَصَفَهُ بِالتَّدْقِيقِ فِي مَسَائِلِ الْكِتَابِ لِسِيبَوَيْهِ ، وَكَانَ مِنْ طَبَقَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ . أبو الحسن البورانى

﴿ ٢٠ — الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَطَّوَيْهِ * ﴾

أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ، وَمِنْ شِعْرِهِ : الحسين بن احمد النحوى

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢٣١

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢٣١

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَقَامُوا فَسَلَّمُوا
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّى مَشُوقٌ مُتَيَّمُ
سَرَوْا وَنُجُومُ اللَّيْلِ زُهْرٌ طَوَالِعٌ
عَلَى أَنَّهُمْ فِى اللَّيْلِ لِلنَّاسِ أَنْجُمُ
وَأَخْفَوْا عَلَى تِلْكَ الْمَطَايَا مَسِيرَهُمْ
فَنَمَّ (١) عَلَيْهِمْ فِى الظَّلَامِ التَّبَسُّمُ

وَقَالَ :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ
كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً
إِنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا ؟؟

٢١ - الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالَوَيْهِ *

الحسين بن خالويه

ابْنِ حَمْدَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ اللُّغَوِىُّ النَّحْوِىُّ مِنْ كِبَارِ

---

(١) فنم عليهم : دل عليهم وإن هذا لمعنى جميل إذ يجعل من ثغرهم ضوءاً يغشى الظلام اذا ابتسموا « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول صفحة ١٥٧ قال : أصله من همذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء بها وانتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه ، ـــ

أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ أَصْلُهُ مِنْ هَمَذَانَ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ طَالِباً لِلْعِلْمِ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَلَقِيَ فِيهَا أَكَابِرَ الْعُلَمَاءِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْإِمَامِ ابْنِ مُجَاهِدٍ ، وَالنَّحْوَ وَالْأَدَبَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَنِفْطَوَيْهِ ، وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ ، وَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ ابْنِ مُخَلَّدٍ الْعَطَّارِ وَغَيْرِهِ

وَقَرَأَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ الْمُعَافَا بْنُ زَكَرِيَّا النَّهْرَوَانِيُّ وَآخَرُونَ ، وَانْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ إِلَى حَلَبَ فَاسْتَوْطَنَهَا ، وَتَقَدَّمَ فِي الْعُلُومِ حَتَّى كَانَ أَحَدَ أَفْرَادِ عَصْرِهِ ، وَكَانَتِ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَاخْتَصَّ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَبَنِيهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ آلُ حَمْدَانَ ، وَكَانُوا يُجِلُّونَهُ وَيُكْرِمُونَهُ ، فَانْتَشَرَ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ وَذَاعَ صِيتُهُ .

— ولابن خالويه المذكور : كتاب فى الأدب سماه كتاب ليس ، وهو يدل على اطلاع عظيم فأن مبنى الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس من كلام العرب كذا وليس كذا وخالويه بفتح الخاء الموحدة وبعد الالف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء .

وترجم له أيضاً فى كتاب طبقات المفسرين صفحة ٦٤

وَلَهُ مع أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي مُنَاظَرَاتٌ . وَدَخَلَ يَوْماً عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : اُقْعُدْ وَلَمْ يَقُلِ اجْلِسْ . قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : فَعَلِمْتُ بِذَلِكَ اعْتِلَاقَهُ (١) بِأَهْدَابِ الْأَدَبِ ، وَاطِّلَاعَهُ عَلَى أَسْرَارِ كَلَامِ الْعَرَبِ . « قُلْتُ قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ هَذَا ، « لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلْقَائِمِ اقْعُدْ ، وَلِلنَّائِمِ وَالسَّاجِدِ اجْلِسْ » .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ : كَانَ ابْنُ خَالَوَيْهِ عَالِماً بِالْعَرَبِيَّةِ ، حَافِظاً لِلُّغَةِ ، بَصِيراً بِالْقِرَاءَةِ ثِقَةً مَشْهُوراً ، رَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ غَلْبُونَ ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَغَيْرُهُمَا . وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى ابْنِ خَالَوَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا أُقِيمُ بِهِ لِسَانِي ، فَقَالَ : أَنَا مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَتَعَلَّمُ النَّحْوَ فَمَا تَعَلَّمْتُ مَا أُقِيمُ بِهِ لِسَانِي .

وَذَكَرَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي أَمَالِيهِ : أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ

---

(١) أي تعلقه

سَأَلَ جَمَاعَةً مِن الْعُلَمَاء بِحَضْرَتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ : هَلْ تَعْرِفُونَ اسْمًا مَمْدُودًا وَجَمْعُهُ مَقْصُورٌ ؟ فَقَالُوا : لَا ، فَقَالَ لِي : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا أَعْرِفُ اسْمَيْنِ ، قَالَ : مَا هُمَا ؟ قُلْتُ : لَا أَقُولُ لَكَ إِلَّا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ لِئَلَّا تُؤْخَذَ بِلَا شُكْرٍ ، وَهُمَا صَحْرَاءُ وَصَحَارَى ، وَعَذْرَاءُ وَعَذَارَى . وَقَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ يَقُولُ : اللَّئِيمُ الرَّاضِعُ (١) الَّذِي يَتَخَلَّلُ وَيَأْكُلُ خِلَالَتَهُ .

وَقَالَ : حَدَّثَنَا نِفْطَوَيْهِ عَنْ أَبِي الْجَهْمِ عَنِ الْفَرَّاء أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : قَضَتْ عَلَيْنَا السُّلْطَانُ . قُلْتُ : السُّلْطَانُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالتَّذْكِيرُ أَعْلَى ، وَمَنْ أَنَّثَهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْحُجَّةِ ، وَحُكِيَ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَكَلْتُمْ فَرَازِمُوا » أَيِ افْصِلُوا بَيْنَ اللُّقْمَةِ وَالطَّعَامِ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى .

---

(١) اللئيم الراضع : الذى رضع اللؤم من ثدى أمه يريد بهذا الوصف أنه مؤسس فى اللؤم ومن يأكل الخلالة من بين أسنانه فقوله الذى يتخلل خبر لقوله اللئيم ، والراضع صفة مؤكدة . « عبد الخالق »

وَحَكَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ وَهُوَ مِنْ تَلَامِذَتِهِ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ عِطْرٍ مَائِعٍ فَهُوَ الْمَلَابُ، وَكُلُّ عِطْرٍ يَابِسٍ فَهُوَ الْكِبَاءُ، وَكُلُّ عِطْرٍ يُدَقُّ فَهُوَ الْأَلَنْجُوجُ. وَلِابْنِ خَالَوَيْهِ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ ذَكَرَ لَهُ فِيهِ خَمْسَمِائَةِ اسْمٍ، وَإِعْرَابُ ثَلَاثِينَ سُورَةً، وَالْبَدِيعُ فِي الْقِرَاءَاتِ، وَكِتَابُ اشْتِقَاقِ خَالَوَيْهِ، وَكِتَابُ «لَيْسَ» وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ، وَكِتَابُ الِاشْتِقَاقِ، وَكِتَابُ الْجُمَلِ فِي النَّحْوِ، وَكِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ، وَكِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَشَرْحُ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَكِتَابُ الْأَلِفَاتِ، وَكِتَابُ الْآلِ، ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ أَنَّ الْآلَ يَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا، وَذَكَرَ فِيهِ الْأَئِمَّةَ الِاثْنَيْ عَشَرَ وَمَوَالِيدَهُمْ وَوَفَيَاتِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ. مَاتَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي حَلَبَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

أَلْجُودُ طَبْعِي وَلَيْسَ لِي مَالٌ
فَكَيْفَ يَبْذُلُ مَنْ بِالْقَرْضِ يَحْتَالُ؟

فَهَاكَ حَظِّى نُخَذْهُ الْيَوْمَ تَذْكِرَةً
إِلَى اتِّسَاعِي فَلِي فِي الْغَيْبِ آمَالُ

وَقَالَ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرُ الْمَجَالِسِ سَيِّدًا
فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ صَدَّرَتْهُ الْمَجَالِسُ
وَكَمْ قَائِلٍ مَالِي رَأَيْتُكَ رَاجِلًا
فَقُلْتُ لَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَارِسُ

وَقَالَ :

أَيَا سَائِلِي عَنْ قَدِّ مَحْبُوبِيَ الَّذِى
كَلِفْتُ بِهِ وَجْدًا وَهِمْتُ غَرَامَا
أَبَى قِصَرَ الْأَغْصَانِ ثُمَّ رَأَى الْقَنَا
طِوَالًا فَأَضْحَى بَيْنَ ذَاكَ قَوَامَا[1]

---

(١) أى وسطاً

﴿ ٢٢ – الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ * ﴾

الحسين بن أحمد الكاتب

ابْنِ جعفرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَجَّاجِ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ أَبُو عَبْدِ اللهِ شاعِرٌ مُفْلِقٌ (١) قَالُوا إِنَّهُ فِي دَرَجَةِ

---

(١) أفلق الشاعر : أتى بالعجيب

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان جزء أول صفحة ١٥٥ قال :

تولى حسبة بغداد ، وأقام بها مدة ويقال : إنه عزل بأبى سعيد الاصطخرى الفقيه الشافعى ، وله فى عزله أبيات مشهورة لاحاجة إلى إثباتها هنا ويقال : إنه فى الشعر فى درجة امرىء القيس ، وإنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة . ومن جيد شعره هذه الأبيات :

يا صاحبي استيقظا من رقدة ... تزرى على عقل اللبيب الاكيس
هذى المجرة والنجوم كأنها ... نهر تدفق فى حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها ... فعلام شرب الراح غير مغلس
قوما اسقيانى قهوة رومية ... من عهد قيصر دنها لم يمسس
صرفا تضيف إذا تسلط حكمها ... موت العقول إلى حياة الانفس

ومن شعره أيضا

قال قوم لزمت حضرة أحمد ... وتجنبت سائر الرؤساء
قلت ما قال له الذى أحرز الم ... ى قديما قبلى من الشعراء
يسقط الطير حيث يلتقط الـ ... حب ويغشى منازل الكرماء

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد وقد ضمنه شعره ، وتوفى بالنيل وحمل إلى بغداد — رحمه الله تعالى — .

والنيل بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهى بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والاصل فيه نهر حفره الحجاج ابن يوسف فى هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر وعليه قرى كثيرة .

وترجم له أيضا فى كتاب روضات الجنات صفحة ٢٤٠

امْرِىءِ القَيْسِ ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مِثْلُهُمَا وَإِنْ كَانَ جُلُّ شِعْرِهِ مُجُونٌ[1] وَسُخْفٌ ، وقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْأَدَبِ عَلَى أَنَّهُ مُخْتَرِعُ طَرِيقَتِهِ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، وَلَمْ يَلْحَقْ شَأْوَهُ فِيهَا لَاحِقٌ ، قَدِيرٌ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنَ الْمَعَانِي الْغَايَةِ فِي الْمُجُونِ مَعَ عُذُوبَةِ الْأَلْفَاظِ وَسَلَاسَتِهَا ، وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ فِي الْجِدِّ أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ لَكِنَّهَا قَلِيلَةٌ ، وَيَدْخُلُ شِعْرُهُ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ أَكْثَرُهُ هَزْلٌ مَشُوبٌ بِأَلْفَاظِ الْمُكْدِينَ[2] وَالْخُلْدِيِّينَ[3] وَالشُّطَّارِ[4] وَلَكِنَّهُ يَسْمَعُهُ أَهْلُ الْأَدَبِ عَلَى عِلَّاتِهِ ، وَيَتَفَكَّهُونَ بِثَمَرَاتِهِ ، وَيَسْتَمْلِحُونَ بَنَاتِ صَدْرِهِ الْمُتَهَتِّكَاتِ ، وَلَا يَسْتَثْقِلُونَ حَرَكَاتِهِنَّ لِخِفَّتِهَا وَإِنْ بَلَغَتْ فِي الْخِفَّةِ غَايَةَ الْغَايَاتِ .

وَإِنِّي لَأَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ لَوْلَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَهْدِي : إِنَّ جِدَّ الْأَدَبِ جِدٌّ وَهَزْلَهُ هَزْلٌ ، لَصُنْتُ كِتَابِي هَذَا عَنْ مِثْلِ هَذَا الْمُجُونِ . وَحَدِيثٍ كُلُّهُ ذُو شُجُونٍ .

(١) المجون : ألا يبالى الأنسان ما صنع (٢) المكدى : السائل الملح
(٣) يعنى البغداديين (٤) الشطار جمع شاطر : وهو من أعيا أهله خبثا

وَلَقَدْ مَدَحَ الْمُلُوكَ وَالْأُمَرَاءَ وَالْوُزَرَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ ، فَلَمْ يَخْلُ شِعْرُهُ فِيهِمْ مَعَ هَيْبَةِ الْمَقَامِ مِنْ هَزْلٍ وَخَلَاعَةٍ . فَلَمْ يَعُدُّوهُ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الشَّنَاعَةِ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَقْبُولًا مَسْمُوعًا غَالِيَ الْمَهْرِ وَالسِّعْرِ ، وَكَانَ يَتَحَكَّمُ عَلَى الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ بِخَلَاعَتِهِ ، وَلَا يُحْجَبُ عَنِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ مَعَ سَخَافَتِهِ ، يَسْتَقْبِلُونَهُ بِالْبَشَاشَةِ وَالْإِكْرَامِ ، وَيُقَابِلُونَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ ، وَنَاهِيكَ [1] بِرَجُلٍ يَصِفُ نَفْسَهُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ :

رَجُلٌ يَدَّعِى النُّبُوَّةَ فِى السُّخْـ [2]
ـفِ وَمَنْ ذَا يَشُكُّ فِى الْأَنْبِيَاءِ

جَاءَ بِالْمُعْجِزَاتِ يَدْعُو إِلَيْهَا
فَأَجِيبُوا يَامَعْشَرَ السُّخَفَاءِ

حَدَثُ [3] السِّنِّ لَمْ يَزَلْ يَتَلَقَّى
عِلْمَهُ بِالْمَشَايِخِ الْكُبَرَاءِ

---

(١) ناهيك : كافيك (٢) السخف والسخف والسخفة : رقة العقل

(٣) رجل حدث : أى فتى ، وحدث السن : صغيره

خَاطِرٌ يَصْفَعُ الْفَرَزْدَقَ فِى الشِّعْ
رِ وَنَحْوٌ يَنِيكُ أُمَّ الْكِسَائِى
غَيْرَ أَنِّى أَصْبَحْتُ أَضْيَعَ فِى الْقَوْ
مِ مِنَ الْبَدْرِ فِى لَيَالِى الشِّتَاء

وَقَوْلُهُ فِى وَصْفِ شِعْرِهِ :

بِاللهِ يَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
تَعْرِفُ لِلنَّاسِ مِثْلَ شِعْرِى ؟
شِعْرٌ يَفِيضُ الْكَنِيفُ مِنْهُ
مِنْ جَانِبَىْ خَاطِرِى وَفِكْرِى
فَلَفْظُهُ مُنْتِنُ الْمَعَانِى
كَأَنَّهُ فَلْتَةٌ بِجُحْرِ
لَوْ جَدَّ شِعْرِى رَأَيْتَ فِيهِ
كَوَاكِبَ اللَّيْلِ كَيْفَ تَسْرِى ؟
وَإِنَّمَا هَزْلُهُ مُجُونٌ
يَمْشِى بِهِ فِى الْمَعَاشِ أَمْرِى

وَقَالَ :

فَإِنَّ شِعْرِى ظَرِيفٌ مِنْ بَابَةِ[1] الظُّرَفَاء
أَلَذُّ مَغْنًى وَأَشْهَى مِنَ اسْتِمَاعِ الْغِنَاء

وَقَالَ :

إِنْ عَابَ ثَعْلَبُ شِعْرِى أَوْ عَابَ خِفَّةَ رُوحِى
خَرِئْتُ فِى بَابِ أَفْعَلْـ ـتُ مِنْ كِتَابِ الْفَصِيحِ

وَقَالَ فِى الْأَمِيرِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ :

فَدَيْتُ وَجْهَ الْأَمِيرِ مِنْ قَمَرٍ
يَجْلُو الْقَذَى نُورُهُ عَنِ الْبَصَرِ
فَدَيْتُ مَنْ وَجْهُهُ يُشَكِّكُنِى
فِى أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ[2] الْبَشَرِ
إِنَّ زُلَيْخَا لَوْ أَبْصَرَتْكَ لَمَا
مِلْتَ إِلَى الْحَشْرِ لَذَّةَ النَّظَرِ
وَلَمْ تَقِسْ يُوسُفًا إِلَيْكَ كَمَا
نَجْمُ السُّهَى لَا يُقَاسُ بِالْقَمَرِ

(١) البابة : الغاية (٢) السلالة : النسل والولد

وكانَ يا سيِّدِي قَمِيصُكَ إنْ
هرَبْتَ مِنْهَا يَنْقَدُّ(١) مِنْ دُبُرِ
بَلْ وَحياتِي لَوْ كُنتَ يوسُفَهَا
لَمْ تَكُ مِنْ تُهْمَةِ الْعزِيزِ بَرِي
لِأنَّنِي عَالِمٌ بِأنَّكَ لَوْ
شَممْتَ رَيَّا(٢) نَسِيمِهَا الْعطِرِ
سَبَقْتَهَا وَانْزَلَقْتَ تَتْبَعُهَا
مَا بَيْنَ تِلْكَ الْبُيُوتِ وَالْحُجَرِ
وَقدْ عَلِمْنَا بِأنَّ سيِّدَنَا الْـ
أمِيرَ مِمَّنْ يَقُولُ بِالْبَظَرِ(٣)
وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ تَشْتَكِي أبَداً
مَا كَانَ مِنْ يُوسُفٍ مِنَ الْحَذَرِ
طَبْعُكَ كَالْمَاءِ فِي سُهُولَتِهِ
لَكِنْ أَبُو الزِّبْرِقَانِ مِنْ حَجَرِ

(١) ينقد : ينشق يشير إلى قوله تعالى : « وإن كان قميصه قد من دبر الخ »
(٢) الريا : الريح الطيبة (٣) أى طول البظر ، وهو هنة فى طرف الفرج

إِنَّ الْمُلُوكَ الشَّبَابَ مَا خُلِقُوا
إِلَّا صِلَابَ الْفِيَاشِ وَالْكَمَرِ

وَقَالَ يَشْكُو سُوءَ حَالِهِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ :

فِدَاؤُكَ نَفْسُ عَبْدٍ أَنْتَ مَوْلًى
لَهُ يَرْجُوكَ يَاخَيْرَ الْمَوَالِي
حَدِيثِي مُنْذُ عَهْدِكَ بِي طَوِيلٌ
فَهَلْ لَكَ فِي الْأَحَادِيثِ الطِّوَالِ ؟
فَإِنِّي بَيْنَ قَوْمٍ لَيْسَ فِيهِمْ
فَتًى يُنْهِي (١) إِلَى الْمَلِكِ اخْتِلَالِي
فَلَحْمِي لَيْسَ تَطْبُخُهُ قُدُورِي
وَحُوتِي لَيْسَ تَقْلِيهِ الْمَقَالِي
وَمَائِي قَدْ خَلَتْ مِنْهُ جِبَابِي (٢)
وَخُبْزِي قَدْ خَلَتْ مِنْهُ سِلَالِي

(١) ينهى : أنهى الرجل الخبر إلى فلان : أبلغه إياه . والامر إلى الحاكم : اعلمه به
(٢) جباب : مفردها الجب . البئر والهوة التى لايعرف قرارها

وَكِيسِي الْفَارِغُ الْمَطْرُوحُ خَافٍ
بَعِيدُ الْعَهْدِ بِالْقِطَعِ الْحَلَالِ
أُفَكِّرُ فِي مُقَامِي وَهْوَ صَعْبٌ
وَأَصْعَبُ مِنْهُ عَنْ وَطَنِي ارْتِحَالِي
فَبِي مَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ حَالِي الْـ
ـعَلِيلَةُ مِنْهُمَا تُمْسِي بِحَالِ
إِذَا عَالَجْتُ هٰذَا جَفَّ كَبِدِي
وَإِنْ عَالَجْتُ ذَاكَ رَبَا طِحَالِي

وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَيْضاً :

يَاسَيِّدَ النَّاسِ عِشْتَ فِي نِعَمٍ
تَأْوِي إِلَيْهَا مَوَابِذُ (١) الْعَجَمِ
بَدِيهَتِي فِي الْخِصَامِ حَاضِرَةٌ
أَشْهَرُ فِي الْخَافِقَيْنِ (٢) مِنْ عَلَمِ

---

(١) موابذ العجم : عظماؤها وسادتها المفرد موبذان (٢) الخافقان المشرق والمغرب .
وفي الاصل « الفيلقين » فأصلحت إلى الخافقين وهما المشرق والمغرب والعلم : الجبل

وَالْخطُّ خطِّى كَمَا تَرَاهُ وَلَا الزْ
زُهْرَةُ [١] بَيْنَ الْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ

هٰذَا وَخُبزِى حَافٍ بِلَا مَرَقٍ
فَكَيْفَ لَوْ ذُقْتُ لَذَّةَ الدَّسَمِ ؟

مَالِى وَلِلَّحمِ إِنَّ شَهْوَتَهُ
قَدْ تَرَكَتْنِى لَحْمًا عَلَى وَضَمِ [٢]

وَمَا لِحَلْقِى وَالْخُبْزُ يَجْرَحُهُ
بِالْمِلْحِ يَشْكُو مَرَارَةَ اللُّقَمِ

وَقَالَ فِى مِثْلِ ذٰلِكَ :

خَلِيلِى قَدْ اتَّسَعَتْ مِحْنَتِى
عَلَىَّ وَضَاقَتْ بِهَا حِيلَتِى

عَذَرْتُ عِذَارِىَ فِى شَيْبِهِ
وَمَا لُمْتُ إِذْ شَمِطَتْ [٣] لِمَّتِى

(١) يريد ولا الزهرة كمثله (٢) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم
(٣) شمط اللمة : اختلاط لون شعرها الاسود بالبياض

إِلَى كَمْ يُخَاسِسُنِي (١) دَائِماً
زَمَانِي الْمُقَبَّحُ فِي عِشْرَتِي
تَحَيَّفَنِي ظَالِماً غَاشِماً
وَكَدَّرَ بَعْدَ الصَّفَا عِيشَتِي
وَكُنْتُ تَمَاسَكْتُ فِيمَا مَضَى
فَقَدْ خَانَنِي الدَّهْرُ فِي مُسْكَتِي (٢)
إِلَى مَنْزِلٍ لَا يُوَارِي إِذَا
تَرَبَّعْتُ فِيهِ سِوَى سَوْءَتِي
مُقِيمًا أَرُوحُ إِلَى حُجْرَةٍ (٣)
كَقَبْرِي وَمَا حَضَرَتْ مَيْتَتِي
إِذَا مَا أَلَمَّ صَدِيقِي بِهِ
عَلَى رَغْبَةٍ مِنْهُ فِي زَوْرَتِي
فَرَشْتُ لَهُ فِيهِ بُسْطَ الْحَدِيـ
ـثِ مِنْ بَابِ بَيْتِي إِلَى صُفَّتِي (٤)

(١) أى يأتى بالخسة (٢) المسكة : ما يتبلغ به من الغذاء والشراب
(٣) وفى اليتيمة « إلى منزل » (٤) الصفة : البهو الذى يسلكه الانسان إلى داخل الدار

وَمِعْـدَتُهُ فِي خِلَالِ الْـكَلَا
م تَشْـكُو خَوَاهَا (١) إِلَى مِعْدَتِي
وَقَدْ فَتَّ فِي عَضُـدِي مَا بِهِ
وَلَـكِنْ بِهِ (٢) غَلَبَتْ عِلَّتِي
وَأَغْدُو غُدُوًّا خَلِيقًا (٣) بِأَنْ
يَزِيدَ بِهِ اللهُ فِي شِـقْوَتِي
فَأَيَّـةُ دَارٍ تَيَمَّمْتُهَـا
تَيَمَّمَ بَوَّابُهَـا حُجَّتِي (٤)
وَإِنْ أَنَا زَاحَمْتُ حَتَّى أَمُوتَ
دَخَلْتُ وَقَدْ زَهِقَتْ مُهْجَتِي
فَيَرْفَعُنِي النَّاسُ عِنْـدَ الْوُصُولِ
إِلَيْهِمْ وَقَـدْ سَقَطَتْ عِمَّتِي
وَإِنْ نَهَضُوا بَعْـدُ لِلْإِنْصِرَا
فِ أَسْرَعْتُ فِي إِثْرِهِمْ نَهْضَتِي

(١) الخوى : خلو الجوف من الطعام (٢) فى اليتيمة « عليه » (٣) فى الاصل مليا (٤) أى خصومتى

وَإِنْ قَدَّمُوا خَيْلَهُمْ لِلرُّكُوبِ
خَرَجْتُ فَقَدَّمْتُ لِي رُكْبَتِي

وَفِي جُمَلِ⁽¹⁾ النَّاسِ غِلْمَانُهُمْ
وَلَيْسَ سَوَائِي⁽²⁾ فِي جُمْلَتِي

وَلَا لِي غُلَامٌ فَأَدْعُو بِهِ
سِوَى مَنْ أَبُوهُ أَخُو عَمَّتِي⁽³⁾

وَكُنْتُ مَلِيحاً أَرُوقُ الْعُيُو
نَ قَبْلَا فَقَدْ قَبُحَتْ خِلْقَتِي

وَقَوَّسَنِي الْهَمُّ حَتَّى انْطَوَيْتُ
فَصِرْتُ كَأَنِّي أَبُو جَدَّتِي

وَكَانَ الْمُزَيِّنُ فِيمَا مَضَى
تُكَسِّرُ أَمْشَاطَهُ طُرَّتِي⁽⁴⁾

وَكُنْتُ بِرَأْسٍ كَلَوْنِ الْغُدَافِ⁽⁵⁾
فَقَدْ صِرْتُ أَصْلَعَ مِنْ فَيْشَتِي

(١) جمل الناس : جماعتهم (٢) أى غيرى (٣) يريد نفسه فأن أباه أخو عمته (٤) الطرة : الناصية ، ومقدم الرأس (٥) الغداف : غراب كبير ، ويقال هو غراب الغيط يكون ضخم الجناحين . يريد شديد السواد

وَيَا رُبَّ بَيْضَاءَ رَوْدِ الشَّبَا[1]

بِ كَانَتْ تَحِنُّ إِلَى وَصْلَتِي

فَصَارَتْ تَصُدُّ إِذَا أَبْصَرَتْ

مَشِيبِي وَتَغْضَبُ مِنْ صَلْعَتِي[2]

عَلَى أَنَّنِي قُلْتُ يَوْماً لَهَا

وَقَدْ أَمْضَتِ الْعَزْمَ فِي هِجْرَتِي

دَعِي عَنْكِ مَا فَوْقَهُ عِمَّتِي

فَإِنَّ جَمَالِي وَرَا تِكَّتِي

هُنَالِكَ شَيْءٌ يَسُرُّ الْعُيُو

نَ طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَلَى دِقَّتِي

وَقَالَ :

وَيْحَكُمْ يَا كُهُولُ أَوْ يَا شُيُوخَ الْ

فِسْقِ أَوْ يَا مَعَاشِرَ الْفِتْيَانِ

(١) رود الشباب : لينته (٢) الصلعة : انحسار الشعر عن مقدم الرأس

إِشْرَبُوهَا حَمْرَاءَ مِمَّا اقْتَنَنَّاهَا
آلُ دَيْرِ الْعَاقُولِ (١) لِلْقُرْبَانِ

بِكُؤُوسٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ النَّسْـ
ـرِينِ فِيهَا شَقَائِقُ النُّعْمَانِ

إِشْرَبُوهَا وَكُلُّ إِثْمٍ عَلَيْكُمْ
إِنْ شَرِبْتُمْ بِالرَّطْلِ فِي مِيزَانِي (٢)

فِي لَيَالٍ لَوْ أَنَّهَا دَفَعَتْنِي
وَسْطَ ظَهْرِي وَقَعْتُ فِي رَمَضَانِ

وَقَالَ يَسْتَهْدِي أَبَا تَغْلِبَ بْنَ حَمْدَانَ فَرَساً :

إِسْمَعِ الْمَدْحَ الَّذِي لَوْ قِيلَ فِي
أَحَدٍ غَيْرِكَ قَالُوا سُرِقَا

جَاءَ يَسْتَهْدِيكَ مُهْراً أَدْهَمَا
يَرْكَبُ الْفَارِسُ مِنْهُ غَسَقَا (٣)

---

(١) وكانت فى الأصل آل دير القانون ، والعاقول : دير بين مدائن كسرى والنعمانية على بعد خمسة عشر فرسخاً من بغداد ، وقال الشاعر :

فيك دير العاقول ضيعت أيا ... مي بلهو وحث شرب وظرف

إلى آخر ما جاء من الشعر فى معجم البلدان لياقوت (٢) فى الاصل ميزان ولكن بإضافتها إلى ياء المتكلم يصح المعنى ويستقيم (٣) الغسق : الظلام . يريد كأنه يركب ظلاماً . ومنه من فيه للتجريد وهو أحد أنواع البديع « عبد الخالق »

كَالدُّجَى تُبْصِرُ مِنْ غُرَّتِهِ
فَوْقَ أَطْبَاقِ دُجَاهُ فَلَقَا (١)

جَلَّ أَنْ يُلْحَقَ مَطْلُوبًا وَمَنْ
طَلَبَ الرِّيحَ عَلَيْهِ لَحِقَا

فَتَرَاهُ وَاقِفًا فِي سَرْجِهِ
يَتَلَظَّى مِنْ ذَكَاهُ قَلِقَا

فَإِذَا طَابَ بِهِ الْمَشْيُ مَضَى
وَهْوَ كَالرِّيحِ يَشُقُّ الطُّرُقَا

كَالسَّحَابِ الْجَوْنِ (٢) إِلَّا أَنَّهُ
لَيْسَ يَسْقِي الْأَرْضَ إِلَّا عَرَقَا

جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ يَعْدُو الْمَرَطَى (٣)
فِي مَدَى السَّبْقِ وَيَمْشِي الْعَنَقَا (٤)

---

(١) الفلق: الصبح (٢) الجون: الأبيض والأسود ضد. والاسود المراد هنا

(٣) المرطى: ضرب من العدو (٤) العنق: ضرب من السير ومنه:

يا ناق سيرى عنقاً فسيحاً إلى سليمان فنستريحا

« عبد الخالق »

وَاُسْتَدْعَاهُ الْوَزِيرُ لِلْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الْقِتَالِ فَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

يَا سَائِلِي عَنْ بُكَاى حِينَ رَأَى
دُمُوعَ عَيْنِي تُسَابِقُ الْمَطَرَا
سَاعَةَ قِيلَ الْوَزِيرُ مُنْحَدِرٌ
أَسْرَعَ دَمْعِي وَفَاضَ مُنْحَدِرَا
وَقُلْتُ يَا نَفْسُ تَصْبِرِينَ وَهَلْ
يَعِيشُ بَعْدَ الْفِرَاقِ مَنْ صَبَرَا ؟
شَاوَرْتُهُ وَالْهَوَى يُفَتِّنُهُ
وَالرَّأْيُ رَأْيُ الصَّوَابِ قَدْ حَضَرَا
أَهْوَى انْحِدَارِي وَالْحَزْمُ يَكْرَهُهُ
وَتَارِكُ الْحَزْمِ يَرْكَبُ الْغَرَرَا [1]
لِأَنَّنِي عَاقِلٌ وَيُعْجِبُنِي
لُزُومُ بَيْتِي وَأَكْرَهُ السَّفَرَا

(١) الغرر : التعرض للهلكة

الْخَيْشُ نِصفَ النَّهارِ يُعْجِبُنِى
وَالْمَاءُ بِالثَّلْجِ بَارِداً خَصِرَا (١)

وَالشُّرْبُ فِى رَوْشَنِى (٢) أَقُولُ بِهِ
كَيْمَا أَرَى الْمَاءَ مِنْهُ وَالْقَمَرَا

وَلَا أَقُودُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ بَلَى
أَسُوقُ بَيْنَ الْأَزِقَّةِ الْبَقَرَا

مِنْ كُلِّ جَامُوسَةٍ لِعُنْبُلِهَا (٣)
رَأْسٌ بِقَرْنَيْهِ يَفْلِقُ الْحَجَرَا

قَدْ نَفَخَ الشَّحْمُ جَوْفَهَا فَغَدَا
كَأَنَّهُ بَطْنُ نَاقَةٍ عُشَرَا (٤)

تَرْكُضُ مِثْلَ الْحِصَانِ نَافِرَةً
وَمَنْ يَرُدُّ الْحِصَانَ إِنْ نَفَرَا ؟

---

(١) الخيش لزوم البيت — والخصر : شدة البرودة . يقول يعجبنى لزوم البيت وشرب الماء المبرد بالثلج ، ولفظ الماء معطوف على الخيش (٢) الروشن : الكوة وهى الخرق الصغير وأقول به ، يريد لا أرى غيره رأياً (٣) العنبل : الغليظ منها (٤) الناقة العشراء : هي التى أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر وتجمع على عشار وعشراوات « عبد الخالق »

أَحْسَنُ فِي الْحَرْبِ مِنْ صفُوفِكُمُ
غداً قُعُودِى أُصَفِّفُ الطُّرَرَا

هَيْهَاتَ أَنْ أَحْضُرَ الْقِتَالَ وَأَنْ
تَرَى بِعَيْنَيْكَ فِيهِ لِي أَثَرَا

بَلِ الَّذِي لَا يَزَالُ يُعْجِبُنِي الدْ
دَبِيبُ بِاللَّيْـــلِ خَائِفاً حَذِرَا

الدُّفُّ عِنْدَ الصَّبَاحِ دَبْدَبَتِي (١)
وَبُوقِ النَّايُ كُلَّمَا زَمَرَا

هذَا اعْتِقَادِي وَهَكَذَا أَبَداً
أَرَى لِنَفْسِي وَأَنْتَ كَيْفَ تَرَى؟ (٢)

وَمِنْ مُقَطَّعَاتِهِ :

مَلِكٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُلْكِهِ
غَيْرُ دَارٍ وُشِّحَتْ بِالنِّعَـــمِ

(١) الدبدبة : كل صوت كوقع الحافر على الارض، يريد أن دفه دبدبته

(٢) ومن اللطائف التى جاءت فى سيرة أبى دلامة وهو من أضراب الحسين ما روى فى معاهد التنصيص أن أبا دلامة جىء به إلى المنصور سكران فحلف ليخرجنه فى بعث حرب مع روح بن عدى بن حاتم المهلى وخرج . —

لَوْ رَمَى شَدَّادُ فِيهَا طَرْفَهُ
زَهَّدَتْهُ بَعْدَهَا فِي إِرَمِ (١)

وَقَالَ :

صَنَعْتَ فِي دَارِكَ فَوَّارَةً
أَغْرَقْتَ فِي الْأَرْضِ بِهَا الْأَنْجُمَا

— فلما التقى الجمعان قال لروح : لو أن فرسك تحتى وسلاحك فى يدى لرأيت منى أعظم الأثر فى القتال فنزل له عن فرسه وسلاحه ، ولما رأى أن ذلك فى يده وأن طمع روح فيه قطع قال له اسمع منى وأنشده :

إنى استجرتك أن أقدم فى الـ ـوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لمن يجىء ولا يرى إنى درأت الموت بالنشاب

فقال روح : دع عنك هذا ولا بد من النزول فلما جاء دوره فى البراز أمره بالخروج فقال :

إنى أعوذ بروح أن يقدمنى إلى القتال فتخزى بى بنو أسد
إن البراز إلى الاقران أعلمه مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أورثكم وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها لكنها خلقت فردا فلم أجد

فضحك منه روح وأعفاه

« عبد الخالق »

(١) يريد إرم ذات العماد وقد وصفت فى التواريخ بما لا يعقل فأن لبنها كما يقولون من ذهب وفضة إلى آخر ما ورد من ذلك فى التاريخ بناها شداد بن عاد وقد جاء ذكرها فى القرآن فى سورة الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها » فى حينها ولعلها فى العالم كالاهرام مثلا إلى غير ذلك من أساطير المؤرخين وكم لهم من أساطير وقد تكلم عنها ابن خلدون فى المقدمة بما يشفى النفس فراجعه إن شئت .

« عبد الخالق »

فَاضَ عَلَى نَجْمِ السُّهى مَاؤُهَا

فَأَصْبَحَتْ أَرْضُكَ تَسقِي السَّمَا

وَقَالَ :

وَاسْتَوْفِ عُمْرَ الدَّهْرِ فِي نِعْمَةٍ

دُونَ مَدَاهَا مَوْقِفُ الْحَشْرِ

مُصِيبَةُ الْحَاسِدِ فِي مُكْثِهَا

مُصِيبَةُ الْخَنْسَاءِ فِي صَخْرِ

وَقَالَ :

هَـذَا حَدِيثِي تَنْمِي عَجَائِبُهُ

بِكَثْرَةِ الْقَالِ فِيهِ وَالْقِيلِ

أَعْجَزَنِي دَفْنُهُ فَشَاعَ كَمَا

أَعْجَزَ قَابِيلَ دَفْنُ هَابِيلِ

وَقَالَ :

قَدْ وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى غَلَّتِي

وَاقْتَسَمُوهَا كَارَةً كَارَةً(١)

(١) كارة كارة : الكارة مقدار معلوم ، يريد بيدرا بيدرا وهو ما تجمع فيه الغلال المسمى جرنا

لَا يُفْلِسُ الْبَقَّالُ إِلَّا إِذَا
تَصَالَحَ السِّنَّوْرُ وَالْفَارَهْ

وَقَالَ :

عَجِبْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَأَىُّ شَيْءٍ
عَجِيبٍ لَا أَرَاهُ مِنَ الزَّمَانِ
يُصَادِرُ قُوتَ جُرْذَانٍ عِجَافٍ
فَيَجْعَلُهُ لِأَوْعَالٍ سِمَانِ(١)

وَقَالَ :

يَا رَائِحًا فِي دَارِهِ غَادِيًا(٢)
بِغَيْرِ مَعْنًى وَبِلَا فَائِدَهْ
قَدْ جُنَّ أَضْيَافُكَ مِنْ جُوعِهِمْ
فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَهْ

---

(١) جرذان : فئران جمع جرذ ، وأوعال : تيوس الجبل ، جمع وعل .

(٢) ذاهبا جائيا

وَقَالَ :

فَدَيْتُ مَنْ لَقَّبَنِي مِثْلَ مَا
لَقَّبْتُهُ وَالْحَقُّ لَا يُغْضِبُ
إِنْ قُلْتُ يَا عُرْقُوبُ[(١)] خَادَعْتَنِي
يَقُولُ لُمْ نَفْسَكَ يَا أَشْعَبُ

وَقَالَ :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا غَدَا مَدْحِي فَمَا شَكَرُوا
وَرَاحَ ذَمِّي فَمَا بَالُوا وَلَا شَعَرُوا[(٢)]
عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا
وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمِ الْبَقَرُ

وَقَالَ :

الصُّبْحُ مِثْلُ الْبَصِيرِ نُوراً
وَاللَّيْلُ فِي صُورَةِ الضَّرِيرِ

---

(١) عرقوب مضرب المثل فى الكذب قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل

وأشعب يضرب به المثل فى الطمع . هم الصبية يوما بالعبث به فقال لهم : إن فى خطة كذا عرسا فيه من الطعام ما فيه ، فبادر الصبيان إليه فحدثته نفسه أنه ربما كان قوله صحيحا فتبع الصبيان . « عبد الخالق »

(٢) شعر بالشىء بالفتح : فطن له

فَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ رَأْيٍ
يُخْتَارُ أَعْمَى عَلَى بَصِيرِ ؟

وَقَالَ :

إِنَّ بَنِي بَرْمَكَ لَوْ شَاهَدُوا
فِعْلَكَ بِالْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ
مَا اُعْتَرَفَ الْفَضْلُ بِيَحْيَى أَبًا
وَلَا انْتَمَى يَحْيَى إِلَى خَالِدِ

وَقَالَ :

مَوْلَايَ يَا مَنْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى
نَظِيرِهِ فِي الْحُسْنِ مَوْجُودُ
إِنْ كُنْتُ أَذْنَبْتُ بِجَهْلِي فَقَدْ
أَذْنَبَ وَاُسْتَغْفَرَ دَاوُدُ

وَلَطَائِفُ ابْنِ الْحَجَّاجِ كَثِيرَةٌ ، وَفِيمَا أَوْرَدْنَاهُ مِنْهَا كِفَايَةٌ . تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ سَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي بَغْدَادَ عِنْدَ مَشْهَدِ

مُوسَى الْكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — ، وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَيُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ: « وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ » وَكَانَ مِنْ كِبَارِ شُعَرَاءِ الشِّيعَةِ وَقَدْ رَآهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا حَالُكَ فَأَنْشَدَ :

أَفْسَدَ سُوءُ مَذْهَبِي
فِي الشِّعْرِ حُسْنَ مَذْهَبِي
لَمْ يَرْضَ مَوْلَايَ عَلَى
سَبِّي لِأَصْحَابِ النَّبِي

وَرَثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمُوسَوِيُّ بِقَصِيدَةٍ ارْتَجَلَهَا حِينَ أَتَاهُ نَعْيُهُ فَقَالَ :

نَعَوْهُ عَلَى ضَنِّ قَلْبِي بِهِ
فَلِلَّهِ مَاذَا نَعَى النَّاعِيَانِ
رَضِيعُ صَفَاءٍ لَهُ شُعْبَةٌ
مِنَ الْقَلْبِ مِثْلُ رَضِيعِ اللِّبَانِ

بَكَيْتُكَ لِلشُّرَّدِ السَّائِرَا
تِ تَعْبَثُ أَلْفَاظُهَا بِالْمَعَانِي
مَوَاسِمُ يَنْهَلُّ مِنْهَا الْحَيَا
بِأَشْهَرَ مِنْ مَطْلَعِ الزِّبْرِقَانِ (١)
جَوَائِفُ (٢) تَبْقَى أَخَادِيدُهَا (٣)
عِمَاقًا وَتَعْفُو نُدُوبُ (٤) الطِّعَانِ
تَبِضُّ إِلَى الْيَوْمِ آثَارُهَا
بِأَحْمَرَ مِنْ عَائِدِ الطَّعْنِ قَانِي (٥)
قَعَاقِعُهُنَّ (٦) تَشُنُّ الْحُتُوفَ
إِذَا هُنَّ أَوْعَدْنَ لَا بِالشِّنَانِ (٧)
وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَنُونَ
تَفُلُّ مَضَارِبَ ذَاكَ اللِّسَانِ

---

(١) الزبرقان : القمر (٢) الجائف : البالغ الجوف . يصف قصائده بأن آثارها أشد وأبقى من ندوب الطعان (٣) أخاديد جمع أخدود : كالحفرة (٤) ندوب جمع ندبة : أثر الجرح (٥) القانى : الشديد الحمرة (٦) جمع قعقعة : صوت السلاح (٧) الشنان : جمع شن : جلد يابس يضرب عليه للتخويف ويجوز أن يكون أصلها السنان بالسين المهملة

لِسَانٌ هُوَ الْأَزْرَقُ الْقَعْضَبِيُّ (١)

تَغَضْمَضَ فِي رِيقِهِ الْأُفْعُوَانِي (٢)

لَهُ شَفَتَا مِبْرَدِ الْهَالِكِيِّ (٣)

أَنْحَى بِجَانِبِهِ غَيْرَ وَانِي

إِذَا لَزَّ (٤) بِالْعَرْضِ مِبْرَاتَهُ

تَصَدَّعَ صَدْعَ الرِّدَاءِ الْيَمَانِي

يَرَى الْمَوْتُ أَنْ قَدْ طَوَى مُضْغَةً

وَلَمْ يَطْوِ إِلَّا غِرَارَ (٥) السِّنَانِ

فَأَيْنَ تَسَرُّعُهُ لِلنِّضَالِ

وَهَبَّاتُهُ لِلطِّوَالِ اللِّدَانِ (٦)

يَشُلُّ الْجَوَانِحَ شَلَّ السِّيَاطِ

وَيَلْوِي الْجَوَانِحَ لَيَّ الْعِنَانِ

---

(١) القعضبي نسبة إلى قعضب : وهو رجل كان يصنع السنان (٢) الأفعوانى منسوب إلى الافعوان : وهو الثعبان فهو صفة لريق « عبد الخالق »

(٣) الهالكى : الحداد أو الصيقل لان أول من عمل الحديد الهالك بن أسد فهذا سبب الاطلاق على الحداد والصيقل « عبد الخالق »

(٤) لز : ألصق ، والعرض : الجبل أو سفحه (٥) الغرار : حد السهم والسيف والرمح (٦) أى الرماح . واللدان جمع لدن

فَإِنْ شَاءَ كَانَ حِرَانَ الْجِمَاحِ
وَإِنْ شَاءَ كَانَ جِمَاحَ الْحِرَانِ
يَهَابُ الشُّجَاعُ غَذَامِيرَهُ[1]
عَلَى الْبُعْدِ مِنْهُ مَهَابَ الْجَبَانِ
وَتَعْنُو الْمُلُوكُ لَهُ خِيفَةً
إِذَا رَاعَ قَبْلَ اللَّظَى بِالدُّخَانِ
وَكَمْ صَاحِبٍ كَمَنَاطِ الْفُؤَادِ
عَنَانِي مِنْ يَوْمِهِ مَا عَنَانِي
قَدِ انْتَزَعَتْ مِنْ يَدَيَّ الْمَنُونُ
وَلَمْ يُغْنِ ضَمِّي عَلَيْهِ بَنَانِي
فَزَالَ زِيَالَ الشَّبَابِ الرَّطِيبِ
وَخَانَكَ يَوْمَ لِقَاءِ الْغَوَانِي
لِيَبْكِ الزَّمَانُ طَوِيلاً عَلَيْكَ
فَقَدْ كُنْتَ خِفَّةَ رُوحِ الزَّمَانِ

(١) أى صياحه وغضبه ، جمع غذمرة

﴿ ٢٣ – الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ وَاسَانَ * ﴾

الحسين بن الحسن الواسانى

ابْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْقَاسِمِ الْوَاسَانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ بَرَعَ وَبَرَزَ(١) فِي الْهِجَاءِ ، وَلَهُ فِيهِ نَفَسٌ طَوِيلٌ ، فَهُوَ فِي عَصْرِهِ كَابْنِ الرُّومِيِّ فِي زَمَانِهِ ، وَلَهُ أَهَاجٍ كَثِيرَةٌ فِي ابْنِ الْقَزَّازِ لِعَدَاوَةٍ تَأَصَّلَتْ بَيْنَهُمَا ، وَكَانَ هِجَاؤُهُ لَهُ سَبَبًا لِعَزْلِ الْوَاسَانِيِّ عَنْ عَمَلِهِ . وَمِنْ أَجْوَدِ شِعْرِهِ قَصِيدَتُهُ النُّونِيَّةُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا دَعْوَةً عَمِلَهَا فِي حَمْرَايَا مِنْ قُرَى دِمَشْقَ قَالَ :

مَنْ لِعَيْنٍ تَجُودُ بِالْهَمَلَانِ
وَلِقَلْبٍ مُدَلَّهٍ حَيْرَانِ ؟
يَا خَلِيلَيَّ أَقْصِرَا عَنْ مَلَامِي
وَارْثِيَا لِي مِنْ نَكْبَتِي وَارْحَمَانِي

(١) برز : فاق غيره

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

وَمَتَى مَا ذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَبْنَا
ءِ الْبَغَايَا وَالْعَاهِرَاتِ الزَّوَانِي
فَانْتِفَا لِحْيَتِي وَجَزَّا سِبَالِي[1]
وَبِنَعْلِي الْكَنِيفِ فَاسْتَقْبِلَانِي
مَا الَّذِي سَاقَنِي لِحَيْنِي[2] إِلَى حَتْـ
ـفِي وَمَا غَالَنِي وَمَاذَا دَهَانِي ؟
مَنْ عَذِيرِي مِنْ دَعْوَةٍ أَوْهَنَتْ عَظْـ
ـمِي وَهَدَّتْ بِوَقْعِهَا أَرْكَانِي ؟
كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ وَمُسْتَمَعٍ مِنْـ
ـهَا وَمَنْ ذَا يَنْجُو مِنَ الْحَدَثَانِ[3] ؟
فَتَرَتْ فِطْنَتِي وَهِجْتُ عَلَى نَفْـ
ـسِي بَلَاءً مَا كَانَ فِي حِسْبَانِي
كَانَ عَيْشِي صَافٍ[4] فَكَدَّرَهُ أَهْـ
ـلُ صَفَائِي بَنُو أَبِي صَفْوَانِ

(١) سبالى : ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين
(٢) الحين : الهلاك (٣) الحدثان : نوائب الدهر (٤) صاف اسم كان وعيش خبرها ، ولا غرابة فى كون الاسم نكرة والخبر معرفة ، لأنه جائز فى النواسخ خاصة . وبنو بدل من أهل. « عبد الخالق »

فَارْثُوا لِى مَعَاشِرَ النَّاسِ مِنْ ضُـ
رٍّ وَمِنْ طُولِ مِحْنَتِى وَامْتِحَانِى
ضُرِبَ الْبُوقُ فِى دِمَشْقَ وَنَادَوْا
لِشَقَائِى فِى سَائِرِ الْبُلْدَانِ
النَّفِيرَ النَّفِيرَ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْـ
لِ إِلَى قَفْرِ ذَا الْفَتَى الْوَاسَانِى
جَمَعُوا لِى الْجُمُوعَ مِنْ جِيلِ جِيلَا
نَ وَفَرْغَانَةٍ وَمِنْ دَيْلَمَانِ
وَمِنَ الرُّومِ وَالصَّقَالِبِ وَالتُّرْ
كِ وَبَعْضِ الْبُلْغَارِ وَالْيُونَانِ
وَمِنَ الْهِنْدِ وَالْأَعَاجِمِ وَالْبَرْ
بَرِ وَالْكَيْلَجُوجِ (١) وَالْبَلْقَانِ
لَمْ يُحَاشُوا مِمَّنْ عَدَدْتُ مِنَ الْآ
فَاقِ مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا نَصْرَانِى

(١) الكيلجوج : أهل العراق

وَالْبَوَادِي مِنَ الْحِجَازِ إِلَى نَجْـ
ـدٍ مَعَدِّيّهَا مَعَ الْقَحْطَانِي
كُلُّ شَكْلٍ مَا بَيْنَ حُدْبٍ وَحُولٍ
وَأَصَمٍّ وَالْعُمْيِ وَالْعُورَانِ
وَشُيُوخٍ قُبٍّ (١) الْبُطُونِ وَشُبَّا
نٍ رِحَابِ الْأَشْدَاقِ وَالْمُصْرَانِ (٢)
كُلُّ ذِي مِعْدَةٍ تُقَعْقِعُ جُوعاً
وَهُوَ شَاكِي السِّلَاحِ (٣) بِالْأَسْنَانِ
كُلُّ ذِي اسْمٍ مُسْتَغْرَبٍ أَعْجَمِيٍّ
مَنَعَتْ صَرْفَ إِسْمِهِ عِلَّتَانِ
كَمَرَنْدٍ وَطُغْتُكِينَ وَطَرْخَا
نَ وَكِسْرَى وَخُرَّمٍ وَطَغَانِ
وَخُمَارٍ (٤) وَزَيْرَكٍ وَخُوَنْدٍ
وَتَمِيشٍ وَطَشْلَمٍ وَجُوَانِ

---

(١) قب البطون : ضامروها (٢) جمع مصير وهى المعى (٣) شاكى السلاح : تام السلاح (٤) يريد : خمار تكين

وَطِرَادٍ وَجَهْبَلٍ وَزِيَادٍ
وَشِهَابٍ وَعَامِرٍ وَسِنَانِ

عُمُرٌ (١) جُمِّعُوا بِغَيْرِ عُقُولٍ
وَازِعَاتٍ عَنِّى وَلَا أَذْيَانِ

هَلْ سَمِعْتُمْ بِمَعْشَرٍ جَمَعُوا الْخَيْـ
ـلَ وَسَارُوا بِالرَّجْلِ وَالْفُرْسَانِ

رَحَلُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ لَيْلَةَ الْمَرْ
فَعِ (٢) مِنْ أَجْلِ أَكْلَةٍ مَجَّانِ

شَرَهٌ بَارِدٌ وَحِرْصٌ عَلَى الْأَ
كْلِ فَوَيْلِي مِنْ مَعْشَرٍ مُجَّانِ

لَسْتُ أَنْسَى مُصِيبَتِي يَوْمَ جَاءُو
نِى وَقَدْ ضَاقَ عَنْهُمُ الْوَادِيَانِ

وَرَدُوا لَيْلَةَ الْخَمِيسِ عَلَيْنَا
فِى خَمِيسٍ (٣) مِلْءِ الرُّبَا وَالْمَغَانِى

(١) عُمر جمع عُمر : وهو سيء الرأى والتدبير (٢) المرفع : أيام معلومة تكون قبل الصوم عند النصارى والجمع مرافع (٣) خميس : جيش جرار

مُتَوَالٍ كَالسَّيْلِ لَا يَلْتَقِي مِنْـ
ـهُ لِفَرْطِ انْتِشَارِهِ الطَّرَفَانِ

أَشْرَفُوا بِي عَلَى زُرُوعٍ وَأَحْطَا
بٍ وَبَيْتٍ بِخَيْرِهِ مَلْآنِ

لَبَنٍ قَارِسٍ (١) وَخُبْزٍ طَرِيٍّ
وَقُدُورٍ تَغْلِي عَلَى الدَّارِكَانِ (٢)

وَشِوَاءٍ مِنَ الْجِرَاءِ وَمَغْلُو
فِ دَجَاجٍ وَفَائِقِ الْحُمْلَانِ

وَشَرَابٍ أَلَذَّ مِنْ زَوْرَةِ الْمَعْـ
ـشُوقِ بَعْدَ الصُّدُودِ وَالْهِجْرَانِ

يُخْجِلُ الْوَرْدَ فِي الرَّوَائِحِ وَالطَّعْـ
ـمِ وَيَحْكِي شَقَائِقَ النُّعْمَانِ

أَذْكَرَتْنِي جُيُوشُهُمْ يَوْمَ جَاءُو
نِي بِيَوْمِ الْكُلَابِ وَالرَّحْرَحَانِ (٣)

(١) قارس : بارد (٢) الداركان : نوع من الحطب

(٣) يومان من أيام الحرب عند العرب

يَقْدُمُ القَوْمَ أَرْحَبِيٌّ هَرِيتُ[١] الشْ

شِدْقِ رَحْبُ الْمِعَى طَوِيلُ اللِّسَانِ

هُوَ نَمْسُ الدَّجَاجِ وَالْبَطِّ وَالْوَزْ

زِ وَذِئْبُ النِّعَاجِ وَالْخِرْفَانِ

بِسَوَادٍ مِنْ عَظْمِهِ طَبَّقَ الْأَرْ

ضَ وَخَيْلٍ يَهْوِينَ كَالظُّلْمَانِ[٢]

وَأَبُو الْقَاسِمِ الْكَبِيرُ عَلَى طِرْ

فٍ كُمَيْتٍ أَقَبَّ كَالسِّرْحَانِ[٣]

وَأَخُوهُ الصَّغِيرُ يَعْتَرِضُ الْخَيْ

لَ عَلَى قَارِحٍ عَرِيضِ اللَّبَانِ[٤]

وَهُمَا يَهْوِيَانِ بِالسَّاقِ وَالرِّجْ

لِ إِلَى مَا يَسُوءُنِي مُسْرِعَانِ

وَالسَّرِيُّ الَّذِي سَرَى فِي جُيُوشٍ

أَضْعَفَتْنِي وَقَصَّرَتْ مِنْ عِنَانِي

(١) أرحب قبيلة من همدان ومنه النجائب الأرحبيات . هريت الشدق : واسعه

(٢) الظلمان جمع ظليم : وهو ذكر النعام (٣) السرحان : الذئب

(٤) اللبان من الفرس : ماجرى عليه اللبب من الصدر

بِفَمٍ وَاسِعٍ وَشِدْقٍ رَحِيبٍ
وَبِكَفٍّ تَجُولُ كَالصَّوْلَجَانِ
وَأَخُوهُ الفَضْلُ الَّذِى بَانَ لِلْعَا
لَمِ مِنْ فَضْلِهِ شِفَا النُّقْصَانِ
وَالشَّمُولِىُّ حَلْقُهُ حَلْقُ حَمَّا
لٍ عَرِيضِ الأَكْتَافِ عَبْلِ الجِرَانِ (١)
لَسْتُ أَنْسَاهُ جَاثِياً (٢) جَاحِظَ الْـ
ـعَيْنِ عَبُوساً فِى صُورَةِ الْغَضْبَانِ
كَالْعُقَابِ الْغَرْثَانِ (٣) يَقْتَنِصُ اللَّحْـ
ـمَ وَيَهْوِى إِلَى طُيُورِ الْخِوَانِ
وَالأَدِيبُ الَّذِى بِهِ كُنْتُ أَعْتَدْ
ـدُ غَزَانِى فِى الْحِينِ فِيمَنْ غَزَانِى
وَكَذَا الْكَاتِبُ الَّذِى كَانَ جَارِى
وَصَدِيقِى وَمُشْتَكَى أَحْزَانِى

---

(١) الجران : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره (٢) أى جالساً على ركبتيه أو على أطراف أصابعه (٣) الغرثان : الجائع

وَصَدِيقُ الْأَشْرَافِ أَخْنَى عَلَى خَمْـ

ـسِي وَأَفْنَى بِالْكَرْعِ مَافِى دِنَانِى

كُلَّمَا شَقَّقَ الْفَرَارِيجَ شَقَّقْـ

ـتُ لِغَيْظِى مِنْ فِعْلِهِ قُمْصَانِى

وَهُوَ فِى أَمْرِهِ مُجِرٌّ[1] رَخِىُّ الْبَـ

ـالِ لَمْ يَعْنِهِ الَّذِى قَدْ عَنَانِى

مُجْرَهِدٌّ[2] كَالسُّوسِ فِى الصُّوفِ فِى الصَّـ

ـيْفِ بِقَلْبٍ خَالٍ مِنَ الْإِيمَانِ

قُلْتُ قُلْ لِى يَابْنَ الْمُبَشِّرِ مَا شَأْ

نُكَ مِنْ بَيْنِ مَنْ غَزَانِى وَشَانِى؟

لَيْسَ هَذَا مِنْ شَهْوَةِ الْأَكْلِ هَذَا

مِنْ طَرِيقِ الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَآنِ

قُلْتُ لِلْفَيْلَسُوفِ لَمَّا غَدَا فِى الْـ

أَكْلِ أَعْنِى فَتَى أَبِى عَدْنَانِ

---

(١) من أجر البعير إذا فاضت الجرة على فه وابتلعها ثانيا أو من أجره رسنه تركه يفعل مايشاء (٢) مجرهد: مسرع فى سيره.

وَٱسْتَحِثَّ الْـكُؤُوسَ صِرْفًا بِلاَمَزْ
جٍ وَلَاءً[١] كَالْهَائِمِ الظَّمْآنِ

لَيْتَ شِعْرِى أَذَاكَ مِنْ طِبِّ بُقْرَا
طَ تَعَلَّمْتَهُ وَسَمْعِ الْـكِيَانِ؟[٢]

وَبِهَذَا تَزْدَادُ بِالْعَالَمِ الْجِسْـ
ـمِىِّ عِلْمًا وَالْعَالَمِ الرُّوحَانِى

ثُمَّ لَا تَنْسَ مَا لَقِيتُ وَمَا سِمْـ
ـتُ هَوَانًا[٣] مِنْ عَسْكَرِ الفَرْغَانِ

أَعْجَمِىُّ اللِّسَانِ أَفْصَحُ مِنْ قُـ
ـسٍّ إِذَا مَا ٱنْتَشَى وَمِنْ سَحْبَانِ

قَالَ: قُمْ فَأْتِنَا بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ
وَنَبِيـذٍ مُعَتَّقٍ فِى الدِّنَانِ

وَغُلَامٍ مُهَفْهَفٍ حَسَنِ الْوَجْـ
ـهِ يُحَاكِى جَمَالُهُ غُصْنَ بَانِ

---

(١) أى متتالية متوالية (٢) اسم كتاب لأرسطاطاليس

(٣) بياض بالأصل فجعلتها سمت هواناً بدل شمت من سام إذا بنيت للمجهول كسرت السين «عبد الخالق»

لَمْ تُوَكِّلْ فَرْغَانُ إِلَّا بِتَفْرِيـ

ـغِ دِنَانِي وَصَبِّهَا فِي الْقَنَانِي [١]

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ يَا قَوْ

مُ بَلَائِي بِذَلِكَ الطِّرْمِذَانِ [٢]

رَجُلٌ كَالْفَنِيقِ فَدْمٌ [٣] بِلَا لُبْـ

ـبٍ طَوِيلٌ فِي صُورَةِ الشَّيْطَانِ

بِقَفًا كَالْحَدِيدِ يَصْمُدُ لِلصَّفْـ

ـعِ وَرَأْسٍ أَصَمَّ كَالسِّنْدَانِ [٤]

وَاسِعُ الْخَلْقِ نَاقِصُ الْخُلْقِ وَالدِّيـ

ـنِ غَلِيظُ الْقَذَالِ كَالْفِلْتَانِ [٥]

يَبْلَعُ الْمُطْجَنَاتِ [٦] بَلْعًا بِلَا مَضْـ

ـغٍ وَيَحْثُو النَّبِيذَ كَالْعَطْشَانِ

---

(١) القنانى : جمع قنينة ، وهي إناء من زجاج للشراب (٢) الطرمذان : المفاخر النفاخ — طرمذ : على فلان صلف (٣) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، والفدم : الغبي القليل الفهم (٤) السندان : آلة الحداد التي يطرق عليها حديده (٥) القذال : جماع مؤخر الرأس . والفلتان من الخيل : السريع (٦) المطجنات : المقلوات و الطواجن

وَأَتَوْنِي بِزَامِرٍ زَمْرُهُ يَحْـ
ـكِي ضُرَاطَ الْعَبِيدِ وَالرُّعْيَانِ
وَمُغَنٍّ غِنَــــاؤُهُ يُجْشِيءُ النَّفْـ
ـسَ وَيَأْتِي بِالْقَيْءِ وَالْغَثَيَانِ
قَصَدَتْ هَـذِهِ الطَّوَائِفُ خَمْرًا
يَا اُبْتِـلَاءً وَنَـكْبَةً لِامْتِحَانِي
قُلْتُ مَا شَأْنُـكُمْ فَقَالُوا أَغِثْنَا
مَا طَعِمْنَا الطَّعَامَ مُنْذُ ثَمَانِ
وَأَنَاخُوا بِنَا فَيَالَكَ مِنْ يَوْ
مٍ عَصِيبٍ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
نَزَلُوا سَاحَتِي وَأُطْلِقَتِ الْخَيْـ
لُ بِزَرْعِ الْحُقُولِ وَالْبُسْتَانِ
أَفْقَرُونِي وَغَادَرُونِي بِلَا دَا
رٍ وَلَا ضَيْعَةٍ وَلَا صِيوَانِ

أَذْهَشُونِى وَحَيَّرُونِى وَقَدْ صِرْ
تُ ذهولًا أَهِيمُ كَالسَّكْرَانِ
أَسْمَعُ اللَّفْظَ كَالطَّنِينِ فَهُمْ أَلْ
ـفَاظُهُمْ مَا لَهَا لَدَىَّ مَعَـــانِى
تَرَكُونِى يَا قَوْمُ أَجْرَدَ مِنْ فَرْ
خٍ وَأَعْرَى ظَهْرًا مِنَ الْأُفْعُوَانِ
أَكَلُوا لِى مِنَ الْجَرَادِقِ (١) أَلْفَيْـ
ـنِ بِدِبْسٍ (٢) يَسِيلُ كَالْقَطِرَانِ
أَكَلُوا لِى مَا حَوْلَهَا ثُمَّ مَالُوا
كَذِئَابٍ إِلَى سَمِيدِ الْفِرَانِ
أَكَلُوا لِى مِنْ الْجِدَاءِ ثَلَاثِيـ
ـنَ وَسَبْعًا بِالْخَلِّ وَالزَّعْفَرَانِ
أَكَلُوا ضِعْفَهَـــا شِوَاءً وَضِعْفَيْـ
ـهَا طَبِيخًا مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

(١) الجرادق : الرغفان ، جمع جردق وهو الرغيف معرب كرده بالفارسية

(٢) الدبس : عسل يتخذ من العنب والتمر

أَكَلُوا لِى تَبَالَةً (١) تَبَلَتْ عَقْـ
لِى بِعَشْرٍ مِنَ الدَّجَاجِ سِمَانِ
أَكَلُوا لِى مَضِيرَةً (٢) ضَاعَفَتْ ضُرْ
رِى بِرُوسِ الْجِـدَاءِ وَالْحُمْلَانِ
أَكَلُوا لِى كِشْـكِيَّةً (٣) كَشْكَشَتْ قَلْـ
بِى وَهَاجَتْ بِفَقْـدِهَا أَشْجَانِى
أَكَلُوا لِى سَبْعِينَ حُوتًا مِنَ النَّهْـ
رِ طَرِيًّا مِنْ أَعْظَمِ الْحِيتَـانِ
أَكَلُوا لِى عِدْلًا مِنَ الْمَالِحِ الْمَقْـ
ـلُوِّ مُلْقًى فِى الْخَلِّ وَالْأَدْنَانِ
أَكَلُوا لِى مِنَ الْقَرِيشَاءِ (٤) وَالْبَرْ
نِىِّ وَالْمَعْقِلِىِّ (٥) وَالصَّرَفَانِ (٨)

(١) تبالة : طعام مصنوع بالتابل ، وهو ما يطيب به الغذاء من الأشياء اليابسة كالفلفل والكمون (٢) مضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير « الحامض » وبروس الخ : أى رءوس (٣) كشكية : طعاماً من الكشك : وهو ماء الشعير يعجن باللبن (٤) جبن يتميز من الحليب فتملح . والبرنى بفتح الباء تمر معرب برنيك (٥) فى ظنى أن المعقلى التمر المحتفظ به (٦) الصرفان : التمر الجاف

أَلْفَ عِدْلٍ سِوَى الْمُصَغَّرِ وَالْبُرْ
دِيِّ وَاللُّؤْلُؤِيِّ وَالصَّيْحَانِي
أَكَلُوا لِى مِنَ الْكَوَامِخِ وَالْجَوْ
زِ مَعًا وَالْخِلَاطِ وَالْأَجْبَانِ
وَمِنَ الْبَيْضِ وَالْمُخَلَّلِ مَا تَعْـ
ـجِزُ عَنْ جَمْعِهِ قُرَى حَوْرَانِ
فَتَّتُوا لِى مِنَ السَّفَرْجَلِ وَالتُّفْـ
ـفَاحِ وَالرَّازِقِيِّ وَالرُّمَّانِ
وَالرَّيَاحِينِ مَا رَهَنْتُ عَلَيْهِ
جُبَّتِي عِنْدَ أَحْمَدَ الْفَاكِهَانِي
أَذْبَلُوا لِى مِنَ الْبَنَفْسَجِ وَالنَّرْ
جِسِ مَا لَيْسَ مِثْلُهُ فِى الْجِنَانِ
ذَبَحُوا لِى بِالرَّغْمِ يَا مَعْشَرَ النَّا
سِ ثَمَانِينَ رَأْسَ مَعْزٍ وَضَانِ

مَا كَفَاهُمْ تَذْبِيحُهُمْ غَنَمَ القَرْ
يَةِ حَتَّى أَتَوْا عَلَى الثِّيرَانِ
أَكَلُوا كُلَّ مَا حَوَتْهُ يَمِينِى
وَشِمَالِى وَمَا حَوَى جِيرَانِى
ثُمَّ قَالُوا هَلُمَّ شَيْئًا فَنَادَيْ
تُ غُلَامِى قُمْ وَيْكَ فَاخْبَأْ حِصَانِى
لَمْ تَدَعْ لِى بُطُونُكُمْ يَابَنِى الْبُظْ
رِ سِوَاهُ وَذَا شُطُوبٍ (١) يَمَانِى
فَتَمَالُوا (٢) عَلَىَّ شَتْمًا وَلَعْنًا
وَاسْتَبَاحُوا عِرْضِى بِكُلِّ لِسَانِ
ثُمَّ جَاءَ الْمُعَقِّبُونَ (٣) مِنَ السَّا
سَةِ وَالشَّاكِرِىِّ وَالْعُبْدَانِ
فَرَأَيْتُ الصِّرَاعَ وَالدَّفْعَ وَاللَّطْ
مَ وَخَرْمَ الْأُنُوفِ وَالْآذَانِ

(١) يريد السيف (٢) أى تمالئوا واجتمعوا (٣) المعقبون جمع معقب يقصد من جاء بعدهم للأكل من أتباعهم

ثُمَّ لَمَّا أَتَوْا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
خَتَمُوا مِحْنَتِي بِكَسْرِ الْأَوَانِي
ثُمَّ قَامُوا مِثْلَ الْبُزَاةِ إِلَى الْعُصْـ
ـفُورِ وَالْعُصْفُرِيِّ وَالزُّنْبِطَانِ (١)
فَرَأَيْتُ الطُّيُورَ بَعْضاً عَلَى بَعْـ
ـضٍ وَبَعْضاً مُلْقًى عَلَى الْأَغْصَانِ
أَكَلُوا مَا ذَكَرْتُ ثُمَّ أَرَاقُوا
يَا صِحَابِي كُرًّا (٢) مِنَ الْأُشْنَانِ
وَمِنَ الْمَحْلَبِ الْمُطَيَّبِ بِالْبَا
نِ وَمَاءِ الْكَافُورِ سَبْعَ بَرَانِي
شَرِبُوا لِي عِشْرِينَ ظَرْفاً مِنَ الرَّا
حِ لَذِيذِ الْمَذَاقِ أَحْمَرَ قَانِي
فَأَقَامُوا سُوَّاسُهُمْ وَالْمُكَارُو (٣)
نَ إِلَى أَنْ سَمِعْتُ صَوْتَ الْأَذَانِ

(١) أنواع طيور (٢) الكر : ستة أحمال حمار ، وهو ستون قفيزاً أو أربعون إردبا . والاشنان : الحرض وهو جلاء منق (٣) المكارون : المستأجرون

يَجْمَعُونَ الْأَحْطَابَ مِنْ حَيْثُ وَافَوْ
هَا فَلِلظُّهْرِ ضَاعَ لِي غَيْضَتَانِ (١)

وَمِنْهَا :

قَطَعُوا اللَّوْزَ وَالسَّفَرْجَلَ أَحْطَا
بًا وَمَالُوا بِهَا عَلَى غِلْمَانِى
وَالنَّوَاطِيرَ (٢) مَدَّدُوا وَعَلَوْهُمْ
حَنَقًا بِالْعِصِيِّ وَالْقُضْبَانِ
طَالَبُونِي « بِالشَّيْءِ » فِي آخِرِ اللَّيْـ
ـلِ وَجَمْعِ النِّسَاءِ وَالْمُرْدَانِ
ثُمَّ فَأَسْرِعْ فَبَعْضُنَا يَطْلُبُ الْمُرْ
دَ وَبَعْضٌ مُسْتَهْتَرٌ بِالْغَوَانِي
فَتَوَهَّمْتُهُ مِزَاحًا يَجِدُّوا
قُلْتُ هَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ

(١) مثنى غيضة : وهي الاجمة ومجتمع الشجر فى مغيض ماء (٢) النواطير : جمع ناطور : حافظ الكرم والنخل

لَيْسَ يَبْقَى عَلَى أَرَامِلَ خُمْرَا
يَا سِوَى بَذْلِهِنَّ لِلضِّيفَانِ
لَوْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ فِي غَسَقِ اللَّيْـ
لِ بُكَاءَ النِّسْوَانِ وَالْوِلْدَانِ
يَتَنَـادَوْنَ بِالْعَوِيلِ وَبِالْوَيْـ
ـلِ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ وَالْجُدْرَانِ

وَمِنْهَا :

ثُمَّ رَاحُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى دَا
رِى فَلَمْ يَتْرُكُوا سِوَى الْحِيطَانِ
كَانَ لِي مِفْرَشٌ وَكُلُّ مَلِيحٍ
فَوْقَهُ مُطْرَحٌ مِنَ الْمَيْسَانِي(١)
وَبِسَاطٌ مِنَ أَحْسَنِ الْبُسْطِ مَذْخُو
رٌ لِعُرْسٍ أَوْ دَعْوَةٍ أَوْ خِتَانِ
غَرَّقُوهُ بِالْبَصْقِ وَالْقَيْءِ وَالْبَوْ
لِ فَأَضْحَى وَقَدْرُهُ بَعْرَتَانِ

(١) منسوب إلى الميسان . فى القاموس : كورة بين البصرة وواسط

أَوْقَدُوا زَيْتَنَا جُزَافًا بِلَا كَيْـ

ـلٍ يَكِيلُونَهُ وَلَا مِيزَانِ

خِلْتُ دَارِى يَا إِخْوَتِى الْمَسْجِدَ الْجَا

مِعَ لَيْلًا لِلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانِ

ثُمَّ لَمَّا انْتَهَتْ بِهِمْ شِدَّةُ الْكِظْ

ـظَةِ[1] خَرُّوا صَرْعَى إِلَى الْأَذْقَانِ

هَوَّمُوا سَاعَةً كَتَهْوِيمَةِ الْخَا

ئِفِ فِى غَيْرِ أَرْضِهِ الْفَزْعَانِ

ثُمَّ قَامُوا لَيْلًا وَقَدْ جَنَحَ النَّسْـ

ـرُ وَمَالَ السِّمَاكُ وَالْفَرْقَدَانِ[2]

يَصْرُخُونَ الصَّبُوحَ يَا صَاحِبَ الْبَيْـ

ـتِ فَأَبْكَوْا عَيْنِى وَرَاعُوا جَنَانِى

سَحَبُونِى مِنْ عُقْرِ[3] دَارِى عَلَى وَجْـ

ـهِى كَأَنِّى أُدْعَى إِلَى السُّلْطَانِ

(١) الكظة : البطنة . وشىء يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام

(٢) النسر والسماك والفرقدان : كلها كواكب (٣) عقر الدار : أصلها

وَمِنْهَا :

هَلْ سَمِعْتُمْ فِيمَا سَمِعْتُمْ بِإِنْسَا
نٍ عَرَاهُ فِى دَعْوَةٍ مَا عَرَانِى
أَسْعِدُونِى يَا إِخْوَتِى وَثِقَاتِى
بِدُمُوعٍ تَجْرِى مِنَ الْأَجْفَانِ
إِخْوَتِى مَنْ لِوَاكِفِ الدَّمْعِ مَحْزُو
نٍ كَئِيبٍ مُوَلَّهٍ حَيْرَانِ ؟
هَائِمِ الْعَقْلِ سَاهِرِ اللَّيْلِ بَاكِى الـْ
عَيْنِ وَاهِى الْقُوَى ضَعِيفِ الْجَنَانِ
لَمْ يَكُنْ ذَا الْقِرَانُ[1] إِلَّا عَلَى شُؤْ
مِى فَوَيْلِى مِنْ نَحْسِ ذَاكَ الْقِرَانِ

وَالْقَصِيدَةُ كُلُّهَا غُرَرٌ وَلَطَائِفُ ، أَجَادَ وَأَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ ، وَأَبَانَ عَنْ مَقَاصِدِهِ بِهَا أَحْسَنَ بَيَانٍ .

وَمِنْ شِعْرِ أَبِى الْقَاسِمِ أَيْضاً قَوْلُهُ :

(١) القران : اجتماع الكوكبين غير الشمس والقمر فى جزء واحد من أجزاء فلك البروج

لَا تُصغِ لِلَّوْمِ إنَّ اللَّوْمَ تَضْلِيلُ
وَاشْرَبْ فَفِي الشُّرْبِ لِلْأَحْزَانِ تَحْوِيلُ
فَقَدْ مَضَى القَيْظُ وَاحْتُثَّتْ رَوَاحِلُهُ
وَطَابَتِ الرَّاحُ لَمَّا آلَ أَيْلُولُ(١)
وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ نَبْتٌ يَشْتَكِي رَمَدًا
إلَّا وَنَاظِرُهُ بِالطَّلِّ مَكْحُولُ

وَقَالَ :

وَلَمَّا نَضَا(٢) وَجْهُ الرَّبِيعِ نِقَابَهُ
وَفَاحَتْ بِأَطْرَافِ الرِّيَاضِ النَّسَائِمُ
فَطَارَتْ عُقُولُ الطَّيْرِ لَمَّا رَأَيْنَهُ
وَقَدْ بُهِتَتْ(٣) مِنْ بَيْنِهِنَّ الحَمَائِمُ
وَهِمْنَ جُنُونًا بِالرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا
صَدَحْنَ وَفِي أَعْنَاقِهِنَّ التَّمَائِمُ(٤)

(١) أيلول : الشهر التاسع من شهور السنة الشمسية وهو ٣٠ يوما كلمة سريانية معربة (٢) نضا النقاب : رفعه (٣) بَهِتت وبُهِتت : تحيرت ودهشت (٤) التمائم : واحدتها تميمة : وهى خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم وهى هنا طوق الحمامة .

وقَالَ :

أَتلني بِالَّذِي اسْتقرضْتَ خطًّا
وأَشْهِدْ مَعْشراً قَدْ شَاهَدُوهُ

فَإِنَّ اللهَ خَلَّاقَ البَرَايَا
عَنَتْ(١) لِجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ

يَقُولُ : إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

وقَالَ :

إِذَا دَنَتِ السُّحْبُ الثِّقَالُ وَحَثَّهَا
مِنَ الرَّعْدِ حَادٍ لَيْسَ يُبْصِرُ أَكْمَهُ(٢)

أَحَادِيثُهُ مُسْتَهْوَلَاتٌ وَصَوْتُهُ
إِذَا انْخَفَضَتْ أَصْوَاتُهُنَّ مُقَهْقِهُ

إِذَا صَاحَ فِي آثَارِهِنَّ حَسِبْتَهُ
يُجَاوِبُهُ مِنْ خَلْفِهِ صَاحِبٌ لَهُ

---

(١) عنت : خضعت (٢) أكمه : صفة لحاد

وَقَالَ يَهْجُو مِنَشًّا بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْقَزَّازَ :

إِنَّ مِنَشًّا قَدْ زَادَ فِى التِّيهِ
وَزَادَ فِى شَامِنَا تَعَدِّيهِ

فَلَا ابْنُ هِنْدٍ وَلَا ابْنُ ذِى يَزَنٍ
وَلَا ابْنُ مَاءِ السَّمَا يُدَانِيهِ

وَهْوَ مَغِيظٌ عَلَى الْوَصِىِّ وَمَنْ
يُعْزَى إِلَيْهِ وَمَنْ يُوَالِيهِ

يَذْكُرُ أَيَّامَ خَيْبَرٍ بِهِمُ
فَهُمْ قَذًى جَالَ فِى أَمَاقِيهِ

وَقَدْ حَكَى أَنَّ فَاهُ أَطْيَبُ مِنْ
سُرْمِى وَأَنِّى مِمَّنْ يُعَادِيهِ

وَمَنْ يَقُولُ الْقَبِيحَ فِيهِ وَمَنْ
أَصْبَحَ بِالْمُعْضِلَاتِ يَرْمِيهِ

فَسَوِّكُوهُ (١) بِكُلِّ طَيِّبَةِ الرْ
رِيحِ تُعَفِّى (٢) عَلَى مَسَاوِيهِ

(١) ساك الشيء يسوكه سوكا : دلكه ، ومنه ساك أسنانه بالعود وسوكوه : أى دلكوه (٢) تعفى على مساويه : تطمس

وَمَضْمِضُوهُ بِالْخَلِّ وَاجْتَهِدُوا
مَعًا بِكُلِّ اجْتِهَادِكُمْ فِيهِ
وَأَطْعِمُوهُ مِنَ الْجَوَارِشِ مَا
يُعْمَلُ بِالْمِسْكِ وَالْأَفَاوِيهِ
وَأَنْهِلُوهُ مِنْ خَمْرٍ مُعَتَّقَةٍ
قَدْ صَانَهَا الْقِسُّ فِي خَوَابِيهِ
وَاسْتَفْقِحُونِي وَاسْتَنْكِهُوهُ تَرَوْا
أَنَّ لِسُرْمِي فَضْلًا عَلَى فِيهِ
وَأَحْمِلُوا الْكَلْبَ وَالْحِمَارَ عَلَى
عِيَالِهِ وَاصْفَعُوا مُحِبِّيهِ

وَقَالَ يَهْجُو أَبَا الْفَضْلِ يُوسُفَ بْنَ عَلِيٍّ، وَيُعَرِّضُ فِيهَا أَيْضًا بِمَنَشَّا بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَزَّازِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ سَبَبَ عَزْلِهِ عَنْ عَمَلِهِ :

يَأَهْلَ جَيْرُونَ هَلْ أُسَامِرُكُمْ
إِذَا اسْتَقَلَّتْ كَوَاكِبُ الْحَمَلِ ؟

بِمَالِحٍ (١) كَالرِّيَاضِ بَاكَرَهَا
نَوْءُ (٢) الثُّرَيَّا بِعَارِضٍ هَطِلِ

أَوْ مِثْلِ نَظْمِ الْجُمَانِ يُنْظَمُ فِي الْـ
ـعِقْدِ وَوَشْيِ الْبُرُودِ وَالْحُلَلِ

يَلَذُّ لِلسَّامِعِ الْغِنَاءُ بِهَا
عَلَى خَفِيفِ الثَّقِيلِ وَالرَّمَلِ

كُنْتُ عَلَى بَابِ مَنْزِلِي سَحَراً
أَنْتَظِرُ الشَّاكِرِيَّ يُسْرِجُ لِي

وَطَالَ لَيْلِي لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ
بَاكَرْتُهَا وَالنُّجُومُ لَمْ تَزُلِ

فَمَرَّ بِي فِي الظَّلَامِ أَسْوَدُ كَالْـ
ـفِيلِ عَرِيضُ الأَكْتَافِ وَالْعَضَلِ

أَشْغَى (٣) لَهُ مِنْخَرٌ كَكُوَّةِ
تَنُّورٍ وَعَيْنٌ كَمُقْلَةِ الْجَمَلِ

---

(١) صفة لمحذوف أى حديث مالح والسماع فى الصفة مليح وملاح كغراب ، وملاح كخطاف ولكنه اشتق على قياس اسم الفاعل « عبد الخالق »

(٢) النوء : المطر الذى يحدث عند طلوع النجم وسقوط آخر بحياله

(٣) أشغى : بالغين المعجمة : ذو شغاً وهو اختلاف نبتة الأسنان

وَمِشْفَرٌ مُسْبَلٌ كَخُرِّ (١) رَحىً
عَلَى نُيُوبٍ مِثْلِ الْمُدَى عُضُلِ (٢)
مُشَقَّقُ الْكَعْبِ أَفْدَعُ (٣) الْيَدِ وَالرْ
رِجْلِ طَوِيلُ السَّاقَيْنِ كَالسَّبَلِ
فَأَهْدَتِ الرِّيحُ مِنْهُ لِي أَرَجاً
مِثْلَ جَنَى الرَّوْضِ فِي نَدَى خَضِلِ
مِسْكاً وَقُفْصِيَّةً (٤) مُعَتَّقَةً
شِيبَا (٥) بِبَانٍ وَعَنْبَرٍ شَمِلِ
فَقُلْتُ مَا هَكَذَا يَكُونُ إِذَا انْقَضْ
ضَ النَّدَامَى رَوَائِحُ السَّفَلِ (٦)
أَسْوَدُ غَادٍ مِنَ الْأَتُونِ لَهُ
عَرْفُ (٧) أَمِيرٍ نَشْوَانَ ذِي ثَمَلِ

---

(١) الخر : هو فم الرحى ، وكانت فى الأصل « كخب رحى »

(٢) عضل : ملتوية معوجة (٣) أفدع اليد والرجل : معوج الرسغ منهما حتى ينقلب الكف أو القدم إلى أنسيها (٤) يريد خمرا صنعت فى قفص وهى قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمور الجيدة (٥) أى خلطا (٦) السفل : الأراذل السقاط

(٧) العرف : الرائحة

هَذَا وَرَبِّ السَّمَاءِ أَعْجَبُ مِنْ
حِمَارِ وَحْشٍ فِى الْبَرِّ مُنْتَعِلِ
أُرْدُدْهُ يَانَصْرُ كَىْ أُسَائِلَهُ
فَشَأْنُهُ عُضْلَةٌ (١) مِنَ الْعُضَلِ
فَقَالَ يُخْشَى فَوَاتُ حَاجَتِنَا
وَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الشُّغُلِ
فَقُلْتُ تَرْكُ الْفُضُولِ نَصْرُ وَإِنْ
أَنْجَاكَ عَنِ الْخُمُولِ وَالْكَسَلِ
بَادِرْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفُوتَكَ فِى
مَسِيرِهِ بَيْنَ هَذِهِ السُّبُلِ
فَصَدَّ عَنِّى تَغَافُلًا وَمَضَى
يَعْجَبُ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ خَلَلِى
وَصَاحَ مِنْ خَلْفِهِ رُوَيْدَكَ يَا
أَسْوَدُ مَالِى بِالْعَدْوِ مِنْ قِبَلِ (٢)

---

(١) العضلة : الداهية والعقدة العسيرة الانحلال (٢) أى من طاقة ولا قدرة

إِرْجِعْ إِلَى ذَلِكَ الرَّقِيعِ وَإِنْ
أَطَالَ فِي هَذْرِهِ فَلَا تُطِلِ
أَجِبْ إِذَا مَا سُئِلْتَ مُقْتَصِداً
فِي الْقَوْلِ وَاسْكُتْ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُسَلِ
وَهْوَ بِتَرْكِ الْفُضُولِ أَجْدَرُ لَوْ
سُلِّمَ مِنْ خِفَّةٍ وَمِنْ خَطَلِ
فَكَرَّ نَحْوِي عَجْلَانَ يَعْثُرُ فِي
مِرْطٍ (١) كُسِيهِ مُبَرْغَثٍ قَمِلِ
وَقَدْ مَذَى وَالْمَذْيُ يَقْطُرُ مِنْ
غُرْمُولِهِ فِي الذُّيُولِ كَالْوَشَلِ
وَظَنَّ أَنِّي صَيْدٌ فَأَبْرَزَ لِي
فَيْشَلَةً مِثْلَ رُكْبَةِ الْجَمَلِ
وَقَالَ لِجْ دَارَكُمْ لِأُولِجَهَا
فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبُلْ فَبُلِ

(١) المرط : كساء تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به جمعه مروط وكسيه سكنت ياؤها للضرورة وحقها الفتح

وَمِنْهَا :

قُلْتُ لَهُ لَاعَدِمْتُ بِرَّكَ قَدْ
بَذَلْتَ مَالَمْ يَكُنْ بِمُبْتَذَلِ
لَـكِنَّنِي وَالَّذِي يَمُدُّ لَكَ الْـ
عُمْرَ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الْأَمَلِ
مَاشَقَّ دُبْرِي ـ مُذْ كُنْتُ ـ فَيْشَلَةٌ
وَلَا انْتِخَابُ الْأُيُورِ مِنْ عَمَلِي
وَلَا لِهَذَا دُعِيتَ فَابْغِ لِمَنْ
لُوخِكَ مَنْ يَسْتَلِذُّهُ بَدَلِي
وَهَاتِ قُلْ لِي مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَمِنْ
أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَبَا جُعَلِ ؟؟
فَقَالَ لِي بِتُّ عِنْدَ عَامِلِكُمْ
هَذَا أَبِي الْفَضْلِ يُوسُفَ بْنِ عَلِي
فَصَاكَ(١) بِي طِيبُهُ وَصِكْتُ بِهِ
مِنِّي صُنَانًا(٢) فِي حِدَّةِ الْبَصَلِ

---

(١) وصاك : معناها لزق (٢) الصنان والصنة : نتن رائحة الا بط

تَرَكْتُهُ فِى النَّهارِ أَخْفَشَ(١) لَا
يَنْظُرُ فِى خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلِ
قُلْتُ تَطَاوَلْتَ وَافْتَرَيْتَ عَلَى
شَيْخٍ نَبِيلٍ يُنْمَى إِلَى نُبُلِ
أَبُوهُ قَسْطَا وَجَدُّهُ صَمَعٌ
يُدْعَى حُنَيْنَا وَعَمُّهُ الصَّلِى
لَعَلَّ ذَا غَيْرُهُ فَصِفْهُ فَمَا
يُخْدَعُ مِثْلِى بِهَذِهِ الْحِيَلِ
فَإِنْ تَكُنْ صَادِقًا نَجَوْتَ وَأَنْحَيْـ
ـتُ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ وَالْعَذَلِ
وَإِنْ تَكُنْ كَاذِبًا صَفَعْتُكَ بِالنَّـ
ـعْلِ فَإِنْ كُنْتَ قَائِلًا فَقُلِ
فَقَالَ يَا سَيِّدِى عَجِلْتَ بِمَكْـ
ـرُوهِى وَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

(١) أى ضعيف البصر

هَذَا الَّذِى بِتُّ عِنْدَهُ نَصَفٌ(١)

دُونَ عَجُوزٍ وَفَوْقَ مُكْتَهِلِ

فِى فِيهِ نَتْنٌ وَتَحْتَ عُصْعُصِهِ

عَيْنٌ تَمُجُّ الصَّدِيدَ فِى دَغَلِ

أَنْتَنُ مِنْ كُلِّ مَا يُقَالُ إِذَا

بَالَغَ فِى الْوَصْفِ ضَارِبُ الْمَثَلِ

وَهُوَ عَلَى ذَاكَ مُولَعٌ أَبَدًا

لِشُؤْمِ بَخْتِى بِالْعَضِّ وَالْقُبَلِ

لَهُ إِذَا مَا عَلَوْتُهُ نَفَسٌ

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ فِى يَدَىْ بَطَلِ

وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ نَحْوَ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا، وَفِيهَا مِنَ الْفُحْشِ مَالَا يَجْمُلُ بِالْأَدِيبِ ذِكْرُهُ، وَفِيمَا أَوْرَدْنَاهُ كِفَايَةٌ :

وَمِنْ شِعْرِهِ

وَمُهَفْهَفٍ يَزْهُو عَلَى بَجِيدِهِ

وَبِخَصْرِهِ وَبِرِدْفِهِ وَبِسَاقِهِ

---

(١) النصف : الوسط بين الحدث والمسن

وَافَى إِلَيَّ وَقَلْبُهُ مُتَخَوِّفٌ
كَتَخَوُّفِ الْمَعْشُوقِ مِنْ عُشَّاقِهِ
حَتَّى إِذَا مَدَّدْتُهُ وَحَلَلْتُ عَنْ
كَفَلٍ مُبَاحِ الْحِلِّ بَعْدَ وَثَاقِهِ
فَاحَتْ عَلَيَّ أَصِنَّةٌ مِنْ رِدْفِهِ
بِخِلَافِ مَا قَدْ فَاحَ مِنْ أَطْوَاقِهِ
فَسَأَلْتُهُ مَاذَا فَقَالَ بِحُرْقَةٍ
وَدُمُوعُهُ تَنْهَلُّ مِنْ آمَاقِهِ ؟
هَذَا ابْنُ بِسْطَامٍ أَتَانِي طَارِقًا
بِلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ نِفَاقِهِ
وَعَلَا عَلَى ظَهْرِي وَيَلْقَمُ مَثْقَبِي
بِرِيَالِهِ الْمُنْهَلِّ مِنْ أَشْدَاقِهِ
فَبَقِي صُنَانُ رُضَابِهِ فِي فَقْحَتِي
زَمَنًا لَحَاهُ اللّٰهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
فَاللّٰهُ يَحْرِمُهُ مَعِيشَتَهُ كَمَا
قَدْ سَدَّ مَكْسَبَ مَثْقَبِي بِبُصَاقِهِ

﴿ ٢٤ – الْحُسَيْنُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

الحسين ابن سعد الآمدى

أَبُو عَلِيٍّ الْآمِدِيُّ اللُّغَوِيُّ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ خَامِسَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وُلِدَ بِآمِدَ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَأَخَذَ بِهَا عَنْ أَبِي يَعْلَى الْفَرَّاءِ ، وَأَبِي طَالِبِ بْنِ غَيْلَانَ ، وَأَخَذَ بِالشَّامِ عَنْ جَمَاعَةٍ. وَدَخَلَ أَصْبَهَانَ فَاسْتَوْطَنَهَا وَمَاتَ وَدُفِنَ بِهَا ، وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ.

وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَأَهْيَفَ مَهْزُوزِ الْقَوَامِ إِذَا انْثَنَى
وَهَبْتُ لِعُذْرِي فِيهِ ذَنْبَ اللَّوَائِمِ
بِثَغْرٍ كَمَا يَبْدُو لَكَ الصُّبْحُ بَاسِمٍ
وَشَعْرٍ كَمَا يَبْدُو لَكَ اللَّيْلُ فَاحِمٍ (١)

(١) الفاحم : الاسود

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٣٠٣ بما يأتى :

كان أديباً فى زمانه وفريد عصره فى وقته ، نزل أصبهان وأفاد واستفاد الناس منه ، وحدث بها عن محمد الجوهرى وأبى طالب القارى وغيرهما وتوفى فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة

وترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢٣٣

مَلِيحُ الرِّضَا وَالسُّخْطِ تَلْقَاهُ عَاتِبًا
بِأَلْفَاظِ مَظْلُومٍ وَأَلْحَاظِ ظَالِمِ
وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي يَوْمَ بَيْنِهِ
شَكَوْتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمِ
وَحَمَّلْتُ أَثْقَالَ الْهَوَى غَيْرَ حَامِلٍ
وَأَوْدَعْتُ أَسْرَارَ الْهَوَى غَيْرَ كَاتِمِ
وَأَبْرَحُ مَا لَاقَيْتُهُ أَنَّ مُتْلِفِي
بِمَا حَلَّ بِي فِي حُبِّهِ غَيْرُ عَالِمِ
وَلَوْ أَنَّنِي فِيهِ سَهِرْتُ لِسَاهِرٍ
لَهَانَ وَلَكِنِّي سَهِرْتُ لِنَائِمِ

وَقَالَ :

أَتَنْسُبُ لِي ذَنْبًا وَلَمْ أَكُ مُذْنِبًا
وَحَمَّلْتَنِي فِي الْحُبِّ مَالَا أُطِيقُهُ
وَمَا طَابَ لِلْوَصْلِ حِرْصٌ عَلَى الْبَقَا
وَلَكِنَّهُ أَجْزٌ إِلَيْكَ أَسُوقُهُ

وَقَالَ :

تَوَهَّمَ وَاشِينَا بِلَيْلٍ مَزَارَهُ
فَهَمَّ لِيَسْعَى بَيْنَنَا بِالتَّبَاعُدِ

فَعَانَقْتُهُ حَتَّى اتَّحَدْنَا تَعَانُقًا
فَلَمَّا أَتَانَا مَا رَأَى غَيْرَ وَاحِدِ

وَقَالَ :

بِنَفْسِي وَرُوحِي ذَلِكَ الْعَارِضُ الَّذِي
غَدَا مِسْكُهُ تَحْتَ السَّوَالِفِ سَائِلَا

دَرَى خَدُّهُ أَنِّي أُجَنُّ مِنَ الْهَوَى
فَهَيَّأَ لِي قَبْلَ الْجُنُونِ سَلَاسِلَا

وَقَالَ :

تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُّ مُهَوَّسٍ (١)
بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمُدَرِّسِ

---

(١) مهوس : مصاب بالهوس وهو اختلاط العقل

فَحَقٌّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا

بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ

لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا

كُلَاهَا [1] وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

---

(١) كلاها : جمع كلية

انتهى الجزء التاسع

من كتاب معجم الأدباء

ويليه الجزء العاشر

وأوله ترجمة

الحسين بن الضحاك البصرى

الدكتور أحمد فريد رفاعى

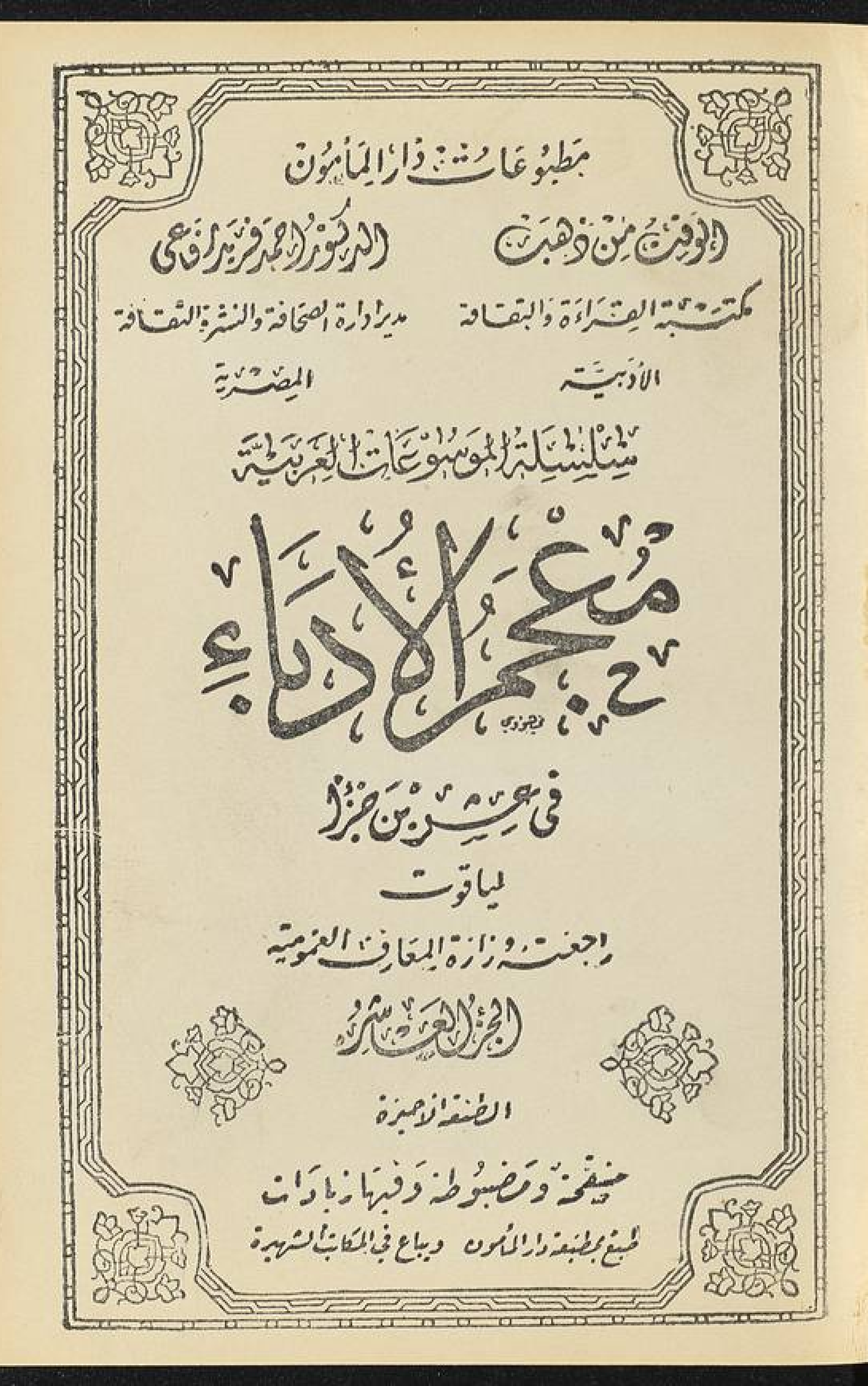
فهرس

الجزء التاسع

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى

فهرس الجزء التاسع


مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — الدكتور احمد فريد رفاعي

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية — مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء العاشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

١ - اَلْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ *

ابْنُ يَاسِرٍ الْبَصْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْخَلِيعِ أَبُو عَلِيٍّ ، أَصْلُهُ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ مَوْلًى لِوَلَدِ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ الصَّحَابِيِّ ، فَهُوَ مَوْلًى (١) لَا بَاهِلِيُّ النَّسَبِ كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْجَرَّاحِ ، بَصْرِيُّ الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَإِ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَاجِنٌ ، وَلِذَلِكَ لُقِّبَ بِالْخَلِيعِ ، وَعِدَادُهُ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ

الحسين ابن الضحاك

---

(١) مولى : مملوك

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول صفحة ١٠٤ قال : ومن محاسن شعره :

صل بخدى خديك تلق عجيباً ... من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض ... وبخدى للدموع غدير

وله أيضا رحمه الله تعالى :

أيا من طرفه سحر ... ويا من ريقه خمر
تجاسرت فكاشفـ ... ـتك لما غلب الصبر
وما أحسن فى مثـ ... ـلك أن ينهتك الستر
فإن عنفنى النا ... س ففى وجهك لى عذر

وذكر فى كتاب الأغانى أن هذه الأبيات أنشدها أبو العباس ثعلب النحوى للخليع بن الضحاك وقال ما بقى من يحسن أن يقول مثل هذا ، وله أيضا :

إذا خنتموا بالغيب عهدى فما لكم ... تدلون إدلال المقيم على العهد
صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله ... وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذى صد

الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُجِيدِينَ ، وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي بَغْدَادَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ نَاهَزَ [1] الْمِائَةَ ، وَكَانَ شَاعِراً مَطْبُوعاً حَسَنَ التَّصَرُّفِ فِي الشِّعْرِ ، وَكَانَ أَبُو نُوَاسٍ يُغِيرُ عَلَى مَعَانِيهِ فِي الْخَمْرِ ، فَإِذَا قَالَ شَيْئاً فِيهَا نَسَبَهُ النَّاسُ إِلَى أَبِي نُوَاسٍ ، وَلَهُ غَزَلٌ كَثِيرٌ أَجَادَ فِيهِ ، وَهُوَ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ الْمَطْبُوعِينَ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَفْوُ قَرَائِحِهِمْ عَنِ التَّكَلُّفِ ، وَقَدِ اتَّصَلَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ بِالْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَنَادَمَهُمْ ، وَأَوَّلُ مَنْ جَالَسَ مِنْهُمْ : مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ اتِّصَالُهُ بِهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَتَنَقَّلَ بَعْدَهُ فِي مَجَالِسِ الْخُلَفَاءِ وَنَادَمَهُمْ إِلَى الْحِينِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فِي زَمَنِ الْمُسْتَعِينِ ، وَقِيلَ فِي زَمَنِ الْمُنْتَصِرِ .

حَدَّثَ الصُّولِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيِّ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ خُرَاسَانَ وَصَارَ

(١) ناهز : قارب

إِلَى بَغْدَادَ ، أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيُجَالِسُوهُ وَيُسَامِرُوهُ ، فَذُكِرَ لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ ابْنُ الضَّحَّاكِ ، فَقَرَأَ أَسْمَاءَهُمْ حَتَّى بَلَغَ إِلَى اسْمِ الْحُسَيْنِ فَقَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي الْأَمِينِ يَعْنِي أَخَاهُ :

هَلَّا بَقِيتَ لِسَدِّ فَاقَتِنَا

أَبَداً وَكَانَ لِغَيْرِكَ التَّلَفُ[1]

فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَائِفاً سَلَفُوا

وَلَسَوْفَ يَعْوِزُ[2] بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَاللهِ لَا يَرَانِي أَبَداً إِلَّا فِي الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يُعَاقِبِ الْحُسَيْنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ هِجَائِهِ لَهُ وَتَعْرِيضِهِ بِهِ . قَالَ : وَانْحَدَرَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَقَامَ بِهَا طُولَ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ، وَاسْتَقْدَمَهُ الْمُعْتَصِمُ مِنَ الْبَصْرَةِ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْمَأْمُونِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ اسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَدَهُ يَمْدَحُهُ :

---

(١) التلف : الهلاك (٢) يعوز : يعجز

هَلَّا سَأَلْتَ تَلَدُّدَ[1] الْمُشْتَاقِ
وَمَنَنْتَ قَبْلَ فِرَاقِهِ بِتَلَاقِ
إِنَّ الرَّقِيبَ لَيَسْتَرِيبُ تَنَفُّسَ الصُّ
صُعَدَا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِقْلَاقِ
وَلَئِنْ أَرَبْتُ لَقَدْ نَظَرْتُ بِمُقْلَةٍ
عَبْرَى عَلَيْكَ سَخِينَةِ الْآمَاقِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِخَائِفٍ مُتَرَقِّبٍ
جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بِعِنَاقِ
إِذْ لَا جَوَابَ لِمُفْحَمٍ مُتَحَيِّرٍ
إِلَّا الدُّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

وَمِنْهَا :

خَيْرُ الْوُفُودِ مُبَشِّرٌ بِخِلَافَةٍ
خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ[2]
وَافَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً
مِنْ كُلِّ مُشْكِلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ

(١) التلدد : التلفت يمينا وشمالا (٢) كنية المعتصم

أَعْطَتْهُ صَفْقَتَهَا الْضَّمَائِرُ طَاعَةً
قَبْلَ الْأَكُفِّ بِأَوْكَدِ الْمِيثَاقِ
سَكَنَ الْأَنَامُ إِلَى إِمَامِ سَلَامَةٍ
عَفِّ الضَّمِيرِ مُهَذَّبِ الْأَخْلَاقِ
فَحَمَى رَعِيَّتَهُ وَدَافَعَ دُونَهَا
وَأَجَارَ مُمْلِقَهَا (١) مِنَ الْإِمْلَاقِ
قُلْ لِلْأُلَى صَرَفُوا الْوُجُوهَ عَنِ الْهُدَى
مُتَعَسِّفِينَ تَعَسُّفَ الْمُرَّاقِ (٢)
إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ بَوَادِرَ ضَيْغَمٍ
دَرِبٍ بِخَطْمِ (٣) مَوَائِلِ الْأَعْنَاقِ
مُتَأَهِّبٍ لَا يَسْتَفِزُّ (٤) جَنَانَهُ
زَجَلُ (٥) الرُّعُودِ وَلَامِعُ الْإِبْرَاقِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُتَعَزِّمِينَ تَوَثَّبُوا
بِالشَّامِ غَيْرُ جَمَاجِمٍ أَفْلَاقِ (٦)

(١) المملق : الفقير . والاملاق الفقر (٢) المراق جمع مارق : وهو الخارج على الجماعة (٣) يقال خطم البعير : أى ضرب أنفه ، وخطمه بالخطام : جعله على أنفه ، والخطام كل ما وضع فى أنف البعير ليقتاد به . وأظن أن كلمة « بخطم » أى بقطع أولى لأن القطع هو الذى يناسب الأعناق . ويقال فلان عنقه مائلة : أى به كبر وخروج عن حد ماينبغى (٤) استفز فلانا الشىء : أزعجه (٥) الزجل : الجلبة ورفع الصوت (٦) أى متفلقة

مِنْ بَيْنِ مُنْجَدِلٍ (١) تَمُجُّ عُرُوقُهُ
عَلَقَ الْأَخَادِعِ أَوْ أَسِيرٍ وَثَاقِ
وَثَنَى الْخُيُولَ إِلَى مَعَاقِلِ قَيْصَرٍ
تَخْتَالُ بَيْنَ أَجِرَّةٍ (٢) وَدِفَاقِ (٣)
يَحْمِلْنَ كُلَّ مُشَمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ
لَيْثٍ هِزَبْرٍ أَهْرَتِ (٤) الْأَشْدَاقِ
حَتَّى إِذَا أَمَّ الْحُصُونَ مُنَازِلًا
وَالْمَوْتُ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِ (٥)
هَرَّتْ بِطَارِقُهَا (٦) هَرِيرَ ثَعَالِبٍ
بُدِهَتْ (٧) بِزَأْرِ قَسَاوِرٍ طُرَّاقِ
ثُمَّ اسْتَكَانَتْ لِلْحِصَارِ مُلُوكُهُمْ
ذُلًّا وَنِيطَ (٨) حُلُوقُهُمْ بِخِنَاقِ

---

(١) منجدل : ملقى على الأرض مصروع — والعلق : الدم (٢) الجرير: حبل يشد به البعير (٣) دفاق : تدفق (٤) أهرت : واسع (٥) جمع ترقوة

(٦) البطارقة : جمع بطريق ككبريت ، جاء فى القاموس أنه القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل (٧) بدهت : فوجئت والقساور : الاسود ، جمع قسورة (٨) نيط : علق

هَرَبَتْ وَأَسْأَمَتِ الْبِلَادَ عَشِيَّةً

لَمْ تُبْقِ غَيْرَ حُشَاشَةِ الْأَرْمَاقِ (١)

فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ ، اُدْنُ مِنِّى ، فَدَنَا مِنْهُ فَمَلَأَ فَمَهُ جَوْهَرًا مِنْ جَوْهَرٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِأَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ فِيهِ ، فَأَخْرَجَهُ فَأَمَرَ بِأَنْ يُنْظَمَ وَيُدْفَعَ إِلَيْهِ وَيَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ وَهُوَ فِى يَدِهِ لِيَعْلَمُوا مَوْقِعَهُ مِنْهُ وَيَعْرِفُوا لَهُ فَضْلَهُ .

وَحَدَّثَ الصُّولِىُّ عَنْ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِىِّ قَالَ : لَمَّا وَلِىَ الْمُنْتَصِرُ الْخِلَافَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ فَهَنَّأَهُ بِالْخِلَافَةِ وَأَنْشَدَهُ :

تَجَدَّدَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِ مُحَمَّدٍ

فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالزَّمَانِ الْمُجَدَّدِ

هِىَ الدَّوْلَةُ الْغَرَّاءُ رَاحَتْ وَبَكَّرَتْ

مُشَمِّرَةً بِالرُّشْدِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ

---

(١) الأرماق جمع الرمق : وهو بقية الحياة . والحشاش والحشاشة بضم الحاء فيهما : بقية الروح فى المريض والجريح

لَعَمْرِي لَقَدْ شُدَّتْ عُرَى الدِّينِ بَيْعَةٌ
أَعَزَّ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَحِّدِ
هَنَتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خِلَافَةٌ
جَمَعْتَ بِهَا أَهْوَاءَ أُمَّةِ أَحْمَدِ

فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ وَالسُّرُورَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ فِي بَقَائِكَ بَهَاءً لِلْمُلْكِ ، وَقَدْ ضَعُفْتَ عَنِ الْحَرَكَةِ ، فَكَاتِبْنِي بِحَاجَتِكَ ، وَلَا تَحْمِلْ عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ الْحَرَكَةِ ، وَوَصَلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ لِيَقْضِيَ بِهَا دَيْناً بَلَغَهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ فِي الْمُنْتَصِرِ أَيْضاً وَهُوَ آخِرُ شِعْرٍ قَالَهُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي أَبَدْرٌ بَدَا   نَهَاراً أَمِ الْمَلِكُ الْمُنْتَصِرْ ؟؟
إِمَامٌ تَضَمَّنُ أَثْوَابُهُ   عَلَى سَرْجِهِ قَمَراً مِنْ بَشَرْ
حَمَى اللهُ دَوْلَةَ سُلْطَانِهِ   بِجُنْدِ الْقَضَاءِ وَجُنْدِ الْقَدَرْ
فَلَا زَالَ مَا بَقِيَتْ مُدَّةٌ   يَرُوحُ[1] بِهَا الدَّهْرَ أَوْ يَبْتَكِرْ

وَاصْطَبَحَ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَخَادِمٌ لَهُ

(١) الرواح : آخر النهار والابتكار كالبكور : أوله ، وإنما يريد الشاعر كل وقت بجمع الأول والآخر من النهار وأرادهما وما يليهما

قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَسْقِيهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : يَا أَبَا عَلِيّ قَدِ اسْتَخْسَفْتُ سَقْيَ هَذَا الْخَادِمِ ، فَإِنْ حَضَرَكَ شَيْءٌ فِي هَذَا فَقُلْ ، فَقَالَ :

أَحْيَتْ صَبُوحِي فُكَاهَةُ اللَّاهِي
وَطَابَ يَوْمِي بِقُرْبِ أَشْبَاهِي

فَاْنَزِ اللَّهْوَ فِي مَكَامِنِهِ
مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مُنَغِّصٍ نَاهِي

بِابْنَةِ كَرْمٍ مِنْ كَفِّ مُنْتَطِقٍ
مُؤْتَزِرٍ بِالْمُجُونِ تَيَّاهِ

يَسْقِيكَ مِنْ طَرْفِهِ وَمِنْ يَدِهِ
سَقْيَ لَطِيفٍ مُجَرَّبٍ دَاهِي (١)

كَأْساً وَكَأْساً كَأَنَّ شَارِبَهَا
حَيْرَانُ بَيْنَ الذَّكُورِ (٢) وَالسَّاهِي

وَذَكَرَ الصُّولِيُّ فِي نَوَادِرِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ

(١) رجل داه : ذو حذق وأصالة رأى (٢) الذكور : المتذكر

مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِي أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ : قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ مِنْ أَبْيَاتٍ وَقَدْ عُمِّرَ :

أَمَا فِي ثَمَانِينَ وُفِّيتَهَا
عَذِيرٌ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَعْتَذِرْ
وَقَدْ رَفَعَ اللهُ أَقْلَامَهُ
عَنِ ابْنِ ثَمَانِينَ دُونَ الْبَشَرْ
وَإِنِّي لَمِنْ أُسَرَاءِ الْإِلَهِ
فِي الْأَرْضِ نُصْبَ حُرُوبِ[1] الْقَدَرْ
فَإِنْ يَقْضِ لِي عَمَلًا صَالِحًا
أَثَابَ وَإِنْ يَقْضِ شَرًّا غَفَرْ

وَقَالَ :

أَصْبَحْتُ مِنْ أُسَرَاءِ اللهِ مُحْتَسِبًا
فِي الْأَرْضِ نَحْوَ قَضَاءِ اللهِ وَالْقَدَرِ
إِنَّ الثَّمَانِينَ إِذْ وُفِّيتُ عِدَّتَهَا
لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً مِنِّي وَلَمْ تَذَرِ

(١) فى الاصل « حروف »

قُلْتُ : وَالأَصْلُ فِي قَوْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ هَذَا، الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ . قَالَ . حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَانَ الْغَنَوِيُّ ، حَدَّثَنَا مَعْقِلُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ ثَمَانِينَ سَنَةً فَإِنَّهُ أَسِيرُ اللهِ فِي الأَرْضِ ، تُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ وَتُمْحَى عَنْهُ السَّيِّئَاتُ » . وَقَالَ :

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى
خِلْتُ أَنِّي وَمَا أَرَاكَ أَرَاكَا
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ النَّرْجِسُ الْغَضْ
ضُ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَذَاكَا (١)
خُدَعٌ لِلْمُنَى تُعَلِّلُنِي فِيـ
ـكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَبَهْجَةِ ذَاكَا

وَقَالَ :

لَا وَحُبِّيكَ لَا أُصَا فِحُ بِالدَّمْعِ مَدْمَعَا

(١) شذاك : رائحتك الطيبة

مَنْ بَكَى شَجْوَهُ اسْتَرَا ح وَإِنْ كَانَ مُوجَعَا
كَبِدِى فِى هَوَاكَ أَسْـ قَمُ مِنْ أَنْ تَقَطَّعَا
لَمْ تَدَعْ صُورَةُ الضَّنَى فِىَّ لِلسُّقْمِ مَوْضِعَا

وَقَالَ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا وِصَالُ حَبِيبِ
وَأَخْذُكَ مِنْ مَشْمُولَةٍ[١] بِنَصِيبِ
وَلَمْ أَرَ فِى الدُّنْيَا كَخَلْوَةِ عَاشِقٍ
وَبَذْلَةِ مَعْشُوقٍ وَنَوْمِ رَقِيبِ

وَقَالَ يَمْدَحُ الْوَزِيرَ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ :

أَرَى الْآمَالَ غَيْرَ مُعَرِّجَاتٍ[٢]
عَلَى أَحَدٍ سِوَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ
يُبَارِى يَوْمُهُ غَدَهُ سَمَاحًا
كِلَا الْيَوْمَيْنِ بَانَ بِكُلِّ فَضْلِ

---

(١) المشمولة : الخمر ، أو الباردة منها ، أو المبردة فى ريح الشمال
(٢) معرجات : « واقفات » يقال عرج عليه أى ميل وأقام

أَرَى حَسَنًا تَقَـــدَّمَ مُسْتَبِدًّا
بِبَعْدٍ مِنْ رِيَاسَتِهِ وَقَبْـــلِ
فَإِنْ حَضَرَتْكَ مُشْكِلَةٌ بِشَكٍّ
شَفَاكَ بِحِكْمَةٍ وَخِطَابِ فَصْلِ
سَلِيلُ مَرَازِبٍ[١] بَرَعُوا حُلُومًا
وَرَاحَ صَغِيرُهُمْ بِسَدَادِ كَهْلِ
مُلُوكٌ إِنْ جَرَيْتَ بِهِمْ أَبَرُّوا
وَعَزُّوا أَنْ تُوَازِيَهُمْ بِعِدْلِ[٢]
لِيَهْنِكَ أَنَّ مَا أَرْجَيْتَ[٣] رُشْدٌ[٤]
وَمَا أَمْضَيْتَ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلِ
وَأَنَّكَ مُؤْثِرٌ لِلْحَقِّ فِيمَـــا
أَرَاكَ اللهُ فِى قَطْعٍ وَوَصْلِ

---

(١) رؤساء الفرس مفرده مرزبان (٢) عدل : مثل وأن توازيهم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفه يريد كبروا عن موازاتهم بغيرهم (٣) أرجيت الأمر : أخرته مثل أرجأت فهو يهمز ويلين (٤) وردت بالأصل « رشدا » والصواب رشد بالرفع لأنه خبر أن وليس للنصب مسوغ

وَأَنَّكَ لِلْجَمِيعِ حَيًا رَبِيعٍ
يَصُوبُ عَلَى قَرَارَةِ[1] كُلِّ مَحْلِ

وقَالَ يَمْدَحُ الْوَاثِقَ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ :

أُكَتِّمُ وَجْدِى فَمَا يَنْكَتِمْ
بِمَنْ[2] لَوْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ رَحِمْ
وَإِنِّى عَلَى حُسْنِ ظَنِّى بِهِ
لَأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمْ
وَلِى عِنْـــدَ لَحْظَتِهِ رَوْعَةٌ
تُحَقِّقُ مَا ظَنَّهُ الْمُتَّهِمْ
وَقَدْ عَلِمَ النَّـاسُ أَنِّى لَهُ
مُحِبٌّ وَأَحْسَبُهُ قَدْ عَلِمْ
وَإِنِّى لَمُغْضٍ عَلَى لَوْعَةٍ
مِنَ الشَّوْقِ فِى كَبِدِى تَضْطَرِمْ
عَشِيَّةَ وَدَّعْتُ عَنْ مَدْمَعٍ
سَفُوحٍ وَزَفْرَةِ قَلْبٍ سَدِمْ[3]

(١) القرارة : المكان المطمئن من الأرض . والمحل : الجدب (٢) بمن متعلقة بوجدى (٣) يقال سدم الرجل : ندم وحزن ، وسدم : حزين

فَمَا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْعِدٌ

سِوَى الدَّمْعِ يَغْسِلُ طَرْفًا كُلِمْ

سَيَذْكُرُ مَنْ بَانَ أَوْطَانَهُ

وَيَبْكِي الْمُقِيمِينَ مَنْ لَمْ يُقِمْ

وَمِنْهَا فِي الْمَدِيحِ :

إِلَى خَازِنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ

سِرَاجِ النَّهَارِ وَبَدْرِ الظُّلَمْ

رَكِبْنَا غَرَابِيبَ زَفَّافَةً (١)

بِدِجْلَةَ فِي مَوْجِهَا الْمُلْتَطِمْ

إِذَا مَا قَصَدْنَا لِقَاطُولِهَا (٢)

وَدُهْمُ قَرَاقِيرِهَا (٣) تَصْطَدِمْ

وَصِرْنَا إِلَى خَيْرِ مَسْكُونَةٍ

تَيَمَّمَهَا رَاغِبٌ أَوْ مُلِمْ

---

(١) زفافة : مسرعة ، وغرابيب : أى سفن حالكة السواد . جمع غربيبة

(٢) قاطول : موضع على دجلة ولعل إذا هنا ظرف فقط لأنه لاجواب لها فيما بعد (٣) القراقير : السفن الطويلة العظيمة . جمع قرقور

مُبارَكَةٍ شَادَ بُنْيانَها
بِخَيْرِ الْمَوَاطِنِ خَيْرُ الأُمَمْ
كَأَنَّ بِهَا نَشْرَ كَافُورَةٍ
لِبَرْدِ نَدَاهَا وَطِيبِ النَّسَمْ
كَظَهْرِ الأَدِيمِ إِذَا مَا السَّحَا
بُ صَابَ[1] عَلَى مَتْنِهَا وَانْسَجَمْ
مُبَرَّأَةٍ مِنْ وُحُولِ الشِّتَاء
إِذَا مَا طَمَى وَحْلُهُ وَارْتَكَمْ[2]
فَمَا إِنْ يَزَالُ بِهَا رَاجِلٌ
يَمُرُّ الْهُوَيْنَا وَلَا يَلْتَطِمْ
وَيَمْشِي عَلَى رِسْلِهِ آمِنًا
سَلِيمَ الشِّرَاكِ نَقِيَّ الْقَدَمْ
وَلِلنُّونِ وَالضَّبِّ فِي بَطْنِهَا
مَرَاتِعُ مَسْكُونَةٌ وَالنَّعَمْ

(١) صاب : انصب ونزل (٢) ارتكم : اجتمع بعضه فوق بعض مع ازدحام وكثرة

وَمِنْهَا :

يَضِيقُ الْفَضَاءُ بِهِ إِنْ عَدَا
بِطَوْدَىْ أَعَارِيبِهِ وَالْعَجَمْ
تَرَى النَّصْرَ يَقْدُمُ رَايَاتِهِ
إِذَا مَا خَفَقْنَ أَمَامَ الْعَلَمْ
وَفِى اللهِ دَوَّخَ[1] أَعْدَاءَهُ
وَجَرَّدَ فِيهِمْ سُيُوفَ النِّقَمْ
وَفِى اللهِ يَكْظِمُ مِنْ غَيْظِهِ
وَفِى اللهِ يَصْفَحُ عَمَّنْ ظَلَمْ
رَأَى شِيَمَ الْجُودِ مَحْمُودَةً
وَمَا شِيَمُ الْجُودِ إِلَّا قِسَمْ
فَرَاحَ عَلَى نَعَمٍ وَاغْتَدَى[2]
كَأَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ إِلَّا نَعَمْ

(١) دوخ أعداءه : أذلهم (٢) قوله : فراح على نعم واغتدى : أى لازم قول « نعم » فى الغدو والرواح ، والمراد دائما

وَقَالَ :

أَتَانِي مِنكَ مَا لَيسَ عَلَى مَكرُوهِهِ صَبرُ
فَأَغضَيتُ عَلَى عَمدٍ وَقَد يُغضِي الفَتَى الحُرُّ
وَأَدَّبتُكَ بِالهَجرِ فَمَا أَدَّبَكَ الهَجرُ
وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَانَ مِنكَ النُّصحُ وَالزَّجرُ
فَلَمَّا اضطَرَّنِي المَكرُو هُ وَاشتَدَّ بِيَ الأَمرُ
تَنَاوَلتُكَ مِن ضُرِّي بِمَا لَيسَ لَهُ قَدرُ
تَحَرَّكتَ جَنَاحَ الذُّلِّ لِ لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ
إِذَا لَم يُصلِحِ الخَيرُ امـ رَأً أَصلَحَهُ الشَّرُّ

وَغَضِبَ عَلَيهِ المُعتَصِمُ لِشَيءٍ جَرَى مِنهُ عَلَى النَّبِيذِ، فَكَتَبَ إِلَيهِ يَستَرضِيهِ :

غَضَبُ الإِمَامِ أَشَدُّ مِن أَدَبِه
وَقَدِ استَجَرتُ وَعُذتُ مِن غَضَبِه
أَصبَحتُ مُعتَصِمًا بِمُعتَصِمٍ
أَثنَى الإِلَهُ عَلَيهِ فِي كُتُبِه

لَا وَالَّذِى لَمْ يُبْقِ لِى سَبَبًا
أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِهْ
مَالِى شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ
وَلِكُلِّ مَنْ أَشْفَى عَلَى عَطَبِهْ

٢ — الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُوسُفَ *

الحسين بن عبد الله البغدادى

ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ شِبْلٍ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِىُّ. وُلِدَ فِى بَغْدَادَ وَبِهَا نَشَأَ، وَبِهَا تُوُفِّىَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. كَانَ مُتَمَيِّزًا بِالْحِكْمَةِ وَالْفَلْسَفَةِ، خَبِيرًا بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ، أَدِيبًا فَاضِلًا وَشَاعِرًا مُجِيدًا، أَخَذَ عَنْ أَبِى نَصْرٍ يَحْيَ بْنِ جَرِيرٍ التَّكْرِيتِىِّ وَغَيْرِهِ. وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الرَّائِيَّةِ الَّتِى نُسِبَتْ لِلشَّيْخِ الرَّئِيسِ ابْنِ سِينَا وَلَيْسَتْ لَهُ، وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَلَى عُلُوِّ كَعْبِهِ فِى الْحِكْمَةِ وَالِاطِّلَاعِ عَلَى مَكْنُونَاتِهَا، وَقَدْ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ وَتَدَاوَلَهَا الرُّوَاةُ، وَهِىَ:

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

بِرَبِّكَ أَيُّهَا الْفَلَكُ الْمُدَارُ
أَقَصْدٌ ذَا الْمَسِيرُ أَمِ اضْطِرَارُ ؟؟

مَدَارُكَ قُلْ لَنَا فِى أَىِّ شَىْءٍ
فَفِى أَفْهَامِنَا مِنْكَ انْبِهَارُ[(١)] ؟

وَفِيكَ نَرَى الْفَضَاءَ وَهَلْ فَضَاءٌ
سِوَى هَـذَا الْفَضَاءِ بِهِ تُدَارُ ؟

وَعِنْدَكَ تُرْفَعُ الْأَرْوَاحُ أَمْ هَلْ
مَعَ الْأَجْسَادِ يُدْرِكُهَا الْبَوَارُ[(٢)] ؟

وَمَوْجٌ ذِى الْمَجَرَّةِ أَمْ فِرِنْدٌ
عَلَى لُجَجِ الذِّرَاعِ[(٣)] لَهَا مَدَارُ

وَفِيكَ الشَّمْسُ رَافِعَةٌ شُعَاعاً
بِأَجْنِحَةٍ قَوَادِمُهَا قِصَارُ

وَطَوْقٌ لِلنُّجُومِ إِذَا تَبَدَّى
هِلَالُكَ أَمْ يَدٌ فِيهَا سِوَارُ

(١) انبهار : مصدر انبهر الرجل : انقطع نفسه وتتابع من الأعياء ، وربما كان هذا الانقطاع سببه العجب كما هنا (٢) البوار : الهلاك (٣) فى العيون : الدروع ، والذراع : منزل للقمر ذلك أن لكوكب الأسد ذراعين مقبوضة له جهة الشام ينزل فيها القمر ومبسوطة على اليمين « عبد الخالق »

وَأَفْلَاذٌ نُجُومُكَ أَمْ حَبَابٌ
تُؤَلِّفُ بَيْنَهُ لُجَجٌ غِزَارُ

وَتَنْشُرُ فِي الفَضَا لَيْلًا وَتُطْوَى
نَهَاراً مِثْلَمَا يُطْوَى الإِزَارُ

فَكَمْ بِصِقَالِهَا صَدِيءُ البَرَايَا
وَمَا يَصْدَا لَهَا أَبَدًا غِرَارُ[1]

تُبَادِي ثُمَّ تَخْنِسُ[2] رَاجِعَاتٍ
وَتَكْنِسُ[3] مِثْلَمَا كَنَسَ الصُّوَارُ[4]

فَبَيْنَا الشَّرْقُ يَقْدُمُهَا صُعُودًا
تَلَقَّاهَا مِنَ الغَرْبِ انْحِدَارُ

عَلَى ذَا قَدْ مَضَى وَعَلَيْهِ يَمْضِي
طِوَالٌ مُنًى وَآجَالٌ قِصَارُ

وَأَيَّامٌ تَعَرَّفْنَا مَدَاهَا
لَهَا أَنْفَاسُنَا أَبَدًا شِفَارُ[5]

---

(١) الغرار : حد السيف (٢) تخنس : تتوارى وتغيب (٣) كنس الظبى واكتنس : دخل كناسه (٤) الصوار : القطيع من البقر (٥) من التشفير وهو الضيق

وَدَهْرٌ يَنْثُرُ الْأَعْمَارَ نَثْراً
كَمَا لِلْوَرْدِ فِي الرَّوْضِ انْتِثَارُ
وَدُنْيَا كُلَّمَا وَضَعَتْ جَنِيناً
غَذَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا ظُؤَارُ (١)
هِيَ الْعَشْوَاءُ مَا خَبَطَتْ هَشِيمٌ
هِيَ الْعَجْمَاءُ مَا جَرَحَتْ جُبَارُ (٢)
فَمِنْ يَوْمٍ بِلَا أَمْسٍ وَيَوْمٍ
بِغَيْرِ غَدٍ إِلَيْهِ بِنَا يُسَارُ
وَمِنْ نَفَسَيْنِ فِي أَخْذٍ وَرَدٍّ
لِرُوحِ الْمَرْءِ فِي الْجِسْمِ انْتِشَارُ
وَكَمْ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ نُفُوسٍ (٣)
إِلَى أَجْسَامِهَا طَارَتْ وَطَارُوا
أَلَمْ تَكُ بِالْجَوَارِحِ آنِسَاتٍ
فَأَعْقَبَ ذَلِكَ الْأُنْسَ النِّفَارُ

(١) الظؤار : جمع ظئر : وهى العاطفة على ولد غيرها المرضعة له فى الناس وغيرهم
(٢) الجبار : مالاقود فيها وليلاحظ أن هشيما خبر ما الموصولة الاولى وجبار خبر ما الثانية « عبد الخالق » (٣) تمييز كم

فَإِنْ يَكُ آدَمٌ أَشْقَى بَنِيهِ
بِذَنْبٍ مَالَهُ مِنْهُ اعْتِذَارُ
وَلَمْ يَنْفَعْهُ بِالْأَسْمَاءِ عِلْمٌ
وَمَا نَفَعَ السُّجُودُ وَلَا الْجِوَارُ
فَأُخْرِجَ ثُمَّ أُهْبِطَ ثُمَّ أُوذِى
فَتُرْبُ السَّافِيَاتِ لَهُ شِعَارُ (١)
فَأَدْرَكَهُ بِعِلْمِ اللهِ فِيهِ
مِنَ الْكَلِمَاتِ لِلذَّنْبِ اغْتِفَارُ
وَلَكِنْ بَعْدَ غُفْرَانٍ وَعَفْوٍ
يُعَيَّرُ (٢) مَا تَلَا لَيْلًا نَهَارُ
لَقَدْ بَلَغَ الْعَدُوُّ (٣) بِنَا مُنَاهُ
وَحَلَّ بِآدَمٍ وَبِنَا الصَّغَارُ (٤)
وَتِهْنَا ضَائِعِينَ كَقَوْمِ مُوسَى
وَلَا عِجْلٌ أَضَلَّ وَلَا خُوَارُ

(١) الشعار : مايلى الجسد من اللباس . السافيات : الرياح الشديدة (٢) يريد يعير القوم بما فعل مدة تلو النهار الليل أى دائما (٣) أى إبليس (٤) الصغار : الذل والهوان

فَيَا لَكِ أَكْلَةً[1] مَا زَالَ مِنْهَا
عَلَيْنَا نِقْمَةٌ وَعَلَيْهِ عَارُ
نُعَاقَبُ فِي الظُّهُورِ وَمَا وُلِدْنَا
وَيُذْبَحُ فِي حَشَا الْأُمِّ الْحُوَارُ[2]
وَنَنْتَظِرُ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
وَبَعْدُ فَلِلْوَعِيدِ لَنَا انْتِظَارُ
وَنَخْرُجُ كَارِهِينَ كَمَا دَخَلْنَا
خُرُوجَ الضَّبِّ أَخْرَجَهُ الْوِجَارُ[3]
فَمَاذَا الِامْتِنَانُ عَلَى وُجُودٍ
لِغَيْرِ الْمُوجَدِينَ بِهِ الْخِيَارُ
وَكَانَ وُجُودُنَا خَيْراً لَوَ انَّا
نُخَيَّرُ قَبْلَهُ أَوْ نُسْتَشَارُ
أَهَذَا الدَّاءُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
وَهَذَا الْكَسْرُ لَيْسَ لَهُ انْجِبَارُ ؟

(١) يراد أكل آدم من الشجرة (٢) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه (٣) الوجار : جحر الضب وغيره

تَحَيَّرَ فِيهِ كُلُّ دَقِيقِ فَهْمٍ
وَلَيْسَ لِعُمْقِ جُرْحِهِمُ انْسِبَارُ[١]

إِذَا التَّكْوِيرُ غَالَ[٢] الشَّمْسَ عَنَّا
وَغَالَ كَوَاكِبَ الْأُفْقِ انْتِثَارُ

وَبُدِّلْنَا بِهَذِي الْأَرْضِ أَرْضًا
وَطُوِّحَ بِالسَّمٰوَاتِ انْفِطَارُ[٣]

وَأُذْهِلَتِ الْمَرَاضِعُ عَنْ بَنِيهَا
لِدَهْشَتِهَا وَعُطِّلَتِ الْعِشَارُ

وَغَشَّى الْبَدْرَ مِنْ فَرَقٍ وَذُعْرٍ
خُسُوفٌ لَيْسَ يُجْلَى أَوْ سِرَارُ[٤]

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكُنَّ كُثْبًا[٥]
مُهِيلَاتٍ وَسُجِّرَتِ الْبِحَارُ[٦]

فَأَيْنَ ثَبَاتُ ذِي الْأَلْبَابِ مِنَّا
وَأَيْنَ مَعَ الرُّجُومِ[٧] لَنَا اصْطِبَارُ ؟؟

(١) إنسبار : خبر (٢) غال : أبعد . ويريد إذا الشمس كورت بمعنى انتهت لانتهاء العالم (٣) إنشقاق (٤) السرار : من الشهر آخر ليلة وإظلام أواخره (٥) كثباً : جمع كثيب وهو ما اجتمع من الرمل (٦) سجرت : ملئت أو اتقدت

(٧) الرجوم : جمع رجم : وهو ما يرجم من الحجارة ، والمراد أنواع العذاب يوم القيامة

وَأَيْنَ عُقُولُ ذِى الأَفْهَامِ مِمَّا
يُرَادُ بِنَا وَأَيْنَ الاِعْتِبَارُ ؟؟
وَأَيْنَ يَغِيبُ لُبٌّ كَانَ فِينَا
ضِيَاؤُكَ مِنْ سَنَاهُ مُسْتَعَارُ ؟
وَلَا أَرْضٌ عَصَتْهُ وَلَا سَمَاءٌ
فَفِيمَا يَغُولُ (١) أَنْجُمَهَا انْكِدَارُ
وَقَدْ وَافَتْهُ طَائِعَةً وَكَانَتْ
دُخَانًا مَا لِقَاتِرِهِ (٢) شَرَارُ
قَضَاهَا سَبْعَةً وَالأَرْضَ مَهْدًا
دَحَاهَا فَهْىَ لِلأَمْوَاتِ دَارُ
فَمَا لِسُمُوِّ مَا أَعْلَى انْتِهَاءٌ
وَمَا لِعُلُوِّ مَا أَرْسَى قَرَارُ
وَلَكِنْ كُلُّ ذَا التَّهْوِيلِ فِيهِ
لِمَنْ يَخْشَى اتِّعَاظٌ وَازْدِجَارُ

(١) يغول : يهلك (٢) القاتر : ذو القتر والغبرة

وقَالَ :

بِنَا إِلَى الدَّيْرِ مِنْ كُوثَا(١) صَبَابَاتُ
فَلَا تَلُمْنِي فَمَا تُغْنِي الْمَلَامَاتُ

لَا تَبْعَدَنَّ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهَا
أَيَّامُ لَهْوٍ عَهِدْنَاهَا وَلَيْلَاتُ

فَكَمْ قَضَيْنَا لُبَانَاتِ(٢) الشَّبَابِ بِهَا
غُنْماً وَكَمْ بَقِيَتْ عِنْدِي لُبَانَاتُ

مَا مَكَّنَتْ دَوْلَةُ الْأَيَّامِ مُقْبِلَةً
فَانْعَمْ وَلَذَّ فَإِنَّ الْعَيْشَ تَارَاتُ

قَبْلَ ارْتِجَاعِ اللَّيَالِي فَهْيَ عَارِيَةٌ
فَإِنَّمَا مِنَحُ الدُّنْيَا غَرَامَاتُ

قُمْ فَاجْلُ فِي فَلَكِ الْبُسْتَانِ شَمْسَ ضُحًى
بُرُوجُهَا الزُّهْرُ وَالْجَامَاتُ(٣) دَارَاتُ

لَعَلَّهُ إِنْ دَعَا دَاعِي الْحِمَامِ بِنَا
نَقْضِي وَأَنْفُسُنَا مِنْهَا رَوِيَّاتُ(٤)

(١) كوثا : اسم بلد (٢) اللبانات : الحاجات من غير فاقة بل من همة ، جمع لبانة (٣) الجامات الكؤوس ، ودارات ، أى هالات (٤) رويات : ممتلئة

بِمَ التَّعَلُّلُ لَوْلَا الرَّاحُ فِى زَمَنٍ
أَحْيَاؤُهُ فِى سُبُاتِ الْهَمِّ أَمْوَاتُ ؟

بَدَتْ تُحَيِّي فَقَابَلْنَا تَحِيَّتَهَا
وَقَدْ عَرَاهَا لِخَوْفِ الْمَزْجِ رَوْعَاتُ

مَدَّتْ أَشِعَّةَ بَرْقٍ مِنْ أَبَارِقِهَا
عَلَى مُقَابِلِهَا مِنْهَا شُعَاعَاتُ

فَلَاحَ فِى سَاقِ سَاقِيهَا خَلَاخِلُ مِنْ
تِبْرٍ وَفِى أَوْجُهِ النُّدْمَانِ شَارَاتُ

قَدْ وَقَّعَ الصَّفْوُ سَطْرًا مِنْ فَوَاقِعِهَا
« لَا فَارَقَتْ شَارِبَ الرَّاحِ الْمَسَرَّاتُ »

خُذْ مَا تَعَجَّلَ وَاتْرُكْ مَا وُعِدْتَ بِهِ
وَكُنْ لَبِيبًا فَلِلتَّأْخِيرِ آفَاتُ

وَلِلسَّعَادَةِ أَوْقَاتٌ مُقَدَّرَةٌ
فِيهَا السُّرُورُ وَلِلْأَحْزَانِ أَوْقَاتُ

وَقَالَ :

أَيَا جَبَلَىْ نَعْمَانَ بِاللهِ خَلِّيَا
نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصْ إِلَىَّ نَسِيمُهَا

أَجِدْ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّى حَرَارَةً
عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا

فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَاتَنَفَّسَتْ
عَلَى كَبِدٍ حَرَّاءَ قَلَّتْ هُمُومُهَا

وَقَالَ :

لِيَكْفِكُمُ مَافِيكُمُ مِنْ جَوًى (١) نَلْقَى
فَمَهْلًا بِنَا مَهْلًا وَرِفْقًا بِنَا رِفْقًا

وَحُرْمَةِ وَجْدِى لَاسَلَوْتُ هَوَاكُمُ
وَلَا رُمْتُ مِنْهُ لَافَكَاكًا وَلَا عِتْقًا

سَأَزْجُرُ قَلْبًا رَامَ فِى الْحُبِّ سَلْوَةً
وَأَهْجُرُهُ إِنْ لَمْ يَمُتْ بِكُمُ عِشْقًا

صَحِبْتُ الْهَوَى يَاصَاحِ حَتَّى أَلِفْتُهُ
فَأَضْنَاهُ لِى أَشْقَى وَأَفْنَاهُ لِى أَبْقَى

(١) أى ما نلقاه فيكم من الجوى ، والجوى : شدة الوجد

فَلَا الصَّبْرُ مَوْجُودٌ وَلَا الشَّوْقُ بَارِحٌ
وَلَا أَدْمُعِي تُطْفِي لَهِيبِي وَلَا تَرْقَا (١)
أَخَافُ إِذَا مَا اللَّيلُ أَرْخَى سُدُولَهُ (٢)
عَلَى كَبِدِي حَرْقًا وَمِنْ مُقْلَتِي غَرْقَا
أَيَجْمُلُ أَنْ أُجْزَى مِنَ الْوَصْلِ بِالْجَفَا
فَيَنْعَمَ طَرْفِي وَالْفُؤَادُ بِكُمْ يَشْقَى ؟
أَحَظِّي هَـذَا أَمْ كَذَا كُلُّ عَاشِقٍ
يَمُوتُ وَلَا يَحْيَا وَيَظْمَى فَلَا يُسْقَى ؟!
سَلِ الدَّهْرَ عَلَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُ شَمْلَنَا
فَلَمْ أَرَ ذَا حَالٍ عَلَى حَالِهِ يَبْقَى

وَقَالَ :

إِذَا كَانَ دُونِي مَنْ بُلِيتُ بِجَهْلِهِ
أَبَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ أُقَابِلَ بِالْجَهْلِ
وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الْحِلْمِ وَالْحِجَا
عَرَفْتُ لَهُ حَقَّ التَّقَدُّمِ وَالْفَضْلِ

(١) ترقا : تسكن (٢) سدوله : أستاره ، أي ظلماته ، جمع سدل

وَإِنْ كَانَ مِثْلِى فِى الْفَطَانَةِ وَالْحِجَا
أَرَدْتُ لِنَفْسِى أَنْ أَجِلَّ عَنِ الْمِثْلِ

وَقَالَ :

وَفِى الْيَأْسِ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ لِذِى الْهَوَى
عَلَى أَنَّ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ عَذَابُ
أَعِفُّ وَبِى وَجْدٌ وَأَسْلُو وَبِى جَوًى
وَلَوْ ذَابَ مِنِّى أَعْظُمٌ وَإِهَابُ (١)
وَآنَفُ أَنْ تَصْطَادَ قَلْبِىَ كَاعِبٌ
بِلَحْظٍ وَأَنْ يُرْوِى صَدَاىَ رُضَابُ (٢)
فَلَا تُنْكِرُوا عِزَّ الْكَرِيمِ عَلَى الْأَذَى
فَحِينَ تَجُوعُ الضَّارِيَاتُ تُهَابُ

وَقَالَ :

وَكَأَنَّمَا الْإِنْسَانُ مِنَّا غَيْرُهُ
مُتَكَوِّنٌ وَالْحِسُّ (٣) مِنْهُ مُعَارُ

(١) إهاب : جلد (٢) الرضاب : الريق (٣) كانت فى الاصل « والحسن فيه » ولكن لا يستقيم المعنى إلا بما غيرت إليه

مُتَصَرِّفٌ وَلَهُ الْقَضَاءُ مُصَرِّفٌ
وَمُسَيَّرٌ (١) وَكَأَنَّهُ مُخْتَارُ
طَوْراً تُصَوِّبُهُ الْحُظُوظُ وَتَارَةً
خَطَأً تُحِيلُ صَوَابَهُ الْأَقْدَارُ
تَعْمَى بَصِيرَتُهُ وَيُبْصِرُ بَعْدَمَا
لَا يَسْتَرِدُّ الْفَائِتَ اسْتِبْصَارُ
وَتَرَاهُ يُؤْخَذُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ
وَيُرَدُّ فِيهِ وَقَدْ جَرَى الْمِقْدَارُ
فَيَظَلُّ يُوسِعُ بِالْمَلَامَةِ نَفْسَهُ
نَدَماً إِذَا عَبِثَتْ بِهِ الْأَفْكَارُ
لَا يَعْرِفُ الْإِفْرَاطَ فِى إِيرَادِهِ (٢)
حَتَّى يُبَيِّنَهُ لَهُ الْإِصْدَارُ (٣)

وَقَالَ :

تَلَقَّ بِالصَّبْرِ ضَيْفَ الْهَمِّ حَيْثُ أَتَى
إِنَّ الْهُمُومَ ضُيُوفٌ أَكْلُهَا الْمُهَجُ

(١) كانت فى الاصل « ومخير » ولكنها لا تقيم معنى البيت (٢) ورد الماء : أشرف عليه وبلغه (٣) صدر الرجل عن الماء : رجع عنه

فَالْخَطْبُ إِنْ زَادَ يَوْماً فَهُوَ مُنْتَقِصٌ
وَالأَمْرُ إِنْ ضَاقَ يَوْماً فَهُوَ مُنْفَرِجُ
فَرَوِّحِ النَّفْسَ بِالتَّعْلِيلِ تَرْضَ بِهِ
وَاعْلَمْ إِلَى سَاعَةٍ مِنْ سَاعَةٍ فَرَجُ

وَقَالَ :

إِحفَظْ لِسَانَكَ لَا تَبُحْ بِثَلَاثَةٍ
سِرٍّ وَمَالٍ مَا اسْتَطَعْتَ وَمَذْهَبِ
فَعَلَى الثَّلَاثَةِ تُبْتَلَى بِثَلَاثَةٍ
بِمُعَكِّرٍ وَبِحَاسِدٍ وَمُكَذِّبِ

وَقَالَ :

وَعَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ فَاعْتَبِ الْمَرْ
ءَ وَحَاذِرْ بِرًّا يَصِيرُ عُقُوقَا
كَمْ صَدِيقٍ بِالْعَتْبِ صَارَ عَدُوًّا
وَعَدُوٍّ بِالْحِلْمِ صَارَ صَدِيقَا

وَقَالَ :

ثَقُلَتْ زُجَاجَاتٌ أَتَتْنَا فُرَّغَا
حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصِرْفِ الرَّاحِ

خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ
وَكَذَا الْجُسُومُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ

وَقَالَ :

تَسَلَّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالْحَيَاةِ فَقَدْ
يَهُونُ بَعْدَ بَقَاءِ الْجَوْهَرِ الْعَرَضُ
يُعَوِّضُ اللهُ مَالاً أَنْتَ مُتْلِفُهُ
وَمَا عَنِ النَّفْسِ إِنْ أَتْلَفْتَهَا عِوَضُ

وَقَالَ :

قَالُوا الْقَنَاعَةُ عِزٌّ وَالْكَفَافُ (١) غِنًى
وَالذُّلُّ وَالْعَارُ حِرْصُ الْمَرْءِ وَالطَّمَعُ
صَدَقْتُمُ مَنْ رِضَاهُ سَدَّ جَوْعَتَهُ
إِنْ لَمْ يُصِبْهُ (٢) فَمَاذَا مِنْهُ يَقْتَنِعُ ؟

(١) الكفاف من الرزق : ما كف عن الناس وأغنى (٢) صدقنا ماتقولون أن فى القناعة والكفاف غنى ، ولكن أرونا من رضى فزال جوعه إن لم يصبه هذا الرضا بالسوء ويضره ، وأى شئ يقتنع منه بعد هذا « عبد الخالق »

وَقَالَ :

إِنْ تَكُنْ تَجْزَعُ مِنْ دَمْـ عِي إِذَا فَاضَ فَصُنْهُ
أَوْ تَكُنْ مُجِدْتَ(١) يَوْماً سَيِّداً يَعْفُو فَكُنْهُ
أَنَا لَا أَصْبِرُ عَمَّنْ لَا يَجُوزُ الصَّبْرُ عَنْهُ
كُلُّ ذَنْبٍ فِي الْهَوَى يُغْـ فَرُ لِي مَا لَمْ أَخُنْهُ

وَقَالَ يَرْثِي أَخَاهُ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُوسُفَ :

غَايَةُ الْحُزْنِ وَالسُّرُورِ انْقِضَاءُ(٢)
مَا لِحَيٍّ مِنْ بَعْدِ مَيْتٍ بَقَاءُ
لَا لَبِيدٌ بِأَرْبَدٍ(٣) مَاتَ حُزْناً
وَسَلَتْ صَخْراً الْفَتَى الْخَنْسَاءُ
مِثْلَ(٤) مَا فِي التُّرَابِ يَبْلَى الْفَتَى فَالْ
حُزْنُ يَبْلَى مِنْ بَعْدِهِ وَالْبُكَاءُ
غَيْرَ أَنَّ الْأَمْوَاتَ زَالُوا وَأَبْقَوْا
غُصَصاً لَا يُسِيغُهَا الْأَحْيَاءُ

(١) فى الاصل جحدت (٢) فى الاصل : القضاء (٣) أربد : أخو لبيد
(٤) مثل معمول ليبلى التى فى الشطر الثانى

إِنَّمَا نَحْنُ بَيْنَ ظُفْرٍ وَنَابٍ
مِنْ خُطُوبٍ أُسُودُهُنَّ ضِرَاءُ(١)
نَتَمَنَّى وَفِى الْمُنَى قِصَرُ الْعُمْـ
ـرِ فَنَغْدُو بِمَا نُسَرُّ نُسَاءُ(٢)
صِحَّةُ الْمَرْءِ لِلسَّقَامِ طَرِيقٌ
وَطَرِيقُ الْفَنَاءِ هَـذَا الْبَقَاءُ
بِالَّذِى نَغْتَذِى نَمُوتُ وَنَحْيَا
أَقْتَلُ الدَّاءِ لِلنُّفُوسِ الدَّوَاءُ
مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا
نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَالْعَطَاءُ
رَاجِعٌ جُودُهَا عَلَيْهَا فَمَهْمَا
يَهَبُ الصُّبْحُ يَسْتَرِدُّ الْمَسَاءُ
لَيْتَ شِعْرِى حُلْمًا تَمُرُّ بِنَا الْأَيْـ
ـيَامُ أَمْ لَيْسَ تَعْقِلُ الْأَشْيَاءُ

---

(١) ضراء : معودة الصيد والجرأة عليه (٢) غدا بمعنى صار ، والمعنى : فنصير مسائين بما كنا نسر به

مِنْ فَسَادٍ يَجْنِيهِ لِلْعَالَمِ الْـكَوْ
نُ فَمَا لِلنُّفُوسِ مِنْهُ اتِّقَاءُ

قَبَّحَ اللهُ لَذَّةً لِشَقَانَا
نَالَهَا الْأُمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ

نَحْنُ لَوْلَا الْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ الْفَقْـ
ـرَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

وَقَلِيلًا مَا تَصْحَبُ الْمُهْجَةُ الْجِسْـ
ـمَ فَفِيمَ الْأَسَى وَفِيمَ الْعَنَاءُ ؟؟

وَلَقَدْ أَيَّدَ الْإِلَهُ عُقُولًا
حُجَّةُ الْعَوْدِ عِنْدَهَا الْإِبْدَاءُ

غَيْرَ دَعْوَى قَوْمٍ عَلَى الْمَيْتِ شَيْئًا
أَنْـكَرَتْهُ الْجُلُودُ وَالْأَعْضَاءُ

وَإِذَا كَانَ فِي الْعِيَانِ (١) خِلَافٌ
كَيْفَ فِي الْغَيْبِ يَسْتَبِينُ الْخَفَاءُ ؟

---

(١) العيان : المعاينة لا شك فيها .

مَا دَهَانَا مِنْ يَوْمِ أَحْمَدَ إِلَّا
ظُلُمَاتٌ وَمَا اسْتَبَانَ ضِيَاءُ
يَا أَخِى عَادَ بَعْدَكَ الْمَاءُ سُمًّا
وَسَمُومًا ذَاكَ النَّسِيمُ الرُّخَاءُ(١)
وَالدُّمُوعُ الْغِزَارُ عَادَتْ مِنَ الْأَنْـ
ـفَاسِ نَاراً تُثِيرُهَا الصُّعَدَاءُ
وَأَعُدُّ الْحَيَاةَ غَدْراً وَلَوْ كَا
نَتْ حَيَاةً يَرْضَى بِهَا الْأَعْدَاءُ
أَيْنَ تِلْكَ الْخِلَالُ وَالْحَزْمُ أَيْنَ الْ
ـعَزْمُ أَيْنَ السَّنَاءُ أَيْنَ الْبَهَاءُ ؟؟
كَيْفَ أَوْدَى النَّعِيمُ مِنْ ذَلِكَ الظِّلْ
لِ وَشِيكاً وَزَالَ ذَاكَ الْغِنَاءُ ؟
أَيْنَ مَا كُنْتَ تَنْتَضِى مِنْ لِسَانٍ
فِى مَقَامٍ مَا لِلْمَوَاضِى انْتِضَاءُ ؟

(١) الرخاء بالضم : الريح اللينة لا تحرك شيئا .

كَيْفَ أَرْجُو شِفَاءَ مَا بِى ؟ وَمَا بِى
دُونَ سُكْنَاىَ فِى ثَرَاكَ شِفَاءُ

أَيْنَ ذَاكَ الرُّوَاءُ وَالْمَنْطِقُ الْجَزْ
لُ وَأَيْنَ الْحَيَاءُ أَيْنَ الْإِبَاءُ ؟؟

إِنْ محَا حُسْنَكَ التُّرَابُ فَمَا لِلدْ
دَمْعِ يَوْمًا مِنْ صَحْنِ خَدِّى امِّحَاءُ

أَوْ تَبِنْ لَمْ يَبِنْ قَدِيمُ وِدَادِى
أَوْ تَمُتْ لَمْ يَمُتْ عَلَيْكَ الثَّنَاءُ

شَطْرَ (١) نَفْسِى دَفَنْتُ وَالشَّطْرُ بَاقٍ
يَتَمَنَّى وَمَنْ مُنَاهُ الْفَنَاءُ

---

(١) الشطر : النصف

ملاحظة : ما أروع هذا الشعر وما أرزنه ، ليت الذين يتناولون هذا الضرب من القول يحذون حذو ابن يوسف ، ويتخذونه قدوة ويسوقون القول على غراره ، والله لكأنى أمر بقوله فأطرب للمعانى الآخذة بالعقول . وأتمثل الفلسفة الواضحة لا تلك التى يغرب فيها الفلاسفة ، وأخضع للحكمة يجلوها فى أبهى لباسها ، وأذعن لتشبيهاته المحكمة ، وسيشاركنى فى هذا القول من يتفهم شعره الذى مر ويتدبره ، فأن المعانى السامية تتبجس من كل لفظ فيه «عبد الخالق»

إِنْ تَكُنْ قَدَّمَتْهُ أَيْدِى الْمَنَايَا
فَإِلَى السَّابِقِينَ تَمْضِى الْبِطَاءُ
يُدْرِكُ الْمَوْتُ كُلَّ حَىٍّ وَلَوْ أَخْ
فَتْهُ عَنْهُ فِى بُرْجِهَا الْجَوْزَاءُ
لَيْتَ شِعْرِى وَلِلْبِلَا كُلُّ مَخْلُو
قٍ بِمَاذَا تَمَيَّزَ الْأَنْبِيَاءُ ؟
مَوْتُ ذِى الْحِكْمَةِ الْمُفَضَّلِ بِالنُّطْ
قِ وَذِى الْعُجْمَةِ الْبَهِيمِ سَوَاءُ
لَا غَوِىٌّ لِفَقْدِهِ تَبْسِمُ الْأَرْ
ضُ وَلَا لِلتَّقِىِّ تَبْكِى السَّمَاءُ
كَمْ مَصَابِيحِ أَوْجُهٍ أَطْفَأَتْهَا
تَحْتَ أَطْبَاقِ تُرْبِهَا الْبَيْدَاءُ (١)
كَمْ بُدُورٍ وَكَمْ شُمُوسٍ وَكَمْ أَطْ
وَادِ مَجْدٍ أَمْسَتْ عَلَيْهَا الْعَفَاءُ (٢)

(١) البيداء : الفلاة (٢) العفاء : التراب

كَمْ محَا عِزَّةَ الكَوَاكِبِ غَيْمٌ
ثُمَّ أَخفَتَ ضِيَاءَهَا الأَنْوَاءُ
إِنَّمَا النَّاسُ قَادِمٌ إِثْرَ مَاضٍ
بَدْءُ قَوْمٍ لِلآخَرِينَ انْتِهَاءُ

وَقَالَ :

قَالُوا وَقَدْ مَاتَ مَحْبُوبٌ فُجِعْتَ بِهِ
وَفِى الصِّبَا وَأَرَادُوا عَنْهُ سُلْوَانِى (١)
ثَانِيهِ فِى الْحُسْنِ مَوْجُودٌ فَقُلْتُ لَهُمْ
مِنْ أَيْنَ لِى فِى الْهَوَى الثَّانِى صِباً ثَانِى؟

وَقَالَ :

وَلَوْ أَنَّنِى أُعْطِيتُ مِنْ دَهْرِىَ الْمُنَى
وَمَا كُلُّ مَنْ يُعْطَى الْمُنَى بِمُسَدَّدِ
لَقُلْتُ لِأَيَّامٍ مَضَيْنَ أَلَا ارْجِعِى
وَقُلْتُ لِأَيَّامٍ أَتَيْنَ أَلَا ابْعُدِى

(١) السلوان : النسيان

٣ – الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ *

الحسين بن عبد الله الأنصارى

ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ الْحَمَوِيُّ، الْأَدِيبُ الْفَقِيهُ الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ، وُلِدَ بِحَمَاةَ وَنَشَأَ بِهَا، وَرَحَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً وَاشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرَ وَمِنْ عَمِّهِ وَآخَرِينَ. وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ فَسَمِعَ بِهَا وَبِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ فَشَهِدَ وَاقِعَةَ مَرْجِ عَكَّا فَقُتِلَ فِيهَا شَهِيداً يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ مُهَنِّئاً بِهَا الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ بْنَ أَيُّوبَ بِعِيدِ النَّحْرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ السُّلْطَانُ مُخَيِّماً بِمَرْجِ فَاقُوسَ:

لَقَدْ خَبَرَ التَّجَارِبَ مِنْهُ حَزْمٌ ... وَقَلَّبَ دَهْرَهُ ظَهْراً لِبَطْنِ

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

فَسَاقَ إِلَى الفَرَنْجِ الخَيْلَ بَرًّا
وَأَدْرَكَهُمْ عَلَى بَحْرٍ بِسُفْنِ
وَقَدْ جَلَبَ الجَوَارِيَ بِالجَوَارِي
يَمِدْنَ بِكُلِّ قَدٍّ مُرْجَحِنٍّ (١)
يَزِيدُهُمُ اجْتِمَاعُ الشَّمْلِ بُؤْساً
فَمِرْنَانٌ (٢) يَنُوحُ عَلَى مِرَنٍّ (٣)
زَهَتْ إِسْكَنْدَرِيَّةُ يَوْمَ سِيقُوا
وَدِمْيَاطٌ إِلَى المِينَا بِغَبْنِ (٤)
يَرَوْنَ خَيَالَهُ كَالطَّيْفِ يَسْرِي
فَلَوْ هَجَعُوا أَتَاهُمْ بَعْدَ وَهْنِ (٥)
أَبَادَهُمُ تَخَوُّفُهُ فَأَمْسَى
مَنَامُهُمُ لَوْ يُبَيِّتُهُمْ بِأَمْنِ

---

(١) مرجحن : مائل مهتز (٢) المرنان : الرمح الصلب اللدن الشديد
(٣) المرن : القوس الكثيرة الرنين (٤) الغبن : الخديعة في البيع والشراء والمراد هنا القهر والغلب وهو راجع لسيقوا (٥) الوهن : الهزيع من الليل . وفي هذا البيت رجع إلى الملك الناصر

تَمَلَّكَ جَيْشُهُمْ شَرْقاً وَغَرْباً
فَصَارُوا بَيْنَ مَمْلُوكٍ وَرَهْنِ
أَقَامَ بِآلِ أَيُّوبٍ رِبَاطاً
رَأَتْ مِنْهُ الْفَرَنْجَةُ ضِيقَ سِجْنِ
رَجَا أَقْصَى الْمُلُوكِ السِّلْمَ مِنْهُمْ
وَلَمْ يَرَ جُهْدَهُ فِى الْحَرْبِ يُغْنِى
فَأَلْقَى السِّلْمَ بَعْدَ الْحَرْبِ كَرْهاً
وَلَمْ يَرَ مِنْ مُنَاهُ سِوَى التَّمَنِّى

وَقَالَ يَرْثِى الْحَافِظَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ عَسَاكِرَ، وَأَنْشَدَهَا بِجَامِعِ دِمَشْقَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ :

ذَرَا (١) السَّعْىَ فِى نَيْلِ الْعُلَا وَالْفَضَائِلِ
مَضَى مَنْ إِلَيْهِ كَانَ شَدُّ الرَّوَاحِلِ
فَقُولَا لِسَارِى الْبَرْقِ إِنِّى مُعِينُهُ
بِنَارِ أَسًى أَوْ سُحْبِ دَمْعٍ هَوَاطِلِ

(١) فى الاصل : ذوى

وَتَمْزِيقِ جِلْبَابِ الْعَزَاءِ لِفَقْدِهِ
بِزَفْرَةِ بَاكٍ أَوْ بِحَسْرَةِ ثَاكِلِ
فَأَعْلِنْ بِهِ لِلرَّكْبِ وَاسْتَوْقِفِ السُّرَى (١)
لِقُصَّادِهِ مِنْ قَبْلِ طَيِّ الْمَرَاحِلِ
وَقُلْ غَابَ بَدْرُ التِّمِّ عَنْ أَنْجُمِ الدُّجَى
وَأَشْرَقَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ كُلُّ آفِلِ
وَمَا كَانَ إِلَّا الْبَحْرَ غَارَ وَمَنْ يَرِدْ
سَوَاحِلَهُ لَمْ يَلْقَ غَيْرَ الْجَدَاوِلِ
وَهَبْكُمْ رَوَيْتُمْ عِلْمَهُ مِنْ رُوَاتِهِ
فَلَيْسَ عَوَالِي صَحْبِهِ بِنَوَازِلِ (٢)
فَقَدْ فَاتَكُمْ نُورُ الْهُدَى بِوَفَاتِهِ
وَنُورُ التُّقَى مِنْهُ وَنُجْحُ الْوَسَائِلِ
وَمَا حَظُّ مَنْ قَدْ غَرَّهُ نَصْلُ صَارِمٍ
رَجَا نَصْرَهُ مِنْ غِمْدِهِ وَالْحَمَائِلِ

(١) فى الأصل « البرى » (٢) كذا عند ابن عساكر ، وبالأصل « غير نازل »

لِيَبْكِ عَلَيْهِ مَنْ رَآهُ وَمَنْ حَوَى
هُدَاهُ بِأَيَّامٍ لَدَيْهِ قَلَائِلِ

وَيَقْضِ أَسًى مَنْ فَاتَهُ الفَضْلُ عَاجِلًا
بِرُؤْيَتِهِ وَالفَوْزُ فِي كُلِّ عَاجِلِ

أَسِفْتُ لِإِزْجَائِي قُدُومَ أَعِزَّةٍ
عَلَيْهِ وَتَسْوِيفٍ إِلَى عَامٍ قَابِلِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَازُوا بِإِدْرَاكِ مِثْلِهِ
لَأَزْرَوْا عَلَى سِنِّ الصِّبَا بِالْأَمَاثِلِ

فَيَا لَمُصَابٍ عَمَّ سُنَّةَ أَحْمَدٍ
وَأَحْرَمَ(١) مِنْهَا كُلَّ رَاوٍ وَنَاقِلِ

خَلَا الشَّامُ مِنْ خَيْرٍ خَلَتْ كُلُّ بَلْدَةٍ
بِهَا مِنْ نَظِيرٍ لِلْإِمَامِ مُمَاثِلِ

وَأَصْبَحَ بَعْدَ الحَافِظِ العَلَمُ شَاغِرًا(٢)
بِلَا حَافِظٍ يَهْذِي بِهِ كُلُّ بَاقِلِ

---

(١) أحرم « لغية » فى حرم بمعنى منع (٢) شاغرا : خالياً لم يبق أحد يحميه ويضبطه ، وباقل : رجل يضرب به المثل فى العى أو باقل من بقل الصبي نبت الشعر بوجهه وهذا أوفق « عبد الخالق »

وَكَمْ مِنْ نَبِيهٍ ضَلَّ مُذْ مَاتَ جَاهُهُ
وَقُدِّمَ[(١)] لَمَّا أَنْ مَضَى كُلُّ خَامِلِ
خَلَتْ سُنَّةُ الْمُخْتَارِ مِنْ ذَبِّ[(٢)] نَاصِرٍ
فَأَيْسَرُ مَالَاقْتَــــهُ بِدْعَةُ جَاهِلِ
نَمَى لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ مَقَــــالَةً
فَأَصْبَحَ يَثْنِي[(٣)] عَنْهُ كُلَّ مُجَادِلِ
وَأَيَّدَ قَوْلَ الْأَشْعَرِيِّ بِسُنَّةٍ
فَكَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ
وَكَمْ قَدْ أَبَانَ الْحَقَّ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ
فَأَرْوَى بِمَا يَرْوِي[(٤)] ظِمَاءَ الْمَحَافِلِ
وَسَدَّ مِنَ التَّجْسِيمِ[(٥)] بَابَ ضَلَالَةٍ
وَرَدَّ مِنَ التَّشْبِيهِ شُبْهَةَ بَاطِلِ

---

(١) نائب الفاعل كل خامل ، وفاعل مضى مستتر جوازا يعود على الحافظ المزى
(٢) أى دفاع (٣) أى يبعد (٤) يروى : كذا وردت بالأصل مضبوطة الياء بالضم والصواب الفتح (٥) قول لطائفة من الملاحدة يثيرون من القول ما يفهم منه تجسم الذات العلية

وَإِنْ يَكُ قَدْ أَوْدَى فَكَمْ مِنْ أَسِنَّةٍ
مُرَكَّبَةٍ مِنْ قَوْلِهِ فِي عَوَامِلِ (١)
وَإِنْ مَالَ قَوْمٌ وَاسْتَمَالُوا رِعَاعَهُمْ
بِإِضْلَالِهِمْ عَنْهُ فَلَسْتُ بِمَائِلِ
أَرَى الْأَجْرَ فِي نَوْحِي عَلَيْهِ وَلَا أَرَى
سِوَى الْإِثْمِ فِي نَوْحِ الْبَوَاكِي الثَّوَاكِلِ
وَلَيْسَ الَّذِي يَبْكِي إِمَامًا لِدِينِهِ
كَبَاكٍ لِدُنْيَاهُ عَلَى فَقْدِ رَاحِلِ
فَيَا قَلْبُ وَاصِلْهُ بِأَعْظَمِ رَحْمَةٍ
وَيَا عَيْنُ فَاسْقِيهِ بِأَغْزَرِ وَابِلِ
وَحَيٍّ ثَرَاهُ الدَّهْرَ أَهْنَى تَحِيَّةٍ
مُكَرَّرَةٍ عِنْدَ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
أَعِنِّي عَلَى نَوْحِي عَلَيْهِ فَإِنَّهُ
قَرِيبٌ ثَوَاءٌ (٢) فِي الثَّرَى وَالْجَنَادِلِ

(١) عوامل : جمع عامل وهو صدر الرمح . والكلام على التجوز (٢) أى إقامة ، والثرى : التراب ، والجنادل : الأحجار الضخمة .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِالدَّمْعِ سَيْلٌ لِحُبِّهِ
لَضَنَّ عَلَى خَدٍّ بِهِ كُلُّ بَاخِلِ
مَضَى مَنْ حَدِيثُ الْمُصْطَفَى كَانَ شَاغِلاً
لَهُ بِاجْتِهَادٍ فِيهِ عَنْ كُلِّ شَاغِلِ
لَقَدْ شَمِلَ الْإِسْلَامَ فِيهِ رَزِيَّةٌ
وَكَانَ لَهُ بِالنُّصْحِ أَفْضَلَ شَامِلِ
وَفَضَّلَ بَيْنَ السَّالِفِينَ اطِّلَاعُهُ
عَلَيْهِمْ فَذَبَّ النَّقْصَ عَنْ كُلِّ فَاضِلِ
وَأَصْبَحَ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ مُمَيِّزاً
بِغَيْرِ نَظِيرٍ فِي الْوَرَى وَمُسَاجِلِ
وَأَكْمَلَ تَارِيخاً لِلْخَلْقِ جَامِعاً
لِمَنْ حَلَّهَا مِنْ كُلِّ شَهْمٍ وَكَامِلِ
فَأَزْرَى بِتَارِيخِ الْخَطِيبِ وَقَدْ غَدَا
بِخُطْبَتِهِ فِي الْكُتْبِ أَخْطَبَ قَائِلِ

وَمِنْهَا :

طَوَى الْمَوْتُ مِنْهُ الْعِلْمَ وَالزُّهْدَ وَالنُّهَى
وَكَسْبَ الْمَعَالِى وَاجْتِنَابَ الرَّذَائِلِ
وَأَفْجَعَ فِيهِ[1] الْعَـالَمِينَ بِمُقْدِمٍ
صَبُورٍ عَلَى حَرْبِ الضَّلَالِ حُلَاحِلِ[2]
وَكَانَ غَيُوراً ذَبَّ عَنْ دِينِ أَحْمَدٍ
وَأَدْفَعَ عَنْـهُ مِنْ شُجَاعٍ مُقَاتِلِ
وَأُحْرِمَ مِنْهُ[3] الدِّينُ أَشْرَفَ صَائِنٍ
لَهُ وَلِدَفْعِ الزَّيْغِ أَعْظَمَ صَائِلِ
وَلَمْ أَرَ نَقْصَ الْأَرْضِ يَوْمًا كَنَقْصِهَا
بِمَوْتِ إِمَامٍ عَالِمٍ ذِى فَضَائِلِ
أَبَا الْقَاسِمِ الْأَيَّامُ قِسْمَةُ حَاكِمٍ
قَضَى بِالْفَنَـا فِينَا قَضِيَّةَ عَادِلِ

---

(١) فى الأصل : منه (٢) الحلاحل : الجرىء المقدام الجسور

(٣) أحرم بالبناء للمجهول بمعنى حُرم « لغية » وقد وردت فى هذه القصيدة قبل ، وفى الأصل : أحرم فيه

بِمَاذَا أُعَزِّى الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَرَى
عَزَاءً سِوَى مَنْ قَدْ مَضَى مِنْ أَفَاضِلِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ مَا انْتَفَعَ الْوَرَى
بِعِلْمِكَ وَاسْتَعْلَى عَلَى الْمُتَطَاوِلِ[1]

وَقَالَ:

إِنْ كَانَ يَحْلُو لَدَيْكَ قَتْلِى فَزِدْ مِنَ الْهَجْرِ فِى عَذَابِى
عَسَى يُطِيلُ الْوُقُوفَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ اللهُ فِى الْحِسَابِ

وَقَالَ:

لَامُوا عَلَيْكَ وَمَا دَرَوْا أَنَّ الْهَوَى سَبَبُ السَّعَادَةْ
إِنْ كَانَ وَصْلٌ فَالْمُنَى أَوْ كَانَ هَجْرٌ فَالشَّهَادَةْ

وَعَكَسَهُ فَقَالَ:

يَا قَلْبُ دَعْ عَنْكَ الْهَوَى قَسْراً
مَا أَنْتَ مِنْهُ حَامِدٌ أَمْرَا
أَضَعْتَ دُنْيَاكَ بِهِجْرَانِهِ
إِنْ نِلْتَ وَصْلًا ضَاعَتِ الْأُخْرَى

(١) قد مرت القصيدة كلها وما راعنى منها شىء ويخيل إلى أنها كلام قد رص رصا على انه رص أميل إلى السقوط منه إلى البقاء . « عبد الخالق »

وَقَالَ :

وَلِلزُّنْبُورِ وَالْبَازِى جَمِيعاً
لَدَى الطَّيَرَانِ أَجْنِحَةٌ وَخَفْقُ
وَلَكِنْ بَيْنَ مَا يَصْطَادُ بَازٍ
وَمَا يَصْطَادُهُ الزُّنْبُورُ فَرْقُ

﴿ ٤ — الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ * ﴾

الحسين بن على الأصبهانى

الْأُسْتَاذُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَصْبَهَانِىُّ الْمَعْرُوفُ

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان جزء أول صفحة ٢٠٠ نقتطف منها ما يأتى قال :

كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر . ذكره السمعانى فى نسبة المنشى من كتاب الأنساب وأثنى عليه وأورد قطعة من شعره فى صفة الشمعة ، وللطغرائى المذكور ديوان شعر جيد ، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم ، وكان عملها ببغداد فى سنة خمس وخمسمائة .

وذكره أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربل وقال : إنه ولى الوزارة بمدينة إربل مدة ، وذكر العماد الكاتب فى كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية : أن الطغرائى المذكور كان ينعت بالأستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوق بالموصل ، وأنه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود ، فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب على بن أحمد بن حرب السميرمى فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا فى ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب : هذا الرجل ملحد يعنى الأستاذ ، فقال وزير محمود : إن يكن ملحدا يقتل ، فقتل ظلما وقد كانوا خافوا —

بِالطُّغْرَائِيِّ نِسْبَتُهُ إِلَى مَنْ يَكْتُبُ الطُّغْرَاءَ ، وَهِيَ الطُّرَّةُ الَّتِي تُكْتَبُ فِي أَعْلَى الْمَنَاشِيرِ فَوْقَ الْبَسْمَلَةِ بِالْقَلَمِ الْجَلِيِّ تَتَضَمَّنُ اسْمَ الْمَلِكِ وَأَلْقَابَهُ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ مُحَرَّفَةٌ مِنَ الطُّرَّةِ ، كَانَ آيَةً فِي الْكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ ، خَبِيراً بِصِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ ، لَهُ فِيهَا تَصَانِيفُ أَضَاعَ النَّاسُ بِمُزَاوَلَتِهَا أَمْوَالًا لَا تُحْصَى ، وَخَدَمَ السُّلْطَانَ مَلِكَ شَاهَ بْنَ أَلْبَ أَرْسَلَانَ ، وَكَانَ مُنْشِئَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ مُدَّةَ مُلْكِهِ مُتَوَلِّيَ دِيوَانِ الطُّغْرَاءِ ، وَصَاحِبَ دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ . تَشَرَّفَتْ بِهِ الدَّوْلَةُ السَّلْجُوقِيَّةُ ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ الْمَمْلَكَةُ الْأَيُّوبِيَّةُ ، وَتَنَقَّلَ فِي

منه ولاقبل لهم عليه لفضله ، فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة وقيل ثمانى عشرة وقدجاوز ستين سنة وفى شعره مايدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة ، لانه قال وقد جاءه مولود .

هذا الصغير الذى وافى على كبرى ... أقر عينى ولكن زاد فى فكرى
سبع وخمسون لو مرت على حجر ... لبان تأثيرها فى صفحة الحجر

والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك رحمه الله تعالى وقتل الكمال السميري الوزير المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة فى السوق ببغداد عند المدرسة النظامية وقيل قتله عبد أسود كان للطغرائى المذكور لأنه قتل أستاذه ، والطغرائى بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى

الْمَنَاصِبِ وَالْمَرَاتِبِ ، وَتَوَلَّى الِاسْتِيفَاءَ وَتَرَشَّحَ لِلْوِزَارَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدَّوْلَتَيْنِ السَّلْجُوقِيَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ مَنْ يُمَاثِلُهُ فِي الْإِنْشَاءِ سِوَى أَمِينِ الْمُلْكِ أَبِي نَصْرٍ الْعُتْبِيِّ . وَلَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْعُلُومِ قَدْرٌ رَاسِخٌ[1] ، وَلَهُ الْبَلَاغَةُ وَالْمُعْجِزَةُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ .

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْأَصْفَهَانِيُّ : كَشَفَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِذَكَائِهِ سِرَّ الْكِيمِيَاءِ ، وَفَكَّ رُمُوزَهَا وَاسْتَخْرَجَ كُنُوزَهَا ، وَلَهُ فِيهَا تَصَانِيفُ مِنْهَا : جَامِعُ الْأَسْرَارِ وَكِتَابُ تَرَاكِيبِ الْأَنْوَارِ ، وَكِتَابُ حَقَائِقِ الِاسْتِشْهَادَاتِ وَكِتَابُ ذَاتِ الْفَوَائِدِ ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا فِي إِبْطَالِ الْكِيمِيَاءِ[2] ، وَمَصَابِيحُ الْحِكْمَةِ ، وَكِتَابُ مَفَاتِيحِ الرَّحْمَةِ . وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ وَغَيْرُ ذَلِكَ . وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقُتِلَ فِي الْوَقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَخِيهِ السُّلْطَانِ مَحْمُودٍ سَنَةَ

---

(١) راسخ : ثابت لا يتزعزع (٢) الذى يقول بأبطال الكيمياء هو ابن سينا ، وأما الطغرائى فيدعى صحتها

خمس عشرةَ وخمسمائةٍ ، وقد جاوزَ الستينَ ، ورُوِيَ أنه لمّا عزمَ السُّلطانُ محمودٌ على قتلِ الطُّغرائيِّ أمرَ بهِ أنْ يُشدَّ إلى شجرةٍ وأنْ يقفَ تجاهَهُ جماعةٌ بالسِّهامِ ، وأنْ يقفَ إنسانٌ خلفَ الشجرةِ يكتبُ ما يقولُ . وقالَ لِأصحابِ السِّهامِ لا ترموهُ حتى أُشيرَ إليكمْ ، فوقفوا والسِّهامُ مفوَّقةٌ لِرميهِ فأنشدَ الطُّغرائيُّ في تلكَ الحالةِ :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُسدِّدُ سَهْمَهُ
نَحْوِي وَأَطْرَافُ المنِيَّةِ شُرَّعُ
وَالمَوْتُ فِي لَحَظَاتِ أَحْوَرَ طَرْفُهُ
دُونِي وَقَلْبِي دُونَهُ يَتَقَطَّعُ
بِاللهِ فَتِّشْ عَنْ فُؤَادِيَ هَلْ يُرَى
فِيهِ لِغَيْرِ هَوَى الأَحِبَّةِ مَوْضِعُ
أَهْوِنْ بِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي طَيِّهِ
عَهْدُ الحَبِيبِ وَسِرُّهُ المُسْتَوْدَعُ

فرقَّ لهُ وأمرَ بإطلاقِهِ ، ثُمَّ إنَّ الوزيرَ أغراهُ بقتلِهِ بعدَ حينٍ فقتلَهُ . ومِنْ شعرِ مُؤيَّدِ الدِّينِ الطُّغرائيِّ قصيدتُه التي تداولَتْها الرُّواةُ وتناقلَتْها الألسُنُ المعروفةُ بلاميةِ

العَجَمِ ، وقد رأيتُ أن أوردها بتمامها إعجاباً بها قال :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ
وَحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَلِ

مَجْدِي أَخِيراً وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ[1]
وَالشَّمْسُ رَأْدَ[2] الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ[3]

فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ[4] لَا سَكَنِي
بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي ؟

نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ
كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الخَلَلِ[5]

فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي
وَلَا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي

طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي[6]
وَرَحْلُهَا وَقَرَا[7] العَسَّالَةِ[8] الذُّبُلِ[9]

---

(١) شرع : سواء (٢) رأد : وقت (٣) الطفل : الشمس قرب الغروب
(٤) الزوراء : بغداد (٥) الخلل جمع خلة : بطانة منقوشة يكسى بها غمد السيف
(٦) الراحلة : ما يرحل عليه من الابل ، والرحل : المركب الذي يوضع على ظهرها
(٧) القرا : الظهر (٨) العسالة : الرماح المهتزة (٩) الذبل : جمع ذابل
يقال قناً ذابل : أي دقيق

وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِى[1] وَعَجَّ[2] لِمَا
يَلْقَى رِكَابِى وَلَجَّ الرَّكْبُ فِى عَذَلِى

أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَا قِبَلِى

وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِى وَيُقْنِعُنِى
مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْجِدِّ بِالْقَفَلِ[3]

وَذِى شِطَاطٍ[4] كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِلٍ[5]
لِمِثْلِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكِلِ

حُلْوُ الْفُكَاهَةِ مُرُّ الْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ
بِشِدَّةِ الْبَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ

طَرَدْتُ سَرْحَ[6] الْكَرَى عَنْ وِرْدِ مُقْلَتِهِ
وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ[7] النَّوْمِ بِالْمُقَلِ

وَالرَّكْبُ مِيلٌ[8] عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ
صَاحٍ وَآخَرُ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى ثَمِلِ

---

(١) النضو : المهزول من الأبل ، واللغب : شدة الأعياء (٢) عج : صوت
(٣) القفل : الرجوع من السفر (٤) الشطاط : استواء القامة (٥) معتقل :
أى جاعل رمحه بين ركابه وساقه (٦) السرح : المال السائم ، والمال :
ماملكته من كل شيء ، فهو قد شبه الكرى بالأبل السائمة (٧) السوام
والسائمة : الأبل الراعية (٨) الميل جمع أميل : وهو من يميل على السرج فى جانب .

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلَّى [١] لِتَنْصُرَنِى
وَأَنْتَ تَخْذُلُنِى فِى الْحَادِثِ الْجَلَلِ

تَنَامُ عَيْنِى وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ
وَتَسْتَحِيلُ [٢] وَصِبْغُ [٣] اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ

فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَىٍّ هَمَمْتُ بِهِ
وَالْغَىُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الْفَشَلِ ؟

إِنِّى أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَىِّ مِنْ إِضَمٍ [٤]
وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِى ثُعَلِ

يَحْمُونَ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ بِهِ [٥]
سُودَ الْغَدَائِرِ حُمْرَ الْحَلْىِ وَالْحُلَلِ

فَسِرْ بِنَا فِى ذِمَامِ [٦] اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا [٧]
فَنَفْحَةُ الطِّيبِ تَهْدِينَا إِلَى الْحِلَلِ [٨]

---

(١) الجلى : الأمر العظيم (٢) أى تتحول عينه من حال النوم إلى حال اليقظة يشير إلى تطاول الليل عليه فى سفره (٣) صبغ الليل : ظلامه (٤) إضم : واد بجهة المدينة (٥) البيض : السيوف . اللدان جمع لدن : وهو اللين يريد الرماح (٦) ذمام جمع ذمة : وهى العهد (٧) معتسفاً : أى على غير هداية ومعرفة (٨) الحلل جمع حلة : البيت الذى يحله أهله

فَالْحِبُّ (١) حَيْثُ الْعِدَا وَالْأُسْدُ رَابِضَةٌ
حَوْلَ الْكِنَاسِ (٢) لَهَا غَابٌ مِنَ الْأَسَلِ

نَؤُمُّ نَاشِئَةً بِالْجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ
نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الْغُنْجِ (٣) وَالْكَحَلِ

قَدْ زَادَ طِيبَ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا
مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بُخُلِ

تَبِيتُ نَارُ الْهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَبِدٍ
حَرَّى وَنَارُ الْقِرَى مِنْهُمْ عَلَى الْقُلَلِ (٤)

يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ (٥) حُبٍّ لَا حَرَاكَ بِهِ
وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ

يُشْفَى لَدِيغُ الْعَوَالِي فِي بُيُوتِهِمُ
بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ

لَعَلَّ إِلْمَامَةً (٦) بِالْجِزْعِ ثَانِيَةً
يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرْءِ فِي عِلَلِي

---

(١) الحب : المحبوب . ورابضة مقيمة (٢) الكناس : بيت الغزال (٣) الغنج كقفل : دل المرأة وغزلها (٤) القلل : جمع قلة : أعلى الجبل (٥) أنضاء جمع نضو : وهو المهزول (٦) إلمامه : زيارة غير طويلة

لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شُفِعَتْ
بِرَشْقَةٍ مِنْ نِبَالِ الْأَعْيُنِ النُّجُلِ
وَلَا أَهَابُ الصِّفَاحَ [1] الْبِيضَ تُسْعِدُنِي
بِاللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الْأَسْتَارِ وَالْكِلَلِ [2]
وَلَا أُخِلُّ [3] بِغِزْلَانٍ تُغَازِلُنِي
وَلَوْ دَهَتْنِي أُسُودُ الْغِيلِ [4] بِالْغِيَلِ [5]
حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ
عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَزِلِ
وَدَعْ غِمَارَ [6] الْعُلَا لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى
رُكُوبِهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ
يَرْضَى [7] الذَّلِيلُ بِخَفْضِ الْعَيْشِ مَسْكَنَةً
وَالْعِزُّ تَحْتَ رَسِيمِ [8] الْأَيْنُقِ الذُّلُلِ

(١) الصفاح جمع صفح : عرض السيف ، والمراد هنا السيف كله (٢) الكلل جمع كلة : وهي الناموسية (٣) لا أخل : لا أكون غير وفى (٤) الغيل : بالفتح والكسر : الشجر الملتف (٥) الغيل واحده غيلة : وهي الاغتيال (٦) غمار : جمع غمر . كبحر : الماء الكثير . وتطلق على الشدة (٧) فى الأصل « رضا » (٨) الرسيم : ضرب من سير الإبل سريع

فَاذْرأْ (١) بِهَا فِى نُحُورِ الْبِيدِ جَافِلَةً (٢)
مُعَارِضَاتٍ مَثَانِى اللُّجْمِ بِالْجُدُلِ (٣)
إِنَّ الْعُلَا حَدَّثَتْنِى وَهْىَ صَادِقَةٌ
فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعِزَّ فِى النُّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِى شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مُنًى
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْماً دَارَةَ الْحَمَلِ (٤)
أَهَبْتُ (٥) بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعاً
وَالْحَظُّ عَنِّىَ بِالْجُهَّالِ فِى شُغُلِ
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِى وَنَقْصُهُمُ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِى
أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْآمَالِ أَرْقُبُهَا
مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ
لَمْ أَرْضَ بِالْعَيْشِ وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ ؟

(١) فادرأ : إدفع والضمير فى « بها » يعود على الأينق فى البيت قبله
(٢) جافلة : مسرعة (٣) الجدل جمع جديل : وهو حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير (٤) الحمل : برج من بروج الشمس (٥) أهبت : دعوت

غَالَى (١) بِنَفْسِى عِرْفَانِى بِقِيمَتِهَا
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَذَلِ

وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يُزْهَى (٢) بِجَوْهَرِهِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِى يَدَىْ بَطَلِ

مَا كُنْتُ أُوثِرُ (٣) أَنْ يَمْتَدَّ بِى زَمَنِى
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفِلِ (٤)

تَقَدَّمَتْنِى أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ
وَرَاءَ خَطْوِىَ إِذْ (٥) أَمْشِى عَلَى مَهَلِ

هٰذَا جَزَاءُ امْرِىءٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا (٦)
مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِىَ مَنْ دُونِى فَلَا عَجَبٌ
لِى أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ (٧)

(١) غالى : سام بقدر زائد على الحد، والمراد بالغ (٢) فى الأصل « يزهو » ولكن الرواية الشهيرة ما أثبتناها (٣) أوثر : أفضل وأختار (٤) السفل : السقاط من الناس (٥) ويروى لو بدل إذ (٦) درجوا : ماتوا (٧) زحل فى الفلك السابع ، والشمس فى الرابع

فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ
فِى حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِى عَنِ الْحِيَلِ

أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ
فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلٍ (١)

وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِى الدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ

وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ (٢)
فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

غَاضَ الْوَفَاءُ وَفَاضَ الْغَدْرُ وَانْفَرَجَتْ
مَسَافَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُمُ
وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بِمُعْتَدِلِ

إِنْ كَانَ يَنْجَعُ (٣) شَىْءٌ فِى ثَبَاتِهِمُ
عَلَى الْعُهُودِ فَسَبَقُ السَّيْفِ (٤) لِلْعَذَلِ

---

(١) الدخل : الغدر والخداع ، والمعنى اصحب الناس ـ محاذرا ـ على مابهم من خداع وغدر (٢) أى عجز وتقصير (٣) ينجع : ينفع (٤) مثل يضرب لمن يلوم بعد فوات وقت اللوم وأصله سبق السيف العذل

يَاوَارِداً سُؤْرَ(١) عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ
أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ فِى أَيَّامِكَ الْأُوَلِ
فِيمَ اقْتِحَامُكَ لُجَّ الْبَحْرِ تَرْكَبُهُ
وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ(٢) ؟
مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَايُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا
يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْخَوَلِ(٣)
تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَاثَبَاتَ لَهَا
فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ ؟
وَيَاخَبِيراً عَلَى الْأَسْرَارِ مُطَّلِعاً
اُصْمُتْ فَفِى الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ(٤) مِنَ الزَّلَلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ(٥)

(١) السؤر : بقية كل شىء وهو فى الاصل بقية الماء التى يبقيها الشارب فى الاناء أو الحوض ، ثم استعير لبقية أى شىء كما فى البيت . (٢) الوشل : القليل من الماء (٣) الخول : خدم الرجل وحشمه (٤) منجاة : مصدر ميمى : أى نجاة (٥) الهمل : الأبل المسيبة ليلا ونهارا بلا راع ومنه المثل : اختلط المرعى بالهمل والمعنى الذى يقصده الشاعر : ترفع بنفسك أن تقرن بغيرك ممن هم دونك

وَقَالَ يُسَلِّى مُعِينَ الْمُلْكِ فَضْلَ اللهِ فِى نَكْبَتِهِ وَيَحُضُّهُ عَلَى الصَّبْرِ :

تَصَدَّى وَلِلْحَىِّ الْمَنِيعِ رَحِيلُ
غَزَالٌ أَحَمُّ [1] الْمُقْلَتَيْنِ كَحِيلُ
تَصَدَّى وَأَمْرُ الْبَيْنِ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ
وَزُمَّتْ جِمَالٌ وَاسْتَقَلَّ حُمُولُ
وَفِى الصَّدْرِ مِنْ نَارِ الصَّبَابَةِ جَاحِمٌ [2]
وَفِى الْخَدِّ مِنْ مَاءِ الْجُفُونِ مَسِيلُ
غَزَالٌ لَهُ مَرْعًى مِنَ الْقَلْبِ مُخْصِبٌ
وَظِلٌّ صَفِيقُ الْجَانِبَيْنِ ظَلِيلُ
تَنَاصَفَ فِيهِ الْحُسْنُ أَمَّا قَوَامُهُ
فَشَطْبٌ [3] وَأَمَّا خَصْرُهُ فَنَحِيلُ
قَرِيبٌ مِنَ الرَّائِينَ يُطْمِعُ قُرْبُهُ
وَلَيْسَ إِلَيْهِ لِلْمُحِبِّ سَبِيلُ

---

(١) أحم : أسود (٢) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال

(٣) الشطب : الطويل الحسن الخلق

إِذَا سَارَ لَحْظُ الْمَرْءِ (١) فِي وَجَنَاتِهِ
تَضَاءَلَ عِنْدَ الطَّرْفِ وَهُوَ كَلِيلُ

وَلَمَّا اُسْتَقَلَّ الْحَيُّ وَانْصَدَعَتْ بِهِ
نَوًى عَنْ وَدَاعِ الظَّاعِنِينَ عَجُولُ

تَرَاءَى (٢) لَنَا وَجْهٌ مِنَ الْخِدْرِ نَيِّرٌ
وَضَاءَتْ عَلَيْنَا نَضْرَةٌ وَقَبُولُ

فَصَبْرًا مُعِينَ الْمُلْكِ إِنْ عَنَّ (٣) حَادِثٌ
فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلُ

وَلَا تَيْأَسَنْ مِنْ صُنْعِ رَبِّكَ إِنَّهُ
ضَمِينٌ بِأَنَّ اللهَ سَوْفَ يُدِيلُ (٤)

فَإِنَّ اللَّيَالِيَ إِذْ يَزُولُ نَعِيمُهَا
تُبَشِّرُ أَنَّ النَّائِبَاتِ تَزُولُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدَ كُسُوفِهَا
لَهَا مَنْظَرٌ يَغْشَى (٥) الْعُيُونَ صَقِيلُ (٦)

(١) فى الديوان : إذا سافر الألحاظ (٢) فى الديوان : تراءت لنا لمع الغمامة (٣) أى بدا وظهر . (٤) يديل : يجعل الأمر متداولا فيديلك من غيرك (٥) فى الديوان : « لها صفحة تغشى » وأحسن من الروايتين أن تكون يعشى (٦) صقيل : مجلو لامع .

وَأَنَّ الهِلَالَ النِّضْوَ (١) يَغْمُرُ بَعْدَمَا
بَدَا وَهْوَ شَخْتٌ (٢) الجَانِبَيْنِ ضَئِيلُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ السَّيْفَ يَقْصُرُ كُلَّمَا
تعَاوَدَهُ بَعْدَ المَضَاءِ كُلُولُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّوْحَ (٣) يُقْلَعُ كُلَّمَا
يَمُرُّ بِهِ نَفْحُ الصَّبَا فَيَمِيلُ
فَقَدْ يَعْطِفُ الدَّهْرُ الأَبِيُّ عِنَانَهُ
فَيُشْفَى عَلِيلٌ أَوْ يُبَلُّ غَلِيلُ
وَيَرْتَاشُ (٤) مَقْصُوصُ الجَنَاحَيْنِ بَعْدَمَا
تَسَاقَطَ رِيشٌ وَاسْتَطَارَ نَسِيلُ (٥)
وَيَسْتَأْنِفُ الغُصْنُ السَّلِيبُ نَضَارَةً
فَيُورِقُ مَا لَمْ يَعْتَوِرْهُ ذُبُولُ
وَلِلنَّجْمِ مِنْ بَعْدِ الرُّجُوعِ (٦) اسْتِقَامَةٌ
وَلِلْحَظِّ مِنْ بَعْدِ الذَّهَابِ قُفُولُ

---

(١) النضو : الهزيل : والمراد الضعيف الضوء . (٢) الشخت : الدقيق الضامر لا هزالا . (٣) الدوح : الشجر العظيم من أى الشجر كان واحده دوحة . (٤) ارتاش الطائر : نبت ريشه ، وفلان : تقوت حاله بعد ضعف وحسنت تشبيها له بالطائر . (٥) نسيل : ما يسقط من الريش والصوف عند النسل (٦) قال فى مفاتيح العلوم : رجوع الكواكب : هو سيرها طولا على خلاف نضد البروج ، واستقامتها هو سيرها على نضد البروج .

وَبعضُ الرَّزَايَا يُوجِبُ الشُّكْرَ وَقْعُهَا
عَلَيْكَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ شُكُولُ
وَلَا غَرْوَ إِنْ أَخْنَتْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
يُصَادَمُ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ جَلِيلُ
وَأَىُّ قَنَاةٍ لَمْ تُرَنَّحْ (١) كُعُوبُهَا
وَأَىُّ حُسَامٍ لَمْ يُصِبْهُ فُلُولُ؟؟
أَسَأْتَ إِلَى الْأَيَّامِ حَتَّى وَتَرْتَهَا (٢)
فَعِنْدَكَ أَضْغَانٌ لَهَا وَذُحُولُ
وَصَارَفْتَهَا (٣) فِيمَا أَرَادَتْ صُرُوفُهَا
وَلَوْلَاكَ كَانَتْ تَنْتَحِي وَتَصُولُ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا السَّيْفُ يَسْكُنُ غِمْدَهُ
لِيُرْدَى (٤) بِهِ يَوْمَ النِّزَالِ قَتِيلُ
أَمَالَكَ بِالصِّدِّيقِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ
فَتَحْمِلُ وَطْءَ الدَّهْرِ وَهُوَ ثَقِيلُ؟

(١) لم ترنح كعوبها : تكسر ويعتريها الوهن والخلل ـ (٢) وترتها : أصبتها بوتر أو ذحل ، والذحول : العداوة والحقد . ـ (٣) فى الديوان : وصارمتها . ومعنى الأول دافعتها ورددتها ، ومعنى الثانى : قاطعتها :
(٤) كانت فى الاصل « ليروى » وما غيرت إليه أنسب بالمقام

وَمَا غَضَّ مِنكَ الْحَبْسُ وَالذِّكْرُ سَائِرٌ
طَلِيقٌ لَهُ فِى الْخَافِقَيْنِ زَمِيلُ (١)

فَلَا تُذْعِنَنْ لِلْخَطْبِ آدَكَ (٢) ثِقْلُهُ
فَمِثْلُكَ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ حَمُولُ

وَلَا تَجْزَعَنْ لِلْكَبْلِ (٣) مَسَّكَ وَقْعُهُ
فَإِنَّ خَلَاخِيلَ الرِّجَالِ كُبُولُ

وَصُنْعُ اللَّيَالِى مَا عَدَتْكَ سِهَامُهَا
وَإِنْ أَجْحَفَتْ بِالْعَالَمِينَ جَمِيلُ

وَإِنَّ امْرَأً تَغْدُو الْحَوَادِثُ عِرْضَهُ
وَيَأْسَى لِمَا يَأْخُذْنَهُ لَبَخِيلُ

وَقَالَ :

أَمَّا الْعُلُومُ فَقَدْ ظَفِرْتُ بِبُغْيَتِى
مِنْهَا فَمَا أَحْتَاجُ أَنْ أَتَعَلَّمَا

---

(١) الخافقين : الشرق والغرب . وزميل : أى سير وجلة والذكر سائر حال

(٢) أى ثقل عليك (٣) الكبل : القيد .

وَعَرَفْتُ أَسْرَارَ الْخَلِيقَةِ كُلَّهَا
عِلْماً أَنَارَ لِيَ الْبَهِيمَ الْمُظْلِمَا
وَوَرِثْتُ هِرْمِسَ (١) سِرَّ حِكْمَتِهِ الَّذِي
مَازَالَ ظَنّاً فِي الْغُيُوبِ مُرَجَّمَا
وَمَلَكْتُ مِفْتَاحَ الْكُنُوزِ بِحِكْمَةٍ
كَشَفَتْ لِيَ السِّرَّ الْخَفِيَّ الْمُبْهَمَا
لَوْلَا التَّقِيَّةُ (٢) كُنْتُ أُظْهِرُ مُعْجِزاً
مِنْ حِكْمَتِي تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى
أَهْوَى التَّكَرُّمَ وَالتَّظَاهُرَ بِالَّذِي
عُلِّمْتُهُ وَالْعَقْلُ يَنْهَى عَنْهُمَا
وَأُرِيدُ لَا أَلْقَى غَبِيّاً مُوسِراً
فِي الْعَالَمِينَ وَلَا لَبِيباً مُعْدِمَا (٣)

(١) هرمس : رجل قيل كان أعلم أهل الدنيا فى علم النجوم ، وقيل : هو إدريس ، أى أخنوخ ، وهو أول من رسم العلوم . وهرمس أيضا من ملوك مصر ، جمع كتبا كثيرة ، وسعى فى بدء ترجمة التوراة على يد سبعين حبرا من اليهود . والمرجم من الحديث : مالايوقف على حقيقته (٢) التقية : الحذر والخوف من الله (٣) المعدم : الفقير

وَالنَّاسُ إِمَّا جَاهِلٌ أَوْ ظَالِمٌ
فَمَتَى أُطِيقُ تَكَرُّماً وَتَكَلُّمًا ؟

وَقَالَ :

أَيْكِيَّةٌ(١) صَدَحَتْ شَجْواً عَلَى فَنَنٍ
فَأَشْعَلَتْ مَاخَبَا مِنْ نَارِ أَشْجَانِي
نَاحَتْ وَمَا فَقَدَتْ إِنْساً وَلَا فُجِعَتْ
فَذَكَّرَتْنِي أَوْطَارِي(٢) وَأَوْطَانِي
طَلِيقَةٌ مِنْ إِسَارِ(٣) الْهَمِّ نَاعِمَةٌ
أَضْحَتْ تُجَدِّدُ وَجْدَ الْمُوثَقِ الْعَانِي(٤)
تَشَبَّهَتْ بِي فِي وَجْدٍ وَفِي طَرَبٍ
هَيْهَاتَ مَانَحْنُ فِي الْحَالَيْنِ سِيَّانِ
مَافِي حَشَاهَا وَلَا فِي جَفْنِهَا أَثَرٌ
مِنْ نَارِ قَلْبِي وَلَا مِنْ مَاءِ أَجْفَانِي

(١) أيكية : حمامة منسوبة إلى الأيكة ، وهى الشجرة الملتفة أغصانها
(٢) أوطارى : حوائجى (٣) الأسار : الأسر (٤) العانى : الأسير المقيد

يَارَبَّةَ الْبَانَةِ الْغَنَّاء تَحْضُنُهَا
خَضْرَاءَ تَلْتَفُّ أَغْصَانًا بِأَغْصَانِ
إِنْ كَانَ نَوْحُكِ إِسْعَادًا لِمُغْتَرِبٍ
نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ مُمْنِيٍّ بِهِجْرَانِ
فَقَارِضِينِي إِذَا مَا اعْتَادَنِي طَرَبٌ
وَجْدًا بِوَجْدٍ وَسُلْوَانًا بِسُلْوَانِ
مَا أَنْتِ مِنِّي وَلَا يَعْنِيكِ مَا أَخَذَتْ
مِنِّي اللَّيَالِي وَلَا تَدْرِينَ مَاشَانِي
كِلِي إِلَى السُّحْبِ إِسْعَادِي فَإِنَّ لَهَا
دَمْعًا كَدَمْعِي وَإِرْنَانًا[1] كَإِرْنَانِي

وَقَالَ :

أَقُولُ لِنِضْوِي[2] وَهْيَ مِنْ شَجَنِي خِلْوٌ
حَنَانَيْكِ قَدْ أَدْمَيْتِ كَلْمِيَ يَانِضْوُ
تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الْهُمُومَ لِتَعْلَمِي
بِأَنَّكِ مِمَّا تَشْتَكِي كَبِدِي خِلْوُ

(١) الأرنان : الصياح مع بكاء (٢) نضوى : ناقتى الهزيلة ، والـكلم : الجرح

تُرِيدِينَ مَرْعَى الرِّيفِ وَالْبَدْوَ أَبْتَغِي
وَمَا يَسْتَوِي الرِّيفُ الْعِرَاقُ وَالْبَدْوُ
هُنَاكَ هُبُوبُ الرِّيحِ مِثْلَكِ لَاعِبٌ
وَمِثْلِي مَاءُ الْمُزْنِ مَوْرِدُهُ صَفْوُ
وَمَحْجُوبَةٍ لَوْهَبَّتِ الرِّيحُ أَرْقَلَتْ (١)
إِلَيْهَا الْمَهَارَى بِالْعَوَالِي وَلَمْ يَلْوُوا
صَبَوْتُ إِلَيْهَا وَهْيَ مَمْنُوعَةُ الْحِمَى
فَحَتَّامَ ؟ أَصْبُو نَحْوَ مَنْ لَا لَهُ نَحْوُ (٢)
هَوًى لَيْسَ يُسْلِي الْقُرْبُ عَنْهُ وَلَا النَّوَى
وَشَجْوٌ قَدِيمٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ شَجْوُ
فَأَسْرٌ وَلَا فَكٌّ وَوَجْدٌ وَلَا أَسًى
وَسُقْمٌ وَلَا بُرْءٌ وَسُكْرٌ وَلَا صَحْوُ
عَنَاءٌ مُعِنٌّ (٣) وَهُوَ عِنْدِيَ رَاحَةٌ
وَسُمٌّ زُعَافٌ (٤) طَعْمُهُ فِي فَمِي حُلْوُ

---

(١) أرقلت : أسرعت . والمهارى : جمع مهرية ، وهى إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان
(٢) أى قصد (٣) عناء معن : أى شديد بالغ (٤) سم زعاف : قاتل سريعا

وَلَوْلَا الْهَوَى مَاشَاقَنِي لَمْعُ بَارِقٍ
وَلَا هَدَّنِي شَجْوٌ وَلَا هَزَّنِي شَدْوُ

وَقَالَ :

خَبَّرُوهَا أَنِّي مَرِضْتُ فَقَالَتْ
أَضَنًى طَارِفًا شَكَا أَمْ تَلِيدَا ؟
وَأَشَارُوا بِأَنْ تَعُودَ[١] وِسَادِي
فَأَبَتْ وَهْيَ تَشْتَهِي أَنْ تَعُودَا
وَأَتَتْنِي فِي خِفْيَةٍ وَهْيَ تَشْكُو
رِقْبَةَ[٢] الْحَيِّ وَالْمَزَارَ الْبَعِيدَا
وَرَأَتْنِي كَذَا فَلَمْ تَتَمَالَكْ
أَنْ أَمَالَتْ عَلَيَّ عِطْفًا[٣] وَجِيدَا
ثُمَّ قَالَتْ لِتِرْبِهَا[٤] وَهْيَ تَبْكِي
وَيْحَ[٥] هَذَا الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدَا

(١) أن تعود وسادى : أى بأن تزورنى (٢) رقبة : أى مراقبة الحى ونظرهم (٣) العطف : الجانب (٤) تربها : الترب : من ولد معك ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث ، والجمع أتراب (٥) ويح كلمة رحمة . ويكون فيها الرفع على الابتداء إذا لم تضف والنصب بأضمار فعل إذا أضيفت أى ألزمه الله ويحا ورحمة

زَوْرَةٌ مَا شَفَتْ عَلِيلًا وَلَـٰكِنْ
زَيَّدَتْ جَمْرَةَ الفُؤَادِ وُقُودَا

وَتَوَلَّتْ بِحَسْرَةِ البَيْنِ تُخْفِى
زَفَرَاتٍ أَبَيْنَ إِلَّا صُعُودَا

وَقَالَ :

أُنْظُرْ تَرَى الجَنَّةَ فِى وَجْهِهِ
لَا رَيْبَ فِى ذَاكَ وَلَا شَكُّ

أَمَا تَرَى فِيهِ الرَّحِيقَ(١) الَّذِى
خِتَامُهُ مِنْ خَالِهِ مِسْكُ

﴿ ٥ — الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ * ﴾

الحسين بن على المغربى

ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ بَحْرِ بْنِ بَهْرَامَ بْنِ المَرْزُبَانِ ابْنِ مَاهَانَ بْنِ بَاذَامَ بْنِ سَاسَانَ بْنِ الحَرُونِ مِنْ وَلَدِ بَهْرَامَ

(١) الخمر أو أطيبها ، أو الخالص الصافى منها ، وأيضا : ضرب من الطيب ، والمراد هنا الريق واللعاب

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان جزء أول صفحة ١٥٥ قال :

ورأيت جماعة من أهل الأدب يقولون إن أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجى الذى مدحه المتنبي بقصيدته التى أولها :

—

جُورَ مَلِكِ فَارِسَ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفُ بِالْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ الْأَدِيبُ اللُّغَوِيُّ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ ، وُلِدَ نَجْرَ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَعِدَّةَ كُتُبٍ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَكَثِيراً مِنَ الشِّعْرِ ، وَأَتْقَنَ الْحِسَابَ وَالْجَبْرَ وَالْمُقَابَلَةَ ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْعُمُرُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَبِيعاً ، وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ سَرِيعَ الْبَدِيهَةِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ . وَلَمَّا قَتَلَ الْحَاكِمُ الْعُبَيْدِيُّ أَبَاهُ وَعَمَّهُ وَأَخَوَيْهِ هَرَبَ مِنْ مِصْرَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الرَّمْلَةَ اسْتَجَارَ بِصَاحِبِهَا حَسَّانَ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُفَرِّجِ بْنِ دَغْفَلِ بْنِ الْجَرَّاحِ الطَّائِيِّ وَمَدَحَهُ فَأَجَارَهُ ، وَسَكَّنَ جَأْشَهُ وَأَزَالَ خَوْفَهُ وَوَحْشَتَهُ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ

— أمن ازديارك فى الدجا الرقباء
إذ حيث كنت من الظلام ضياء

خاله ثم إنى كشفت عنه فوجدته خال أبيه ، وأما هو فأمه بنت محمد بن إبراهيم ابن جعفر النعمانى ذكره فى أدب الخواص ، وكان الوزير المذكور من الدهاة العارفين ولما قتل الحاكم صاحب مصر أباه وعمه وأخويه وهرب الوزير وصل إلى الرملة ، وذكر ابن خلكان تاريخه بعد ذلك إلى أن توفى بميافارقين عند أبى نصر ابن مروان .

مُدَّةً أَفسَدَ فِي خِلالِها نِيَّتَهُ عَلى الحَاكِمِ صَاحِبِ مِصْرَ ، ثُمَّ رَحلَ عَنهُ مُتوجِّهاً إِلَى الحِجَازِ مُجْتَازاً بِالبَلْقاء مِنْ أَعْمالِ دِمشقَ ، فلمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ أَطمَعَ[1] صَاحِبَها بِالحَاكِمِ وَمَمْلَكَةِ الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، وَجَدَّ فِي ذَلِكَ حَتَّى أُقْلِقَ الحَاكِمُ وَخَافَ عَلَى مُلْكِهِ ، فَاضطُرَّ إِلَى إِرْضَاءِ ابْنِ الجَرَّاحِ صَاحِبِ الرَّمْلَةِ وَاستِمالَتِهِ بِبَذْلِ الأَموالِ ، حَيْثُ بَايَعَ صَاحِبَ مَكَّةَ أَبَا الفُتُوحِ الحَسَنَ بْنَ جَعْفَرٍ بِالخِلافَةِ ، فلمَّا اسْتَمالَ الحَاكِمُ ابْنَ الجَرَّاحِ هَرَبَ أَبُو الفُتُوحِ إِلَى مَكَّةَ ، وَهَرَبَ الوَزِيرُ أَبُو القَاسِمِ إِلَى العِراقِ ، وَقَصَدَ فَخْرَ المُلْكِ أَبَا غَالِبِ بْنَ خَلَفٍ الوَزِيرَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ بِوَاسِطَ مُكَرَّماً بَعْدَ أَنْ رَفَعَ عَنْهُ طَلَبَ القَادِرِ بِاللهِ لَهُ ، حَيْثُ اتُّهِمَ أَنَّهُ وَرَدَ لإِفْسَادِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ فَخْرُ المُلْكِ مَقْتُولاً عَادَ الوَزِيرُ المَغْرِبِيُّ إِلَى بَغْدَادَ ، ثُمَّ شَخَصَ إِلَى المَوْصِلِ فَاتَّفَقَ وَفَاةُ أَبِي الحَسَنِ كَاتِبِ قِرْوَاشِ بْنِ هَانِئٍ أَمِيرِ بَنِي عُقَيْلٍ ، فَتَوَلَّى

(١) أطمع : أغرى

الْكِتَابَةَ مَكَانَهُ وَوَزَرَ[١] لِقِرْوَاشٍ، ثُمَّ وَزَرَ بَعْدَ حِينٍ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ مَكَانَ مُؤَيِّدِ الْمُلْكِ أَبِي عَلِيٍّ، ثُمَّ فَارَقَ مُشَرِّفَ الدَّوْلَةِ وَعَادَ إِلَى خِدْمَةِ مَخْدُومِهِ الْأَوَّلِ قِرْوَاشٍ، ثُمَّ تَجَدَّدَ لِلْقَادِرِ سُوءُ رَأْيٍ فِيهِ، فَفَارَقَ قِرْوَاشًا مُتَوَجِّهًا إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ، فَوَزَرَ فِيهَا لِسُلْطَانِهَا أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي ثَالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَيَّافَارِقِينَ، وَحُمِلَ بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَدُفِنَ بِهَا فِي تُرْبَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِمَشْهَدِ عَلِيٍّ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — وَأَوْصَى أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

كُنْتُ فِي سَفْرَةِ الْغَوَايَةِ[٢] وَالْجَهْـ
ـلِ مُقِيمًا فَحَانَ مِنِّي قُدُومُ
تُبْتُ مِنْ كُلِّ مَأْثَمٍ فَعَسَى يُمْـ
ـحَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ذَاكَ الْقَدِيمُ

(١) وزر : صار وزيراً (٢) الغواية : الضلال

بَعْدَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَقَدْ مَا
طَلْتُ[١] إِلَّا أَنَّ الْغَرِيمَ كَرِيمُ

وَلِلْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ رِوَايَةٌ عَنِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ جعفرِ ابْنِ الفَضْلِ بْنِ الفُرَاتِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حِنْزَابَةَ، حَكَى عَنْهُ بِسَنَدِهِ إِلَى الْمَدَائِنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ جَعْدَةُ، كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ فَيَأْخُذُ الْمَرْأَةَ فَيَعْقِلُهَا إِلَى الْحِيطَانِ وَيُثْبِتُ الْعِقَالَ، فَإِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَثِبَ سَقَطَتْ وَتَكَشَّفَتْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قَوْمًا فِي بَعْضِ الْمَغَازِي فَكَتَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَى عُمَرَ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا
فِدًا لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي[٢]

قَلَائِصَنَا[٣] — هَدَاكَ اللهُ — إِنَّا
شُغِلْنَا عَنْكُمُ زَمَنَ الْحِصَارِ

(١) ماطلت: سوفت (٢) إزارى: يريد نفسه (٣) منصوب على الاغراء وقدر في اللسان: تدارك

لِمَنْ قُلُصٌ (١) تُرِكْنَ مُعَقَّلَاتٍ
قَفَا (٢) سَلْعٍ بِمُخْتَلِفِ الْبِحَارِ (٣)

يُعَقِّلُهُنَّ جَعْـدَةُ مِنْ سُلَيْمٍ
وَبِئْسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ (٤) الظُّوَارِ

يُعَقِّلُهُنَّ أَبْيَضُ شَيْظَمِيٌّ (٥)
مُعِرٌّ يَبْتَغِي بَسْطَ الْعُرَارِ (٦)

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الْأَبْيَاتَ قَالَ: عَلَيَّ بِجَعْدَةَ مِنْ سُلَيْمٍ فَأَتَوْهُ بِهِ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ: إِنِّي لَفِي الْأُغَيْلِمَةِ إِذَا جَرُّوا جَعْدَةَ إِلَى عُمَرَ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ شَيْظَمِيٌّ كَمَا وُصِفْتَ، فَضَرَبَهُ مِائَةً وَنَفَاهُ إِلَى عُمَانَ. وَمِنْ شِعْرِ الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ:

(١) قلص جمع قلوص: وهي من الأبل: الشابة ويريد بها النساء، ومعقلات: يريد مقيدات بالعقال عند قفا سلع، وقفا ظرف لاضافته إلى المكان أى مؤخر هذا المكان، ومعقلات كانت بالاصل « معقلات » (٢) كانت فى الأصل « تقا » (٣) كانت فى الأصل « النجار » وفى اللسان البحار يريد بها المستنقعات المائية والمنخفض من الأرض (٤) الذود: من الأبل ما بين الثلاث إلى العشر، (٥) الشيظمى: الطويل الجسم الفتى من الناس والخيل والأبل (٦) المعر: الرجل الذى يعر قوماً أى يدخل عليهم مكروهاً يلطخهم به، والعرار بالضم، الأثم والجناية

خَفِ اللهَ وَاسْتَدْفِعْ سُطَاهُ وَسُخْطَهُ
وَسَائِلْهُ فِيمَا تَسْأَلُ اللهَ تُعْطَهُ
فَمَا تَقْبِضُ الْأَيَّامُ فِى نَيْلِ حَاجَةٍ
بَنَانَ فَتًى أَبْدَى إِلَى اللهِ بَسْطَهُ
وَكُنْ بِالَّذِى قَدْ خُطَّ بِاللَّوْحِ رَاضِياً
فَلَا مَهْرَبٌ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطَّهُ
وَإِنَّ مَعَ الرِّزْقِ اشْتِرَاطَ الْتِمَاسِهِ (١)
وَقَدْ يَتَعَدَّى (٢) إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
وَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِى فَمِ الطَّيْرِ قُوتَهُ
وَلَـكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لَقْطَهُ (٣)
إِذَا مَا احْتَمَلْتَ الْعِبْءَ فَانْظُرْ قُبَيْلَ أَنْ
تَنُوءَ بِهِ أَلَّا تَرُومَ مَحَطَّهُ
وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْفَتَى الْعِلْمُ وَالْحِجَا
إِذَا مَا صُرُوفُ الدَّهْرِ أَخْلَقْنَ مِرْطَهُ (٤)

(١) مراده بالالتماس العمل (٢) يتعدى : أصله . يتعداك : أى يتجاوزك ويتخلف عنك (٣) يريد أن الله لو أراد لبعث للطير رزقها ولكنه ألهمها أن تعمل لتلقطه (٤) المرط : كساء تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به ، والمراد هنا مطلق كساء وأخلقن : أبلين « عبد الخالق »

فَمَا رَفَعَ الدَّهْرُ امْرَأً عَنْ مَحَلِّهِ
بِغَيْرِ التُّقَى وَالْعِلْمِ إِلَّا وَحَطَّهُ (١)

وَقَالَ :

حَلَقُوا شَعْرَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا
غَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحًّا
كَانَ صُبْحًا عَلَيْهِ لَيْلٌ بَهِيمٌ
فَمَحَوْا لَيْلَهُ وَأَبْقَوْهُ صُبْحًا

وَقَالَ :

لِي كُلَّمَا ابْتَسَمَ النَّهَارُ تَعِلَّةٌ
بِمُحَدِّثٍ مَا شَاءَ قَلْبِي شَأْنُهُ (٢)
فَإِذَا الدُّجَى وَافَى وَأَقْبَلَ جُنْحُهُ
فَهُنَاكَ يَدْرِي الْهَمُّ أَيْنَ مَكَانُهُ ؟

وَقَالَ :

إِذَا مَا الْأُمُورُ اضْطَرَبْنَ اعْتَلَى
سَفِيهٌ يُضَامُ الْعُلَا بِاعْتِلَائِهِ

(١) أى خفض من قدره (٢) يريد أن حاله لا تتخطى ما أشاء

كَذَا الْمَاءُ إِنْ حَرَّكَتْهُ يَدٌ
طَفَا عَكِرٌ[١] رَاسِبٌ فِي إِنَائِهْ

وَقَالَ :

أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كَرَاعٍ تَنَكَّرَتْ
مَرَاعِيهِ حَتَّى لَيْسَ فِيهِنَّ مَرْتَعُ
فَمَاءٌ بِلَا مَرْعًى وَمَرْعًى بِغَيْرِ مَا
وَحَيْثُ تَرَى مَاءً وَمَرْعًى فَمَسْبَعُ[٢]

وَقَالَ :

سَأَعْرِضُ كُلَّ مَنْزِلَةٍ تَعَرَّضَ دُونَهَا الْعَطَبُ
فَإِنْ أَسْلَمْ رَجَعْتُ وَقَدْ ظَفِرْتُ وَأَنْجَحَ[٣] الطَّلَبُ
وَإِنْ أَعْطَبْ فَلَا عَجَبٌ لِكُلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبُ

وَقَالَ .

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةً
أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللهِ فِي الثَّمَنِ
إِذًا مَنَحْتُكُمَا مِنِّي مُهَذَّبَةً
حَذْواً[٤] عَلَى حَذْوِ مَا وَالَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(١) عكر فاعل طفا (٢) مسبع ومسبعة : أرض تكثر فيها السباع
(٣) أنجح : صار ذا نجح (٤) حذوا : مثالا

وَقَالَ :

أَقُولُ لَهَا وَالْعِيسُ تُحْدَجُ (١) لِلسُّرَى
عِدِّى لِفَقْدِى مَا اُسْتَطَعْتِ مِنَ الصَّبْرِ

سَأُنْفِقُ رَيْعَانَ الشَّبِيبَةِ آنِفًا (٢)
عَلَى طَلَبِ الْعَلْيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ

أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا
تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِى

وَقَالَ :

أَلدَّهْرُ سَهْلٌ وَصَعْبُ وَالْعَيْشُ مُرٌّ وَعَذْبُ
فَاكْسِبْ بِمَالِكَ حَمْدًا فَلَيْسَ كَالْحَمْدِ كَسْبُ
وَمَا يَدُومُ سُرُورٌ فَاغْنَمْ (٣) وَقَلْبُكَ رَطْبُ

وَقَالَ :

مِنْ بَعْدِ مُلْكِى رُمْتُمُ أَنْ تَغْدِرُوا
مَا بَعْدَ فُرْقَةِ مَا مَلَكْتُ تَخَيُّرُ

(١) تحدج : يشد عليها الحدج — وهو مركب للنساء كالمحفة والحمل أيضاً
(٢) آنفاً : مستأنفاً أى مبتدئاً ذلك (٣) كانت فى الاصل « فاختم » ولعل المراد بها فاختم حياتك وقلبك مملوء بالايمان

رُدُّوا الْفُؤَادَ كَمَا عَهِدْتُمْ لِلْحَشَا
وَلِطَرْفِيَ السَّاهِي الْكَرَى ثُمَّ اهْجُرُوا

وَقَالَ :

لَا تُشَاوِرْ مَنْ لَيْسَ يُصْفِيكَ وُدًّا
إِنَّهُ غَيْرُ سَالِكٍ بِكَ قَصْدَا
وَاسْتَشِرْ فِي الْأُمُورِ كُلَّ لَبِيبٍ
لَيْسَ يَأْلُوكَ (١) فِي النَّصِيحَةِ جُهْدَا

وَقَالَ :

تَأَمَّلَ مَنْ أَهْوَاهُ صُفْرَةَ خَاتَمِى
فَقَالَ بِلُطْفٍ لِمْ تَجَنَّبْتَ أَحْمَرَهْ ؟
فَقُلْتُ : لَعَمْرِى كَانَ أَحْمَرَ لَوْنُهُ
وَلَكِنْ سَقَامِى حَلَّ فِيهِ فَغَيَّرَهْ

وَقَالَ :

إِنِّى أَبُثُّكَ مِنْ حَدِيـ
ـثِى وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونُ

(١) ليس يألوك الخ : أى لا يترك شيئاً من طاقته إلا بذله فى نصحك

فَارَقْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي
لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ
قُلْ لِي فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ
فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تُرَى (١) أَكُونُ ؟

﴿ ٦ — الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ * ﴾

الحسين بن عبد الله المعرى

ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَتْحِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْمَعَرِّيُّ، الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ، تُوُفِّيَ بِسَرُوجَ (٢) فِي مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَكَانَ سَبَبَ تَقَدُّمِهِ وَنَوَالِهِ (٣) الْإِمَارَةَ: أَنَّ الْأَمِيرَ تَاجَ الدَّوْلَةِ ابْنَ مِرْدَاسٍ أَوْفَدَهُ إِلَى حَضْرَةِ الْمُسْتَنْصِرِ الْعُبَيْدِيِّ رَسُولًا سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَمَدَحَ الْمُسْتَنْصِرَ بِقَصِيدَةٍ قَالَ فِيهَا:

---

(١) كيف ترى ؟ : بالبناء للمجهول : كيف تظن (٢) سروج : فعول : بلدة قريبة من حران . (٣) النوال : العطاء واستعمله هنا بمعنى النيل

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت فيما رجعنا إليه من مظان

ظَهَرَ الْهُدَى وَتَجَمَّلَ الْإِسْلَامُ
وَابْنُ الرَّسُولِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامُ
مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ لَيْسَ يَفُوتُهُ
طَلَبٌ وَلَا يَعْتَاصُ(١) عَنْهُ مَرَامُ
حَاطَ الْعِبَادَ وَبَاتَ يُسْهِرُ عَيْنَهُ
وَعُيُونُ سُكَّانِ الْبِلَادِ نِيَامُ
قَصْرُ الْإِمَامِ أَبِي تَمِيمٍ كَعْبَةٌ
وَيَمِينُهُ رُكْنٌ لَهَا وَمَقَامُ
لَوْلَا بَنُو الزَّهْرَاءِ مَا عُرِفَ التُّقَى
فِينَا وَلَا تَبِعَ الْهُدَى الْأَقْوَامُ
يَا آلَ أَحْمَدَ ثُبِّتَتْ أَقْدَامُكُمْ
وَتَزَلْزَلَتْ بِعِدَاكُمُ الْأَقْدَامُ
لَسْتُمْ وَغَيْرُكُمُ سَوَاءٌ ، أَنْتُمُ
لِلدِّينِ أَرْوَاحٌ وَهُمْ أَجْسَامُ

---

(١) يعتاص : يستعصى ويشتد ويمتنع

يَا آلَ طَهَ حُبُّكُمْ وَوَلاَؤُكُمْ
فَرْضٌ وَإِنْ عذَلَ اللُّحاةُ[١] وَلاَمُوا[٢]

وَهِيَ طَوِيلَةٌ . ثُمَّ مَدَحَهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَوَعَدَهُ بِالْإِمَارَةِ ، وَأَنْجَزَ لَهُ وَعْدَهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ، فَتَسَلَّمَ سِجِلَّ الْإِمَارَةِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ ، فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

أَمَّا الْإِمَامُ فَقَدْ وَفَى بِمَقَالِهِ
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى الْإِمَامِ وَآلِهِ
لُذْنَا بِجَانِبِهِ فَعَمَّ بِفَضْلِهِ
وَبِبَذْلِهِ وَبِصَفْوِهِ وَجَمَالِهِ
لَا خَلْقَ أَكْرَمُ مِنْ مَعَدٍّ شِيمَةً
مَحْمُودَةً فِي قَوْلِهِ وَفَعَالِهِ

---

(١) اللحاة : جمع اللاحى ، وهو من يلوم غيره (٢) كنت أظن أن الشعر فى هذه الفترة من الزمن تكون معانيه أسمى ، وخيالاته أبدع ، ولكن المتتبع لشعر صاحب الترجمة يراه لا يدلى إلى شيء من هذين ، إذ تفكيره عادى ولا روعة لأسلوبه حتى نجد ما نبتغى من الشعر ولكن هذا نظم فحسب « عبد الخالق »

فَاقْصِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا تَرَى
بُؤْساً وَأَنْتَ مُظَلَّلٌ بِظِلَالِهِ
زَادَ الْإِمَامُ عَلَى الْبُحُورِ بِفَضْلِهِ (١)
وَعَلَى الْبُدُورِ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ
وَعَلَا سَرِيرَ الْمُلْكِ مِنْ آلِ الْهُدَى
مَنْ لَا تَمُرُّ الْفَاحِشَاتُ بِبَالِهِ
أَلنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ فِي أَعْلَامِهِ
وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِي سِرْبَالِهِ (٢)
مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ ضَاقَ زَمَانُهُ
عَنْ شِبْهِهِ وَنَظِيرِهِ وَمِثَالِهِ

وَكَانَ الَّذِي سَعَى فِي تَأْمِيرِهِ وَكَتَبَ لَهُ سِجِلَّ الْإِمَارَةِ

---

(١) بفضله : بعطائه وكرمه ولعل أصلها : بفيضه (٢) السربال : القميص أو الدرع ، أو كل ما يلبس ، والجمع سرابيل — وبعد فهل ترى أسوأ تعبيراً من الشطر الثانى أين هذا من قول الآخر

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

وليس هذا موضع النقد ، فأن أكثر الأبيات مسرود سرداً

« عبد الخالق »

أَبُو عَلِيٍّ صَدَقَةُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَهْدٍ الْكَاتِبُ ، فَمَدَحَهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَتْحِ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

قَدْ كَانَ صَبْرِى عِيلَ فِى طَلَبِ الْعُلَا
حَتَّى اسْتَنَدْتُ إِلَى ابْنِ إِسْمَاعِيلَا
فَظَفِرْتُ بِالْخَطَرِ الْجَلِيلِ وَلَمْ يَزَلْ
يَحْوِى الْجَلِيلَ مَنِ اسْتَعَانَ جَلِيلَا
لَوْلَا الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ لَمْ أَجِدْ
أَبَدًا إِلَى الشَّرَفِ الْعَلِيِّ سَبِيلَا
إِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ قَبَّحَ مَا مَضَى
عِنْدِى فَقَدْ صَارَ الْقَبِيحُ جَمِيلَا
وَأَجَلُّ مَا فَعَلَ(١) الرِّجَالُ صِلَاتُهُمْ(٢)
لِلرَّاغِبِينَ الْعِزَّ وَالتَّبْجِيلَا
الْيَوْمَ أَدْرَكْتُ الَّذِى أَنَا طَالِبٌ
وَالْأَمْسَ كَانَ طِلَابُهُ تَعْلِيلَا

(١) فى الاصل جعل (٢) خبر أجل

وَقَالَ يَمْدَحُ أَسَدَ الدَّوْلَةِ عَطِيَّةَ بْنَ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ :

سَرَى طَيْفُ هِنْدٍ وَالْمَطِيُّ بِنَا تَسْرِى
فَأَخْفَى دُجَى لَيْلٍ وَأَبْدَى سَنَا فَجْرِ

خَلِيلَىَّ فُكَّانِي مِنَ الْهَمِّ وَارْكَبَا
فِجَاجَ الْبَوَادِي الْغُبْرِ فِي النُّوَبِ الْغُمْرِ (١)

إِلَى مَلِكٍ مِنْ عَامِرٍ لَوْ تَمَثَّلَتْ
مَنَاقِبُهُ أَغْنَتْ عَنِ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْهِ تَلَفَّتَتْ
إِلَيْنَا الْمَطَايَا مُصْغِيَاتٍ إِلَى الشُّكْرِ

وَفَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ آلِ صَالِحٍ
فَتًى وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ (٢)

فَتًى وَجْهُهُ أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ مَنْظَراً
وَأَخْلَاقُهُ أَشْهَى مِنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ (٣)

---

(١) الغمر : الكثيرة (٢) وبعد : فهل المولود ليلة القدر يخص بشيء ؟ الحق أن المولود فى هذه الليلة هو من كل صنف فى العالم ملك وسوقة ، وكريم وبخيل ، ووضيع ورفيع ، أليس كذلك ؟ « عبد الخالق »

(٣) إنما يشبه بالماء والخمر فى اللذة وفى الاشتهاء ، الريق من المحبوبة لا الأخلاق

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا
عَدَتْنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ

لِتَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتَهَا
إِلَى الصَّخْرِ تَجْرِتَ الْعُيُونَ مِنَ الصَّخْرِ

وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صِبْيَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
يُطِلُّونَ (١) إِطْلَالَ الْفِرَاخِ مِنَ الْوَكْرِ

جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جِنَايَةً
فَأَثْقَلْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

فَهَبْ هِبَةً يَبْقَى عَلَيْكَ ثَنَاؤُهَا
بَقَاءَ النُّجُومِ الطَّالِعَاتِ الَّتِي تَسْرِي

قَالَ الْأَمِيرُ أُسَامَةُ بْنُ مُنْقِذٍ : فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهِ أَحْضَرَ الْأَمِيرُ أَسَدُ الدَّوْلَةِ الْقَاضِيَ وَالشُّهُودَ ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَمْلِيكِ الْأَمِيرِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ ضَيْعَةً مِنْ

(١) يطلون : يشرفون ، ووجه الشبه في هذا الشطر من البيت أنهم مشتاقون إلى أبيهم شوق الفرخ إلى أمه إذا أطل من وكره ينتظرها « عبد الخالق »

ضِيَاعِهِ لَهَا ٱرْتِفَاقٌ[١] كَبِيرٌ ، وَأَجَازَهُ فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ فَأَثْرَى وَتَمَوَّلَ[٢] . وَلَمَّا مَلَكَ مَحْمُودُ بْنُ نَصْرِ بْنِ صَالِحِ ٱبْنِ مِرْدَاسٍ حَلَبَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

كُفِّي مَلَامَكِ فَالتَّبْرِيحُ يَكْفِينِي
أَوْ جَرِّبِي بَعْضَ مَا أَلْقَى وَلُومِينِي
بِرَمْلِ يَبْرِينَ[٣] أَصْبَحْتُمْ فَهَلْ عَلِمَتْ
رِمَالُ يَبْرِينَ أَنَّ الشَّوْقَ يَبْرِينِي
أَهْوَى الْحِسَانَ وَخَوْفُ اللهِ يَرْدَعُنِي
عَنِ الْهَوَى وَالْعُيُونُ النُّجْلُ تَغْوِينِي
مَا بَالُ أَسْمَاءَ تَلْوِينِي[٤] مَوَاعِدَهَا
أَكُلُّ ذَاتِ جَمَالٍ ذَاتُ تَلْوِينِ ؟

(١) فى الاصل « ارتفاع » (٢) تمول : كثر ماله (٣) موضع بحذاء الاحساء من أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة ، وفى اللغة الاحساء جمع حسى وهو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر ، وكلما نزحت دلوا جمت أخرى وتطلق الأحساء على مواضع مختلفة منها أحساء خرشاف بسيف البحرين ، وأحساء بنى سعد بحذاء هجر ، وأحساء بنى وهب (٤) تلوينى : تمطلنى

كَانَ الشَّبَابُ إِلَى هِنْدٍ يُقَرِّبُنِي
وَشَابَ رَأْسِي فَصَارَ الْيَوْمَ يُقْصِينِي
يَا هِنْدُ إِنَّ سَوَادَ الرَّأْسِ يَصْلُحُ لِلدْ
دُنْيَا وَإِنَّ بَيَاضَ الرَّأْسِ لِلدِّينِ
لَسْتُ امْرَءًا غِيبَةُ (١) الْأَحْرَارِ مِنْ شِيَمِي
وَلَا النَّمِيمَةُ مِنْ طَبْعِي وَلَا دِينِي
دَعْنِي وَحِيداً أُعَانِي الْعَيْشَ مُنْفَرِداً
فَبَعْضُ مَعْرِفَتِي بِالنَّاسِ تَكْفِينِي
مَا ضَرَّنِي وَدِفَاعُ اللهِ يَعْصِمُنِي
مَنْ بَاتَ يَهْدِمُنِي فَاللهُ يَبْنِينِي
وَمَا أُبَالِي وَصَرْفُ (٢) الدَّهْرِ يُسْخِطُنِي
وَسَيْبُ نُعْمَاكَ يَا ابْنَ الصِّيدِ (٣) يُرْضِينِي
أَبَا سَلَامَةَ عِشْ وَاسْلَمْ حَلِيفَ عُلًا
وَسُؤْدَدٍ بِشُعَاعِ الشَّمْسِ مَقْرُونِ (٤)

(١) الغيبة : ذكر الناس بما يكرهون والتشنيع عليهم ، والنميمة : السعى بين الناس بالفساد وعيبهم (٢) صرف الدهر : حدثانه ونوبه (٣) الصيد : جمع أصيد : وهو الذى يرفع رأسه كبرا ومن هنا سمى الملوك صيدا فى أكثر العصور (٤) أى يشبه شعاع الشمس فى علو قدره وسؤدده وفى أنه يود الناس جميعاً .

أَشْنَا (١) عِدَاكُمْ وَأَهْوَى أَنْ أَدِينَ لَكُمْ
فَلِلْعِدَى دِينُهُمْ فِيكُمْ وَلِى دِينِى

فَلَمَّا أَتَمَّ إِنْشَادَهَا قَالَ لَهُ تَمَنَّ، قَالَ: أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَمِيراً، فَجَعَلَهُ أَمِيراً يَجْلِسُ مَعَ الأَمِيرِ، وَيُخَاطَبُ بِالأَمِيرِ وَقَرَّبَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الإِمَارَةَ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ مِنْ دِيوَانِ الْمُسْتَنْصِرِ بِمِصْرَ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ، إِذْ يَكُونُ تَوْجِيهُ الإِمَارَةِ إِلَيْهِ مِنَ الأَمِيرِ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرٍ تَالِياً لِتَوْجِيهِهَا إِلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْمُسْتَنْصِرِ وَمُؤَكِّداً مُؤَيِّداً لَهُ، وَوَهَبَهُ (٢) صَاحِبُ حَلَب مَحْمُودٌ أَيْضاً مَكَاناً بِحَلَبَ تُجَاهَ حَمَّامِ الْوَاسَانِيِّ فَجَعَلَهُ دَاراً وَزَخْرَفَهَا، فَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا نَقَشَ عَلَى دَائِرَةِ الدَّرَابَزِينِ فِيهَا:

دَارٌ بَنَيْنَاهَا وَعِشْنَا بِهَا
فِى دَعَةٍ مِنْ (٣) آلِ مِرْدَاسِ

---

(١) أشنا: أصله أشنأ: أى أبغض وأكره (٢) كنا نريد أن نجعلها وهب له لأن وهب تتعدى إلى مفعول واحد فقط بنفسها وإلى الآخر باللام ولكن ذكر فى القاموس أن أبا عمرو حكى التعدية إلى اثنين عن أعرابى

(٣) أى فى دعة مصدرها آل مرداس

قَوْمٌ مَحَوْا بُؤْسِي وَلَمْ يَتْرُكُوا
عَلَيَّ فِي الْأَيَّامِ مِنْ بَاسِ
قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا أَلَا هَكَذَا
فَلْيُحْسِنِ النَّاسُ إِلَى النَّاسِ

وَلَمَّا تَكَامَلَ الْبِنَاءُ عَمِلَ دَعْوَةً حَضَرَهَا الْأَمِيرُ مَحْمُودُ بْنُ نَصْرٍ، فَلَمَّا رَأَى حُسْنَ الدَّارِ وَقَرَأَ الْأَبْيَاتَ الْمُتَقَدِّمَةَ قَالَ يَا أَبَا الْفَتْحِ: كَمْ صَرَفْتَ عَلَى بِنَاءِ الدَّارِ؟ قَالَ يَا مَوْلَايَ هَذَا الرَّجُلُ تَوَلَّى عِمَارَتَهَا. وَلَا أَدْرِي كَمْ صَرَفَ عَلَيْهَا؟ فَسَأَلَ الْمِعْمَارَ فَقَالَ[١]: غَرِمَ[٢] عَلَيْهَا أَلْفَا دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَلْفَيْ دِينَارٍ وَثَوْبٍ أَطْلَسٍ وَعِمَامَةٍ مُذَهَّبَةٍ وَحِصَانٍ بِطَوْقٍ ذَهَبٍ وَسَرْفَسَارٍ[٣] ذَهَبٍ فَسَلَّمَهَا إِلَى ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ وَقَالَ لَهُ:

قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا أَلَا هَكَذَا فَلْيُحْسِنِ النَّاسُ إِلَى النَّاسِ

وَحَضَرَ بَعْدَ أَيَّامٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعَرَّةِ يُقَالُ لَهُ

(١) سقط من الأصل: «فقال» وأثبتناه كما يدل عليه المقام (٢) بمعنى صرف والغرامة: ما يلزم أداؤه كالغرم (٣) كلمة فارسية معناها «لجام»

الزَّقُّومُ مِنْ رِعَاعِ النَّاسِ وَأَسَافِلِهِمْ ، فَطَلَبَ رِزْقَ(١) جُنْدِيٍّ فَأُعْطِيَ ذَلِكَ وَجُعِلَ مِنْ أَجْنَادِ الْمَعَرَّةِ ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزُّوَيْدَةِ الْمَعَرِّيُّ فِي ذَلِكَ :

أَهْلُ الْمَعَرَّةِ تَحْتَ أَقْبَحِ خِطَّةٍ
وَبِهِمْ أَنَاخَ الْخَطْبُ وَهُوَ جَسِيمُ
لَمْ يَكْفِهِمْ تَأْمِيرُ إِبْنِ حُصَيْنَةٍ
حَتَّى تَجَنَّدَ بَعْدَهُ الزَّقُّومُ
يَا قَوْمُ قَدْ سَئِمَتْ لِذَاكَ نُفُوسُنَا
يَا قَوْمُ أَيْنَ التُّرْكُ أَيْنَ الرُّومُ ؟؟

فَشَاعَتِ الْأَبْيَاتُ وَسَمِعَهَا الْأَمِيرُ أَبُو الْفَتْحِ ، فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ ابْنِ الزُّوَيْدَةِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ ابْنُ الزُّوَيْدَةِ : الْآنَ وَاللهِ كَانَ عِنْدِي الزَّقُّومُ وَقَالَ لِي : وَاللهِ مَا بِي مِنَ الْهَجْوِ مَا بِي مِنْ أَنَّكَ قَرَنْتَنِي بِابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي حُصَيْنَةَ : قَبَّحَكَ اللهُ وَهَذَا هَجْوٌ ثَانٍ .

وَقَالَ يَمْدَحُ قُرَيْشَ بْنَ بَدْرَانَ بْنِ الْمُقَلَّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ صَاحِبَ نَصِيبِينَ :

---

(١) أي ما يأخذه جندي كأجر له

أَبَتْ عَبَرَاتُهُ إِلَّا انْهِمَالَا
عَشِيَّةَ أَزْمَعَ الْحَيُّ ارْتِحَالَا

أَجَدَّكَ(١) كُلَّمَا هَمُّوا بِنَأْيٍ
تَرَقْرَقَ مَاءُ عَيْنِكَ ثُمَّ سَالَا

تَقَاضَيْنَا مَوَاعِدَ أُمِّ عَمْرٍو
فَضَنَّتْ أَنْ تُنِيلَ وَأَنْ تُنَالَا

وَسَارَ خَيَالُهَا السَّارِى إِلَيْنَا
فَلَوْ عَلِمَتْ لَعَاقَبَتِ الْخَيَالَا

وَمِنْهَا :

إِذَا بَلَغَتْ رَكَائِبُنَا قُرَيْشاً
فَقَدْ بَلَغَتْ بِنَا الْمَاءَ الزُّلَالَا

---

(١) أجدك : أى أبجدك على أنه قسم أى أبحظك ، وقيل إنها تكون بالكسر على أنه مفعول مطلق بفعل محذوف والمعنى أتجد جدك فأنك كلما هموا ترقرق ماء عينيك ، وعلى هذا قول الشاعر :

خليلى هبا طالما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما

البيت قيل أنه لقس بن ساعدة ونسب إليه فى شعراء النصرانية وقد رأيته منسوبا لغيره

« عبد الخالق »

فَتًى لَوْ مَدَّ نَحْوَ الجَوِّ بَاعاً
وَهَمَّ بِأَنْ يَنَالَ الشُّهْبَ نَالَا

إِذَا انْتَسَبَ ابْنُ بَدْرَانٍ وَجَدْنَا
مَنَاسِبَهُ العَلِيَّةَ لَا تُعَالَى

تَتِيهُ بِهَا إِذَا ذُكِرَتْ مَعَدٌّ
وَتُكْسِبُ[1] كُلَّ قَيْسِيٍّ جَمَالَا

أَيَا عَلَمَ الهُدَى نَجْوَى مُحِبٍّ
يُحِبُّكُمُ اعْتِقَادًا لَا انْتِحَالَا

مَنَنْتَ فَلَمْ تُجَشِّمْنِي عَنَاءً
وَجُدْتَ فَلَمْ تُكَلِّفْنِي سُؤَالَا

إِذَا عَدِمَ الزَّمَانُ مُسَيَّبِيًّا
أَتَاحَ اللهُ لِلدُّنْيَا وَبَالَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ اكْتَفَيْنَا مِنْهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَقَالَ يَرْثِي زَعِيمَ الدَّوْلَةِ أَبَا كَامِلٍ بَرَكَةَ بْنَ المُقَلَّدِ ابْنِ المُسَيَّبِ . وَتُوُفِّيَ بِتَكْرِيتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ :

---

(١) يقال كسب فلاناً مالا وأكسبه : سهل له طريق إصابته

مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ مَوْتُ الْعَظِيمِ
لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ مَوْتِ الزَّعِيمِ
يَا جُفُونِى سُحِّى دماً أَوْ فَحمِّى (١)
صَحْنَ خدِّى بِعَبْرَةٍ كَالْحَمِيمِ
بَعْدَ خِرقٍ (٢) مِنَ الْمُلُوكِ كَرِيمٍ
مَازَمَانٌ أَوْدَى بِهِ بِكَرِيمِ
جَعْفَرِىُّ النِّصَابِ (٣) مِنْ صَفْوَةِ الصَّفْـ
ـوَةِ فِى الْفَخْرِ وَالصَّمِيمِ الصَّمِيمِ
يَا أَبَا كَامِلٍ بِرَغْمِى أَنْ يُشْقِيـ (٤)
ـكَ سُكْنَى التُّرَابِ بَعْدَ النَّعِيمِ
أَوْ تَبِيتَ الْقُصُورُ خَالِيَةً مِنْـ
ـكَ وَمِنْ وَجْهِكَ الْوَضِىءِ الْوَسِيمِ
وَانْقِرَاضُ الْكِرَامِ مِنْ شِيَمِ الدَّهْـ
ـرِ وَمِنْ عَادَةِ الزَّمَانِ اللَّئِيمِ

(١) وفى رأيى أن همى أولى بهذا المكان (٢) الخرق : السمح الظريف .
(٣) النصاب : الأصل (٤) يقال : شقاه الله وأشقاه

قَدْ بَكَتْ حَسْرَةً عَلَيْهِ الْمَذَاكِى (١)
وَشَكَتْ فَقْدَهُ بَنَاتُ الرَّسِيمِ (٢)

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَقَالَ يَرْثِي أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيَّ :

الْعِلْمُ بَعْدَ أَبِي الْعَلَاءِ مُضَيَّعٌ
وَالْأَرْضُ خَالِيَةُ الْجَوَانِبِ بَلْقَعُ
أَوْدَى وَقَدْ مَلَأَ الْبِلَادَ غَرَائِباً
تَسْرِي كَمَا تَسْرِي النُّجُومُ الطُّلَّعُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ وَهْوَ يُودَعُ فِي الثَّرَى
أَنَّ الثَّرَى فِيهِ الْكَوَاكِبُ تُودَعُ
جَبَلٌ ظَنَنْتُ وَقَدْ تَزَعْزَعَ رُكْنُهُ
أَنَّ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ تَزَعْزَعُ
وَعَجِبْتُ أَنْ تَسَعَ الْمَعَرَّةُ قَبْرَهُ
وَيَضِيقُ (٣) بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْهُ الْأَوْسَعُ

(١) المذاكى : الخيل التى تمت قوتها (٢) بنات الرسيم : الأبل

(٣) يضيق بالرفع على أنه وفاعله جملة خبر لمبتدإ محذوف وجملة المبتدا والخبر حال وإذاً فواو يضيق للحال ، ولا يصح غير هذا على حد قول الشاعر :

* نجوت وأرهنهم مالكا *

« عبد الخالق »

لَوْ فَاضَتِ الْمُهُجَاتُ(١) يَوْمَ وَفَاتِهِ
مَا اُسْتُكْثِرَتْ فِيهِ فَكَيْفَ الْأَدْمُعُ ؟
تَتَصَرَّمُ الدُّنْيَا وَيَأْتِي بَعْدَهُ
أُمَمٌ وَأَنْتَ بِمِثْلِهِ لَا تَسْمَعُ
لَا تَجْمَعِ الْمَالَ الْعَتِيدَ(٢) وَجُدْ بِهِ
مِنْ قَبْلِ تَرْكِكَ كُلَّ شَيْءٍ تَجْمَعُ
وَإِنِ اُسْتَطَعْتَ فَسِرْ بِسِيرَةِ أَحْمَدٍ
تَأْمَنْ خَدِيعَةَ مَنْ يَغُرُّ وَيَخْدَعُ
رَفَضَ الْحَيَاةَ وَمَاتَ قَبْلَ مَمَاتِهِ
مُتَطَوِّعاً بِأَبَرِّ مَا يُتَطَوَّعُ(٣)
عَيْنٌ تُسَهَّدُ لِلْعَفَافِ وَلِلتُّقَى
أَبَداً وَقَلْبٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَخْشَعُ
شِيَمٌ تُجَمِّلُهُ فَهُنَّ لِمَجْدِهِ
تَاجٌ وَلَكِنْ بِالثَّنَاءِ يُرَصَّعُ

---

(١) المهجات : الأرواح . جمع مهجة (٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) متطوعاً حال من فاعل رفض الحياة يريد أنه زهد في الحياة متطوعاً بترك ما يهواه الإنسان وهو ما عبر عنه أبو حصينة بقوله : بأبر ما يتطوع وكأنه يرمي إلى تركه أكل لحم الحيوان وزهده في مناعم الحياة المختلفة .

جَادَتْ ثَرَاكَ أَبَا الْعَلَاءِ غَمَامَةٌ
كَنَدَى يَدَيْكَ وَمُزْنَةٌ لَا تُقْلِعُ
مَا ضَيَّعَ الْبَاكِي عَلَيْكَ دُمُوعَهُ
إِنَّ الْبُكَاءَ عَلَى سِوَاكَ مُضَيَّعُ
قَصَدَتْكَ طُلَّابُ الْعُلُومِ وَلَا أَرَى
لِلْعِلْمِ بَابًا بَعْدَ بَابِكَ يُقْرَعُ
مَاتَ النُّهَى وَتَعَطَّلَتْ أَسْبَابُهُ
وَقَفَى الْعُلَا وَالْعِلْمُ بَعْدَكَ أَجْمَعُ

وَقَالَ يَرْثِى أَبَا يَعْلَى حَمْزَةَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْحُسَيْنِيَّ الدِّمَشْقِيَّ، وَكَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ بِدِمَشْقَ:

هَوَى الشَّرَفُ الْعَالِى بِمَوْتِ أَبِى يَعْلَى
وَلَا غَرْوَ أَنْ جَلَّتْ رَزِيَّةُ مَنْ جَلَّى(١)
سَيَصْلَى بِنَارِ الْحُزْنِ مَنْ كَانَ آمِنًا
بِهِ أَنَّهُ(٢) فِى الْحَشْرِ بِالنَّارِ لَا يَصْلَى

(١) جلت : عظمت ، وجلى : أى سبق غيره (٢) الضمير فى « به » يعود على أبى يعلى المرثى وكذلك الضمير الذى هو اسم أن

تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَـا فَحَلَّ بِهِ الرَّدَى
فَعَطَّاهَا مِنْ ذَلِكَ الْحَلْيِ مَنْ حَلَّى
فَقَدْنَاهُ فَقْدَ الْغَيْثِ أَقْلَعَ وَبْلُهُ
عَنِ الْأَرْضِ لَمَّا أَنْفَدَتْ ذَلِكَ الْوَبْلَا
لَقَدْ فَلَّ مِنْـهُ الدَّهْرُ حَدَّ مُهَنَّدٍ
تُرِكْنَا بِهِ فِي كُلِّ حَدٍّ لَهُ فَلَّا (١)
فَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَهُ أَيَّ عَابِرٍ
مِنَ النَّاسِ أَمْلَى (٢) اللهُ مُدَّتَهُ أَمْ لَا
تَقِـلُّ دُمُوعِي وَالْهُمُومُ كَثِيرَةٌ
كَـذَاكَ دُخَانُ النَّارِ إِنْ كَثُرَتْ قَلَّا
وَآنَفُ أَنْ أَبْكِي عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ غَرْبًا مِنَ الدَّمْعِ أَوْ سَجْلَا (٣)

(١) فى الأصل نصلا . الفل الأول من فل السيف ثلمه ، وفل الثانى بمعنى الهزيمة ، يقال قوم فل : مهزومون والذى ذكر هو الذى يناسب المعنى

(٢) أملى : أطال وأمد (٣) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء واسم يكن يعود على البكاء المفهوم مما قبله أو أن القول تكن فيعود الضمير على العبرة

« عبد الخالق »

وَقَالَ يَرْثِى مُعْتَمِدَ الدَّوْلَةِ قِرْوَاشَ بْنَ الْمُقَلَّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ الْعُقَيْلِيَّ صَاحِبَ الْمَوْصِلِ ، تُوُفِّىَ مَسْجُونًا بِقَلْعَةِ الْجَرَّاحِيَّةِ . وَقِيلَ : قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيهِ قُرَيْشٌ فِى مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِتَلِّ تَوْبَةَ مِنْ مَدِينَةِ نِينَوَى :

أَمِثْلُ قِرْوَاشٍ يَذُوقُ الرَّدَى
يَا صَاحِ مَا أَوْقَحَ وَجْهَ الْحِمَامْ
حَاشَا لِذَاكَ الْوَجْهِ أَنْ يَعْرِفَ الْـ
ـبُؤْسَ وَأَنْ يُحْنَى عَلَيْهِ الرَّغَامْ (١)
وَلِلْجَبِينِ الصَّلْتِ (٢) أَنْ يُسْلَبَ الْـ
ـبَهْجَةَ أَوْ يَعْدَمَ حُسْنَ الْوَسَامْ (٣)
يَا أَسَفَ النَّـــاسِ عَلَى مَاجِدٍ
مَاتَ فَقَالَ النَّاسُ مَاتَ الْكِرَامْ !
غَيْرُ بَعِيدٍ يَا بَعِيدَ النَّـــدَى (٤)
وَلَا ذَمِيمٌ يَا وَفِىَّ الذِّمَامْ

---

(١) الرغام بالفتح : التراب (٢) الصلت : الواسع (٣) الوسام : الحسن الثابت فى الوجه كالوسامة (٤) يقصد بقوله : بعيد الندى أنه فى كرمه وجوده يصل إلى حد يبعد على كثير من الناس أن يصلوا إليه وغير خبر لمحذوف بمعنى أنت

زُلْتَ فَلَا الْقَصْرُ بَهِيٌّ وَلَا
بَابُكَ مَعْمُورٌ كَثِيرُ الزِّحَامْ
وَلَا الْخِيَامُ الْبِيضُ مَنْصُوبَةٌ
بُورِكْتَ يَا نَاصِبَ تِلْكَ الْخِيَامْ
قُبْحًا لِدُنْيَا حَطَّمَتْ أَهْلَهَا
وَآخَذَتْهُمْ (١) بِاكْتِسَابِ الْحُطَامْ
تَأْخُذُ مَا تُعْطِي فَمَا بَالُنَا
نُكْثِرُ فِيمَا لَا يَدُومُ الْخِصَامْ؟
يَا قَبْرَ قِرْوَاشٍ سُقِيتَ الْحَيَا
وَلَا تَعَدَّتْكَ غَوَادِي الْغَمَامْ
قَضَى (٢) وَلَمْ أَقْضِ عَلَى إِثْرِهِ
إِنِّي لَمِنْ تَرْكِ الْوَفَا ذُو احْتِشَامْ (٣)
أَنْظِمُ شِعْرًا وَالْجَوَى شَاغِلِي
يَا عَجَبًا كَيْفَ اسْتَقَامَ الْكَلَامْ؟!

(١) آخذتهم : أوقعت بهم (٢) قضى : مات (٣) أى ذو خجل من تركه الوفاء لأنه لم يقض على إثره

وَلَمَّا وَصَلَ أَرْمَانُوسُ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى حَلَبَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَعَهُ مَلِكُ الرُّوسِ وَمَلِكُ الْبُلْغَارِ وَالْأَلْمَانِ وَالْبَلْجِيكِ وَالْخَزَرِ وَالْأَرْمَنِ فِي سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْفِرَنْجِ ، قَاتَلَهُمْ شِبْلُ الدَّوْلَةِ نَصْرُ بْنُ صَالِحٍ صَاحِبُ حَلَبَ . فَهَزَمَهُمْ وَتَبِعَهُمْ إِلَى عَزَازٍ وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ غَنَائِمَ عَظِيمَةً، فَقَالَ ابْنُ أَبِي حُصَيْنَةَ فِي ذَلِكَ وَأَنْشَدَهَا شِبْلَ الدَّوْلَةِ بِظَاهِرِ قِنَّسْرِينَ:

دِيَارُ الْحَيِّ(١) مُقْفِرَةٌ يَبَابُ(٢)
كَأَنَّ رُسُومَ دِمْنَتِهَا كِتَابُ
نَأَتْ عَنْهَا الرَّبَابُ(٣) وَبَاتَ يَهْمِي
عَلَيْهَا بَعْدَ سَاكِنِهَا الرَّبَابُ
تُعَاتِبُنِي أُمَامَةُ فِي التَّصَابِي
وَكَيْفَ بِهِ وَقَدْ فَاتَ الشَّبَابُ ؟

---

(١) فى الاصل : ديار الحق ويكون معناها ديار الاسلام ، ولكنى أرى أنها محرفة وأصلها ديار الحى (٢) أى خراب (٣) الرباب الأولى : علم على أنثى والرباب الثانيـة : السحاب الأبيض

نَضَا(١) مِنِّى الصِّبَا وَنَضَوْتُ مِنْهُ
كَمَا يَنْضُو مِنَ الْكَفِّ الْخِضَابُ

وَمِنْهَا :

إِلَى نَصْرٍ وَأَىُّ فَتًى كَنَصْرٍ
إِذَا حَلَّتْ بِمَغْنَاهُ الرِّكَابُ ؟
أَمِنْتَهِكَ الْفِرَنْجِ غَدَاةَ ظَلَّتْ
حُطَامًا فِيهِمُ السُّمْرُ الصِّلَابُ ؟
جُنُودُكَ لَا يُحِيطُ بِهِنَّ وَصْفٌ
وَجُودُكَ لَا يُحَصِّلُهُ حِسَابُ
وَذِكْرُكَ كُلُّهُ ذِكْرٌ جَمِيلٌ
وَفِعْلُكَ كُلُّهُ فِعْلٌ عُجَابُ
وَأَرْمَانُوسُ كَانَ أَشَدَّ بَأْسًا
وَحَلَّ بِهِ عَلَى يَدِكَ الْعَذَابُ
أَتَاكَ يَجُرُّ بَحْرًا مِنْ حَدِيدٍ
لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عُبَابُ

(١) نضا : ذهب ، يقال نضا الخضاب : أى ذهب لونه

إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُ بِأَرْضٍ
تَزَلْزَلَتِ الْأَبَاطِحُ وَالْهِضَابُ
فَعَادَ وَقَدْ سَلَبْتَ الْمُلْكَ عَنْهُ
كَمَا سُلِبَتْ عَنِ الْمَيْتِ الثِّيَابُ
فَمَا أَدْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ مَجِىءٌ
وَلَا أَقْصَاهُ عَنْ شَرٍّ ذَهَابُ
فَلَا تَسْمَعْ لِطَنْطَنَةِ(١) الْأَعَادِى
فَإِنَّهُمُ إِذَا طَنُّوا ذُبَابُ
وَلَا تَرْفَعْ لِمَنْ عَادَاكَ رَأْسًا
فَإِنَّ اللَّيْثَ تَنْبَحُهُ الْكِلَابُ

وَقَالَ :

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ الزَّمَانِ مُقَامُ حُرٍّ عَلَى هَوَانِ
فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعِنْهُ فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ
وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ فَمِنْ(٢) مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

(١) طنطنة : يقال طنطن الذباب طنطنة : إذا صوت ، وكانت فى الأصل : « بطنطنة » (٢) الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره : فلينتقل

وَقَالَ :

بَكَتْ عَلَيَّ غَدَاةَ الْبَيْنِ حِينَ رَأَتْ
دَمْعِي يَفِيضُ وَحَالِي حَالَ مَبْهُوتِ
فَدَمْعِي ذَوْبُ يَاقُوتٍ عَلَى ذَهَبٍ(١)
وَدَمْعُهَا ذَوْبُ دُرٍّ فَوْقَ يَاقُوتِ

وَقَالَ :

لَا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبٍ
دُنْيَا تَغُرُّ بِوَصْلِهَا وَسَتَقْطَعُ
أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ
إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

وَقَالَ يَمْدَحُ ثَابِتَ بْنَ شِمَالِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ :

لَوْ أَنَّ دَاراً أَخْبَرَتْ عَنْ نَاسِهَا
لَسَأَلْتُ رَامَةَ عَنْ ظِبَاءِ كِنَاسِهَا
بَلْ كَيْفَ تُخْبِرُ دِمْنَةٌ مَا عِنْدَهَا
عِلْمٌ بِوَحْشَتِهَا وَلَا إِينَاسِهَا ؟

(١) يقول : أنه يبكى دما ووجهه أصفر وبذلك تكون المقابلة مع ما قاله فى الشطر الثانى

مَمْحُوَّةُ الْعَرَصَاتِ يَشْمَلُهَا الْبِلَى

عَنْ سَاحِبَاتِ الْمِرْطِ فَوْقَ دَهَاسِهَا (١)

وَمِنْهَا :

وَزَمَانِ لَهْوٍ بِالْمَعَرَّةِ مُونِقٍ

بِشِيَاتِهَا وَبِجَانِبَيْ هِرْمَاسِهَا (٢)

أَيَّامَ قُلْتُ لِذِي الْمَوَدَّةِ أَسْقِنِي

مِنْ خَنْدَرِيسِ حِنَاكِهَا (٣) أَوْ حَاسِهَا

حَمْرَاءُ تُغْنِينَا بِسَاطِعِ لَوْنِهَا

فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَنْ نِبْرَاسِهَا

وَكَأَنَّمَا حَبَبُ الْمِزَاجِ إِذَا طَفَا

دُرٌّ تَرَصَّعَ فِي جَوَانِبِ طَاسِهَا

رَقَّتْ فَمَا أَدْرِي أَكَأْسٌ زُجَاجُهَا

فِي جِسْمِهَا أَمْ جِسْمُهَا فِي كَاسِهَا ؟؟

---

(١) المكان السهل ليس برمل ، وعن ساحبات متعلق بالفعل تخبر في البيت قبله .

(٢) الهرماس : موضع بالمعرة ذكر هذا ياقوت (٣) في معجم البلدان : حناك : حصن كان بمعرة النعمان ، وحاس : في أرض المعرة «عبد الخالق»

وَكَأَنَّمَا زَرَجُونَةٌ(١) جَاءَتْ بِهَا
سُقِيَتْ مُذَابَ التِّبْرِ عِنْدَ غِرَاسِهَا
فَأَتَتْ مُشَعْشَعَةً كَجَذْوَةِ قَابِسٍ
رَاعَتْ أَكُفَّ الْقَوْمِ عِنْدَ مَسَاسِهَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الصِّبَا وَنَعِيمُهَا
وَزَمَانُ جِدَّتِهَا وَلِينُ مِرَاسِهَا
مَالِي تَعِيبُ الْبِيضُ بِيضَ مَفَارِقِي
وَسَبِيلُهَا تَصْبُو إِلَى أَجْنَاسِهَا(٢)
نُورُ الصَّبَاحِ إِذَا الدُّجُنَّةُ أَظْلَمَتْ
أَبْهَى وَأَحْسَنُ مِنْ دُجَى أَغْلَاسِهَا
إِنَّ الْهَوَى دَنَسُ النُّفُوسِ فَلَيْتَنِي
طَهَّرْتُ هٰذِي النَّفْسَ مِنْ أَدْنَاسِهَا
وَمَطَامِعُ الدُّنْيَا تُذِلُّ وَلَا أَرَى
شَيْئًا أَعَزَّ لِمُهْجَةٍ مِنْ يَاسِهَا

(١) الزرجونة : الكرم (٢) والمعنى : لماذا تعيب النساء بياض شيبي مع أنهن بيض الوجوه وعادتهن الميل إلى مايشبههن

مَنْ عَفَّ لَمْ يُذْمَمْ وَمَنْ تَبِعَ الْخَنَا[1]
لَمْ تُخْلِهِ التَّبِعَاتُ مِنْ أَوْكَاسِهَا[2]
زَيِّنْ خِصَالَكَ بِالسَّمَاحِ وَلَا تُرِدْ
دُنْيَا تَرَاكَ وَأَنْتَ بَعْضُ خِسَاسِهَا
وَمَتَى رَأَيْتَ يَدَ امْرِئٍ مَمْدُودَةً
تَبْغِي مُؤَاسَاةَ الْكَرِيمِ فَوَاسِهَا
خَيْرُ الْأَكُفِّ السَّابِقَاتِ بِجُودِهَا
كَفٌّ تَجُودُ عَلَيْكَ فِي إِفْلَاسِهَا

وَمِنْهَا فِي الْمَدْحِ :

أَمَّا نِزَارُ فَكُلُّهَا لَكَرِيمَةٌ   لَكِنَّ أَكْرَمَهَا بَنُو مِرْدَاسِهَا

وَقَالَ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْضَ مَا أَمْكَنَهْ
وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَحْسَنَهْ
فَدَعْهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ
سَيَضْحَكُ يَوْمًا وَيَبْكِي سَنَهْ

(١) الخنا : الفحش (٢) أوكاسها : نقصانها وخستها

وَقَالَ :

أَلدَّهْرُ خَدَّاعَةٌ خَلُوبُ وَصَفْوُهُ بِالْقَذَى مَشُوبُ
فَلَا تَغُرَّنَّكَ اللَّيَالِى فَبَرْقُهَا خُلَّبٌ كَذُوبُ
وَأَكْثَرُ النَّاسِ فَاعْتَزِلْهُمْ قَوَالِبٌ مَالَهَا قُلُوبُ (١)

٧ – الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْوَلِيدِ *

الحسين الكلابى

ابْنِ عُثْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْكِلَابِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِى الزَّلَازِلِ مِنْ بَنِى جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ اللُّغَوِىُّ الْأَدِيبُ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ . أَخَذَ عَنْ أَبِى الْقَاسِمِ الزَّجَّاجِىِّ وَأَبِى بَكْرٍ الْخَرَائِطِىِّ وَغَيْرِهِمَا . تُوُفِّىَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ مِنْهَا : كِتَابُ أَنْوَاعِ الْأَسْجَاعِ ، ابْتَدَأَ بِتَأْلِيفِهِ فِى دِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَرَوَى فِيهِ عَنْ شُيُوخِهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُوَ كِتَابٌ مُمْتِعٌ أَجَادَ وَضْعَهُ وَتَأْلِيفَهُ .

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ أَبِى الزَّلَازِلِ :

---

(١) منذ مرت فى شعر المترجم له قصيدته فى أبى العلاء ، وأنا ألمح فى شعره شيئاً من الروعة وبعض المعانى الجليلة على أن هذا النوع الذى أشير إليه لم يطل عهده فى بعض قصائده أو أنه على الأقل شيب بشىء من الضعف « عبد الخالق »

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

لَقَدْ عَرَّفَتْكَ الْحَادِثَاتُ نُفُوسَهَا
وَقَدْ أَدَّبَتْ إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْأَدَبْ
وَلَوْ طَلَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَرْفِ دَهْرِهِ
دَوَامَ الَّذِي يَخْشَى لَأَعْيَاهُ مَاطَلَبْ

وَقَالَ :

فَتًى لِرَغِيفِهِ قُرْطٌ وَشَنْفٌ(١)
وَإِكْلِيلَانِ مِنْ خَرَزٍ وَشَزْرِ
إِذَا كُسِرَ الرَّغِيفُ بَكَى عَلَيْهِ
بُكَا الْخَنْسَاءِ إِذْ فُجِعَتْ بِصَخْرِ

وَقَالَ مُهَنِّئًا بَعْضَ الْأُمَرَاءِ بِالْعِيدِ :

عِيدُ يُمْنٍ مُؤَكَّدٌ بِأَمَانِ
مِنْ تَصَارِيفِ طَارِقِ الْحَدَثَانِ
جَعَلَ اللهُ عِيدَ عَامِكَ هَذَا
خَيْرَ عِيدٍ وَذَاكَ خَيْرُ التَّهَانِي

---

(١) الشنف : القرط الأعلى ، أو ما علق فى أعلى الأذن — وأما ما علق فى أسفلها فقرط .

ثُمَّ لَازِلْتَ مِنْ زَمَانِكَ فِي صَفْـ
ـوٍ وَمِنْ شُرْبِ صَرْفِهِ(١) فِي أَمَانِ
آخِذاً ذِمَّةً مِنَ الدَّهْرِ لَا تُخْـ
ـفَرُ(٢) مَعْقُودَةً بِأَوْفَى ضَمَانِ
نَافِذَ الْأَمْرِ عَالِيَ الْقَدْرِ مَحْمُو
دَ الْمَسَاعِي مُؤَيَّدَ السُّلْطَانِ

وَقَالَ :

ثَمَانِيَةٌ قَامَ الْوُجُودُ بِهَا فَهَلْ
تَرَى مِنْ مَحِيصٍ لِلْوَرَى عَنْ ثَمَانِيَهْ؟
سُرُورٌ وَحُزْنٌ وَاجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ
وَعُسْرٌ وَيُسْرٌ ثُمَّ سُقْمٌ وَعَافِيَهْ
بِهِنَّ انْقَضَتْ أَعْمَارُ أَوْلَادِ آدَمٍ
فَهَلْ مَنْ رَأَى أَحْوَالَهُمْ مُتَسَاوِيَهْ ؟

(١) العرف : حادث الدهر (٢) لا تخفر : لاتنقض من أخفره : أزال عنه حمايته

﴿ ٨ – الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ ﴾

الحسين المصرى

أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِصْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْجَمَلِ ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، كَانَ شَاعِراً مُفْلِقاً مَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْأُمَرَاءَ . تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ . قَدِمَ دِمَشْقَ وَافِداً عَلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمُدَبِّرِ ، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقْصِدُهُ الشُّعَرَاءُ ، فَمَنْ مَدَحَهُ بِشِعْرٍ جَيِّدٍ أَجْزَلَ صِلَتَهُ ، وَمَنْ مَدَحَهُ بِشِعْرٍ رَدِيءٍ وَجَّهَ بِهِ مَعَ خَادِمٍ لَهُ إِلَى الْجَامِعِ فَلَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ يَصْرِفُهُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْجَمَلُ وَأَنْشَدَهُ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحاً
كَمَا بِالْمَدْحِ تُنْتَجَعُ (١) الْوُلَاةُ
فَقَالُوا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا (٢)
وَمَنْ جَدْوَاهُ دِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ

(١) تنتجع : بالبناء للمجهول : تؤتى لطلب المعروف . استعارة من الانتجاع وهو طلب الكلأ فى مواضعه . (٢) طرا : جميعاً

وَقَالُوا يَقبَلُ الشُّعَرَاءَ لَكِنْ
أَجَلُّ صِلَاتِ مَادِحِهِ الصَّلَاةُ

فَقُلتُ لَهُمْ وَمَا(١) يُغْنِى عِيَالِى
صَلَاتِى ؟ إِنَّمَا الشَّأْنُ الزَّكَاةُ

فَيَأْمُرُ لِى بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا
فَتُصْبِحُ لِى الصَّلَاةُ هِىَ الصِّلَاتُ

وَرَوَى الْجَمَلُ عَنْ بِشْرِ بْنِ بَكْرٍ عَنِ الْأَوْزَاعِىِّ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ قَوْمٌ كُسَالَى يَنَامُونَ تَحْتَ شَجَرَةِ كُمَّثْرَى(٢) يَقُولُونَ : إِنْ سَقَطَ فِى أَفْوَاهِنَا شَىْءٌ أَكَلْنَا وَإِلَّا فَلَا ، فَسَقَطَتْ كُمَّثْرَاةٌ إِلَى جَانِبِ أَحَدِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِى يَلِيهِ : ضَعْهَا فِى فَمِى . قَالَ : لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَضَعَهَا فِى فَمِكَ وَضَعْتُهَا فِى فَمِى . قَالَ ابْنُ يُونُسَ فِى تَارِيخِ مِصْرَ : كَانَ الْجَمَلُ شَرِهًا فِى الطَّعَامِ دَنِىءَ النَّفْسِ وَسِخَ الثَّوْبِ هَجَّاءً ، وُلِدَ قَبْلَ سَنَةِ

(١) ما فى هذا الموضع يصح أن تكون للنفى أو للاستفهام

(٢) جاء فى القاموس الكمثرة تداخل الشىء بضعه فى بعض ، والكمثرى منه والواحدة كمثراة فالكمثرى اسم جنس جمعى وهو مايفرق بينه وبين واحده بالتاء . ويظهر أن لفظة يقولون سقطت بعد كلمة كمثرى فكتبناها وإنما جاءت حكاية الكمثرى لأنها رواية الجمل . «عبد الخالق»

سَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَعَلَتْ سِنُّهُ ، وَمَدَحَ الْمَأْمُونَ بِمِصْرَ لَمَّا وَرَدَ إِلَيْهَا لِجَوْبِ الْبِيمَارِسْتَانِ ، وَمَدَحَ الْأُمَرَاءَ مِثْلَ عَبْدِ اللهِ ابْنِ طَاهِرٍ وَغَيْرَهُمْ ، وَتُوُفِّىَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمِنْ شِعْرِ الْجَمَلِ أَيْضاً :

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ اللِّئَامِ
كَفَتْكَ الْقَنَاعَةُ شِبْعاً وَرِيَّا
فَكُنْ رَجُلًا رِجْلُهُ فِي الثَّرَى
وَهَامَةُ هِمَّتِهِ فِي الثُّرَيَّا
أَبِيًّا لِنَائِلِ (١) ذِي ثَرْوَةٍ
تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيَّا
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَا
ةِ دُونَ (٢) إِرَاقَةِ مَاءِ الْمُحَيَّا (٣)

(١) نائل : عطاء . وأبيا الأولى بمعنى : عائفا متكرها لا ترضى الدنية كبرا ، والثانية يمنع أن يعطى غيره شيئاً (٢) دون هنا بمعنى أهون وأسهل (٣) المحيا : الوجه .

﴿ ٩ – الْحُسَيْنُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

الحسين ابن عقيل البزار

ابْنِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ هَاشِمٍ الْبَزَّارُ الْوَاسِطِيُّ الْقُرَشِيُّ. كَانَ أَدِيباً شَاعِراً وَلَهُ عِنَايَةٌ بِالْحَدِيثِ، رَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، وَالْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ. تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

لَقَدْ كَمَّلَ الرَّحْمَنُ شَخْصَكَ فِي الْوَرَى
فَلَا شَابَ [1] شَيْئاً مِنْ كَمَالِكَ بِالنَّقْصِ
وَمَنْ جَمَعَ الْآفَاقَ فِي الْعَيْنِ قَادِرٌ
عَلَى جَمْعِ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ فِي شَخْصِ

وَقَالَ:

وَلَمَّا حَدَا الْبَيْنُ الْمُشِتُّ [2] بِشَمْلِنَا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُثَارَ [3] الْأَيَانِقُ

(١) فى الاصل « شان بالنون » فجلت باء وفاعل شاب ضمير راجع إلى الرحمن وهى جملة دعائية (٢) المشت : المفرق (٣) تثار : تهيج ، والأيانق : جمع أينق جمع ناقة وهى الأنثى من الأبل . قال ابن عبيدة : ولا تسمى ناقة حتى تجذع

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

وَلَمْ نَسْتَطِعْ عِنْدَ الْوَدَاعِ تَصَبُّراً
وَقَدْ غَالَنَا دَمْعٌ عَنِ الْوَجْدِ نَاطِقُ
وَقَفْنَا لِتَوْدِيعٍ فَكَادَتْ(١) نُفُوسُنَا
لِأَجْسَادِنَا قَبْلَ الْوَدَاعِ تُفَارِقُ
فَبَاكٍ لِمَا يَلْقَاهُ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ
وَشَاكٍ لَهُ قَلْبٌ بِهِ الْوَجْدُ عَالِقُ

وَقَالَ :

أَقْلِي(٢) النَّهَارَ إِذَا أَضَاءَ صَبَاحُهُ
وَأَظَلُّ أَنْتَظِرُ الظَّلَامَ الدَّامِسَا
فَالصُّبْحُ يَشْمَتُ بِي فَيُقْبِلُ ضَاحِكاً
وَاللَّيْلُ يَرْثِى لِي فَيُدْبِرُ عَابِسَا

وَقَالَ :

عَلَى لَامِ الْعِذَارِ رَأَيْتُ خَالًا
كَنُقْطَةِ عَنْبَرٍ بِالْمِسْكِ أُفْرِطْ(٣)

(١) فى الاصل : فكانت . وليس هذا موقعها (٢) أقلى : أبغض (٣) من أفرط الشىء : ملأه

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي هَـذَا عَجِيبٌ
مَتَى قَالُوا بِأَنَّ اللَّامَ تُنْقَطْ ؟!

﴿ ١٠ – الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ * ﴾

الحسين ابن على النصيبى

ابْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ شَبِيبٍ النَّصِيبِيُّ النَّدِيمُ، نَدِيمُ الْمُسْتَنْجِدِ بِاللهِ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، كَانَ أَدِيباً كَاتِباً شَاعِراً لَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ الْعَوِيصَةِ، تَفَاوَضَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَلْمَشَ، وَأَبُو غَالِبِ بْنُ الْحُصَيْنِ فِي سُرْعَةِ خَاطِرِ ابْنِ شَبِيبٍ وَتَقَدُّمِهِ فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ، فَعَمِلَ ابْنُ قَتَلْمَشَ أَبْيَاتاً عَلَى صُورَةِ الْأَلْغَازِ، وَلَمْ يُلْغِزْ فِيهَا بِشَيْءٍ وَأَرْسَلَاهَا إِلَى ابْنِ شَبِيبٍ يَمْتَحِنَانِهِ بِهَا وَهِيَ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْـلٌ
وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ ؟

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

إِذَا غَمَّضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ
وَإِنْ فَتَّحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ

وَنَظَمَ أَيْضاً :

وَجَارٍ وَهُوَ تَيَّارُ ضَعِيفُ الْعَقْلِ خَوَّارُ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارُ
بِطَبْعٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَـكِنْ كُلُّهُ نَارُ

فَكَتَبَ ابْنُ شَبِيبٍ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ ، وَكَتَبَ عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزِّئْبَقُ . فَجَاءَ أَبُو غَالِبٍ وَأَبُو مَنْصُورٍ إِلَيْهِ وَقَالَا : هَبِ اللُّغْزَ الْأَوَّلَ طَيْفَ الْخَيَالِ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَى مَاقُلْتَ ، فَكَيْفَ تَعْمَلُ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسَّرُ بِالْعَكْسِ ، لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسَّرُ بُكَاؤُهُ بِالضَّحِكِ وَالسُّرُورِ ، وَمَنْ مَاتَ يُفَسَّرُ مَوْتُهُ بِطُولِ الْعُمُرِ . وَأَمَّا اللُّغْزُ الثَّانِي : فَإِنَّ أَصْحَابَ صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ يَرْمِزُونَ لِلزِّئْبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَّارِ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ ، وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ ، وَلِإِفْرَاطِ بَرْدِهِ ثَقُلَ

جِسْمُهُ وَجِرْمُهُ ، وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِى افْتِرَاقِهِ وَالْتِئَامِهِ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَفِى ذَلِكَ تَسَامُحٌ يَجُوزُ فِى مِثْلِ هَـذِهِ الصُّوَرِ الْبَاطِلَةِ إِذَا طُبِّقَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَدَخَلَ ابْنُ شَبِيبٍ يَوْماً عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْجِدِ بِاللهِ فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : أَإِبْنُ شَبِيبٍ ؟ فَقَالَ : عَبْدُكَ [1] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَعْجَبَهُ هَـذَا التَّصْحِيفُ مِنْهُ . وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ شَبِيبٍ فِى الْمُسْتَنْجِدِ :

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِى يَحْكِى بِسِيرَتِهِ
مَنْ نَابَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ أَوْ خَلَفَا
أَصْبَحْتَ لُبَّ بَنِى الْعَبَّاسِ كُلِّهِمِ
إِنْ عُدِّدَتْ بِحُرُوفِ الْجُمَلِ الْخُلَفَا

فَإِنَّ جُمَلَ حُرُوفِ « لُبَّ » اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ ، وَالْمُسْتَنْجِدُ هُوَ الثَّانِى وَالثَّلَاثُونَ مِنَ الْخُلَفَاءِ . وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

وَمُحْتَرِسٍ مِنْ نَفْسِهِ خَوْفَ زَلَّةٍ [2]
تَكُونُ عَلَيْهِ حُجَّةً هِىَ مَاهِيَا !

(١) جعل كلمة عبدك بدل كلمة عندك وهذا التصحيف هو المشار إليه
(٢) الزلة بالفتح : السقطة والخطيئة

يَصُونُ عَنِ الْفَحْشَاءِ نَفْساً كَرِيمَةً
أَبَتْ شَرَفاً إِلَّا الْعُلَا وَالْمَعَالِيَا

صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ
كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْفُؤَادِ مُدَارِيَا

لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ
كَمَا قَدْ عَلَا الْبَدْرُ النُّجُومَ الدَّرَارِيَا[1]

وَقَالَ :

أَغْصَانُ وَرْدٍ زَيَّنَتْ دُرَرُ النَّدَى
أَجْيَادَهَا بِمَخَانِقٍ[2] وَعُقُودِ

فَتَوَهَّجَتْ كَمَسَارِجٍ وَتَأَرَّجَتْ
كَنَوَافِجٍ[3] وَتَدَبَّجَتْ كَبُرُودِ[4]

وَتَبَلَّجَتْ كَكَوَاكِبٍ وَتَبَرَّجَتْ
كَكَوَاعِبٍ وَتَضَرَّجَتْ كَخُدُودِ

---

(١) الدرارى : المضيئات ، جمع درى (٢) بمخانق : بقلائد ، جمع مخنقة

(٣) كنوافج : جمع نافجة : وهى وعاء المسك أى الجلدة التى يجتمع فيها

(٤) برود جمع برد يقال برد مدبج : أى مزين منقوش

وَقَالَ

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيقاً بِهِ وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ
وَكِتْمَانُكَ السِّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ وَمَنْ لَا تَخَافُ هُوَ الْأَحْزَمُ
وَإِنْ ذَاعَ سِرُّكَ مِنْ صَاحِبٍ فَأَنْتَ وَإِنْ لُمْتَهُ أَلْوَمُ

﴿ ١١ – الْحَسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

الحسين ابن على الزبيدى

ابْنِ مُمَوَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ قُمٍّ الزَّبِيدِيُّ الْيَمَنِيُّ، وُلِدَ بِزَبِيدَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ، كَانَ أَدِيباً كَاتِباً شَاعِراً مِنْ أَفَاضِلِ الْيَمَنِ الْمُبَرِّزِينَ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْكِتَابَةِ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَأَحْبَابَنَا مَنْ بِالْقَطِيعَةِ أَغْرَاكُمْ
وَعَنْ مُسْتَهَامٍ فِي الْمَحَبَّةِ أَلْهَاكُمْ

(*) ترجم له فى كتاب فوات الوفيات جزء أول صفحة ١٨١ ولم يزد على ما كتبه ياقوت شيئا

صَدَدْتُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّنَا
لِغَيْرِ التَّجَنِّى (١) وَالصُّدُودِ وَدِدْنَاكُمْ
كَشَفْتُ لَكُمْ سِرِّى عَلَى ثِقَةٍ بِكُمْ
فَصِرْتُ بِذَاكَ السِّرِّ مِنْ بَعْضِ أَسْرَاكُمْ
جَعَلْنَاكُمْ لِلنَّائِبَاتِ ذَخِيرَةً
فَحِينَ طَلَبْنَاكُمْ لَهَا مَا وَجَدْنَاكُمْ
قَطَعْتُمْ وَصَلْنَاكُمْ نَسِيتُمْ ذَكَرْنَاكُمْ
عَقَقْتُمْ بَرَرْنَاكُمْ أَضَعْتُمْ حَفِظْنَاكُمْ
وَفِى النَّفْسِ سِرٌّ لَا تَبُوحُ بِذِكْرِهِ
وَلَوْ تَلِفَتْ وَجْداً إِلَى يَوْمِ لُقْيَاكُمْ
فَإِنْ تَجْمَعِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
غَفَرْتُ خَطَايَاكُمْ لِحُرْمَةِ رُؤْيَاكُمْ

وَقَالَ :

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ ثَنَاءِ
ذَاكَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالْأَوْ رَاقِ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ وَرَخَاءِ

(١) التجنى : ادعاء ذنب على من لم يفعله

تِلْكَ تَفْنَى وَالدِّينُ وَالْأَدَبُ الصَّـ ... ـالِحُ لَا يَفْنَيَانِ حَتَّى اللِّقَاء

وَلِابْنِ قُمٍّ رِسَالَةٌ كَتَبَ بِهَا إِلَى أَبِى حِمْيَرٍ سَبَإِ بْنِ أَبِى السُّعُودِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّلَيْحِيِّ الْيَمَانِيِّ بَعْدَ انْفِصَالِهِ عَنِ الْيَمَنِ، رَوَاهَا عَنْهُ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهِيَ :

كَتَبَ عَبْدُ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ مَوْلَاىَ رَبِيعِ الْمُجْدِبِينَ، وَقَرِيعِ[1] الْمُتَأَدِّبِينَ، جَلْوَةِ الْمُلْتَبِسِ، وَجَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ[2]، شِهَابِ الْمَجْدِ الثَّاقِبِ، وَنَقِيبِ[3] ذَوِى الرُّشْدِ وَالْمَنَاقِبِ، ـ أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَهُ، وَأَدَامَ عُلُوَّهُ وَارْتِقَاءَهُ ـ، مَا قُدِّمَتِ الْعَارِيَةُ لِلْمُسْتَعِيرِ، وَلَزِمَتِ الْيَاءُ لِلتَّصْغِيرِ، ـ وَجَعَلَ رُتْبَتَهُ فِى الْأَوَّلِيَّةِ عَالِيَةَ الْمَقَامِ كَحَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ، وَكَالْمُبْتَدَإِ إِنْ تَأَخَّرَ فِى الْبِنْيَةِ فَإِنَّهُ مُقَدَّمٌ فِى النِّيَّةِ، وَلَا زَالَتْ حَضْرَتُهُ مِنَ الْحَادِثَاتِ حِمًى، وَلِلْوُفُودِ مُزْدَحَمًا وَمُلْتَزَمًا، حَتَّى يَكُونَ فِى الْعُلَا بِمَنْزِلَةِ حَرْفِ الِاسْتِعْلَا[4]

(١) القريع : الرئيس المقدم (٢) فى فوات الوفيات « ذكاء »

(٣) فى الاصل « نقاب » (٤) يريد العلو كما يريد بالقين الضمة

وَهُوَ مِنْ حُرُوفِ اللِّينِ فِى حُصُونٍ ، وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الإِمَالَةِ مَصُونٌ ، وَلَا زَالَ عَدُوُّهُ كَالأَلِفِ[1] حَالُهَا يَخْتَلِفُ ، تَسْقُطُ فِى صِلَةِ الْكَلَامِ وَلَا سِيَّمَا مَعَ اللَّامِ ، فَإِنَّهُ ـ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ـ أَحْسَنَ إِلَىَّ ابْتِدَاءً ، وَنَشَرَ عَلَىَّ مِنْ فَضْلِهِ رِدَاءً ، أَرَادَ أَنْ يَخْفَى وَكَيْفَ يَخْفَى ؟ لِأَنَّ مِنْ شَرَفِ الْإِحْسَانِ ، سُقُوطَ ذِكْرِهِ عَنِ اللِّسَانِ ، كَالْمَفْعُولِ رُفِعَ رَفْعَ الْفَاعِلِ الْكَامِلِ ، لَمَّا حُذِفَ مِنَ الْكَلَامِ ذِكْرُ الْفَاعِلِ ، يُهْدِى[2] إِلَيْهِ سَلَاماً مَا الرَّوْضُ ضَاحَكَهُ النَّوْضُ[3] ، غُرِسَ وَحُرِسَ وَسُقِىَ وَوُقِىَ وَغِيبَ وَصِيبَ[4] ، فَأَخَذَ مِنْ كُلِّ نَوْءٍ بِنَصِيبٍ ، زَهَاهُ الزَّهْرُ ، وَسَقَاهُ النَّهْرُ ، جَاوَرَ الْأَضَا ، فَحَسُنَ وَأَضَا[5] ، رَتَعَ فِيهِ الشُّحْرُورُ[6] وَمَرِحَ الْعُصْفُورُ ، فَنَظَرَ إِلَى أَقَاحِيهِ تَفْتَرُّ فِى نَوَاحِيهِ وَإِلَى الْبَهَارِ ،

---

(١) يريد هنا همزة الوصل (٢) يهدى راجع الى عبد فى أول الرسالة فتأمل (٣) النوض : التمر اليانع ، والنوض مخرج الماء (٤) غيب وصيب دفن فى الارض وجاءه المطر ، وصيب : أتى بالمطر . الصيب : الكثير المنصب (٥) أضا : أضاء والأضا : أصله الأضاة : الغدير والمستنقع من سيل وغيره (٦) الشحرور : طائر فويق العصفور أسود اللون رخيم الصوت

يُضَاحِكُ شَمْسَ النَّهَارِ ، فَجَعَلَ يَلْثِمُ مِنْ وَرْدِهِ خُدُوداً ، وَيَضُمُّ مِنْ أَغْصَانِهِ قُدُوداً ، وَيَقْتَبِسُ النَّارَ مِنَ الْجُلَّنَارِ [1] وَيَلْتَمِسُ الْعَقِيقَ مِنَ الشَّقِيقِ ، فَتَثَنَّى ثَمِلًا ، وَغَنَّى خَفِيفاً وَرَمَلًا ، بِأَطْيَبَ [2] مِنْ نَفْحَتِهِ الْمِسْكِيَّةِ ، وَأَعْطَرَ مِنْ رَائِحَتِهِ الذَّكِيَّةِ ، وَإِنِّى وَإِنْ أَهْدَيْتُهُ فِى كُلِّ أَوَانٍ ، مِنْ أَدَاءِ مَا يَجِبُ غَيْرَ وَانٍ ، أَعُدُّ نَفْسِى السُّكَيْتَ [3] فِى السَّبْقِ لِتَقْصِيرِى لِمَا وَجَبَ عَلَىَّ مِنَ الْحَقِّ ، أَثْرَتُ فَعَثَرْتُ ، وَجَهَدْتُ فَمَا سَعِدْتُ ، فَأَنَا بِحَمْدِ اللهِ بِخُنُوعٍ وَقُنُوعٍ ، وَجَنَابٍ عَنْ غَيْنِ [4] الْعَيْنِ مَمْنُوعٍ ، فَارَقْتُ الْمُثُولَ وَلَا أَزَالُ ، وَلَزِمْتُ الْخُمُولَ وَالِاعْتِزَالَ ، سَعْيِى سَعْىُ الْجَاهِدِ ، وَعَيْشِى عَيْشُ الزَّاهِدِ ، بِبَلَدٍ الْأَدِيبُ فِيهِ غَرِيبٌ ، وَالْأَرِيبُ مُرِيبٌ ، إِنْ تَكَلَّمَ اُسْتُثْقِلَ ، وَإِنْ سَكَتَ اُسْتُقِلَّ ، مَنْزِلُهُ كَبُيُوتِ الْعَنَاكِبِ ، وَمَعِيشَتُهُ كَعُجَالَةِ الرَّاكِبِ ، فَهُوَ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

(١) الجلنار : زهر الرمان معرب كلنار بالفارسية ، ومعناه ورد الرمان ، الواحدة جلنارة (٢) راجع إلى قوله ما الروض (٣) السكيت : وقد تشدد الكاف آخر خيل الحلبة ، وهو الفسكل (٤) غين العين سحاب وفى فوات الوفيات عن غى الغير ولعله يريد عن عين الغير

أَرْضُ الْفِلَاحَةِ لَوْ أَتَاهَا جَرْوَلٌ
أَعْنِي الْحُطَيْئَةَ لَاغْتَدَى حَرَّاثَا

مَا جِئْتَهَا مِنْ أَىِّ بَابٍ جِئْتَهَا
إِلَّا حَسِبْتَ بُيُوتَهَا أَجْدَاثَا

تَصْدَا بِهَا الْأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا
وَتَرُدُّ ذُكْرَانَ الْعُقُولِ إِنَاثَا

أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِىَ خَاتَمِى
فِيهَا وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثَا

وَأَمَّا حَالُ عَبْدِهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ فِى الْجَلَدِ. فَمَا حَالُ أُمٍّ تِسْعَةٍ مِنَ الْوَلَدِ ذُكُورٍ، كَأَنَّهُمْ عِقْبَانٌ وَصُقُورٌ، كُنُوا[١] فِى وُكُورٍ، اخْتَرَمَ[٢] مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ، وَهِىَ عَلَى التَّاسِعِ حَانِيَةٌ، نَادَى[٣] النَّذِيرُ: الْعُرْبَانُ فِى الْبَادِيَةِ لِلْعَادِيَةِ يَالَلْعَادِيَةِ، فَلَمَّا سَمِعَتِ[٤] الدَّاعِىَ، وَرَأَتِ الْخَيْلَ وَهِىَ سِرَاعٌ، جَعَلَتْ

(١) فى فوات الوفيات كأنهن عقبان وكور. وكنوا هنا بمعنى كنهم فى وكور
(٢) اخترم منهم ثمانية: اخترمتهم المنية فأماتتهم (٣) فى الأصل «أدى»
(٤) الضمير للأم الحانية

تُنَادِي وَلَدَهَا الأَنَاةَ الأَنَاةَ (١) ، وَهُوَ يُنَادِي الْعِيَاةَ الْعِيَاةَ

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ (٢)

يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ (٣) لَيْسَ بِتَوْءَمِ (٤)

فَحِينَ رَأَتْهُ يَخْتَالُ فِي غُضُونِ الزَّرَدِ الْمَصُونِ. أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

نَشَدْتُ أَضْبَطًا (٥) يَمِيلُ بَيْنَ طَرْفَاءِ (٦) وَغِيلْ
لِبَاسُهُ مِنْ نَسْجِ دَا وُدَ كَضَحْضَاحٍ (٧) يَسِيلْ

فَعَرَضَ لَهُ فِي الْبَادِيَةِ أَسَدٌ هَصُورٌ . كَأَنَّ ذِرْعَهُ مَسَدٌ (٨) مَضْفُورٌ .

فَتَطَاعَنَا وَتَوَاقَفَتْ خَيْلَاهُمَا وَكِلَاهُمَا بَطَلُ اللِّقَاءِ مُقَنَّعُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ صِيَاحَ الرَّعِيلِ (٩) ، بَرَزَتْ مِنَ الْخِدْرِ بِصَبْرٍ قَدْ عِيلَ . فَسَأَلَتْ عَنِ الْوَاحِدِ . فَقِيلَ لَهَا لَحَدَهُ اللَّاحِدُ .

---

(١) تطلب من واحدها التأني ويأبى إلا النزال فيقول العياه العياه ولم أجد لفظة العياه فى اللغة والذى أظنه أنه يقول العداة العداة كان يقول لأمه انظرى العداة فكيف أتأنى ؟ (٢) الشجرة العظيمة كناية عن ضخامته (٣) جلود البقر (٤) يريد لا نظير له (٥) وفى فوات الوفيات أنشدت اضبط يمشى : ضبط الرجل عمل بيساره كما يعمل بيمينه (٦) الطرفاء : شجر منه الاثل والغيل : الشجر الملتف (٧) الضحضاح : الماء القريب القعر (٨) أى حبل من ليف (٩) الرعيل : القطعة من الخيل القليلة

« عبد الخالق »

فَكَرَّتْ تَبْتَغِيهِ فَصَادَفَتْهُ عَلَى دَمِهِ وَمَصْرَعِهِ السِّبَاعَا(١)
عَبِثْنَ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْنَ إِلَّا أَدِيمًا قَدْ تَمَزَّقَ أَوْ كُرَاعَا(٢)

بِأَشَدَّ (٣) مِنْ عَبْدِكَ تَأَسُّفًا . وَلَا أَعْظَمَ كَمَدًا وَلَا تَلَهُّفًا ، وَإِنَّهُ لَيُعَنِّفُ نَفْسَهُ دَائِمًا ، وَيَقُولُ لَهَا لَائِمًا ، لَوْ فَطِنْتِ لَقَطَنْتِ . وَلَوْ عَقَلْتِ لَمَا انْتَقَلْتِ . وَلَوْ قَنِعْتِ لَرَجَعْتِ وَمَا هَجَعْتِ .

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمُوسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ
وَتَرْمِى النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا
وَمَا تَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ عَنْ مَلَالَةٍ
وَلَكِنْ حِذَارًا مِنْ شَمَاتِ الْأَعَادِيَا(٤)

أَيُّهَا السَّيِّدُ : أَمِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ . وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ وَالْأَوْصَافِ . إِكْرَامُ الْمُهَانِ . وَإِذْلَالُ جَوَادِ الرِّهَانِ .

(١) السباعا بيان للهاء فى قوله فصادفته (٢) كراع : الكراع من الانسان : ما دون الركبة إلى الكعب (٣) راجع لقوله فيما سبق ، فما حال أم

(٤) كان حق الأعادى أن يجر بكسر مقدر لأنه قرن بأل ولكنه جر بفتحة وهذا عيب فى القافية ولعل شمات اسم مصدر لأشمت وفاعله ياء متكلم مضافة محذوفة لفظا ولكنها لم تكن مرسومة فى البيت والأعاديا مفعول . هذا والأبيات فى الحماسة هي لأياس بن القائف وليس فيها البيت الثانى والذى فيها بعد البيت الاول

فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معاً كفى بالمهات فرقة وتنائيا
إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها فقدت صديق والبلاد كما هيا

« عبد الخالق »

يَشْبَعُ فِي سَاجُورِهِ (١) كَلْبُ الزِّبْلِ وَيَسْغَبُ فِي خِيسِهِ (٢)

أَبُو الشِّبْلِ :

إِذَا حَلَّ ذُو نَقْصٍ مَكَانَةَ فَاضِلٍ
وَأَصْبَحَ رَبُّ الْجَاهِ غَيْرَ وَجِيهِ
فَإِنَّ حَيَاةَ الْحُرِّ غَيْرُ شَهِيَّةٍ
إِلَيْهِ وَطَعْمُ الْمَوْتِ غَيْرُ كَرِيهِ

أَقُولُ لِنَفْسِي الدَّنِيَّةِ هُبِّي طَالَ نَوْمُكِ، وَاسْتَيْقِظِي لَا عَزَّ قَوْمُكِ، أَرَضِيتِ بِالْعَطَاءِ الْمَنْزُورِ (٣) ؟ وَقَنِعْتِ بِالْمَوَاعِيدِ الزُّورِ، يَقْظَةً فَإِنَّ الْجَدَّ قَدْ هَجَعَ، وَنُجْعَةً (٤) فَمَنْ أَجْدَبَ انْتَجَعَ. أَعَجَزْتُ فِي الْأُدَبَاءِ عَنْ خُلُقِ الْحِرْبَاءِ ؟ وَلِي لِسَانٌ كَالرِّشَاءِ. تَسَنَّمَ أَعْلَى السَّمَاءِ. نَاطَ هِمَّتَهُ بِالشَّمْسِ، مَعَ بُعْدِهَا عَنِ اللَّمْسِ، أَنِفَ مِنْ ضِيقِ الْوِجَارِ، فَفَرَّخَ فِي الْأَشْجَارِ، فَهُوَ كَالْخَطِيبِ عَلَى الْغُصْنِ الرَّطِيبِ.

(١) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب (٢) الخيس : غابة الأسد
(٣) المنزور : القليل (٤) النجعة : الذهاب فى طلب الكلأ فى موضعه

وَإِنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ لِامْرِئٍ
إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

وَقَدْ أَصْحَبَ عَبْدُهُ هَذِهِ الْأَسْطُرَ شِعْرًا يُقَصِّرُ فِيهِ عَنْ وَاجِبِ الْحَمْدِ، وَإِنْ بُنِيَتْ قَافِيَتُهُ عَلَى الْمَدِّ[١]، وَمَا يَعُدُّ نَفْسَهُ إِلَّا كَمُهْدِي جِلْدَ السَّبَنِيِّ الْأَسْمَرِ[٢] إِلَى الدِّيبَاجِ الْأَحْمَرِ. أَيْنَ ذُو الْحَبَابِ مِنْ ثُغُورِ الْأَحْبَابِ؟. وَأَيْنَ السَّرَابُ مِنَ الشَّرَابِ؟. وَالرَّكِيُّ[٣] الْبَكِيُّ مِنَ الْوَادِ ذِي الْمَوَادِّ. أَتُطْلَبُ الْفَصَاحَةُ مِنَ الْغَنَمِ؟ وَالصَّبَاحَةُ مِنَ الْمُغْتَمِّ؟ غَلِطَ مَنْ رَأَى الْآلَ فِي الْقِيِّ[٤] فَشَبَّهَهُ بِهَلْهَالِ[٥] الدَّبِيقِيِّ. هَيْهَاتَ مَنَاسِجُ الرِّيَاطِ. تَسْبِقُ تِنِّيسَ وَدِمْيَاطَ. وَلَا أَقُولُ كَمَا[٦] قَالَ الْقَائِلُ:

---

(١) يريد ألف التأنيث الممدودة لا المقصورة لأنه بنى الشعر عليها

(٢) فى الاصل القسى وفى فوات الوفيات كما أصلحنا (٣) الركية: البئر ذات الماء (٤) القى بكسر القاف: الأرض القفر (٥) الهلهال: الثوب الرقيق، والدبيق: نسبة إلى دبيق: بلدة تصنع بها هذه الثياب

(٦) فى الاصل كلمة «إلا» ويشعر ما بعدها من الاضراب أنها كما ذكرنا

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِداً
يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرَبْ (١)

بَلْ أَضَعُ نَفْسِي فِي أَقَلِّ الْمَوَاضِعِ ، وَأَقُولُ لِمَوْلَايَ قَوْلَ الْخَاضِعِ ،

فَأَسْبِلْ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي
سَتَرْتَ بِهِ قِدْماً مَخَازِيَ عَوْرَاتِي

وَهَاهِيَ هَذِهِ :

فِيــكَ بَرَّحْتُ بِالْعَذُولِ إِبَاءَ
وَعَصَيْتُ اللُّوَّامَ وَالنُّصَحَاءَ
فَانْثَنَى الْعَاذِلُونَ أَخْيَبَ مِنِّى
يَوْمَ أَزْمَعُوا الرَّحِيلَ رَخَاءَ
مَنْ مُجِيرِي مِنْ فَاتِرِ اللَّحْظِ أَلْمَى (٢)
جَمَعَ النَّارَ خَدُّهُ وَالْمَاءَ ؟

(١) الكرب : حبل يجعل على الدلو من أصول السعف الغلاظ العراض التى تقطع معها ، يشد فى وسط الدلو ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير (٢) ألمى : مشربة شفته سوادا مستحسناً

فِيــــهِ لِلَّيْـلِ وَالنَّهَارِ صِفَاتٌ

فَلِهَـذَا سَرَّ الْقُلُوبَ وَسَاءَ

لَازِمٌ[1] شِيمَةَ الْخِلَافِ فَإِنْ لِنْـ

ـتَ قَسَا أَوْ دَنَوْتَ مِنْـهُ تَنَاءَى

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا

نَ غَرِيباً أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءَ

مِنْ صُدُودٍ وَلَوْعَةٍ[2] وَتَجَنِّيـ

ـهِ وَإِشْمَاتِهِ بِيَ الْأَعْـدَاءَ

وَإِذَا مَا كَتَمْتُ مَا بِيَ مِنْ وَجْـ

ـدٍ أَذَاعَتْـهُ مُقْلَتَـاىَ بُـكَاءَ

كَعَطَايَا سَبَإِ بْنِ أَحْمَدَ يُخْفِيـ

ـهَا فَتَزْدَادُ شُهْرَةً وَنَمَـاءَ

---

(١) أى ملازم (٢) فى الاصل معرضاً عن صدوده فأصلحت كما فى فوات الوفيات وقوله من صدود بيان لغريب الصفات

نَرْتَجِيــــهِ بِهَذِهِ الْمِدَحِ الْجُو
دَ وَإِنْ لَمْ نَمْدَحْهُ جَادَ ابْتِدَاءَ (١)

أَلْمَعِيٌّ يَكَادُ يُنْبِيكَ عَمَّا
كَانَ فِي الْغَيْبِ فِطْنَةً وَذَكَاءَ (٢)

وَإِذَا أَخْلَفَ السَّمَاءُ (٣) بِأَرْضٍ
أَخْلَفَتْ رَاحَتَاهُ ذَاكَ السَّمَاءَ

بِنَدًى يُخْجِلُ الْغُيُوثَ انْهِمَالاً
وَجَدًى (٤) يُنْهِلُ الرِّمَاحَ الظِّمَاءَ

مَا أُبَالِي إِذْ أَحْسَنَ الدَّهْرُ فِيهِ
أَحْسَنَ الدَّهْرُ لِلْوَرَى أَمْ أَسَاءَ

أَيُّهَا الْمُجْدِبُ الضَّرِيكُ (٥) انْتَجِعْهُ
فَعَطَــــايَاهُ تَسْبِقُ الْأَنْوَاءَ

---

(١) هذا يشبه قول الشاعر :

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث إن جئته وافاك ريقه وإن تأخرت عنه لج فى الطلب

(٢) وهذا كقول أوس بن حجر :

الألمعى الذى يظن بك الظـ ـن كأن قد رأى وقد سمعا

(٣) السماء : المطر (٤) فى الاصل : وشذا والجدى العطاء وهو استعارة تهكمية مثل قول الشاعر : * تقريهمو لهزميات *

(٥) الضريك : الفقير المعدم « عبد الخالق »

تَلْقَ مِنْهُ الْمُهَذَّبَ الْمَاجِدَ النَّدْ
بَ الْكَرِيمَ السَّمَيْذَعَ (١) الْأَبَّاءَ
رَاحَةٌ فِي النَّدَى تُنِيلُ نُضَاراً
وَحُسَامٌ فِي الرَّوْعِ يَهْمِى دِمَاءَ
يَا أَبَا جَعْفَرٍ دَعَوْتُكَ لِلدَّهْ
رِ فَكُنْتَ امْرَأً يُجِيبُ الدُّعَاءَ
فَأَبَى الْبُخْلُ أَنْ يَكُونَ أَمَاماً
وَأَبَى الْجُودُ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ
أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ جَوْرَ زَمَانٍ
دَأْبُهُ أَنْ يُعَانِدَ الْأُدَبَاءَ
أَهْمَلَتْنِي صُرُوفُهُ وَكَأَنِّي
أَلِفُ الْوَصْلِ أُلْغِيَتْ (٢) إِلْغَاءَ
إِنْ سَطَا أَرْهَبَ الضَّرَاغِمَ فِي الْآ
جَامِ أَوْ جَادَ بَخَّلَ الْكُرَمَاءَ

---

(١) السميذع: السيد الكريم الشريف (٢) ألفيت: كذا بالاصل، والصواب. ألغيت إلغاء

شِيَمٌ مِنْ أَبِيهِ أَحْمَدَ لَا يَنْـ
فَكُّ عَنْهَا تَتَبُّعًا وَاقْتِفَاءَ

قَدْ تعاطَى فِي الْمَجْدِ شَأْوَكَ قَوْمٌ
عَجَزُوا وَاحْتَمَلْتَ فِيهِ الْعَنَاءَ

شَرَفًا شَامِخًا وَمَجْدًا مُنِيفًا
حِمْيَرِيًّا وَغَيْرَةً قَعْسَاءَ [1]

مَالَ عَنِّي بِمَا أُؤَمِّلُ فِيهِ
كُلَّمَا قُلْتُ سَوْفَ يَأْسُو أَسَاءَ

رَهْنَ [2] بَيْتٍ لَوِ اسْتَقَرَّ بِهِ الْيَرْ
بُوعُ لَمْ يَرْضَهُ لَهُ نَافِقَاءَ [3]

نَفَضَتْنِي نَفْضَ الْمُرَجِّمِ حَتَّى
خِلْتُنِي فِي فَمِ الزَّمَانِ نِدَاءَ

مَنَعَتْنِي مِنَ التَّصَرُّفِ مَنْعَ الْ
عِلَلِ التِّسْعِ صَرْفَهَا الْأَسْمَاءَ

(١) أى حالية (٢) ورهن منصوب وهو راجع إلى أهملتنى صروفه السابقة فى الابيات أو رهن بالرفع خبر لمحذوف . (٣) النافقاء : أحد أبواب جحر اليربوع

يا أَبَا جَمِـــيرٍ وَحُرْمَةِ إِحْسا
نِكَ عِنْـدِى مَا كَانَ حُبِّى رِيَاءَ
مَا ظَنَنْتُ الزَّمَانَ يُبْعِدُنِى عَنْـ
ـكَ إِلَى أَنْ أُفَارِقَ الأَحْيَـاءَ
غَيْرَ أَنِّى فَدَتْكَ نَفْسِى مِنَ السُّو
ءِ وَإِنْ قَلَّتْ أَنْ تَـكُونَ فِدَاءَ
ضَاعَ سَعْيِي وَخِبْتُ خَابَتْ أَعَا
دِيكَ وَمَنْ يَبْتَغِى لَكَ الأَسْوَاءَ
وَاحْتَمَلْتُ الزَّمَانَ وَالنَّقْصَ وَالْـ
إِبْعَادَ وَالذُّلَّ وَالْعَنَا [1] وَالْجَفَاءَ
وَتَحَمَّلْتُ وَاضْطَرَبْتُ فَمَا أَبْـ
ـقَى عَلَى عُودِىَ الزَّمَانُ لِحَاءَ [2]
أَعَلَى هَـذِهِ الْمُصِيبَةِ صَـبْرٌ
لَا وَلَوْ كُنْتُ صَخْرَةً صَمَّاءَ ؟

(١) فى الاصل « النناد » (٢) اللحاء : قشر العود

وَلَوَ أَنِّي لَمْ أَعْتَمِدْ دُونَ غَيْرِي
لَتَأَسَّيْتُ أَنْ أَمُوتَ وَفَاءَ

غَيْرَ أَنَّ التَّصْرِيحَ لَيْسَ بِخَافٍ
عِنْدَ مَنْ كَانَ يَفْهَمُ الْإِيمَاءَ[1]

غَيْرَ أَنِّي مُنٍّ عَلَيْكَ وَمَا لُمْـ
ـتُ عَلَى مَا لَقِيتُ إِلَّا الْقَضَاءَ

وَسَيَأْتِيكَ فِي الْبِعَادِ وَفِي الْقُرْ
بِ مَدِيحٌ يَسْتَوْقِفُ الشُّعَرَاءَ

فَبِشُكْرٍ رَحَلْتُ عَنْكَ وَأَلْقَا
كَ بِهِ إِنْ قَضَى الْإِلَهُ لِقَاءَ

لَيْسَ يَبْقَى فِي الدَّهْرِ غَيْرُ ثَنَاءٍ
فَاكْتَسِبْ مَا اسْتَطَعْتَ ذَاكَ الثَّنَاءَ[2]

وَقَالَ :

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي
تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي

---

(١) الأيماء : الأشارة (٢) راجعت القصيدة والرسالة النثرية قبلها على ما فى فوات الوفيات لابن شاكر وبالمراجعة أصلحت أخطاء كثيرة ، وعدل عن بعض الكلمات إلى غيرها ولعل ما أثبتناه هنا يكون الصواب « عبد الخالق »

فَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلُّهَا
فَلَمْ يَدْرِهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي

وَقَالَ:

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضِهِمُ لِبَعْضٍ
تُوَلِّدُ فِي قُلُوبِهِمُ الْمَوَدَّهْ
وَتَزْرَعُ فِي النُّفُوسِ هَوًى وَحُبًّا
لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْحَدَثَانِ عُدَّهْ
وَتَصْطَادُ الْقُلُوبَ بِلَا شِرَاكٍ
وَتُسْعِدُ حَظَّ صَاحِبِهَا وَجَدَّهْ

﴿١٢ — الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ*﴾

الحسين بن محمد الدباس

ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٣٠٨ قال:
هو أديب فاضل حسن المعرفة باللغة والأدب، وكان مقرئاً قرأ جماعة عليه القرآن حتى كبر وأسن وأفاد علماً وشعره كثير منه:

كل غصن مال جانبه   فكأن الغصن سكران
فى غدير من مقبله   ومن الصدغين بستان —

ابْنِ الْوَزِيرِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ الْحَارِثِيُّ الْبَكْرِيُّ الدَّبَّاسُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَارِعِ الْبَغْدَادِيُّ ، كَانَ لُغَوِيًّا نَحْوِيًّا مُقْرِئًا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْبَنَّاء وَغَيْرِهِ ، وَأَقْرَأَ خَلْقاً كَثِيراً . وَسَمِعَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ وَغَيْرِهِ . وَرَوَى عَنْهُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِصُنُوفِ الْآدَابِ فَاضِلًا ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ حِسَانٌ فِي الْقِرَاءَاتِ وَغَيْرِهَا ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ جَيِّدٍ . وَهُوَ مِنْ بَيْتِ

— أنبأنا محمد بن محمد بن محمد بن حسان فى كتابه وذكر البارع فقال : من أهل بيت السؤدد الكريم المحتد وكان نحوى زمانه عديم النظير فى أوانه وله مصنفات ومؤلفات وديوان شعر .

وترجم له فى كتاب طبقات القراء ج أول ص ٢٥١ بما يأتى قال : مقرىء صالح وأديب مفلق ، صاحب رواية كتاب الشمس المنيرة فى التسعة الشهيرة ، ألفه له أبو محمد سبط الخياط وقرأ على أبى بكر محمد بن على بن موسى الخياط وأبى بكر أحمد بن الحسين ابن لحيانى ، وأبى القاسم يوسف بن الفورى ، والحسين بن الحسن الأسكافى ، وأبى الخطاب أحمد بن على وأبى الفضل محمد بن محمد بن على البصير الخوزرانى . قرأ عليه أبو جعفر عبدالله ابن احمد الواسطى الضرير ، وعلى بن المرحب البطائحى ، وأبو العلاء الحسن بن احمد العطار ، ونصرالله بن الكيال ، وعوض المراتبى ، وأبو بكر محمد بن خالد بن بختيار ، ويوسف بن يعقوب الحربى ، والحسين بن على بن مهجل .

وترجم له فى كتاب وفيات الأعيان ج أول ص ١٥٨

الْوَزَارَةِ ، فَإِنَّ جَدَّهُ الْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ وَزِيرَ الْمُعْتَضِدِ وَالْمُكْتَفِي بَعْدَهُ ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْقَاسِمِ كَانَ وَزِيرَ الْمُعْتَضِدِ أَيْضاً قَبْلَ ابْنِهِ الْقَاسِمِ . وَكَانَ بَيْنَ الْبَارِعِ وَابْنِ الْهَبَّارِيَّةِ الْأَدِيبِ الشَّاعِرِ مُدَاعَبَاتٌ ، فَإِنَّهُمَا كَانَا رَفِيقَيْنِ مُنْذُ نَشَأَا ، وَأَضَرَّ(١) الْبَارِعُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْحَافِظُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْجَلٍ الضَّرِيرُ الْبَاقِدْرَائِيُّ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ بِالرِّوَايَاتِ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الْوَاسِطِيُّ الْمُقْرِئُ الضَّرِيرُ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ ، وَتُوُفِّيَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

لِمَ لَا أَهِيمُ إِلَى الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا
وَأَظَلُّ مِنْهَا تَحْتَ ظِلٍّ ضَافِ ؟
وَالزَّهْرُ حَيَّانِي بِثَغْرٍ بَاسِمٍ
وَالْمَاءُ وَافَانِي بِقَلْبٍ صَافِ

---

(١) أضر : ذهب بصره وصار ضريراً .

وَقَالَ :

يَوْمٌ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ مَقْرُورُ
عَلَيْهِ ثَوْبُ الضَّبَابِ مَزْرُورُ
كَأَنَّمَا حَشْوُ جَوِّهِ إِبَرٌ
وَأَرْضُهُ فَرْشُهَا قَوَارِيرُ
وَشَمْسُهُ حُرَّةٌ مُخَدَّرَةٌ
لَيْسَ لَهَا مِنْ ضَبَابِهِ نُورُ

وَحَجَّ الْبَارِعُ ابْنُ الدَّبَّاسِ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّرِيفُ أَبُو يَعْلَى بْنُ الْهَبَّارِيَّةِ مَرَّةً فَلَمْ يَجِدْهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يُعَاتِبُهُ بِهَا مَطْلَعُهَا :

يَا ابْنَ وُدِّي وَأَيْنَ مِنِّي ابْنُ وُدِّي
غَيَّرَتْ طَبْعَهُ الرِّيَاسَةُ بَعْدِي ؟

وَفِيهَا مُدَاعَبَةٌ بَلَغَتْ حَدَّ السُّخْفِ، فَأَجَابَهُ الْبَارِعُ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَيْضًا مَطْلَعُهَا :

وَصَلَتْ رُقْعَةُ الشَّرِيفِ أَبِي يَعْـ
ـلَى تَحَلَّتْ مَحَلَّ لُقْيَاهُ عِنْدِي

فَتَلَقَّيْتُهَا بِأَهْلًا وَسَهْلًا
ثُمَّ أَلْصَقْتُهَا بِعَيْنِي وَخَدِّي
وَفَضَضْتُ الْخِتَامَ عَنْهَا فَمَا ظَنْـ
ـنُكَ بِالصَّابِ إِذْ يُشَابُ[1] بِشَهْدِ
بَيْنَ حُلْوٍ مِنَ الْعِتَابِ وَمُرٍّ
هُوَ أَوْلَى بِهِ وَهَزْلٍ وَجِدِّ
وَتَجَنٍّ عَلَيَّ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ
بِمَلَامٍ يَكَادُ يُحْرِقُ جِلْدِي
يَدَّعِي أَنَّنِي احْتَجَبْتُ وَقَدْ زَا
رَ مِرَاراً حَاشَاهُ مِنْ قُبْحِ رَدِّ
دَعْكَ مِنْ ذَمِّكَ الرِّيَاسَةَ وَالْحَجْـ
ـجَ وَقُلْ لِي بِغَيْرِ حَلٍّ وَعَقْدِ
فَبِمَاذَا عَلِمْتَ بِاللهِ أَنِّي
قَدْ تَنَكَّرْتُ أَوْ تَغَيَّرَ عَهْدِي؟

---

(١) أي يخلط

مَنْ تَرَانِى أَعَامِلٌ أَمْ وَزِيرٌ
لِأَمِيرٍ أَمْ قَائِدٌ جَيْشَ جُنْدِ ؟
أَنَا ذَاكَ الْخِلُّ الْخَلِيعُ الَّذِى تَعْـ
ـرِفُ أَرْضَى وَلَوْ بِخُبْزٍ وَدُرْدِى (١)
وَإِذَا صَحَّ لِى نَدِيمٌ فَذَاكَ الْـ
ـيَوْمُ عِيدِى وَصَاحِبُ الدَّسْتِ عَبْدِى (٢)
أَتُرَانِى لَوْ كُنْتُ فِى النَّارِ مَعْهَا
مَا نَ أَنْسَاكَ أَوْ بِجَنَّةِ خُلْدِ ؟
أَوْ لَوَ انِّى عُصِّبْتُ بِالتَّاجِ أَسْلُو
كَ وَلَوْ كُنْتُ غَائِبًا عَنْ (٣) رُشْدِى
أَنَا أَضْعَافُ مَاعَهِدْتَ عَلَى الْعَهْـ
ـدِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُكَافِى بِوُدِّ

وَفِى الْقَصِيدَةِ أَبْيَاتٌ تَتَضَمَّنُ سُخْفًا فَاحِشًا ضَرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهَا صَفْحًا . وَمِنْهَا :

---

(١) فى الاصل تعرف يبنى بجرجرة ودرد وفى وفيات الاعيان هكذا تعرف أرضى ولو بجرة دردى وقد رأيت جعلها كما ترى ، أو أن يقال : ولو بجرعة من دردى

(٢) فى الأصل « عندى » وفى ابن خلكان « عبدى » (٣) فى الاصل « عند »

أَمْ لِأَنِّى قَنِعْتُ مِنْ سَائِرِ النَّا
سِ بِفَرْدٍ بَيْنَ الْأَكَارِمِ فَرْدِ
صَانَ وَجْهِى عَنِ اللِّئَامِ وَأَوْلَا
نِى جَمِيلًا مِنْهُ إِلَى غَيْرِ حَدِّ
أَمْ لِأَنِّى قَنِعْتُ حَتَّى لَقَدْ صِرْ
تُ بِقُنْعِى نَسِيجَ دَهْرِى (١) وَوَحْدِى
أَمْ لِأَنِّى أَنِفْتُ مَعْ ذَا مِنَ الْكُدْ (٢)
يَةِ أَيْنَ الْكِرَامُ قُلْ لِى لِأَكْدِى؟

وَقَالَ :

إِذَا الْمَرْءُ أَعْطَى نَفْسَهُ كُلَّ مَا اشْتَهَتْ
وَلَمْ يَنْهَهَا تَاقَتْ إِلَى كُلِّ بَاطِلِ
وَسَاقَتْ إِلَيْهِ الْإِثْمَ وَالْعَارَ بِالَّذِى
دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَاوَةِ عَاجِلِ

---

(١) يقال نسيج دهره ونسيج وحده للفذ الذى لا نظير له .

(٢) الكدية : السؤال .

وَقالَ أَيْضاً :

أَفْنَيْتُ ماءَ الْوَجْهِ مِنْ طُولِ مَا
أَسْأَلُ مَنْ لَاماءَ فِي وَجْهِهِ
أُنْهِي إِلَيْهِ شَرْحَ حَالِي الَّذِي
يَالَيْتَنِي مِتُّ وَلَمْ أُنْهِهِ
فَلَمْ يُنِلْنِي أَبَدًا رِفْدَهُ
وَلَمْ أَكَدْ أَسْلَمُ مِنْ جَبْهِهِ [1]
وَالدَّهْرُ إِذْ مَاتَ نَمَارِيدُهُ [2]
قَدْ مَدَّ أَيْدِيهِ إِلَى بُلْهِهِ

وَقَالَ :

تُنَازِعُنِي النَّفْسُ أَعْلَى مَقَامٍ   وَلَسْتُ [3] مِنَ الْعَجْزِ لَاأَنْشَطُ
وَلَـٰكِنْ بِقَدْرِ عُلُوِّ الْمَكَانِ   يَكُونُ هُبُوطُ الَّذِي يَسْقُطُ

---

(١) جبهه : أى رده ولقائه إياى بما أكره . (٢) فى الأصل «نماريه» بجعلت نماريده واحدها نمرود وكان يطلق على ملك بابل فلما تجبر وتكبر حين دعاه الخليل إلى التوحيد صار يستعمل فى كل متكبر جبار كفرعون أسم لكل من ملك مصر ثم استعمل فى الشخص المتصف بالجبروت « عبد الخالق »

(٣) يريد وليس عدم النشاط من العجز ، وفى الاصل « وليس »

﴿ ١٣ – الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ * ﴾

الحسين بن محمد الرافقي

ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الرَّافِقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْخَالِعِ، أَحَدُ كِبَارِ النُّحَاةِ، كَانَ إِمَامًا فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَلَهُ شِعْرٌ. تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ السِّيرَافِيِّ وَغَيْرِهِمَا. وَيُقَالُ إِنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ وَالرِّمَالِ، وَكِتَابُ الْأَمْثَالِ، وَكِتَابُ تَخَيُّلَاتِ الْعَرَبِ، وَشَرْحُ شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ، وَكِتَابُ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنِ انْتِهَابًا
وَلَمْ يُقْسَمْ عَلَى قَدْرِ السِّنِينَا

فَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَسَّمَتْهُ
حَوَى الْآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَنِينَا

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٦٥

وَقَالَ :

خَطَرَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَقَالَةَ مُغْرَمٍ
مَاذَا عَلَيْكِ مِنَ السَّلَامِ ؟ فَسَلِّمِي

قَالَتْ بِمَنْ تُعْنَى (١) ؟ فَحُبُّكَ بَيِّنٌ
مِنْ سُقْمِ جِسْمِكَ قُلْتُ بِالْمُتَكَلِّمِ

فَتَبَسَّمَتْ فَبَكَيْتُ قَالَتْ لَا تُرَعْ
فَلَعَلَّ مِثْلَ هَوَاكَ بِالْمُتَبَسِّمِ !

قُلْتُ اتَّفَقْنَا فِي الْهَوَى فَزِيَارَةً
أَوْ مَوْعِدًا قَبْلَ الزِّيَارَةِ قَدِّمِي

فَتَضَاحَكَتْ عَجَبًا وَقَالَتْ يَا فَتَى
لَوْ لَمْ أَدَعْكَ تَنَامُ بِي لَمْ تَحْلُمِ

وَقَالَ :

أَمَا لِظَلَامِ لَيْلِي مِنْ صَبَاحِ
أَمَا لِلنَّجْمِ فِيهِ مِنْ بَرَاحِ

كَأَنَّ الْأُفْقَ سُدَّ فَلَيْسَ يُرْجَى
بِهِ نَهْجٌ إِلَى كُلِّ النَّوَاحِي

---

(١) تعنى : تعتنى وتهتم .

كَأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ مُسِخَتْ نُجُوماً
تَسِيرُ مَسِيرَ رُوَّادٍ طِلَاحِ (١)
كَأَنَّ الصُّبْحَ مَهْجُورٌ طَرِيدٌ
كَأَنَّ اللَّيْلَ مَاتَ صَرِيعَ رَاحِ
كَأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ مِتْنَ حُزْناً
كَأَنَّ النَّسْرَ مَكْسُورُ الْجَنَاحِ

وَقَالَ :

لَا تَعْبَسَنَّ بِوَجْهِ عَافٍ سَائِلٍ
خَيْرُ الْمَوَاهِبِ أَنْ تُرَى مَسْئُولَا
لَا تَجْبَهَنَّ بِالرَّدِّ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ
فَبَقَاءُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَأْمُولَا
يُلْقَى الْكَرِيمُ فَيُسْتَدَلُّ بِبِشْرِهِ
وَيُرَى الْعُبُوسُ عَلَى اللَّئِيمِ دَلِيلَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا مَحَالَةَ صَائِرٌ
خَبَراً فَكُنْ خَبَراً يَرُوقُ جَمِيلَا

---

(١) طلاح : جمع طليح : وهو البعير المعيى

﴿ ١٤ – الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ * ﴾

الحسين بن محمد التجيبي

ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَيٍّ التُّجِيبِيُّ الْقُرْطُبِيُّ . كَانَ أَدِيباً فَاضِلاً عَالِماً بِالْهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ ، كَلِفاً بِصِنَاعَةِ التَّعْدِيلِ ، أَخَذَ عِلْمَ الْعَدَدِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بُرْغُوثٍ الرِّيَاضِيِّ الْفَلَكِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَرَجَ ابْنُ حَيٍّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَلَحِقَ بِمِصْرَ بَعْدَ أَنْ نَالَتْهُ بِالْأَنْدَلُسِ وَفِي طَرِيقِهِ بِالْبَحْرِ مِحَنٌ شَدِيدَةٌ ، ثُمَّ رَحَلَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْيَمَنِ وَاتَّصَلَ بِأَمِيرِهَا الصُّلَيْحِيِّ(١) الْقَائِمِ بِالدَّعْوَةِ لِلْمُنْتَصِرِ بِاللهِ مَعَدِّ بْنِ الظَّاهِرِ عَلِيٍّ ، فَحَظِيَ عِنْدَهُ وَبَعَثَهُ رَسُولاً إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ فِي هَيْئَةٍ فَخْمَةٍ ، فَنَالَ هُنَاكَ إِقْبَالاً وَدُنْيَا عَرِيضَةً . وَتُوُفِّيَ بِالْيَمَنِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَيْهَا سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ

(١) جاء الصليحى فى نفح الطيب وفى الاصل السنحى

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته لياقوت

وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : زِيجٌ[١] مُخْتَصَرٌ عَلَى طَرِيقَةِ السِّنْدَ هِنْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

تَأَمَّلْ . صُورَةَ الْعَدَدِ   فَمَنْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ هُدِي
كَمَا الْأَعْدَادُ رَاجِعَــــةٌ   وَإِنْ كَثُرَتْ إِلَى الْأَحَدِ
كَذَاكَ الْخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ   لِرَبٍّ وَاحِــــدٍ صَمَدِ[٢]

وَقَالَ :

تَحَفَّظْ مِنْ لِسَانِكَ فَهْوَ عُضْوٌ
أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ وَقْعِ السِّنَانِ[٣]
فَلَا وَاللهِ مَا فِي الْخَلْقِ خَلْقٌ
أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانِ

وَقَالَ :

وَرَأَيْتُ السَّمَاءَ كَالْبَحْرِ إِلَّا
أَنَّ مَا وَسْطَهُ مِنَ الدُّرِّ طَافِ

(١) الزيج : كتاب يعرف به أحوال حركات الكواكب ، ويؤخذ منه التقويم .

(٢) صمد : من صمد إليه إذا قصده ، وهو السيد المصمود إليه فى الحوائج . بمعنى المحتاج إليه (٣) هذا المعنى قريب من قول الشاعر :

جراحات السنان لها التئام   ولا يلتام ما جرح اللسان

فِيهِ مَا يَمْلأُ الْعُيُونَ كَبِيرٌ
وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ صَافِ

وَقَالَ :

وَدَّعْتُهُ حَيْثُ لَا تُوَدِّعُهُ
رُوحِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ
ثُمَّ تَوَلَّى وَفِي الْعُيُونِ[1] لَهُ
ضِيقُ مَجَالٍ وَفِي الْقُلُوبِ سَعَهْ

وَقَالَ :

إِذَا مَا كَثُرْتَ عَلَى صَاحِبٍ
وَقَدْ كَانَ يُدْنِيكَ مِنْ نَفْسِهِ
فَلَا بُدَّ مِنْ مَلَلٍ وَاقِعٍ
يُغَيِّرُ مَا كَانَ مِنْ أُنْسِهِ

﴿ ١٥ — الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ﴾

أَبُو عَلِيٍّ السَّهْوَاجِيُّ[*][2] أَدِيبٌ شَاعِرٌ لَبِيبٌ مَشْهُورٌ

الحسين ابن محمد السهواجى

(١) فى الأصل : القلوب (٢) نبه عليه ياقوت فى معجم البلدان عند ذكر سهواج بسين مفتوحة ولكنه ذكره بلفظ الحسن بدل الحسين ولعل هذا من تحريف المطابع « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب فوات الوفيات جزء أول صفحة ١٧٠ ولم يزد على ترجمته هنا

وَسَهْوَاجُ مِنْ قُرَى مِصْرَ ، صَنَّفَ كِتَابَ الْقَوَافِي ، وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى الْحُبَّ لَوْ كَانَ نَافِعِي
مِنَ الْحُبِّ أَنْ أَخْشَاهُ قَبْلَ وُقُوعِهِ
كَمَا حَذِرَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَوْمِ عَيْنِهِ
وَنَامَ وَلَمْ يَشْعُرْ أَوَانَ هُجُوعِهِ

وَقَالَ :

كِرَامُ الْمَسَاعِي فِي اكْتِسَابِ مَحَامِدٍ
وَأَهْدَى إِلَى طُرْقِ الْمَعَالِي مِنَ الْقَطَا
وَأَبْوَابُهُمْ مَعْمُورَةٌ بِعُفَاتِهِمْ
وَأَيْدِيهِمُ لَا تَسْتَرِيحُ مِنَ الْعَطَا

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

وَهَتُوفٍ أَيْكِيَّةٍ[1] ذَاتِ شَجْوٍ
سَجَعَتْ ثُمَّ رَجَّعَتْ تَرْجِيعَا

---

(١) أيكية : نسبة إلى الأيك وهو الشجر الكثير الملتف .

ذَكَرَتْ إِلفَهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهِ
فَبَكَيْنَا مِنَ الفِرَاقِ جَمِيعَا

وَمِنْهُ أَيْضاً :

قَوْمٌ كِرَامٌ إِذَا سَلُّوا سُيُوفَهُمُ
فِي الرَّوْعِ لَمْ يُغْمِدُوهَا فِي سِوَى الْمُهَجِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ أَوْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
وَجَدْتَ عِنْدَهُمُ مَا شِئْتَ مِنْ فَرَجِ

وَقَالَ :

شُخُوصُ الْفَتَى عَنْ مَنْزِلِ الضَّيْمِ وَاجِبٌ
وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَهْلُهُ وَالْأَقَارِبُ
وَلِلْحُرِّ أَهْلٌ إِنْ نَأَى عَنْهُ أَهْلُهُ
وَجَانِبُ عِزٍّ إِنْ نَأَى عَنْهُ جَانِبُ
وَمَنْ يَرْضَ دَارَ الضَّيْمِ دَاراً لِنَفْسِهِ
فَذَلِكَ فِي دَعْوَى التَّوَكُّلِ كَاذِبُ

وَقَالَ :

تَوَخَّ مِنَ الطُّرْقِ أَوْسَاطَهَا
وَعَدِّ عَنِ الْجَانِبِ الْمُشْتَبِهْ
وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ
كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهْ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَبِيحِ
شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ

الحسين بن محمد النحوى

﴿ ١٦ — الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْفَرَجِ * ﴾

النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمَسْتُورِ ، كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا أَدِيباً شَاعِراً . تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَمْسَى يَحِنُّ لِوَجْهِهِ قَمَرُ الدُّجَا
وَغَدَا يَلِينُ لِلَحْنِهِ الْجُلْمُودُ[1]

(١) الجلمود : الصخر

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة بترجمة قصيرة فقال :
هو الدمشقى أديب متصدر للافادة ، وله شعر ذكره ياقوت فى ترجمته .
وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الوعاة .

فَإِذَا بَدَا فَكَأَنَّمَا هُوَ يُوسُفٌ
وَإِذَا شَدَا فَكَأَنَّهُ دَاوُدُ

وَقَالَ :

فَكَأَنَّمَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ إِذْ بَدَتْ
وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ وَمَا غَرَبْ
مُتَحَارِبَانِ لِذَا مِجَنٌّ (١) صَاغَهُ
مِنْ فِضَّةٍ وَلِذَا مِجَنٌّ مِنْ ذَهَبْ

وَلَهُ مُزْدَوِجَةٌ أَنْشَدَهَا بَعْضُ الدِّمَشْقِيِّينَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ :

أَلْحُبُّ بَحْرٌ زَاخِرُ رَاكِبُهُ مُخَاطِرُ
جُنُودُهُ الْمَحَاجِرُ وَالْحَدَقُ السَّوَاحِرُ

* * *

رَكِبْتُهُ عَلَى غَرَرْ (٢) وَخَطَرٍ عَلَى خَطَرْ
فِي وَاضِحٍ يَحْكِي الْقَمَرْ وَكَانَ حَتْفِي فِي النَّظَرْ

* * *

حَلَفْتُهُ لَمَّا بَدَا كَغُصُنٍ غِبَّ (٣) نَدَى

---

(١) المجن : ما يتقى به (٢) الغرر : الخطر . (٣) غب : عقب .

رَيَّانَ بِالْحُسْنِ ارْتَدَى وَبِالْبَهَا تَفَرَّدَا (١)

* * *

بِحَقِّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْبَلَدِ الْمُقَدَّسِ
وَبِالَّتِي لَمْ تَدْنَسِ لَا تَكُ مِنْكَ مُؤْيِسِي

* * *

بِحَقِّ قُدْسِ (٢) مَرْيَمِ وَبُطْرُسِ الْمُعَظَّمِ
بِعَادِلٍ لَمْ يَظْلِمِ رِقَّ لِصَبٍّ مُغْرَمِ

* * *

بِالدَّيْرِ بِالرُّهْبَانِ بِحُرْمَةِ الْقُرْبَانِ (٣)
بِبُولُصٍ ذِي الشَّانِ كُنْ حَسَنَ الْإِحْسَانِ

* * *

بِالطُّورِ بِالزَّبُورِ بِسَاكِنِ الْقُبُورِ
بِشَاهِدٍ مَشْهُورِ إِعْطِفْ عَلَى الْمَهْجُورِ

* * *

بِحُرْمَةِ الْمَسِيحِ وَبِالْفَتَى (٤) الذَّبِيحِ

---

(١) عند ابن عساكر : بالحسن ظل مفردا . (٢) القدس : الطهر .
(٣) القربان : ما يتقرب به من ذبيحة وغيرها (٤) هو سيدنا إسماعيل
عليه الصلاة والسلام

بِالْفِصْحِ (١) بِالتَّسْبِيحِ أَبْقِ عَلَيَّ رُوحِي

* * *

بِلَيْلَةِ الْمِيلَادِ وَحُرْمَةِ الْأَعْيَادِ

وَلَابِسِي السَّوَادِ إِجْعَلْ رِضَاكَ زَادِي

وَهِيَ طَوِيلَةٌ اُكْتَفَيْنَا مِنْهَا بِهَذَا الْمِقْدَارِ . وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

كَانَتْ بُلَهْنِيَةُ (٢) الشَّبِيبَةِ سَكْرَةً

فَصَحَوْتُ وَاسْتَبْدَلْتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ (٣)

وَقَعَدْتُ أَنْتَظِرُ الْفَنَاءَ كَرَاكِبٍ

عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ

﴿ ١٧ — الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرِ بْنِ مُكَمَّلٍ * ﴾

الحسين بن مطير الْأَسَدِيُّ مَوْلَى بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَكَانَ جَدُّهُ

(١) بالفصح : أحد أعياد النصارى ويسمونه عيد قيامة المسيح من الموت .

(٢) البلهنية : الرخاء وسعة العيش. (٣) مجمل : مقتصد

(*) ترجم له فى كتاب فوات الوفيات جزء أول قال :

هو من فحول الشعراء ومن شعره :

فيا عجباً يستشرفونى برأيهم

كأن لم يروا بعدى محبا ولا قبلى —

مُكَمِّلٌ عَبْدًا فَعَتَقَ وَقِيلَ كُوتِبَ. وَابْنُ مُطَيْرٍ مِنْ مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ، فَصِيحٌ مُتَقَدِّمٌ فِي الرَّجَزِ وَالْقَصِيدِ يُعَدُّ مِنْ فُحُولِ الْمُحْدَثِينَ، يُشْبِهُ كَلَامُهُ كَلَامَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَفَدَ عَلَى الْأَمِيرِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيِّ لَمَّا وُلِّيَ الْيَمَنَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَنْشَدَهُ:

أَتَيْتُكَ إِذْ لَمْ يَبْقَ غَيْرَكَ جَابِرٌ
وَلَا وَاهِبٌ يُعْطِي اللُّهَا وَالرَّغَائِبَا

فَقَالَ لَهُ يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ لَيْسَ هَذَا بِمَدْحٍ، إِنَّمَا الْمَدْحُ قَوْلُ نَهَارِ بْنِ تَوْسِعَةَ فِي مِسْمَعِ بْنِ مَالِكٍ:

قَلَّدَتْهُ عُرَى الْأُمُورِ نِزَارٌ
قَبْلَ أَنْ يَهْلِكَ السَّرَاةُ [1] الْبُحُورُ [2]

— يقولون لى اصرم يرجع العقل كله
وصرم حبيب النفس أذهب للعقل
ويا عجباً من حب من هو قاتلى
كأنى أجزيه المودة من قتلى
ومن بينات الحب أن كان أهلها
أحب إلى قلبى وعينى من أهلى

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف (٢) يريد أنه ملك والسراة البحور كثيرون فهو إذاً أفضل من هؤلاء وقد ملك لأنه لا يوجد غيره

فغدا إليه بأرجوزة يمدحه بها فاستحسنها وأجزل صلته. وحدث جعفر بن منصور قال: حدثني أبي قال: حج المهدي فنزل زبالة[1] فدخل الحسين بن مطير الأسدي عليه فقال:

أضحت يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صورة الجود
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة
ومن بنانك يجري الماء في العود

فقال المهدي كذبت، قال ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: هل تركت في شعرك موضعا لأحد بعد قولك في معن ابن زائدة؟:

ألما[2] على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

(١) زبالة: قرية بطريق مكة من الكوفة فيها جامع لبني غاضرة «عبد الخالق»
(٢) ألما الخ: أقصدا نحوه

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعَا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعَا (١)
بَلَى قَدْ وَسِعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ
وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى
وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ (٢) الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا
وَمَا كَانَ إِلَّا الْجُودَ صُورَةُ وَجْهِهِ
فَعَاشَ رَبِيعاً ثُمَّ وَلَّى وَوَدَّعَا
وَكُنْتَ لِدَارِ الْجُودِ يَا مَعْنُ عَامِراً
وَقَدْ أَصْبَحَتْ قَفْراً مِنَ الْجُودِ بَلْقَعَا
فَتًى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا

(١) مترع : مملوء (٢) العرنين : الأنف ، وأجدع : مقطوع

تَمَنَّى أُنَاسٌ شَأْوَهُ مِنْ ضَلَالِهِمْ
فَأَضْحَوْا عَلَى الأَذْقَانِ صَرْعَى وَظُلَّعَا (١)

تعزَّ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْهُ وَلَا يَكُنْ
جزَاؤُكَ مِنْ مَعْنٍ بِأَنْ تَتَضَعْضَعَا

أَبَى ذِكْرُ مَعْنٍ أَنْ يُمِيتَ فَعَالَهُ
وَإِنْ كَانَ قَدْ لَاقَى حِمَامًا وَمَصْرَعَا

فَمَا مَاتَ مَنْ كُنْتَ ابْنَهُ لَا وَلَا الَّذِي
لَهُ مِثْلُ مَا أَبْقَى أَبُوكَ وَمَا سَعَى

فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّمَا مَعْنٌ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِكَ ، وَفَعْلَةٌ مِنْ فَعَلَاتِكَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ثُمَّ قَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَقَالَ :

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرْعَهَا (٢)
وَتَغِيبُ فِيهِ وَهْوَ جَعْدٌ أَسْحَمُ (٣)

(١) ظلعا : الظالع ما لا يقدر على السير لظلع فى طرفه قال الشاعر يدعو على الأبل :
لهن الوجا لم كن عوناً على النوى ولا زال منها ظالع وحسير
« عبد الخالق »

(٢) ورد بالأصل : سحب ، بدون تاء كما ورد « قتام » بدلا من قيام

(٣) أسحم : أسود

فَكَأَنَّهَا مِنْهُ نَهَارٌ مُشْرِقٌ
وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

قَالَ: خُذْ بِيَدِهَا لِجَارِيَةٍ كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَأَوْلَدَهَا مُطَيْرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُطَيْرٍ.

وَقَالَ الرِّيَاشِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ مَعَ أَبِي وَالِيًا كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ قُرَيْشٍ، وَعِنْدَهُ ابْنُ مُطَيْرٍ، وَإِذَا بِمَطَرٍ جَوْدٍ [1]، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: صِفْ لِي هَذَا الْمَطَرَ، قَالَ: دَعْنِي أُشْرِفْ عَلَيْهِ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ:

كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ قَطْرِهِ أَطْبَاؤُهُ [2]
فَإِذَا تَحَلَّبَ فَاضَتِ الْأَطْبَاءُ
وَلَهُ رَبَابٌ هَيْدَبٌ [3] لِدَفِيفِهِ
قَبْلَ التَّبَعُّقِ [4] دِيمَةٌ وَطْفَاءُ

(١) جود: غزير (٢) جمع طبي: مثل الثدي (٣) الهيدب: السحاب المتدلي أو ذيله. والدفيف. الدبيب (٤) التبعق: الابتعاج بالمطر، ووطفاء: دائمة السح الحثيثة، طال مطرها أو قصر

وَكَأَنَّ رَيِّقَهُ (١) وَلَمَّا يَحْتَفِلْ
وَدْقُ السَّمَاءِ عَجَاجَةٌ كَدْرَاءُ
وَكَأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ تَلْتَقِى
رِيحٌ عَلَيْهِ عَرْفَجٌ (٢) وَأَلَاءُ
مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ
بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرِهَا (٣) الْأَقْذَاءُ
فَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسَرَّةٍ
ضَحِكٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ
حَيْرَانُ مُتَّبَعٌ صَبَاهُ تَقُودُهُ
وَجَنُوبُهُ كَنَفٌ لَهُ وَوِعَاءُ
غَدِقٌ (٤) يُنَتِّجُ فِى الْأَبَاطِحِ فُرَّقًا
تَلِدُ السُّيُولَ وَمَا لَهَا أَسْلَاءُ (٥)

---

(١) ريقه : المطر اليسير (٢) عرفج : شجر سهلى . وألاء : شجر أيضاً ، واحدته ألاءة (٣) أى لم يصبها قذى فى عينيها (٤) غدق : كثير القطر . وينتج : يولد ويخرج (٥) أسلاء : جمع سلى : الجلدة التى يكون فيها الولد

غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ دَوَالِجُ (١) ضُمِّنَتْ
حَمْلَ اللِّقَاحِ وَكُلُّهَا عَذْرَاءُ
سُحْمٌ فَهُنَّ إِذَا كَظَمْنَ سَوَاجِمٌ
سُودٌ وَهُنَّ إِذَا ضَحِكْنَ وِضَاءُ
لَوْ كَانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُهُ
لَمْ يَبْقَ فِى لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاءُ

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِىُّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَخِى الْأَصْمَعِىِّ ، عَنْ عَمِّهِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ مُطَيْرٍ الْأَسَدِىِّ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ عَمِّى : لَوْ كَانَ شِعْرُ الْعَرَبِ هَكَذَا مَا أَثِمَ مُنْشِدُهُ :

أَلَا حَبَّذَا الْبَيْتُ الَّذِى أَنْتَ هَاجِرُهْ
وَأَنْتَ بِتَلْمَاحٍ (٢) مِنَ الطَّرْفِ نَاظِرُهْ
لِإِنَّكَ (٣) مِنْ بَيْتٍ لِعَيْنِىَ مُعْجِبٍ
وَأَمْلَحُ فِى عَيْنِى مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهْ

(١) دوالج : سائرات طول الليل (٢) تلماح : مصدر لمح ، وهو النظر بمؤخر العين (٣) قد تقلب ألف إن المكسورة هاء ويغلب أن يكون قبلها لام الابتدا وقد رأيت رواية فى البيت لهنك ومثله لهنك من عبسية لوسيمه «عبد الخالق»

أَصُدُّ حَيَاءً أَنْ يُلِمَّ بِيَ الْهَوَى
وَفِيكَ الْمُنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أُحَاذِرُهْ

وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ
لَمَاتَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تُجَاوِرُهْ

فَإِنْ آتِهِ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظِنَّةٍ
وَإِنْ يَأْتِهِ غَيْرِى تَنُطْ بِي جَرَائِرُهْ(١)

وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَاتِرًا
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ وَاتِرُهْ؟

فَإِنْ يَكُنِ الْأَعْدَاءُ أَحْمَوْا(٢) كَلَامَهُ
عَلَيْنَا فَلَنْ تُحْمَى عَلَيْنَا مَنَاظِرُهْ

أُحِبُّكِ يَا سَلْمَى عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ
وَلَا بَأْسَ فِي حُبٍّ تَعِفُّ سَرَائِرُهْ

وَيَا عَاذِلِي لَوْلَا نَفَاسَةُ حُبِّهَا
عَلَيْكَ لَمَا بَالَيْتَ أَنَّكَ خَابِرُهْ

---

(١) الجرائر جمع جريرة : الذنب (٢) أحموا : منعوا

بِنَفْسِي مَنْ لَا بُدَّ أَنِّى هَاجِرُهْ
وَمَا أَنَا فِى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهْ
وَمَنْ قَدْ لَحَاهُ النَّاسُ حَتَّى اُتُّقَامُ
بِبُغْضِيَ إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهْ
أُحِبُّكِ حُبًّا لَنْ أُعَنِّفَ بَعْدَهُ
مُحِبًّا وَلَكِنِّى إِذَا لِيمَ عَاذِرُهْ
لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَانْقَضَى
وَلَوْ مِتُّ أَضْحَى الْحُبُّ قَدْ مَاتَ آخِرُهْ
كَلَامُكِ يَا سَلْمَى وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّى وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهْ
أَلَا لَا أُبَالِي أَىَّ حَيٍّ تَحَمَّلُوا
إِذَا أَثْمُدُ[1] الْبَرْقَاءِ لَمْ يَخْلُ حَاضِرُهْ

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنِ الْأَخْفَشِ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ لِحُسَيْنِ بْنِ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيِّ :

(١) الاثمد بكسر الهمزة وفتح الميم حجر الكحل وكأثمد وتضم ميمه : موضع كما هنا

لَقَدْ كُنْتُ جلداً قَبلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى
عَلَى كَبِدِي نَاراً بَطِيئاً خُمُودُهَا

وَلَوْ تُرِكَتْ نَارُ الْهَوَى لَتَصَرَّمَتْ
وَلَـكِنَّ شوْقاً كُلَّ يَوْمٍ وَقُودُهَا

وَقدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي
إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا

فَقدْ جَعلَتْ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
عِهَادُ تَوَلَّاهَا (١) بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا

بِمُرْتَجَّةِ الْأَرْدَافِ هِيفٌ خُصُورُهَا
عِذَابٌ ثَنَايَاهَا عِجَافٌ قُيُودُهَا (٢)

وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٌ أَكُفُّهَا
وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَبِيضٌ خُدُودُهَا

مُخَصَّرَةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا
بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

---

(١) فى الأصل « تولى » وهو غير مستقيم ، وجعل هنا بمعنى شرع وتولاها أصلها تتولاها (٢) إنما كانت القيود عجافا لأن موضعها ريان ممتلىء وهو الساق « عبد الخالق »

يُمَنِّينَنَا حَتَّى تَرِفَّ (١) قُلُوبُنَا
رَفِيفَ الْخُزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا (٢)
وَفِيهِنَّ مِقْلَاقُ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا
مَهَاةٌ بِتَرْبَانٍ (٣) طَوِيلٌ عُقُودُهَا
وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَا
فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
هَلِ اللهُ عَافٍ عَنْ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ
أَمِ اللهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا؟؟

وَقَالَ :

رَأَتْ رَجُلًا أَوْدَى بِوَافِرِ لَحْمِهِ
طِلَابُ الْمَعَالِي وَاكْتِسَابُ الْمَكَارِمِ
خَفِيفَ الْحَشَا ضَرْبًا (٤) كَأَنَّ ثِيَابَهُ
عَلَى قَاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الْهِنْدِ صَارِمِ
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِنَّ فَإِنَّنِي
أَرَى سِمَنَ الْفِتْيَانِ إِحْدَى الْمَشَائِمِ

(١) ترف : تختلج (٢) يجودها : يمطرها الجود (٣) موضع (٤) من ضرب فى الأرض : ذهب بنفسه وخرج تاجرا أو غازيا أو إلى غير ذلك

وَأَنْشَدَ لَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ :

يُضَعِّفُنِي حِلْمِي وَكَثْرَةُ جَهْلِهِمْ
عَلَيَّ وَأَنِّي لَا أَصُولُ بِجَاهِلِ
دَفَعْتُكُمُ عَنِّي وَمَا دَفْعُ رَاحَةٍ
بِشَيْءٍ إِذَا لَمْ تَسْتَعِنْ بِالْأَنَامِلِ

وَأَنْشَدَ لَهُ الْمُبَرِّدُ :

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي
بِهَا كَبِداً لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ ؟
أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا
وَمَنْ يَشْتَرِي ذَاعِلَّةٍ بِصَحِيحِ ؟

﴿ ١٨ — الْحُسَيْنُ بْنُ هِبَةِ اللهِ ضِيَاءِ الدِّينِ* ﴾

أَبُو عَلِيٍّ بْنُ زَاهِرٍ الْمَوْصِلِيُّ الْمُلَقَّبُ بِدُهْنِ الْخُصَا ، أَحَدُ نُحَاةِ الْعَصْرِ ، تَصَدَّرَ لِإِقْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي بَلَدِهِ ، وَتَقَدَّمَ الحسين الموصلي

* ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٣٧ قال :
هو النحوى اللغوى الأديب الشاعر ، قال فى البدر السافر : تصدر لاقراء العربية بالموصل وتقرب عند ملكها . وباق الترجمة كما أورده ياقوت

عِنْدَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ فَرَحَلَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، ثُمَّ وَفَدَ عَلَى ابْنِهِ فِي حَلَبَ فَقَرَّبَهُ وَرَتَّبَ لَهُ مَعْلُوماً عَلَى إِقْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ أَدِيباً شَاعِراً مُتَفَنِّناً لَقِيتُهُ بِحَلَبَ وَبِهَا مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّمَائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

مَرِضْتُ وَلِي جِيرَةٌ كُلُّهُمْ
عَنِ الرُّشْدِ فِي صُحْبَتِي حَائِدُ
فَأَصْبَحْتُ فِي النَّقْصِ مِثْلَ الَّذِي
وَلَا صِلَةٌ لِي وَلَا عَائِدُ

وَقَالَ:

يَبْتَهِجُ النَّاسُ بِأَعْيَادِهِمْ لِأَجْلِ ذَبْحٍ أَوْ لِإِفْطَارِ
وَإِنَّمَا عُظْمُ سُرُورِي بِهَا لِلَثْمِ مَنْ أَهْوَى بِلَا عَارِ
أَرْقُبُهَا حَوْلًا إِلَى قَابِلٍ لِأَنَّهَا غَايَةُ أَوْطَارِي

وَقَالَ:

وَإِنِّي وَإِنْ أَخَّرْتُ عَنْكُمْ زِيَارَتِي
لِعُذْرٍ فَإِنِّي فِي الْمَوَدَّةِ أَوَّلُ

فَمَا الْوُدُّ تَكْرِيرُ الزِّيَارَةِ دَائِماً
وَلَكِنْ عَلَى مَافِى الْقُلُوبِ الْمُعَوَّلُ

١٩ – الْحُسَيْنُ بْنُ هَدَّابِ بْنِ مُحَمَّدٍ *

الحسين ابن هداب

ابْنِ ثَابِتٍ الدَّيْرِىُّ الْأَصْلِ ، نِسْبَةٌ إِلَى الدَّيْرِ ، قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى النُّعْمَانِيَّةِ ، وَيُعْرَفُ بِالنُّورِىِّ ، وَالنُّورِيَّةُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْحِلَّةِ السَّيْفِيَّةِ مِنْ سِيفِ الْفُرَاتِ ، نَزَلَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الضَّرِيرُ . تُوُفِّىَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِى عَشَرَ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا مُقْرِئًا فَقِيهاً شَاعِراً مُتَفَنِّناً ، قَرَأَ بِالرِّوَايَاتِ عَلَى أَبِى الْعِزِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ بُنْدَارٍ الْوَاسِطِىِّ ، وَأَبِى بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِىٍّ الْمَزْرَفِىِّ . سَكَنَ بَغْدَادَ مُنْعَكِفاً عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَالْإِقْرَاءِ ، فَكَانَ يُقْرِئُ النَّحْوَ وَاللُّغَةَ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَكَانَ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٣٧ بما يأتى قال :
ونبه عليه ابن الدبيثى فى ترجمته من تاريخ بغداد . قال الصفدى : سكن بغداد ، وكان يقرأ النحو واللغة والقراءات متفنناً فقيهاً شاعراً عفيفاً كثير الأفادة .

يحفظُ عِدَّةَ دَوَاوِينَ مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْإِفَادَةِ وَالْعِبَادَةِ ، عَفِيفاً دَيِّناً ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ مِنْهُ :

فِيكَ يَا أُغْلُوطَةَ الْفِكْرِ
تَاهَ عَقْلِي وَانْقَضَى عُمُرِي
سَافَرَتْ فِيكَ الْعُقُولُ فَمَا
رَبِحَتْ إِلَّا عَنَا السَّفَرِ
رَجَعَتْ حَسْرَى وَمَا وَقَفَتْ
لَا عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرِ

وَقَالَ

بِأَبِي رِئْمٌ (١) تَبَلَّجَ (٢) لِي
عَنْ رِضًى فِي طَيِّهِ غَضَبُ
وَأَرَانِي صُبْحَ طَلْعَتِهِ
بِظَلَامِ الصُّدْغِ يَنْتَقِبُ

(١) رئم : الرئم هو الظبى الخالص البياض (٢) أى أشرق لى

وَسَقَى بِالْكَأْسِ مُتْرَعَةً
صَهْبَاءَ مِثْلَ الشَّمْسِ تَلْتَهِبُ
فَهْىَ شَمْسٌ فِى يَدَىْ قَمَرٍ
وَكِلَا عِقْدَيْهِمَا الشُّهُبُ
وَلَهَا مِنْ ذَاتِهَا طَرَبٌ
وَلِهَذَا يَرْقُصُ الْحَبَبُ

وَقَالَ :

قَالَ لِى مَنْ رَأَى صَبَاحَ مَشِيبِى
عَنْ شِمَالٍ مِنْ لِمَّتِى وَيَمِينِ ؟
أَىُّ شَىْءٍ هَذَا فَقُلْتُ مُجِيباً
لَيْلُ شَكٍّ مَحَاهُ صُبْحُ يَقِينِ

٢٠ — الْحُسَيْنُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرٍ *

الحسين ابن الوليد

أَبُو الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَرِيفِ ، النَّحْوِىُّ الْأَدِيبُ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٣٧ بما يأتى قال :

قال ابن الفرضى : كان نحوياً عارفاً بالعربية مقدماً فيها ، وكان شاعراً وله حظ من الكلام .

وقال الحميدى فى تاريخ الأندلس : إمام فى العربية ، أستاذ فى الآداب ، مقدم —

الشَّاعِرُ ، لَهُ شَرْحُ كِتَابِ الْجُمَلِ فِى النَّحْوِ لِلزَّجَّاجِ ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِى جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ فِى كِتَابِهِ الْكَافِى ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ مُقَدَّماً فِى الْعَرَبِيَّةِ إِمَاماً فِيهَا ، عَارِفاً

— فى الشعر وله فى الأدب مؤلفات ، وله كتاب فى النحو ، اعترض فيه على أبى جعفر أحمد بن محمد النحاس فى مسائل ذكرها فى كتابه الكافى ، كان فى أيام المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر ، وممن يحضر مجالسه واجتماعاته مع أبى العلاء صاعد بن الحسن اللغوى أخبرنى أبو محمد على بن أحمد قال أبو خالد بن الرأس : كان المنصور أبو عامر ، صاحب الأندلس جىء إليه بوردة فى مجلس من مجالس أنسه أول ظهور الورد فقال فى الوقت أبو العلاء وكان حاضراً يخاطب المنصور أبياتاً ذكرها ياقوت فاستحسن المنصور ما جاء به وتابعه الحاضرون فحسده أبو القاسم بن العريف وكان حاضراً فقال هي للعباس ابن الأحنف فناكره صاعد فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتاً وأثبتها فى دفتر وأتى بها قبل افتراق المجلس قد أوردها ياقوت ولكنها خالفتها فى بعض ألفاظ فنوردها حرصاً على أمانة النقل :

عشوت إلى قصر عباسة ... وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي فى خدرها ... وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة ... فقلت بلى فرمت كاسها ؟
ومدت إلى وردة كفها ... يحاكى لها المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها
وقالت خف الله لا تفضحن ... فى ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة ... وما خنت ناسى ولا ناسها

ومعنى عباسها : جمع عابس وهم الشجعان أى جدودها الشجعان انتهى من هامش الاصل

قال : فخجل صاعد وحلف فلم يقبل وافترق المجلس على أنه سرقها . قلت : وله شرح على الجمل

بِصُنُوفِ الْآدَابِ ، أَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنِ ابْنِ الْقُوطِيَّةِ وَغَيْرِهِ ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَأَقَامَ بِمِصْرَ مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَسَمِعَ فِيهَا مِنَ الْحَافِظِ بْنِ رَشِيقٍ ، وَأَبِي طَاهِرٍ الذُّهْلِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَاخْتَارَهُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ مُؤَدِّبًا لِأَوْلَادِهِ ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجَالِسَهُ ، وَمُنَاظَرَاتُهُ مَعَ أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدٍ اللُّغَوِيِّ الْبَغْدَادِيِّ مَشْهُورَةٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَنْصُورَ جَلَسَ يَوْمًا وَعِنْدَهُ أَعْيَانُ مَمْلَكَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، كَالزُّبَيْدِيِّ صَاحِبِ الطَّبَقَاتِ ، وَالْعَاصِمِيِّ وَابْنِ الْعَرِيفِ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ وَغَيْرِهِمْ . فَقَالَ لَهُمُ الْمَنْصُورُ : هَذَا الرَّجُلُ الْوَافِدُ عَلَيْنَا يَزْعُمُ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ ، وَأُحِبُّ أَنْ يُمْتَحَنَ ، فَوُجِّهَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمَجْلِسُ قَدْ غَصَّ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَشْرَافِ ، خَجِلَ صَاعِدٌ وَاحْتَشَمَ ، فَأَدْنَاهُ الْمَنْصُورُ وَرَفَعَ مَحَلَّهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، فَزَعَمَ أَنَّهُ لَقِيَهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، فَبَادَرَهُ

الْعَـاصِمِىُّ بِالسُّؤَالِ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْـكِتَابِ فَلَمْ يَحْضُرْهُ جَوَابُهَا ، وَاعْتَذَرَ بِأَنَّ النَّحْوَ لَيْسَ جُلَّ (١) بِضَاعَتِهِ، فَقَالَ لَهُ الزُّبَيْدِىُّ فَمَا تُحْسِنُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ فَقَالَ حِفْظُ الْغَرِيبِ . قَالَ فَمَا وَزْنُ أَوْلَقَ فَضَحِكَ صَاعِدٌ وَقَالَ : أَمِثْلِى يُسْأَلُ عَنْ هٰذَا ، إِنَّمَا يُسْأَلُ عَنْهُ صِبْيَانُ الْمَكْتَبِ . قَالَ الزُّبَيْدِىُّ : قَدْ سَأَلْنَاكَ وَلَا نَشُكُّ أَنَّكَ تَجْهَلُهُ ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ فَقَالَ : وَزْنُهُ أَفْعَلُ. فَقَالَ الزُّبَيْدِىُّ : صَاحِبُكُمْ مُمَخْرِقٌ (٢) فَقَالَ لَهُ صَاعِدٌ إِخَالُ الشَّيْخَ صِنَاعَتُهُ الْأَبْنِيَةُ ، فَقَالَ لَهُ أَجَلْ ، فَقَالَ صَاعِدٌ وَبِضَاعَتِى أَنَا حِفْظُ الْأَشْعَارِ وَرِوَايَةُ الْأَخْبَارِ وَفَكُّ الْمُعَمَّى (٣) وَعِلْمُ الْمُوسِيقَى .قَالَ فَنَاظَرَهُ ابْنُ الْعَرِيفِ « صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ » فَظَهَرَ (٤) عَلَيْهِ صَاعِدٌ وَجَعَلَ لَا يَجْرِى فِى الْمَجْلِسِ كَلِمَةٌ إِلَّا أَنْشَدَ عَلَيْهَا شِعْرًا شَاهِدًا وَأَتَى بِحِكَايَةٍ تُنَاسِبُهَا ، فَأَعْجَبَ الْمَنْصُورَ فَقَرَّبَهُ وَقَدَّمَهُ ، وَكَانَ يَوْمًا بِمَجْلِسِ الْمَنْصُورِ أَيْضًا فَأُحْضِرَتْ إِلَيْهِ

---

(١) جل : أكثر (٢) ممخرق : مموه كذاب (٣) المعمى من الشعر والكلام : ما خفى معناه ، أى اشتبه فتعمى ، وتعمه فيه الابصار والبصائر

(٤) فظهر عليه : فغلبه

وَرْدَةٌ فِي غَيْرِ أَوَانِهَا لَمْ يَكْمُلْ فَتْحُ وَرَقِهَا ، فَقَالَ فِيهَا صَاعِدٌ مُرْتَجِلاً :

أَتَتْكَ أَبَا عَامِرٍ وَرْدَةٌ يُذَكِّرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسُهَا
كَعَذْرَاءَ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَأْسَهَا

فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمَنْصُورُ ، وَكَانَ ابْنُ الْعَرِيفِ حَاضِراً فَحَسَدَهُ وَجَرَى إِلَى مُنَاقَضَتِهِ ، وَقَالَ لِلْمَنْصُورِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ لِغَيْرِهِ ، وَقَدْ أَنْشَدَنِيهِمَا بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ لِنَفْسِهِ بِمِصْرَ وَهُمَا عِنْدِي عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِخَطِّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَرِنِيهِ ، فَخَرَجَ ابْنُ الْعَرِيفِ وَرَكِبَ وَحَرَّكَ دَابَّتَهُ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ ابْنِ بَدْرٍ ، وَكَانَ أَحْسَنَ أَهْلِ زَمَانِهِ بَدِيهَةً فَوَصَفَ لَهُ مَا جَرَى ، فَقَالَ ابْنُ بَدْرٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَدَسَّ فِيهَا بَيْتَيْ صَاعِدٍ :

غَدَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ وَقَدْ جَدَّلَ[1] النَّوْمُ حُرَّاسَهَا
فَأَلْفَيْتُهَا وَهِيَ فِي خِدْرِهَا وَقَدْ صَدَّعَ السُّكْرُ أُنَّاسَهَا[2]

---

١) جدل الخ : ألقاهم على الأرض (٢) أناسها : جمع أنيس

فَقَالَتْ أَسِرْتَ عَلَى هَجْعَةٍ[1] فَقُلْتُ بَلَى فَرَمَتْ كَاسَهَا ؟
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطِّيبُ أَنْفَاسَهَا
كَعَذْرَاءَ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَأْسَهَا
وَقَالَتْ خَفِ اللهَ لَا تَفْضَحَنْ نَ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عُبَّاسَهَا
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى خَجْلَةٍ وَمَا خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

فَطَارَ ابْنُ الْعَرِيفِ بِهَا وَعَلَّقَهَا عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِخَطٍّ مِصْرِيٍّ وَمِدَادٍ أَشْقَرَ وَدَخَلَ بِهَا عَلَى الْمَنْصُورِ، فَلَمَّا رَآهَا اشْتَدَّ غَيْظُهُ[2] وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ غَداً أَمْتَحِنُهُ، فَإِنْ فَضَحَهُ الْامْتِحَانُ أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْبِلَادِ وَلَمْ يَبْقَ فِي مَوْضِعٍ لِي عَلَيْهِ سُلْطَانٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُحْضِرَ وَحَضَرَ جَمِيعُ النُّدَمَاءِ وَالْجُلَسَاءِ فَدَخَلَ بِهِمْ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ أَعَدَّ فِيهِ طَبَقاً عَظِيماً فِيهِ سَقَائِفُ[3] مَصْنُوعَةٌ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاوِيرِ[4] وَوُضِعَ عَلَى السَّقَائِفِ لُعَبٌ مِنْ يَاسَمِينٍ فِي شَكْلِ الْجَوَارِي وَتَحْتَ السَّقَائِفِ بِرْكَةُ مَاءٍ قَدْ أُلْقِيَ فِيهَا اللَّآلِئُ مِثْلَ

(١) أسرت على هجعة : أى بعد نومة خفيفة أول الليل . (٢) زاد فى نفح الطيب : على صاعد (٣) سقائف : جمع سقيفة . (٤) يريد النوار المثل صوره

الْحَصْبَاءِ وَفِي الْبِرْكَةِ حَيَّةٌ تَسْبَحُ ، فَلَمَّا دَخَلَ صَاعِدٌ وَرَأَى الطَّبَقَ قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : إِنَّ هَذَا يَوْمٌ إِمَّا أَنْ تَسْعَدَ فِيهِ مَعَنَا وَإِمَّا أَنْ تَشْقَى ، لِأَنَّهُ قَدْ زَعَمَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَأْتِي بِهِ دَعْوَى ، وَهَذَا طَبَقٌ مَا تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ قَبْلِي شَكْلُهُ ، فَصِفْهُ بِجَمِيعِ مَافِيهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاعِدٌ عَلَى الْبَدِيهَةِ :

أَبَا عَامِرٍ هَلْ غَيْرُ جَدْوَاكَ وَاكِفُ (١)
وَهَلْ غَيْرُ مَنْ عَادَاكَ فِي الْأَرْضِ خَائِفُ
يَسُوقُ إِلَيْكَ الدَّهْرُ كُلَّ غَرِيبَةٍ
وَأَعْجَبُ مَا يَلْقَاهُ عِنْدَكَ وَاصِفُ
وَشَائِعُ (٢) نَوْرٍ صَاغَهَا هَامِرُ (٣) الْحَيَا
عَلَى حَافَتَيْهَا عَبْقَرٌ (٤) وَرَفَارِفُ (٥)
وَلَمَّا تَنَاهَى الْحُسْنُ فِيهَا تَقَابَلَتْ
عَلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَاهِي وَصَائِفُ

---

(١) واكف : ممطر. (٢) وشائع : جمع وشيعة والوشيعة : كل لفيفة من القز والقطن . (٣) هامر الحيا : المطر المنصب . (٤) عبقر : تلؤلؤ السراب . (٥) الرفارف جمع رفرف : وهو الشجر الناعم المسترسل .

كَمِثْلِ الظِّبَاءِ الْمُسْتَكِنَّةِ كُنَّساً
تُظَلِّلُهَا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفُ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهُنَّ نَوَاظِرٌ
إِلَى بِرْكَةٍ ضُمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ
حَصَاهَا اللَّآلِي سَابِحٌ فِي عُبَابِهَا
مِنَ الرُّقْشِ مَسْمُومُ الثَّعَابِينِ زَاحِفُ
تَرَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي جَنَبَاتِهَا
مِنَ الْوَحْشِ حَتَّى بَيْنَهُنَّ السَّلَاحِفُ

فَاسْتَغْرَبُوا لَهُ تِلْكَ الْبَدِيهَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبَهَا الْمَنْصُورُ بِخَطِّهِ ، وَكَانَ إِلَى نَاحِيَتِهِ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفِينَةٌ فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَّارِ تُجَذِّفُ بِمَجَاذِيفَ مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَحْسَنْتَ إِلَّا أَنَّكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ السَّفِينَةِ وَالْجَارِيَةِ ، فَقَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ
مُكَلَّلَةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْهَوَاتِفُ

إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَّقِي
بِسُكَّانِهَا (١) مَا هَيَّجَتْهُ الْعَوَاصِفُ
مَتَى كَانَتِ الْخَنْسَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ
تَصَرَّفُ فِي يُمْنَى يَدَيْهِ الْمَجَاذِفُ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةً
تُنَقِّلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَصَائِفُ
وَلَا غَرْوَ أَنْ أَنْشَتْ (٢) مَعَالِيكَ رَوْضَةً
وَشَتْهَا أَزَاهِيرُ الرُّبَا وَالزَّخَارِفُ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ رُمْتَ نَقْلَ مَتَالِعٍ (٣)
وَرَضْوَى ذَرَتْهَا (٤) مِنْ سُطَاكَ نَوَاسِفُ
إِذَا قُلْتُ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتُ بَدِيهَةً
فَكِلْنِي لَهُ إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ

فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةِ ثَوْبٍ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِينَاراً وَأَلْحَقَهُ بِنُدَمَائِهِ . تُوُفِّيَ

(١) السكان : ذنب السفينة . (٢) أنشت : أنشأت . سهلت الهمزة إلى ألف ، ثم حذفت لأجل تاء التأنيث (٣) متالع ورضوى : جبلان (٤) ذرتها : نثرتها

أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْعَرِيفِ بِطُلَيْطُلَةَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

﴿ ٢١ – حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ * ﴾

حرملة بن المنذر الطائى

ابْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ حَيَّةَ بْنِ سَعْنَةَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ رَبِيعَةَ ، وَيَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِيَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيُّ شَاعِرٌ مُعَمَّرٌ عَاشَ خَمْسِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ ، وَعِدَادُهُ فِي الْمُخَضْرَمِينَ ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمْ وَمَاتَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُو زُبَيْدٍ طُوَالًا مِنَ الرِّجَالِ يَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثَةَ عَشَرَ شِبْرًا ، وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَهَا مُتَنَكِّرًا لِجَمَالِهِ . وَكَانَ أَبُو زُبَيْدٍ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَمُلُوكَ الْعَجَمِ خَاصَّةً ، وَكَانَ عَالِمًا بِسِيَرِهِمْ ، وَوَفَدَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِرٍ الْغَسَّانِيِّ وَالنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ . حَدَّثَ عُمَارَةُ بْنُ قَابُوسَ قَالَ : لَقِيتُ أَبَا زُبَيْدٍ الطَّائِيَّ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا زُبَيْدٍ : هَلْ أَتَيْتَ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ ؟ قَالَ : إِي وَاللهِ لَقَدْ أَتَيْتُهُ

(*) لم نجد له ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت ، أريد فى كتب التراجم وإلا فصاحب الأغانى قد ترجم له .

وَجَالَسْتُهُ . قُلْتُ فَصِفْهُ لِي فَقَالَ : كَانَ أَحْمَرَ أَزْرَقَ أَبْرَشَ قَصِيرًا . فَقُلْتُ لَهُ : أَيَسُرُّكَ أَنَّهُ سَمِعَ مَقَالَتَكَ هَذِهِ وَأَنَّ لَكَ حُمُرَ النَّعَمِ ؟ قَالَ لَا وَاللهِ وَلَا سُودَهَا ، فَقَدْ رَأَيْتُ مُلُوكَ حِمْيَرَ فِي مُلْكِهَا ، وَرَأَيْتُ مُلُوكَ غَسَّانَ فِي مُلْكِهَا ، فَمَا رَأَيْتُ أَشَدَّ عِزًّا مِنْهُ . كَانَ ظَهْرُ الْكُوفَةِ يُنْبِتُ الشَّقَائِقَ فَحَمَى ذَلِكَ الْمَكَانَ فَنُسِبَ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ . فَجَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ هُنَاكَ وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أَعْطِنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ ، فَتَأَمَّلَهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُدْنِيَ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكِنَانَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَشَاقِصَ (١) فَجَعَلَ يَجَأُ بِهَا (٢) وَجْهَهُ حَتَّى سَمِعْنَا قَرْعَ الْعِظَامِ وَخُضِّبَ بِالدَّمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَنُحِّيَ . وَمَكَثْنَا مَلِيًّا (٣) فَنَهَضَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أَعْطِنِي فَتَأَمَّلَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ النُّعْمَانُ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ

(١) مشاقص جمع مشقص : وهي السهم (٢) يجأ : يطعن (٣) مليا : فترة من الزمن

وَخلفهِ فقَالَ : ماقولُكمْ فى رَجُلٍ أزرقَ أحمرَ يُذبَحُ على هذهِ الأكمَةِ ؟ أترونَ دمهُ سائلاً حتى يجرِىَ فى هذا الوادِى ؟ فقلنَا لهُ : أنتَ - أبيتَ اللعنَ - أعلى برأيكَ فدعا برجلٍ على هذهِ الصفَةِ فأمرَ بهِ فذُبحَ ثمَّ قالَ : ألا تسألونى عمَّا صنعتُ ؟ فقلنَا : ومَنْ يسألكَ عن أمرِكَ وما تصنعُ ؟ فقالَ : أمَّا الأوّلُ فإنّى خرجتُ معَ أبى نتصيّدُ فمررنا بهِ وهوَ بفناءِ بابهِ وبينَ يديهِ عسٌّ(١) من لبنٍ فتناولتهُ لأشربَ منهُ ، فثارَ إلىَّ فهراقَ الإناءَ فملأَ وجهى وصدرِى فأعطيتُ اللهَ عهدًا لئنْ أمكنَنِى منهُ لأخضبنَّ لحيتَهُ وصدرَهُ من دمِ وجهِهِ . وأمَّا الآخرُ فكانتْ لهُ عندِى يدٌ فكافأتهُ بها . وأمَّا الذِى ذبحتُهُ فإنَّ عينًا لى بالشامِ كتبَ إلىَّ : أنَّ جبلَةَ بنَ الأيهمِ بعثَ إليكَ برجلٍ صفتُهُ كذا وكذا ليقتلَكَ ، فطلبتُهُ فلمْ أقدرْ عليهِ حتى كانَ اليومُ فرأيتُهُ بينَ القومِ فأخذتُهُ . وكانَ عثمانُ بنُ عفانَ - رضىَ اللهُ عنهُ - يقرّبُ أبَا زبيدٍ ويدنِى مجلسَهُ لمعرفتِهِ بسيرِ من أدركهمْ

(١) عس : إناء

مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَتَذَاكَرُوا مَآثِرَ الْعَرَبِ وَأَخْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَخَا تُبَّعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ ، فَقَدْ أُنْبِئْتُ أَنَّكَ تُجِيدُ الشِّعْرَ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ شَحَطُوا (١)

أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيِّقٌ وَلِعُ

وَوَصَفَ فِيهَا الْأَسَدَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ الْأَسَدَ مَا حَيِيتَ ، وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسَبُكَ جَبَانًا هِدَانًا (٢) ، قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَـكِنِّي رَأَيْتُ مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ فِي قَلْبِي ، وَمَعْذُورٌ أَنَا بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَيْنَ كَانَ ذَلِكَ وَأَنَّى ؟ فَقَالَ : خَرَجْتُ فِي صُيَّابَةٍ (٣) مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَفِتْيَانِهِمْ ذَوِي هَيْبَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارَى بِأَكْسَائِهَا وَالْقَيْرَوَانَاتُ عَلَى قُنُوِ (٤) الْبِغَالِ تَسُوقُهَا الْعُبْدَانُ ،

(١) شحطوا : بعدوا (٢) هدانا فى الأغانى : مرابا ، والهدان : الأحمق الثقيل (٣) صيابة : لباب القوم وخيارهم (٤) قنو البغال : ظهورها

وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي شَمِرٍ الْغَسَّانِيَّ مَلِكَ الشَّامِ، فَاخْرَوَّطَ (١) بِنَا السَّيْرُ فِي حَمَارَّةِ (٢) الْقَيْظِ، حَتَّى إِذَا عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ، وَشَالَتِ (٣) الْمِيَاهُ، وَذَكَتِ الْجَوْنَاءُ (٤) وَالْمِعْزَاءُ، وَذَابَ الصَّيْهَبُ (٥) وَصَرَّ (٦) الْجُنْدُبُ، وَضَافَ الْعُصْفُورُ الضَّبَّ فِي وَجْرِهِ، وَجَاوَرَهُ فِي جُحْرِهِ. قَالَ قَائِلٌ: أَيُّهَا الرَّكْبُ تَغَوَّرُوا بِنَا فِي ضَوْجِ (٧) هَذَا الْوَادِي، وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَا لَنَا كَثِيرُ الدَّغَلِ (٨)، دَائِمُ الْغَلَلِ (٩)، صَحْرَاؤُهُ مُغِنَّةٌ (١٠)، وَأَطْيَارُهُ مُرِنَّةٌ، فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنَهْبَلَاتٍ (١١)، وَأَصَبْنَا مِنْ فَضَلَاتِ الْمَزَاوِدِ وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ. فَلَمَّا انْتَصَفَ (١٢) حَرُّ يَوْمِنَا ذَلِكَ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ صَرَّ (١٣)

---

(١) اخروط : طال وامتد (٢) حمارة القيظ : شدة الحر (٣) وفى رواية : سالت المياه يريد كثرة العرق (٤) الجوناء : الشمس ، والمعزاء : الأرض الصلبة الكثيرة الحص وذكت : اتقدت وكانت فى الأصل أذكت (٥) كانت فى الأصل : الصيهد أما الصيهب : فهو الصخرة الصلبة ، والموضع الشديد ، والأرض المستوية ، والحجارة وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوى اللحم عليه (٦) صر : صاح ، والجندب : ضرب من الجراد أو ذكره (٧) ضوج : منعطف الوادى

(٨) الدغل : الشجر الكثير الملتف (٩) الغلل : الماء بين الأشجار

(١٠) مغنة : تمر فيها الريح غير صافية الصوت لكثافة عشبها

(١١) كنهبلات : شجر عظيم (١٢) وفى رواية وإنا لنصف النهار ومماطلته إذ حر (١٣) صر أذنيه : سواها ونصبها للاستماع

أَقْعَى الْخَيْلِ أُذُنَيْهِ ، وَخَصَّ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ ، فَوَاللهِ مَالَبِثَ أَنْ جَالَ ، ثُمَّ حَمْحَمَ فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فِعْلَهُ الَّذِى يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعْضَعَتِ (١) الْخَيْلُ ، وَتَكَعْكَعَتِ (٢) الْإِبِلُ ، وَتَقَهْقَرَتِ الْبِغَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ ، وَشَارِدٍ بِعِقَالِهِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ السَّبُعُ ، فَفَزِعَ كُلٌّ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَسَلَّهُ مِنْ قِرَابِهِ ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا (٣) فَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ أَجَمَتِهِ يَتَظَالَعُ (٤) فِى مِشْيَتِهِ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ ، أَوْفِى وِجَارٍ مَسْجُونٍ ، لِطَرْفِهِ وَمِيضٌ وَلِصَدْرِهِ شَحِيطٌ (٥) ، وَلِبُلْعُومِهِ غَطِيطٌ ، وَلِأَرْسَاغِهِ قَضِيضٌ (٦) كَأَنَّمَا يَخْبِطُ هَشِيمًا ، أَوْ يَطَأُ رَمِيمًا ، لَهُ هَامَةٌ كَالْمِجَنِّ ، وَخَدٌّ كَالْمِسَنِّ ، وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانِ (٧) كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَّقِدَانِ ، وَقَصَرَةٌ (٨) رَبِلَةٌ ، وَلِهْزِمَةٌ (٩) رَهْلَةٌ ، وَكَتَدٌ (١٠) مُغْبَطٌ ، وَزَنْدٌ مُفْرِطٌ ، وَسَاعِدٌ مَجْدُولٌ ، وَعَضُدٌ مَفْتُولٌ ، وَكَفٌّ شَثْنَةٌ (١١) الْبَرَاثِنِ ، إِلَى مَخَالِبَ كَالْمَحَاجِنِ (١٢) ، فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ

---

(١) فتضعضعت الخيل : ذلت وخضعت (٢) تكعكعت الأبل : خافت

(٣) الرزدق : الصف (٤) يتظالع : يتمايل وأبو الحارث : الأسد

(٥) أى صوت (٦) قضيض : صوت (٧) سجراوان اى يخالط بياضهما حمرة

(٨) القصرة : أصل العنق ، وربلة : كثيرة اللحم (٩) اللهزمتان : عظمان ناتئان تحت الأذن (١٠) الكتد : مجتمع الكتفين ، ومعبط : سمين

(١١) شثنة البراثن : غليظة الكف مع الأصابع (١٢) المحجن : العصى المنعطفة

فَأَزْهَجَ (١) ، وَكَشَّرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابٍ كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ ، وَفَمٍ أَشْدَقَ كَالْغَارِ الْأَخْرَقِ ، ثُمَّ تَمَطَّى بِيَدَيْهِ وَحَفَزَ بِوَرِكَيْهِ حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْعَى فَاقْشَعَرَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَاكْفَهَرَّ ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَأَرَّ (٢) ، فَلَا وَذُو (٣) بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَزَارَةَ ، كَانَ ضَخْمَ الْجُزَارَةِ (٤) ، فَوَقَصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَقَضْقَضَ مَتْنَيْهِ وَجَعَلَ يَلَغُ فِي دَمِهِ فَذَمَرْتُ (٥) أَصْحَابِي ، فَبَعْدَ لَأْيٍ مَا اسْتَقْدَمُوا فَجَهْجَهْنَا (٦) بِهِ ، فَكَرَّ مُقْشَعِرًّا بِزُبْرَتِهِ (٧) كَأَنَّ بِهِ نَهَمًا حَوْلِيًّا (٨) فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أَعْجَرَ (٩) ذَا حَوَايَا (١٠) ، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَايَلَتْ بِهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمْهَمَ فَفَرْفَرَ (١١) وَزَفَرَ فَبَرْبَرَ ، ثُمَّ زَادَ فَجَرْجَرَ (١٢) ، ثُمَّ لَحَظَ فَأَشْزَرَ ، فَوَاللهِ لَخِلْتُ الْبَرْقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَمِنْ يَمِينِهِ ، فَأُرْعِشَتِ الْأَيْدِي

---

(١) أى أثار الغبار (٢) ازبأر : غضب (٣) وذو بيته : أى والذى بيته ، قسم (٤) الجزارة بالضم : اليدان والرجلان والرأس (٥) فذمرت أصحابى : أى خضضتهم (٦) فجهجهنا به : صحنا بالأسد لنكفه (٧) بزبرته : بكاهله (٨) نهما حوليا : فى الأصل شحما والمراد أن نهمه أتى عليه الحول (٩) أى سمينا (١٠) الحوايا : الأمعاء والمفرد حوية مستديرة (١١) فرفر : صاح صياحا مختلطاً (١٢) الجرجرة : صوت يتردد فى الجوف

وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ (١) الْأَضْلَاعُ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ، وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ، فَظُنَّتِ الْمَنُونُ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: أَسْكُتْ قَطَعَ اللهُ لِسَانَكَ، فَقَدْ أَرْعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ. وَقَالَ يَصِفُ الْأَسَدَ:

فَبَاتُوا يُدْلِجُونَ وَبَاتَ يَسْرِى
بَصِيرٌ بِالدُّجَى هَادٍ هَمُوسُ (٢)
إِلَى أَنْ عَرَّسُوا وَأَغَبَّ عَنْهُمْ
قَرِيباً مَا يُحَسُّ لَهُ حَسِيسُ
خَلَا أَنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا
حَسِينَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ (٣)
فَلَمَّا أَنْ رَآهُمْ قَدْ تَدَانَوْا
أَتَاهُمْ بَيْنَ (٥) رَحْلِهِمُ يَرِيسُ (٤)
فَثَارَ الزَّاجِرُونَ فَزَادَ قُرْباً
إِلَيْهِمْ ثُمَّ وَاجَهَهُ ضَبِيسُ (٥)

(١) أي سمع لها صوت (٢) يقال أسد هموس: سيار بالليل (٣) فى الاصل حسن به فهن لذا شوس وفى اللسان كما روى وحسين أصلها حسسن قال انها مثل أحست (٤) فى الاصل أتاهم وسط رحلهم يميس ورواية اللسان كما أثبت ومعنى يريس مثل يميس اى تبختر (٥) ضبيس: شكس «عبدالخالق»

بِنَصْلِ السَّيْفِ لَيْسَ لَهُ مِجَنٌّ
فَصَدَّ وَلَمْ يُصَادِفْهُ جَسِيسُ (١)

فَيَضْرِبُ بِالشِّمَالِ إِلَى حَشَاهُ
وَقَدْ نَادَى وَأَخْلَفَهُ الأَنِيسُ

يُشَتِّرُ كَالْمُحَمْلِقِ (٢) فِي عُيُونٍ
تَقِيهِ قَضَّةَ الأَرْضِ الرَّبِيسُ (٣)

نَخَرَّ السَّيْفُ وَاخْتَلَجَتْ يَدَاهُ
وَكَانَ بِنَفْسِهِ وُقِيَتْ نُفُوسُ (٤)

وَطَارَ القَوْمُ شَتَّى وَالْمَطَايَا
وَغُودِرَ فِي مَكَرِّهِمُ الرَّسِيسُ (٥)

وَجَالَ كَأَنَّهُ فَرَسٌ صَنِيعٌ (٦)
يَجُرُّ جِلَالَهُ ذَيْلٌ شَمُوسُ

---

(١) الجسيس : مكان فى جسم السبع يعتبر كمجس لأثر ضربته

(٢) فى الاصل يشمر كالمحالق ويشتر : يقلب جفنه من أعلى إلى أسفل

(٣) الربيس : بمعنى المضروب فاعل يشتر (٤) يريد وكانت نفوس وقيت بنفسه فهو لها فداء (٥) الرسيس : رس الحمى ورسيسها : رعشتها المبتدئة فهم لا يقدرون على الكر . (٦) فرس صنيع : حسن القيام عليه

« عبد الخالق »

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِسَاعِدَيْهِ
عَبِيرًا (١) بَاتَ تَعْبَؤُهُ عَرُوسُ

فَذَلِكَ إِنْ تُلَاقُوهُ تَفَادَوْا
وَيَحْدُثُ عَنْكُمُ أَمْرٌ شَكِيسُ

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: كَانَ لِأَبِي زُبَيْدٍ كَلْبٌ يُقَالُ لَهُ الأَكْدَرُ، وَكَانَ لَهُ سِلَاحٌ يُلْبِسُهُ إِيَّاهُ فَكَانَ لَا يَقُومُ لَهُ الْأَسَدُ، فَخَرَجَ لَيْلَةً وَلَمْ يُلْبِسْهُ سِلَاحَهُ فَلَقِيَهُ الْأَسَدُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ أَبُو زُبَيْدٍ:

أَجَالَ أَكْدَرُ مَشْيًا لَا كَعَادَتِهِ
حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الْبِئْرِ وَالْعَطَنِ

لَاقَى لَدَى ثَلَلِ الْأَطْوَاءِ (٢) دَاهِيَةً
سَرَتْ وَأَكْدَرَ تَحْتَ اللَّيْلِ فِي قَرَنِ (٣)

حَفَّتْ بِهِ شِيمَةٌ وَرْهَاءُ (٤) تَطْرُدُهُ
حَتَّى تَنَاهَى إِلَى الْجَوْلَانِ (٥) فِي سَنَنِ

---

(١) فى الأصل «عبيراً ظل تعنوه عروس»، وما أصلح به هو ما فى اللسان
(٢) الأطواء: موضع (٣) القرن: الحبل يريد أنه والداهية فى قرن
(٤) الورهاء: الحمقاء (٥) الواو مفتوحة فى جولان وسكنت للضرورة

إِلَى مُقَابَلٍ فَتْلِ السَّاعِدَيْنِ لَهُ
فَوْقَ السَّرَاةِ كَذِفْرَى[(١)] الْفَالِجِ الْقَمِنِ
رِبَالُ غَابٍ فَلَا قَحْمٌ[(٢)] وَلَا ضَرَعٌ
كَالْفِيلِ يَخْتَطِمُ الْفَحْلَيْنِ فِي شَطَنِ[(٣)]

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، فَلَامَهُ قَوْمُهُ عَلَى كَثْرَةِ وَصْفِهِ لِلْأَسَدِ وَقَالُوا : قَدْ خِفْنَا أَنْ تَسُبَّنَا الْعَرَبُ بِوَصْفِكَ لَهُ . فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ مَارَأَيْتُ ، أَوْ لَقِيتُمْ مِنْهُ مَا لَقِيَ أَكْدَرُ لَمَا لُمْتُمُونِي ، ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْ وَصْفِهِ فَلَمْ يَصِفْهُ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : كَانَ أَبُو زُبَيْدٍ يُقِيمُ أَكْثَرَ أَيَّامِهِ فِي أَخْوَالِهِ بَنِي تَغْلِبَ ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَرْعَى إِبِلَهُ فَغَزَتْ بَهْرَاءُ وَهُمْ مِنْ قُضَاعَةَ بَنِي تَغْلِبَ ، فَمَرُّوا بِغُلَامِهِ فَدَفَعَ إِلَيْهِمْ إِبِلَ أَبِي زُبَيْدٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمْ يَدُلُّهُمْ عَلَى عَوْرَةِ[(٤)] الْقَوْمِ وَيُقَاتِلُ مَعَهُمْ ، فَهَزَمَتْ تَغْلِبُ بَهْرَاءَ وَقُتِلَ الْغُلَامُ . فَقَالَ أَبُو زُبَيْدٍ فِي ذَلِكَ :

(١) ذفرى : عظم ناتىء خلف الأذن يريد له نتوء كذفرى الخ (٢) قحم : أى كبير السن . (٣) شطن : حبل طويل (٤) عورة القوم : ثغرتهم ومأتاهم

هَلْ كُنْتَ فِى مَنْظَرٍ وَمُسْتَمَعٍ
فِى نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْرَ ذِى فَرَسِ
تَسْعَى إِلَى فِتْيَةِ الْأَرَاقِمِ وَاسْ
تَعْجَلْتَ قَبْلَ الْجُمَانِ (١) وَالْقَبَسِ
فِى عَارِضٍ مِنْ جِبَالِ بَهْرَائِهَا الْ
أُلَى مَرَيْنَ (٢) الْحُرُونَ عَنْ دُرُسِ
فَبَهْرَةٌ إِذْ لَقُوا حَسِبْتَهُمُ
أَحْلَى وَأَشْهَى مِنْ بَارِدِ الدِّبِسِ
لَا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبُهَا
وَلَا هُمُ نُهْزَةٌ لِمُخْتَلِسِ
جُودٌ كِرَامٌ إِذَاهُمُ نُدِبُوا (٣)
غَيْرُ لِئَامٍ ضُجْرٍ وَلَا خُسُسِ
صُمْتٌ عِظَامُ الْحُلُومِ إِنْ سَكَتُوا
مِنْ غَيْرِ عِىٍّ بِهِمْ وَلَا خَرَسِ

---

(١) الجمان كغراب وكتاب : ما اجتمع من ماء الفرس ، يريد تعجلت الموت قبل أن يتم نضجك والقبس ككتف : الفحل السريع الألقاح (٢) مرى الفرس : استثاره ليستنفد مافى وسعه وعن درس : رياضته (٣) رجع إلى وصف تغلب

تَقُودُ أَفْرَاسَهُمْ نِسَاؤُهُمُ
يُزْجُونَ أَجْمَالَهُمْ مَعَ الْغَلَسِ (١)
صَادَفْتَ لَمَّا خَرَجْتَ مُنْطَلِقاً
جَهْمَ الْمُحَيَّا كَبَاسِلٍ شَرِسِ
تَخَالُ فِي كَفِّهِ مُثَقَّفَةً
تَلْمَعُ فِيهَا كَشُعْلَةِ الْقَبَسِ
بِكَفِّ حَرَّانَ ثَائِرٍ بِدَمٍ
طَلَّابِ وِتْرٍ فِي الْمَوْتِ مُنْغَمِسِ
إِمَّا تَقَاذَفْ بِكَ الرِّمَاحُ فَلَا
أَبْكِيكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ (٢)
حَمِدْتُ أَمْرِي وَلُمْتُ أَمْرَكَ إِذْ
أَمْسَكَ جُلْزٌ (٣) السِّنَانِ بِالنَّفَسِ
وَقَدْ تَصَلَّيْتَ حَرَّ نَارِهِمِ
كَمَا تَصَلَّى الْمَقْرُورُ مِنْ قَرَسِ (٤)

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل (٢) المرس : الحبل (٣) الجلز : الحلقة المستديرة فى أعلى السنان (٤) القرس : شدة البرد

تَذُبُّ عنهُ كفٌّ بِهَا رَمَقٌ

طَيْرًا عُكُوفًا كَزُوَّرِ العُرُسِ

عَمَّا قَلِيلٍ عَلَوْنَ جُثَّتَهُ

فَهُنَّ مِنْ وَالِغٍ وَمُنْتَهِسِ (١)

فَلَمَّا بَلَغَ شِعْرُهُ بَنِى تَغْلِبَ بَعَثُوا إِلَيْهِ بِدِيَةِ غُلَامِهِ وَمَا نُهِبَ مِنْ إِبِلِهِ. فَقَالَ فِى ذَلِكَ :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِى عَمْرٍو رَسُولًا

فَإِنِّى فِى مَوَدَّتِكُمْ نَفِيسُ

فَمَا أَنَا بِالضَّعِيفِ فَتَظْلِمُونِى

وَلَا حَقِّ اللفاء (٢) وَلَا خَسِيسُ

أَفِى حَقٍّ مُوَاسَاتِى أَخَاكُمْ

بِمَالِى ثُمَّ يَظْلِمُنِى السَّرِيسُ (٣)

وَحَدَّثَ ابْنُ الأَعْرَابِىِّ قَالَ : كَانَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِىُّ

---

(١) المنتهس : الذى يأخذ اللحم بمقدم أسنانه وينهسه (٢) فى الاصل ولا جاف اللقاء ورواية اللسان كما أصلحت واللفاء بالفاء : الشىء الحقير وبعد البيت فى لسان العرب

ولكنى ضبارمة جموح على الأقران مجترئ جنوس

والضبارمة : الموثق الخلق من الاسد ، والجموح : الماضى الراكب رأسه والجنوس من جنس : بمعنى ظلم (٣) السريس : الذى لايولد له . « عبد الخالق »

نَدِيمًا لِلْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَالِي الْكُوفَةِ مِنْ قِبَلِ عُثْمَانَ ، فَلَمَّا شَهِدُوا عَلَيْهِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَعُزِلَ عَنْ عَمَلِهِ وَخَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ :

مَنْ يَرَى الْعِيرَ لِابْنِ أَرْوَى عَلَى ظَهْـ
ـرِ الْمَرَوْرَى (١) حُدَاتُهُنَّ عِجَالُ
مُصْعِدَاتٍ وَالْبَيْتُ بَيْتُ أَبُو وَهْـ
ـبٍ خَلَاءٌ تَحِنُّ فِيهِ الشَّمَالُ
يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدْ
دَهْرَ فِيهِ النَّكْرَاءُ وَالزِّلْزَالُ
لَيْتَ شِعْرِي كَذَاكُمُ الْعَهْدُ أَمْ كَا
نُوا أُنَاسًا مِمَّنْ يَزُولُ فَزَالُوا ؟
بَعْـــدَ مَا تَعْلَمِينَ يَا أُمَّ زَيْدٍ
كَانَ فِيهِمْ عِزٌّ لَنَا وَجَمَـــالُ
وَوُجُوهٌ بِوُدِّنَا مُشْرِقَاتٌ
وَنَوَالٌ إِذَا أُرِيدَ النَّـــوَالُ

(١) المروري : جمع مروارة : الأرض لا شيء فيها

أَصْبَحَ الْبَيْتُ قَدْ تَبَــدَّلَ بِالْحَيْـ
ـيِ وُجُوهًا كَأَنَّهَا الْأَقْتَالُ (١)

كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَـالُ فِيهِ الرِّجَالُ
غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا احْتِيَـالُ

وَلَعَمْـرُ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ لِلسَّيْـ
ـفِ مَصَالٌ أَوْ لِلِّسَانِ مَقَـالُ

مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَـاءَ وَلَا الْوُدْ
دَ وَلَا حَالَ دُونَكَ الْأَشْغَالُ

وَلَحَرَّمْتُ لَحْمَـكَ الْمُتَعَضَّى
ضَلَّةً ضَلَّ حِلْمُهُمْ مَا اقْتَالُوا

قَوْلُهُمْ شُرْبُكَ الْحَرَامَ وَقَدْ كَا
نَ شَرَابًا سِوَى الْحَرَامِ حَلَالُ

وَأَبَى الظَّـاهِرُ الْعَدَاوَةِ إِلَّا
شَنَآنًا وَقَوْلَ مَا لَا يُقَـالُ

(١) الأقتال : الأعداء ، جمع قتل بالكسر

مِنْ رِجَالٍ تَقَارَضُوا مُنْكَرَاتٍ
لِيَنَالُوا الَّذِى أَرَادُوا فَنَالُوا
غَيْرَ مَا طَالِبِينَ ذَحْلًا(١) وَلَكِنْ
مَالَ دَهْرٌ عَلَى أُنَاسٍ فَمَالُوا
مَنْ يَخُنْكَ الصَّفَاءَ أَوْ يَتَبَدَّلْ
أَوْ يَزُلْ مِثْلَ مَا تَزُولُ الظِّلَالُ
فَاعْلَمَنْ أَنَّنِى أَخُوكَ أَخُو الْوُدْ
دِ حَيَاتِى حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بُخْلٌ(٢) عَلَيْكَ عِنْدِى بِمَالٍ
أَبَدًا مَا أَقَلَّ نَعْلًا قِبَالُ(٣)
وَلَكَ النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَفْ
فِ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ

وَلِأَبِى زُبَيْدٍ فِى مَدْحِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ شِعْرٌ كَثِيرٌ تَرَكْنَاهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ ، وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِ :

(١) الذحل : الثأر (٢) وفى الاغانى : بخلا (٣) القبال من النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها

إِنَّ نَيْلَ الْحَيَاةِ غَيْرُ سُعُودِ
وَضَلَالٌ تَأْمِيلُ نَيْـلِ الْخُلُودِ

عُلِّلَ الْمَرْءُ بِالْأَمَانِي وَيُضْحِي
غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصْبًا لِعُودِ

كُلَّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنْهَا بِرَشْقٍ
فَمُصِيبٌ أَوْصَالَ غَيْرِ بَعِيـدِ

كُلُّ مَيْتٍ قَدِ اغْتَفَرْتُ[1] فَلَا وَا
جِعَ مِنْ وَالِدٍ وَمِنْ مَوْلُودِ

غَيْرَ أَنَّ الْجُلَاحَ[2] هَدَّ جَنَاحِي
يَوْمَ فَارَقْتُهُ بِأَعْلَى الصَّعِيـدِ

وَكَانَ أَبُو زُبَيْدٍ يُحْمَلُ فِي كُلِّ أَحَدٍ إِلَى الْبِيَعِ[3] مَعَ النَّصَارَى، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمَ أَحَدٍ يَشْرَبُ وَالنَّصَارَى حَوْلَهُ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَنَظَرَ نَظَرًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَمَى الْكَأْسَ مِنْ يَدِهِ فَقَالَ:

(١) فى الاصل « اغترفت » (٢) الجلاح : اسم رجل

(٣) البيع جمع بيعة : معبد النصارى

إِذَا جُعِلَ الْمَرْءُ الَّذِي كَانَ حَازِمًا
يُحَلُّ بِهِ حَلَّ الْحُوَارِ (١) وَيُحْمَلُ
نَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ يُرِيدُهُ
وَتَكْفِينُهُ مَيْتًا أَعَفُّ وَأَجْمَلُ
أَتَانِي رَسُولُ الْمَوْتِ يَامَرْحَبًا بِهِ
وَإِنِّي لَآتِيهِ أَمَا سَوْفَ أَفْعَلُ

ثُمَّ مَاتَ فَجْأَةً وَدُفِنَ هُنَاكَ (٢) .

٢٢ — حَفْصٌ الْأُمَوِيُّ مَوْلَاهُمْ *

حفص الأموي

شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، عَاشَ حَتَّى أَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَلَحِقَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ فَاسْتَأْمَنَهُ ، فَهُوَ مِنْ مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى كُثَيِّرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْرُوفِ بِكُثَيِّرِ عَزَّةَ الشَّاعِرِ يَرْوِي عَنْهُ شِعْرَهُ ، وَكَانَ هَجَّاءً لِبَنِي هَاشِمٍ ، فَطَلَبَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ،

---

(١) الحوار : ولد الناقة من حين الرضاعة حتى الفطام يريد أنه يعامل معاملة الصغير الرضيع (٢) قد مر تبديل وتغيير فى شعر ونثر أبى حرملة وكل هذا تم بعملى وكذا ما شرح « عبد الخالق »

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

ثُمَّ جاءَهُ حفصٌ مُسْتأْمِنًا فقَالَ : أَنَا عَائِذٌ بِالْأَمِيرِ ، فقَالَ لَهُ وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ حفصٌ الْأُمَوِىُّ ، فَقَالَ أَنْتَ الْهجَّاءُ لِبَنِي هَاشِمٍ ؟ فقَالَ أَنَا الَّذِى أَقُولُ — أَعزَّ اللهُ الْأَمِيرَ — :

وَكَانَتْ أُمَيَّةُ فِى مُلْكِهَا
تَجُورُ وَتُكْثِرُ عُدْوَانَهَا

فَلمَّا رَأَى اللهُ أَنْ قَدْ طَغَتْ
وَلَمْ يَحْمِلِ النَّاسُ طُغْيَانَهَا

رَمَاهَا بِسَفَّاحِ آلِ الرَّسُولِ
فَجَذَّ (١) بِكَفَّيْهِ أَعْيانَهَا

وَلَوْ آمَنَتْ قَبْلَ وَقْعِ الْعَذَابِ
لَقَدْ يَقْبَلُ اللهُ إِيمَانَهَا

فَلمَّا أَتَمَّ الْإِنْشَادَ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ اجْلِسْ ، فَجَلَسَ فَتَغَدَّى بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا عَبْدُ اللهِ خَادِمًا لَهُ فَسَارَّهُ بِشَىْءٍ فَفَزِعَ حفصٌ وَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، قَدْ تَحَرَّمْتُ بِكَ وَبِطَعَامِكَ

(١) جذ : قطع

وَفِى أَقَلَّ مِنْ هَـذَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَهَبُ الدِّمَاءَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ لَيْسَ شَىْءٌ مِمَّا ظَنَنْتَ، فَجَاءَ الْخَادِمُ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ فَقَالَ خُذْهَا وَلَا تَقْطَعْنَا، وَأَصْلِحْ مَا شَعَثْتَ[1] مِنَّا. وَرَوَى ابْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ يَوْمًا لِقُوَّامِهِ عَلَى خَيْلِهِ: كَمْ أَكْثَرُ مَاضَمَّتْ حَلْبَةٌ مِنَ الْخَيْلِ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ؟ قَالُوا: أَلْفُ فَرَسٍ وَقِيلَ أَلْفَانِ، فَأَمَرَ أَنْ يُؤْذَنَ بِالنَّاسِ بِحَلْبَةٍ تَضُمُّ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَرَسٍ، فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: يُحَطِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَلَا يَتَّسِعُ لَهَا طَرِيقٌ، فَقَالَ: نُطْلِقُهَا وَنَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ، وَاللهُ الصَّانِعُ. فَجَعَلَ الْغَايَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتَىْ غَلْوَةٍ[2]، وَالْقَصَبَ مِائَةً، وَالْمِقْوَسَ[3] سِتَّةَ أَسْهُمٍ، وَقَادَ إِلَيْهِ النَّاسَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، ثُمَّ بَرَزَ هِشَامٌ إِلَى دَهْنَاءِ الرُّصَافَةِ قُبَيْلَ الْحَلْبَةِ بِأَيَّامٍ، فَأَصْلَحَ طَرِيقًا وَاسِعًا لَا يَضِيقُ بِهَا، فَأُرْسِلَتْ يَوْمَ الْحَلْبَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا تَدُورُ حَتَّى تَرْجِعَ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَتَرَاءَوْنَهَا[4] حَتَّى

(١) شعث: فرق (٢) الغلوة: مقدار رمية السهم وقيل ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة

(٣) المقوس كمنبر: الميدان الذى تجرى فيه الخيل ومعنى ستة أسهم أى سعته مرمى ستة أسهم (٤) يتراءونها: ينظرون فيها ويتأملونها «عبد الخالق»

أَقبلَ الزَّابِدُ[١] كَأَنَّه رِيحٌ لَا يَتَعلَّقُ بِهِ شَىْءٌ حَتَّى دَخَل سَابِقًا وأَخَذَ القصبَةَ، ثُمَّ جاءَتِ الْخَيْلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَفْذاذًا[٢] وأَفواجًا، ووَثَبَ الرُّجَّازُ يَرْتَجِزُونَ، مِنْهُمُ الْمَادِحُ لِلزَّابِدِ، وَمِنْهُمُ الْمَادِحُ لِفَرَسِهِ، وَمِنْهُمُ الْمَادِحُ لِخَيْلِ قَوْمِهِ، فَوَثَبَ حفصٌ الأُمَوِىُّ مَوْلَاهُمْ وَقَامَ مُرْتَجِزًا يَقُولُ:

إِنَّ الْجَوَادَ السَّابِقَ الإِمَامُ
خَلِيفَةُ اللهِ الرِّضِى الْهُمَامُ
أَنْجَبَهُ السَّوَابِقُ الْكِرَامُ
مِن مُنْجِبَاتٍ مَالَهُنَّ ذَامُ
كَرَائِمٌ يُجْلَى بِهَا الظَّلَامُ
أُمٌّ هِشَامٍ جَدُّهَا الْقَمْقَامُ
وَعَائِشٌ[٣] يَسْمُو بِهَا الأَقْوَامُ
خَلَائِفٌ مِنْ نَجْلِهَا أَعْلَامُ

---

(١) الزابد : اسم فرس (٢) أفذاذ : أفرادا (٣) يريد : عائشة

إِنَّ هِشَاماً جَدُّهُ هِشَامُ
مُقَابَلٌ مُدَابَرٌ هَضَّامُ (١)
جَرَى بِهِ الْأَخْوَالُ وَالْأَعْمَامُ
نَحْلٌ كَفَحْلٍ كُلُّهُمْ قُدَّامُ
سَنُّوا لَهُ السَّبْقَ وَمَا اسْتَقَامُوا (٢)
حَتَّى اسْتَقَامَ حَيْثُمَا اسْتَقَامُوا
وَأَحْرَزَ الْمَجْدَ الَّذِى أَقَامُوا
أَطَاقَ وَهْوَ يَفَعٌ (٣) غُلَامُ
فِى حَلْبَةٍ تَمَّ لَهَا التَّمَامُ
مِنْ آلِ فِهْرٍ وَهُمُ السَّنَامُ
فَبَذَّهَا مُسْبِقاً وَمَا أَلَامُوا (٤)
كَذَلِكَ الزَّائِدُ يَوْمَ قَامُوا
أَتَى بِبَذِّ الْخَيْلِ مَا يُرَامُ
مُجَلِّياً كَأَنَّهُ حُسَامُ

---

(١) هضام : هجام (٢) وما استقاموا ما موصولة فالمعنى الذى استقاموا عليه
(٣) يفع : ترعرع وناهز البلوغ (٤) ألاموا : أتوا ما يلامون عليه

سَبَّاقُ غَايَاتٍ لَهَا ضِرَامُ
لَا يَقْبَلُ الْعَفْوَ (١) وَلَا يُضَامُ

وَيْلُ الْجِيَادِ مِنْهُ مَاذَا رَامُوا
سَهْمٌ تَقِرُّ دُونَهُ السِّهَامُ

فَأَعْطَاهُ هِشَامٌ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ حُلَلٍ مِنْ جَيِّدِ وَشْيِ الْيَمَنِ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ خَيْلِهِ السَّوَابِقِ، وَانْصَرَفَ مَعَهُ يُنْشِدُهُ هَذَا الرَّجَزَ حَتَّى قَعَدَ فِي مَجْلِسِهِ، وَأَمَرَهُ بِمُلَازَمَتِهِ. فَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَهُ، وَقَالَ حَفْصٌ أَيْضًا:

لَا خَيْرَ فِي الشَّيْخِ إِذَا مَا أُجْلِخَا (٢)
وَسَالَ غَرْبُ دَمْعِهِ فَلَخَّا (٣)

وَكَانَ أُكْلًا كُلُّهُ وَشَخَّا
تَحْتَ رِوَاقِ الْبَيْتِ يَخْشَى الدَّخَّا (٤)

---

(١) العفو : الصفح كناية عن أنه لا يفعل ما يؤخذ به ثم يكون العفو عنه
(٢) اجلخ الشيخ : ضعف وفترت أعضاؤه (٣) لخ : كثر دمعه
(٤) الدخ : الدخان

﴿ ٢٣ – حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ * ﴾

حفص بن سليمان الكوفى

أَبُو عُمَرَ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ الْفَاخِرِيُّ

(*) ترجم له فى كتاب طبقات القراء جزء أول بما يأتى قال :

هو ابن الأسدى الكوفى الفاخرى يعرف بحفيص . قال الذهبي : أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله فى الحديث . قلت : يشير إلى أنه تكلم فيه من جهة الحديث ، قال ابن المنادى : قرأ على عاصم مراراً ، وكان الأولون يعدونه فى الحفظ فوق أبى بكر ابن عياش ويصفونه بضبط الحروف التى قرأها على عاصم ، وأقرأ الناس دهراً وكانت القراءة التى أخذها عن عاصم ترتفع إلى على رضى الله عنه ، قلت : يشير إلى ما روينا عن حفص أنه قال : قلت لعاصم أبو بكر يخالفنى . فقال : أقرأتك بما أقرأنى أبو عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب ، وأقرأته بما أقرأنى زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود وروينا عن حمزة بن القاسم الأحول ذلك بمعناه ، قال ابن مجاهد : بينه وبين أبى بكر من الخلف فى الحروف خمسمائة وعشرون حرفا فى المشهور عنهما ، وذكر حفص أنه لم يخالف عاصما فى شىء من قراءته إلا فى حرف الروم « الله الذى خلقكم من ضعف » قرأها بالضم وقرأها عاصم بالفتح ، روى القراءة عنه عرضاً حسين بن محمد المروزى ، وحمزة بن القاسم الأحول ، وسليمان بن داود الزاهرانى ، وحمدان بن أبى عثمان الدقاق ، والعباس بن الفضل الصفار ، وعبد الرحمن بن محمد بن واقد ، ومحمد بن الفضل زرقان ، وخلف الحداد ، وعمرو بن الصباح ، وعبيد بن الصباح ، وهبيرة بن محمد التمار ، وأبو شعيب القواس ، والفضل بن يحيى بن شاهي بن فراس الانبارى ، وحسين ابن على الجعفى ، وأحمد بن جبير الأنطاكى ، وسليمان الفقيمى

توفى سنة ثمانين ومائة على الصحيح ، وقيل بين الثمانين والتسعين ، فأما ما ذكره أبو طاهر بن أبى هاشم وغيره من أنه توفى قبل الطاعون بقليل ، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة ، فذاك حفص بن سليمان المنقرى بصرى من أقران أيوب السختيانى قديم الوفاة ، فكأنه تصحيف عليهم والله أعلم .

الْبَزَّازُ نِسْبَتُهُ لِبَيْعِ الْبَزِّ(١) ، هُوَ الْإِمَامُ الْقَارِئُ رَاوِى عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ ، كَانَ رَبِيبَ عَاصِمٍ « ابْنَ زَوْجَتِهِ » فَأَخَذَ عَنْهُ الْقِرَاءَةَ عَرْضاً وَتَلْقِيناً . قَالَ حَفْصٌ : قَالَ لِى عَاصِمٌ : الْقِرَاءَةُ الَّتِي أَقْرَأْتُكَ بِهَا فَهِيَ الَّتِي قَرَأْتُهَا عَرْضاً عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ ، وَالَّتِي أَقْرَأْتُهَا أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ فَهِيَ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِضُهَا عَلَى زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ . وُلِدَ حَفْصٌ سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَنَزَلَ بَغْدَادَ فَأَقْرَأَ بِهَا وَأَخَذَ عَنْهُ النَّاسُ قِرَاءَةَ عَاصِمٍ تِلَاوَةً ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ فَأَقْرَأَ بِهَا أَيْضاً . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ مِنْ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ رِوَايَةُ حَفْصٍ ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِقِرَاءَةِ عَاصِمٍ ، وَكَانَ مُرَجَّحاً عَلَى شُعْبَةَ بِضَبْطِ الْقِرَاءَةِ ، تُوُفِّيَ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .

﴿ ٢٤ – حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ * ﴾

حفص بن عمر البغدادى

ابْنِ صُهْبَانَ بْنِ عِيسَى بْنِ صُهْبَانَ ، وَيُقَالُ صُهَيْبٌ

(١) البز : ثياب من كتان أو قطن

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين بما يأتى قال :

قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع وقرأ أيضاً على أخيه يعقوب بن جعفر —

أَبُو عُمَرَ الدُّورِىُّ الأَزْدِىُّ الْبَغْدَادِىُّ الْمُقْرِئُ النَّحْوِىُّ الضَّرِيرُ نَزِيلُ سَامَرَّا ، رَاوِى الإِمَامَيْنِ أَبِى عَمْرٍو وَالْكِسَائِىِّ ، إِمَامُ الْقُرَّاءِ وَشَيْخُ الْعِرَاقِ فِى زَمَانِهِ ، ثِقَةٌ ثَبْتٌ كَبِيرٌ ضَابِطٌ ، رَحَلَ فِى طَلَبِ الْقِرَاءَاتِ ، وَقَرَأَ بِالْحُرُوفِ السَّبْعَةِ وَبِالشَّوَاذِّ وَسَمِعَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيراً ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِى عَمْرِو ابْنِ الْعَلَاءِ وَالْكِسَائِىِّ وَرَوَى عَنْهُمَا ، وَقَرَأَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَبِى مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ الْيَزِيدِىِّ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ : رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَكْتُبُ عَنْ أَبِى عُمَرَ الدُّورِىِّ . وَصَنَّفَ كِتَابَ : مَا اتَّفَقَتْ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَكِتَابَ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَالدُّورِىُّ نِسْبَتُهُ إِلَى

— وغيرهما ، وروى القراءة عنه أحمد بن حرب شيخ المطوعين ، وأحمد بن فرح بالحاء المهملة أبو جعفر المفسر المشهور وغيرهما ، وروى عن إسماعيل بن عياش ، وأبى معاوية الضرير ، وابن عيينة ، ومحمد بن مروان السدى ، وأحمد ، وهو من أقرانه ، وروى عنه ابن ماجة فى سننه ، وأبو حاتم وقال : صدوق ، وطال عمره ، وقصد من الآفاق وازدحم عليه من الآفاق الحذاق ، لعلو سنده وسعة علمه . توفى فى شوال سنة ست وأربعين ومائتين قال الذهبى : وغلط من قال : سنة ثمان وأربعين . وله من التصانيف : أحكام القرآن والسنن ، وفضائل القرآن وترجم له أيضا فى كتاب طبقات القراء جزء أول

الدَّوْرِ: مَوْضِعٌ بِبَغْدَادَ وَمَحَلَّةٌ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، تُوُفِّيَ أَبُو عُمَرَ الدَّوْرِيُّ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

﴿ ٢٥ – أَبُو حَفْصٍ الزَّكْرَمِيُّ الْعَرُوضِيُّ * ﴾

أبو حفص العروضى

الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ فِي مُعْجَمِ الشُّعَرَاءِ: أَنْشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ ذَرْبَانُ بْنُ عَتِيقِ بْنِ تَمِيمٍ الْكَاتِبُ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو حَفْصٍ الزَّكْرَمِيُّ بِإِفْرِيقِيَّةَ مِمَّا قَالَهُ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ طُولِبَ بِمَكْسٍ (١) يَتَوَلَّاهُ يَهُودِيٌّ

يَا أَهْلَ دَانِيَةٍ لَقَدْ خَالَفْتُمُ
حُكْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْمُرُوءَةِ فِينَا
مَالِي أَرَاكُمْ تَأْمُرُونَ بِضِدِّ مَا
أُمِرَتْ تُرَى (٢) نَسَخَ الْإِلَهُ الدِّينَا
كُنَّا نُطَالِبُ لِلْيَهُودِ بِجِزْيَةٍ (٣)
وَأَرَى الْيَهُودَ بِجِزْيَةٍ طَلَبُونَا

(١) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق. والظلم، والمماكسة فى البيع: المشاقة — (٢) ترى: مبنى للمجهول: أى تظن

(٣) الجزية: الاتاوة التى تؤخذ من أهل الذمة

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ما ذكره ياقوت

مَا إِنْ سَمِعْنَا مَالِكًا أَفْتَى بِذَا
كَلَّا وَلَا مِنْ بَعْدِهِ سَحْنُونَا
لَا هَؤُلَاءِ وَلَا الْأَئِمَّةُ كُلُّهُمْ
حَاشَاهُمُ بِالْمَكْسِ قَدْ أَمَرُونَا
أَيَجُوزُ مِثْلِي أَنْ يُمَكَّسَ عِدْلُهُ (١)
لَوْ كَانَ يَعْدِلُ وَزْنُهُ قَاعُونَا (٢)
وَلَقَدْ رَجَوْنَا أَنْ نَنَالَ بِعَدْلِكُمْ
رِفْداً (٣) يَكُونُ عَلَى الزَّمَانِ مُعِيناً
فَالْآنَ نَقْنَعُ بِالسَّلَامَةِ مِنْكُمُ
لَا تَأْخُذُوا مِنَّا وَلَا تُعْطُونَا

« ٢٦ – حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرَّكُونِيِّ * »

حفصة بنت الحاج الركونى

شَاعِرَةٌ أَدِيبَةٌ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ ، مَشْهُورَةٌ بِالْحَسَبِ

---

(١) : العدل : الحمل والجوالق — (٢) قاعون : اسم جبل بالأندلس قرب دانية شاهق يرى من مسيرة يومين . (٣) الرفد : العطاء

(*) ترجم لها فى كتاب الأعلام جزء أول صفحة ٢٦٥ بما يأتى قال : هى شاعرة انفردت فى عصرها بالتفوق فى الأدب والظرف والحسن وسرعة الخاطر بالشعر . وهى من أهل غرناطة . ووفاتها بمراكش . نعتها ابن —

وَالْأَدَبِ وَالْجَمَالِ وَالْمَالِ . جَيِّدَةُ الْبَدِيهَةِ رَقِيقَةُ الشِّعْرِ أُسْتَاذَةٌ وُلِّيَتْ تَعْلِيمَ النِّسَاءِ فِي دَارِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَسَأَلَهَا يَوْمًا أَنْ تُنْشِدَهُ فَقَالَتِ ارْتِجَالًا :

يَا سَيِّدَ النَّاسِ يَامَنْ يُؤَمِّلُ النَّاسُ رِفْدَهُ
أُمْنُنْ عَلَيَّ بِطِرْسٍ (١) يَكُونُ لِلدَّهْرِ عُدَّهْ
تَخُطُّ يُمْنَاكَ فِيهِ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهْ

أَشَارَتْ بِذَلِكَ إِلَى الْعَلَامَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ كَانَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ فِي رَأْسِ الْمَنْشُورِ بِخَطٍّ غَلِيظٍ « الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ » فَمَنَّ عَلَيْهَا وَكَتَبَ لَهَا بِيَدِهِ مَاطَلَبَتْ ، وَتَوَلَّعَ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ الْمَذْكُورُ ، وَتَغَيَّرَ بِسَبَبِهَا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ

— بشكوال بأستاذة وقتها ، وكانت تعلم النساء فى دار المنصور ولها معه أخبار . وترجم لها فى كتاب الاحاطة فى تاريخ غرناطة جزء أول

(١) فى الاحاطة بأخبار غرناطة : « بصك »

الْعَنْسِيُّ ، وَكَانَ عَاشِقاً لَهَا مُتَّصِلاً بِهَا يَتَبَادَلَانِ رَسَائِلَ الْغَرَامِ ، وَيَتَجَاوَبَانِ تَجَاوُبَ الْحَمَامِ ، وَقَدْ أَدَّى وَلَعُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِهَا إِلَى قَتْلِ أَبِي جَعْفَرٍ . وَمِمَّا كَتَبَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ :

رَأَسْتَ فَمَا زَالَ الْعُدَاةُ بِظُلْمِهِمْ
وَحِقْدِهِمُ النَّامِي يَقُولُونَ لِمْ رَأَسْ ؟
وَهَلْ مُنْكَرٌ أَنْ سَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ
جَمُوحٌ إِلَى الْعَلْيَا نَقِيٌّ مِنَ الدَّنَسِ ؟

وَبَاتَ مَعَهَا أَبُو جَعْفَرٍ فِي بُسْتَانٍ بِحَوْزِ مُؤَمَّلٍ ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ التَّفَرُّقِ قَالَ :

رَعَى اللهُ لَيْــــلاً لَمْ يُرَعْ بِمُذَمَّمٍ
عَشِيَّةَ وَارَانَا بِحَوْزِ مُؤَمَّــــلِ
وَقَدْ خَفَقَتْ مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرِيجَةٌ (١)
إِذَا نَفَحَتْ جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ

(١) أريجة : الأرج والأريج : توهج ريح الطيب

وَغَرَّدَ قُمْرِىٌّ (١) عَلَى الدَّوْحِ وَانْثَنَى
قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ مِنْ فَوْقِ جَدْوَلِ
يُرَى الرَّوْضُ مَسْرُوراً بِمَا قَدْ بَدَا لَهُ
عِنَاقٍ وَضَمٍّ وَارْتِشَافِ مُقَبَّلِ (٢)

فَقَالَتْ :

لَعَمْرُكَ مَا سُرَّ الرِّيَاضُ بِوَصْلِنَا
وَلَـكِنَّهُ أَبْدَى لَنَا الْغِلَّ وَالْحَسَدْ
وَلَا صَفَّقَ النَّهْرُ ارْتِيَاحاً لِقُرْبِنَا
وَلَا غَرَّدَ الْقُمْرِىُّ إِلَّا لِمَا وَجَدْ
فَلَا تُحْسِنِ الظَّنَّ الَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ
فَمَا هُوَ فِى كُلِّ الْمَوَاطِنِ بِالرَّشَدْ
فَمَا خِلْتُ هٰذَا الْأُفْقَ أَبْدَى نُجُومَهُ
لِأَمْرٍ سِوَى كَيْمَا يَكُونَ لَنَا رَصَدْ

(١) القمرى : ضرب من الحمام (٢) المقبل : الفم

وَقَالَتْ :

سَلُوا الْبَارِقَ الْخَفَّاقَ وَاللَّيْلُ سَاكِنٌ

أَظَلَّ بِأَحْبَابِي يُذَكِّرُنِي وَهْنَا (١)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَهْدَى لِقَلْبِي خُفُوقَهُ

وَأَمْطَرَ كَالْمُنْهَلِّ مِنْ مُزْنِهِ الْجَفْنَا

وَبَلَغَهَا أَنَّ أَبَا جَعْفَرِ بْنَ سَعِيدٍ عَلِقَ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ فَأَقَامَ مَعَهَا أَيَّاماً فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

يَا أَظْرَفَ النَّاسِ قَبْلَ حَالٍ

أَوْقَعَهُ وَسْطَهُ (٢) الْقَدَرْ

عَشِقْتَ سَوْدَاءَ مِثْلَ لَيْلٍ

بَدَائِعَ الْحُسْنِ قَدْ سَتَرْ

لَا يَظْهَرُ الْبِشْرُ فِي دُجَاهَا

كَلَّا وَلَا يُبْصَرُ الْخَفَرْ (٣)

---

(١) الوهن : الوقت من الليل نحو ثلثه كنت أود بات بدل ظل « عبد الخالق »

(٢) فى الاحاطة : نحوه (٣) الخفر : شدة الحياء

بِاللهِ قُلْ لِى وَأَنْتَ أَدْرَى
بِكُلِّ مَنْ هَامَ[1] فِى الصُّوَرْ
مَنِ الَّذِى حَبَّ قَبْلُ رَوْضًا
لَا نَوْرَ فِيهِ وَلَا زَهَرْ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهَا مُعْتَذِرًا :

لَا حُكْمَ إِلَّا لِأَمْرِ نَاهٍ
لَهُ مِنَ الذَّنْبِ يُعْتَذَرْ
لَهُ مُحَيًّا بِهِ حَيَاتِى
أُعِيذُ مَجْلَاهُ بِالسُّوَرْ
كَضَحْوَةِ الْعِيدِ فِى ابْتِهَاجٍ
وَطَلْعَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرْ
بِسَعْدِهِ لَمْ أَمِلْ إِلَيْهِ
إِلَّا طَرِيفًا لَهُ خَبَرْ
عَدِمْتُ صُبْحِى فَاسْوَدَّ عِشْقِى
وَانْعَكَسَ الْفِكْرُ وَالنَّظَرْ

(١) فى الاحاطة : هام فى جنان الخ

إِنْ لَمْ تَلُحْ يَا نَعِيمَ رُوحِي
فَكَيْفَ لَا تَفْسُدُ الفِكَرْ ؟

وَكَتَبَتْ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهَا :

أَزُورُكَ أَمْ تَزُورُ فَإِنَّ قَلْبِي
إِلَى مَا تَشْتَهِي أَبَداً يَمِيلُ
فَثَغْرِي مَوْرِدٌ عَذْبٌ زُلَالٌ
وَفَرْعُ ذُؤَابَتِي ظِلٌّ ظَلِيلُ
وَهَلْ تَخْشَى بِأَنْ تَظْمَأَ وَتَضْحَى (١)
إِذَا وَافَى إِلَيْكَ بِيَ الْمَقِيلُ
فَعَجِّلْ بِالْجَوَابِ فَمَا جَمِيلٌ
إِبَاؤُكَ عَنْ بُثَيْنَةَ يَا جَمِيلُ (٢)

وَكَانَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ سَعِيدٍ يَوْماً فِي مَنْزِلِهِ ، وَقَدْ خَلَا بِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ ، فَضُرِبَ الْبَابُ فَخَرَجَتْ جَارِيَتُهُ تَنْظُرُ مَنْ بِالْبَابِ ؟ فَوَجَدَتِ امْرَأَةً فَقَالَتْ لَهَا :

(١) تضحى : يصيبك حر الشمس فيؤذيك ، والمقيل : وقت القيلولة

(٢) هذا ضرب من البديع اسمه التلميح فأن فى الشعر إشارة إلى حال بثينة مع جميل

مَا تُرِيدِينَ ؟ فَقَالَتْ : اُدْفَعِي لِسَيِّدِكِ هَـذِهِ الْبِطَاقَةَ ، فَاذَا فِيهَا :

زَائِرٌ قَدْ أَتَى بِجِيـــدِ غَزَالِ
طَامِعٌ مِنْ مُحِبِّـهِ بِالْوِصَالِ
بِلِحَاظٍ مِنْ سِحْرِ بَابِلَ صِيغَتْ
وَرُضَابٍ يَفُوقُ بِنْتَ الدَّوَالِي (١)
يَفْضَحُ الْوَرْدَ مَا حَوَى مِنْـهُ خَدٌّ
وَكَذَا الثَّغْرُ فَاضِحٌ لِلَّآلِي
أَتُرَاكُمْ بِإِذْنِكُمْ مُسْعِفِيهِ
أَمْ لَكُمْ شَاغِلٌ مِنَ الْأَشْغَالِ ؟؟

فَلَمَّا قَرَأَ الرُّقْعَةَ قَالَ : وَرَبِّ الْكَعْبَةِ مَا صَاحِبُ هَذِهِ الرُّقْعَةِ إِلَّا حفصة ، فبَادَرَ إِلَى الْبَابِ فَلَمْ يَجِدْهَا فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

أَيُّ شُغْلٍ عَنِ الْمُحِبِّ يَعُوقُ
يَا صَبَاحاً قَدْ آنَ مِنْهُ الشُّرُوقُ ؟

(١) الدوالى : العنب وهذا كناية عن الخمر

صِلْ وَوَاصِلْ فَأَنْتَ أَشْهَى إِلَيْنَا

مِنْ لَذِيذِ الْمُنَى فَكَمْ ذَا نَشُوقُ ؟

لَا وَحُبِّيكِ لَا يَطِيبُ صَبُوحٌ

غِبْتِ عَنْهُ وَلَا يَطِيبُ غَبُوقُ (١)

لَا وَذُلِّ الْجَفَا وَعِزِّ التَّلَاقِى

وَاجْتِمَاعٍ إِلَيْهِ عَزَّ الطَّرِيقُ (٢)

وَقَالَتْ :

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنِى وَقَلْبِى

وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِكَ وَالْمَكَانِ

وَلَوْ أَنِّى جَعَلْتُكَ فِى عُيُونِى

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِى

مَاتَتْ حَفْصَةُ بِمَرَّاكُشَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

---

(١) فى الاحاطة : عرفا إن جفوتنا أو غبوق . والغبوق : شراب المساء

(٢) جواب القسم فى هذا البيت مفهوم من البيت قبله

٢٧ – الْحَكَمُ بْنُ عَبْدَلِ بْنِ جَبَلَةَ *

الحكم بن عبدل الكوفى

ابْنِ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ عِقَالِ بْنِ بِلَالِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حِبَالِ بْنِ نَصْرِ بْنِ غَاضِرَةَ ، وَيَنْتَهِى نَسَبُهُ إِلَى خُزَيْمَةَ ابْنِ مُدْرِكَةَ ، الْأَسَدِيُّ الْفَاخِرِيُّ الْكُوفِيُّ ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ هَجَّاءٌ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، كَانَ مِمَّنْ نَفَاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْعِرَاقِ كَمَا نَفَى مِنْهَا عُمَّالَ بَنِى أُمَيَّةَ ، فَقَدِمَ دِمَشْقَ وَنَالَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حُظْوَةً فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَيَسْمُرُ (١) عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَيْلَةً لِعَبْدِ الْمَلِكِ :

(١) يسمر : يتحدث ليلا

(*) ترجم له فى كتاب الأعلام جزء أول صفحة ٢٦٦ بما يأتى قال :
هو ابن جبلة بن عمرو الأسدى : شاعر مقدم ، هجاء ، من شعراء بنى أمية . كان أعرج أحدب ثم أقعد فى آخر أيامه . مولده ومنشؤه بالكوفة ، ولما استولى ابن الزبير على العراق ونفى منها عمال بنى أمية نفاه معهم . قال صاحب الأغانى : كان الحكم أعرج لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يؤخر له رسول ولا تحبس عنه حاجة ثم جعل يكاتب الأمراء بما يحتاج إليه فى الرقاع

وترجم له فى كتاب الاغانى جزء ثان

وترجم له فى كتاب تهذيب ابن عساكر جزء رابع

وترجم له فى كتاب فوات الوفيات جزء أول

يَا لَيْتَ شِعْرِى وَلَيْتٌ رُبَّمَا نَفَعَتْ

هَلْ أُبْصِرَنَّ بَنِي الْعَوَّامِ قَدْ شُمِلُوا(١)

بِالذُّلِّ وَالْأَسْرِ وَالتَّشْرِيدِ إِنَّهُمْ

عَلَى الْبَرِيَّةِ حَتْفٌ(٢) حَيْثُمَا نَزَلُوا

أَمْ هَلْ أَرَاكَ بِأَكْنَافِ الْعِرَاقِ وَقَدْ

ذَلَّتْ لِعِزِّكَ أَقْوَامٌ وَقَدْ نُكِلُوا(٣) ؟

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

إِنْ يُمْكِنِ اللهُ مِنْ قَيْسٍ وَمِنْ جَدَسٍ

وَمِنْ جُذَامٍ وَيُقْتَلْ صَاحِبُ الْحَرَمِ

نَضْرِبْ جَمَاجِمَ أَقْوَامٍ عَلَى حَنَقٍ(٤)

ضَرْبًا يُنَكِّلُ عَنَّا غَابِرَ الْأُمَمِ

وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَعَدَ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ

(١) شملوا من شملهم الأمر : عمهم (٢) حتف : هلاك (٣) نكلوا : نكله نحاه عما قبله ومن معناه الهوان والمراد هنا أنهم أهينوا وضيموا

(٤) حنق : غيظ

وَقَالَ : — أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ — ، رُؤْيَا رَأَيْتُهَا بِالْمَنَامِ أَقُصُّهَا عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ هَاتِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

طَلَعَتْ عَلَىَّ الشَّمْسُ بَعْدَ غَضَارَةٍ (١)
فِى نَوْمَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جُدْتَ لِى بِوَلِيدَةٍ
مَغْنُوجَةٍ (٢) حَسَنٍ عَلَىَّ قِيَامُهَا
وَبِبَدْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَىَّ وَبَغْلَةٍ
شَهْبَاءَ نَاجِيَةٍ يَصِلُّ لِجَامُهَا
فَسَأَلْتُ رَبِّى أَنْ يُثِيبَكَ جَنَّةً
يَلْقَاكَ فِيهَا رَوْحُهَا وَسَلَامُهَا (٣)

فَقَالَ : كُلُّ مَا رَأَيْتَ عِنْدَنَا إِلَّا الْبَغْلَةَ فَإِنَّهَا دَهْمَاءُ فَارِهَةٌ (٤) فَقَالَ : امْرَأَتُهُ طَالِقٌ إِنْ كَانَ رَآهَا إِلَّا دَهْمَاءَ ، وَلَكِنَّهُ نَسِيَ فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا ذَكَرَ

(١) الغضارة : السعة والنعمة والخصب . (٢) مغنوجة : ذات شكل ودلال

(٣) يشير فى البيت إلى قوله تعالى فى سورة الواقعة « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ۞ وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » والذى فى الأغانى : أن الشعر قيل لعبد الملك بن بشر ابن مروان « عبد الخالق »

(٤) فارهة : يروع منظرها

فِى شِعْرِهِ . وَدَخَلَ ابْنُ عَبْدَلٍ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ وَكَانَ عَلَى خَرَاجِ الْكُوفَةِ ، فَكَلَّمَهُ فِى رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا مِنْ خَرَاجِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانٍ : أَمَاتَنِى اللّٰهُ إِنْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَضَعَ مِنْ خَرَاجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا ، فَانْصَرَفَ ابْنُ عَبْدَلٍ وَهُوَ يَقُولُ :

دَعِ الثَّلَاثِينَ لَا تَعْرِضْ لِصَاحِبِهَا
لَا بَارَكَ اللّٰهُ فِى تِلْكَ الثَّلَاثِينَا
لَمَّا عَلَا صَوْتُهُ فِى الدَّارِ مُبْتَكِرًا
كَإِشْتِفَانٍ[1] يَرَى قَوْمًا يَدُوسُونَا
أَحْسِنْ[2] فَإِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ مَمْلَكَةً
إِمَارَةً صِرْتَ فِيهَا الْيَوْمَ مَفْتُونَا
لَا يُعْطِكَ اللّٰهُ خَيْرًا مِثْلَهَا أَبَدًا
أَقْسَمْتُ بِاللّٰهِ إِلَّا قُلْتَ آمِينَا

(١) اشتفان : كلمة أعجمية معناها التاج كالحولى فهو يشبهه إذ علا صوته بالحولى إذا فعل ذلك مع عمال يدوسون الحصيد (٢) لعل أحسن مقول قول هو جواب لما ، كأن المعنى انصرفت وقلت « عبد الخالق »

وَلَمَّا لَمْ يَضَعْ مِنْ خَرَاجِ الرَّجُلِ شَيْئاً ، قَالَ ٱبْنُ عَبْدَلٍ فِيهِ :

رَأَيْتُ مُحَمَّداً شَرِهاً ظَلُوماً ... وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدِ

يَقُولُ أَمَاتَنِى رَبِّى خِدَاعاً ... أَمَاتَ ٱللهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدِ

رَكِبْتُ إِلَيْهِ فِى رَجُلٍ أَتَانِى ... كَرِيمٍ يَبْتَغِى ٱلْمَعْرُوفَ عِنْدِى

فَقُلْتُ لَهُ وَبَعْضُ ٱلْقَوْلِ نُصْحٌ ... وَمِنْهُ مَا أُسِرُّ لَهُ وَأُبْدِى

تَوَقَّ كَرَائِمَ ٱلْبَكْرِىِّ إِنِّى ... أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ ٱلتَّعَدِّى

فَمَا صَادَفْتُ فِى قَحْطَانَ مِثْلِى ... وَلَا صَادَفْتُ مِثْلَكَ فِى مَعَدِّ

أَقَلَّ بَرَاعَةً وَأَشَدَّ بُخْلاً ... وَأَلْأَمَ عِنْدَ مَسْأَلَةٍ وَحَمْدِ

فَقَدْتُ مُحَمَّداً وَدُخَانَ فِيهِ ... كَرِيحِ ٱلْجَعْرِ (١) فَوْقَ عَطِينِ جِلْدِ

فَأُقْسِمُ غَيْرَ مُسْتَثْنٍ يَمِيناً ... أَبَا بَحْرٍ لَتَتَّخِمَنَّ (٢) رَدِّى

فَلَوْ كُنْتَ ٱلْمُهَذَّبَ مِنْ تَمِيمٍ ... لَخِفْتَ مَلَامَتِى وَرَجَوْتَ حَمْدِى

نَكَهْتَ عَلَىَّ نَكْهَةَ أَخْدَرِىٍّ (٣) ... شَتِيمٍ (٤) أَعْصَلِ (٥) ٱلْأَنْيَابِ وَرْدِ (٦)

---

(١) الجعر : ما يبس من العذرة فى الدبر ، أو نجو كل ذات مخلب من السباع

(٢) لتتخمن : لتصيبنك تخمة ، وهو ما يصيب الإنسان من أكل الطعام

(٣) الأخدرى : السبع (٤) الشتيم : الأسد العابس (٥) أعصل الأنياب : معوجها . — (٦) من أسماء الأسد ، وهو صفة لأخدرى ويسمى الأسد بهذا إذا بدت فيه حمرة تضرب إلى صفرة

فَمَا يَدْنُو إِلَى فَمِهِ ذُبَابٌ
وَلَوْ طُلِيَتْ مَشَافِرُهُ بِقَنْدِ (١)

فَإِنْ أَهْدَيْتَ لِى مِنْ فِيكَ حَتْفاً
فَإِنِّى كَالَّذِى أَهْدَيْتَ مُهْدِى

وَلَوْلَا مَا وَلِيتَ لَكُنْتَ فَسْلاً (٢)
لَئِيمَ الْكَسْبِ شَأْنُكَ شَأْنُ عَبْدِ

وَخَطَبَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانٍ هَذَا بِنْتاً لِطُلْبَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِىِّ فَقَالَ ابْنُ عَبْدَلٍ :

لَعَمْرِى مَا زُوِّجْتَهَا لِكَفَاءَةٍ (٣)
وَلَكِنَّمَا زُوِّجْتَهَا لِلدَّرَاهِمِ

وَمَا كَانَ حَسَّانُ بْنُ سَعْدٍ وَلَا ابْنُهُ
أَبُو الْبَخْرِ مِنْ أَكْفَاءِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ

وَلَكِنَّهُ (٤) رُدَّ الزَّمَانُ عَلَى اسْتِهِ
وَضَيَّعَ أَمْرَ الْمُحْصَنَاتِ الْكَرَائِمِ

---

(١) القند : عسل قصب السكر (٢) الفسل : الضعيف الرذل الذى لامروءة له . (٣) ورد فى الأغانى ج ٢ ص ١٥١ :

أباع زياد سود الله وجهه عقيلة قوم سادة بالدراهم

(٤) الهاء فى ولكنه للشأن فسرت بجملة رد الزمان الخ .

لَهُ رِيقَةٌ بَخْرَاءُ تَصْرَعُ مَنْ دَنَا
وَتُنْتِنُ خَيْشُومَ الضَّجِيعِ الْمُلَازِمِ
خُذِي دِيَةً مِنْهُ تَكُونِي غَنِيَّةً
وَرُوحِي إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ تُخَاصِمِي

وَكَانَ بِالْكُوفَةِ امْرَأَةٌ مُوسِرَةٌ لَهَا عَلَى النَّاسِ دُيُونٌ كَثِيرَةٌ بِالسَّوَادِ، فَأَتَتِ الْحَكَمَ بْنَ عَبْدَلٍ وَعَرَّضَتْ لَهُ بِأَنَّهَا تَتَزَوَّجُهُ إِذَا اقْتَضَى لَهَا دُيُونَهَا، فَقَامَ ابْنُ عَبْدَلٍ بِدَيْنِهَا حَتَّى اقْتَضَاهُ ثُمَّ طَالَبَهَا بِالْوَفَاءِ فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

سَيُخْطِيكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي
فَقَطِّعْ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حِبَالِي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابْنِ بِشْرٍ
وَكُنْتَ تَعُدُّ ذَلِكَ رَأْسَ مَالِ

وَكَانَ ابْنُ عَبْدَلٍ يَأْتِي ابْنَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْكُوفَةِ فَيَسْأَلُهُ فَيَقُولُ لَهُ : أَخَمْسُمِائَةٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ الْعَامَ أَمْ أَلْفٌ فِي قَابِلٍ ؟ فَيَقُولُ أَلْفٌ فِي قَابِلٍ ، فَإِذَا أَتَاهُ مِنْ قَابِلٍ

قَالَ لَهُ أَلْفٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ العَامَ أَمْ أَلْفَانِ فِي قَابِلٍ ؟ فَيَقُولُ أَلْفَانِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ ابْنُ بِشْرٍ وَلَمْ يُعْطِهِ شيْئاً . فَدَخَلَ ابْنُ عَبْدَلٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَ مَا جَرَى مِنَ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا أَحْدَثْتَ بَعْدِي ، قَالَ : خَطَبْتُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِي فَرَدَّتْ عَلَيَّ بِبَيْتَيْ شِعْرٍ ، قَالَ : وَمَا هُمَا ؟ قَالَ : قَالَتْ :

« سَيُخْطِيكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي » الْبَيْتَانِ ،

فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ : ـ لَحَاكَ[1] اللهُ ـ أَذْكَرْتَ بِنَفْسِكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ . وَعَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : كَانَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدَلٍ مُنْقَطِعاً إِلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ يَأْنَسُ بِهِ وَيُقَرِّبُهُ ، وَأَخْرَجَهُ مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ لَمَّا وَلِيَهَا ، فَرَأَى مِنْهُ الْحَكَمُ جَفَاءً لِشُغْلٍ عَرَضَ لَهُ فَانْقَطَعَ عَنْهُ شَهْراً ثُمَّ أَتَاهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ بِشْرٌ : يَابْنَ عَبْدَلٍ مَا لَكَ انْقَطَعْتَ عَنَّا وَقَدْ كُنْتَ لَنَا زَوَّاراً ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدَلٍ :

---

(١) لحاك الله : قبحك ولعنك

كُنْتُ أُثْنِي عَلَيْكَ خَيْرًا فَلَمَّا
أَضْمَرَ الْقَلْبُ مِنْ نَوَالِكَ يَاسَا
كُنْتَ ذَا مَنْصِبٍ قَنِيتُ[١] حَيَاتِي
لَمْ أَقُلْ غَيْرَ أَنْ هَجَرْتُكَ بَاسَا
لَمْ أُطِقْ مَا أَرَدْتَ بِي يَابْنَ مَرْوَا
نَ سَتَلْقَى إِذَا أَرَدْتَ أُنَاسَا
يَقْبَلُونَ الْخَسِيسَ مِنْكَ وَيُثْنُو
نَ ثَنَاءً مُدَخْمَسًا[٢] دَخْمَاسَا

فَقَالَ لَهُ : لَا نَسُومُكَ الْخَسِيسَ وَلَا نُرِيدُ مِنْكَ ثَنَاءً مُدَخْمَسًا وَوَصَلَهُ وَكَسَاهُ ، وَلَمَّا مَاتَ بِشْرٌ جَزِعَ ابْنُ عَبْدَلٍ فَقَالَ يَرْثِيهِ :

أَصْبَحْتُ جَمَّ بَلَابِلِ الصَّدْرِ مُتَعَجِّبًا لِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ
مَازِلْتُ أَطْلُبُ فِي الْبِلَادِ فَتًى لِيَكُونَ لِي ذُخْرًا مِنَ الذُّخْرِ
وَيَظَلَّ يُسْعِدُنِي وَأُسْعِدُهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ مِنَ الْأَمْرِ

(١) قنيت : لزمت (٢) مدخمس : من دخمس عليه : لم يبين له المراد من القول أو الفعل

حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ يَدَاىَ بِهِ جَاءَ الْقَضَاءُ بِحَيْنِهِ (١) يَجْرِى
إِنِّى لَفِى هَمٍّ يُبَاكِرُنِى (٢) مِنْهُ وَهَمٍّ طَارِقٍ يَسْرِى
فَلَأَصْبِرَنَّ وَمَا رَأَيْتُ دَوًا لِلْهَمِّ غَيْرَ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ
وَاللَّهِ مَا اُسْتَعْظَمْتُ فُرْقَتَهُ حَتَّى أَحَاطَ بِفَضْلِهِ خُبْرِى (٣)

وَعَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ بِمَرْوَ فَقَالَ: أَنْشِدْنِى أَقْنَعَ بَيْتٍ لِلْعَرَبِ، فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدَلٍ:

إِنِّى امْرُؤٌ لَمْ أَزَلْ وَذَاكَ مِنَ الـْ
ـلَهِ أَدِيبًا (٤) أُعَلِّمُ الْأَدَبَا
أُقِيمُ بِالدَّارِ مَا اُطْمَأَنَّتْ بِىَ الدْ
دَارُ وَإِنْ كُنْتُ نَازِعًا طَرِبَا
لَا أَحْتَوِى (٥) خُلَّةَ (٦) الصَّدِيقِ وَلَا
أُتْبِعُ نَفْسِى شَيْئًا إِذَا ذَهَبَا

---

(١) حينه: هلاكه (٢) يباكره: يأتيه فى البكور وكذلك يسرى إليه الهم ليلا فهو يذكره فى الصباح والمساء (٣) ما كانت فرقته عظيمة مؤثرة فيه إلا لأن خبره أحاط بفضله وألم به (٤) فى الأغانى: قديما (٥) من الاحتواء وهو كونها له وتحت أمره (٦) خلة الخ: يريد زوجة صديقة

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الرْ
رِزْقِ بِنَفْسِى وَأُجْمِلُ الطَّلَبَا
وَأَحْلِبُ الثَّرَّةَ[١] الصَّفِىَّ[٢] وَلَا
أُجْهِدُ أَخْلَافَ[٣] غَيْرِهَا حَلَبَا
إِنِّى رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا
رَغَّبْتَهُ فِى صَنِيعَةٍ رَغِبَا
وَالْعَبْدُ لَا يُحْسِنُ الْعَطَاءَ وَلَا
يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهِبَا
مِثْلُ الْحِمَارِ الْمُوَقَّعِ[٤] السَّوْءِ لَا
يُحْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبَا
وَلَمْ أَجِدْ عِزَّةَ الْخَلَائِقِ إِلْ
لَا الدِّينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ وَالْحَسَبَا
قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ وَمَا
شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلًا وَلَا قَتَبَا

(١) الثرة من العيون : الغزيرة ، والمراد الناقة الغزيرة اللبن (٢) الصفى من الأبل : الغزيرة اللبن فهو وصف مؤكد (٣) جمع خلف : الضرع
(٤) الموقع : الذى فى ظهره آثار من الحمل هذه رواية الحماسة وفى الأصل « المعقب »

وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرْ
رَحْلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبَا

وَكَانَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدَلٍ أَعْرَجَ ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ أَعْرَجُ أَيْضاً وَكَانَ صَاحِبُ شُرْطَتِهِ أَعْرَجَ كَذَلِكَ فَقَالَ :

أَلْقِ الْعَصَا وَدَعِ التَّعَارُجَ وَالْتَمِسْ عَمَلاً فَهَذِى دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ
لِأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شُرْطَتِنَا مَعاً لِكِلَيْهِمَا يَا قَوْمَنَا رِجْلَانِ
فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَجِئْ بِالرَّابِعِ الشَّيْطَانِ

وَقَالَ فِي بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

وَلَوْ شَاءَ بِشْرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ
طَمَاطِمُ (١) سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حُمْرُ
وَلَكِنَّ بِشْراً سَهَّلَ الْبَابَ لِلَّتِي
يَكُونُ لِبِشْرٍ بَعْدَهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ
بَعِيدُ مُرَادِ الْعَيْنِ مَا رَدَّ طَرْفَهُ
حِذَارَ الْغَوَاشِي بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ

(١) طماطم : عجم لا يفصحون ، جمع طمطم ، وهو الذى فى لسانه عجمة لا يفصح

﴿ ٢٨ - الْحَكَمُ بْنُ مَعْمَرِ بْنِ قُنْبُرٍ * ﴾

الحكم بن معمر الخضرى

ابْنِ جحَاشِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَرِيفِ ابْنِ مُحَارِبٍ الْخُضْرِيُّ شاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ ، وَكَانَ مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي الشِّعْرِ سَجَّاعًا كَثِيرَ السَّجْعِ ، وَكَانَ هَجَّاءً خَبِيثَ اللِّسَانِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّمَّاحِ بْنِ أَبْرَدَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ مَيَّادَةَ مُهَاجَاةٌ وَمَوَاقِفُ كَانَ الْغَلَبُ فِي أَكْثَرِهَا عَلَى الرَّمَّاحِ فَتَهَاجَيَا زَمَانًا طَوِيلًا ، ثُمَّ كَفَّ ابْنُ مَيَّادَةَ وَسَأَلَهُ الصُّلْحَ ، فَصَالَحَهُ الْحَكَمُ . وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ الْهِجَاءَ بَيْنَهُمَا أَنَّ ابْنَ مَيَّادَةَ مَرَّ بِالْحَكَمِ وَهُوَ يُنْشِدُ فِي مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ قَوْلَهُ :

لِمَنِ الدِّيَارُ كَأَنَّهَا لَمْ تُعْمَرِ
بَيْنَ الْكِنَاسِ وَبَيْنَ بُرْقِ مُحَجَّرِ ؟

حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

يَا صَاحِبَيَّ أَلَمْ تَشِيمَا بَارِقًا
نَضَحَ (١) الصَّرَادُ بِهِ فَهَضْبُ الْمُنْحَرِ

(١) فى الأصل « نضج المزار به » ، والمعنى بل به المكانان فهو دعاء لهما بالسقيا ونضح : رش به

(*) وله ترجمة أخرى فى الأغانى

قَدْ بِتُّ أَرْقُبُهُ وَبَاتَ مُصَعِّدًا
نَهْضَ الْمُقَيَّدِ فِي الدَّهَاسِ (١) الْمُوقَرِ (٢)

فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَيَّادَةَ : ارْفَعْ إِلَيَّ رَأْسَكَ أَيُّهَا الْمُنْشِدُ، فَرَفَعَ الْحَكَمُ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا الْحَكَمُ ابْنُ مَعْمَرٍ الْخُضَرِيُّ ، قَالَ : فَوَاللهِ مَا أَنْتَ فِي بَيْتِ حَسَبٍ وَلَا فِي أُرُومَةِ الشِّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : وَمَاذَا عِبْتَ مِنْ شِعْرِي ؟ قَالَ : عِبْتُ أَنَّكَ أَدْهَسْتَ وَأَوْقَرْتَ . قَالَ لَهُ الْحَكَمُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا ابْنُ مَيَّادَةَ (٣) . قَالَ : وَيْحَكَ فَلِمَ رَغِبْتَ عَنْ أَبِيكَ وَانْتَسَبْتَ إِلَى أُمِّكَ رَاعِيَةِ الضَّأْنِ ، وَأَمَّا إِدْهَاسِي وَإِيقَارِي فَإِنِّي لَمْ آتِ خَيْبَرَ لَا مُمْتَارًا (٤) وَلَا مُتَحَامِلًا وَمَا عَدَوْتُ (٥) أَنْ حَكَيْتُ حَالَكَ وَحَالَ قَوْمِكَ ، فَلَوْ سَكَتَّ عَنْ هَذَا كَانَ خَيْرًا لَكَ وَأَبْقَى عَلَيْكَ ، فَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا عَنْ هِجَاءٍ .

---

(١) الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب (٢) الموقر : المحمل صفة المقيد وهذا كله وصف للبارق الذى هو السحاب (٣) ميادة أم الرماح بن أبرد كانت أمة ترعى الأبل وتسقيها فلذا يعيره بها وإنما سميت ميادة لأن رأسها كانت تهتز على الأبل إذا غلبها النعاس (٤) ممتاراً : أى جالب طعام (٥) عدوت : جاوزت يشير إلى ميادة وكانت أمة كما ذكرنا فوقع عليها أبوه فجاءت به « عبد الخالق »

وَقَالَ الْحَكَمُ يَهْجُو أُمَّ جَحْدَرٍ [١] بِنْتَ حَسَّانٍ الْمُرِّيَّةَ وَكَانَتْ فَضَّلَتِ ابْنَ مَيَّادَةَ عَلَيْهِ .

أَلَا عُوقِبَتْ فِي قَبْرِهَا أُمُّ جَحْدَرٍ
وَلَا لَقِيَتْ إِلَّا الْكَلَالِيبَ وَالْجَمْرَا
كَمَا حَادَثَتْ عَبْدًا لَئِيمًا وَخِلْتُهُ
مِنَ الزَّادِ إِلَّا حَشْوَ رَيْطَاتِهِ [٢] صِفْرَا [٣]
فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ رَأَتْ أُمُّ جَحْدَرٍ
أَكَنَّكَ [٤] أَوْ ذَاقَتْ مَغَابِنَكَ الشُّقْرَا ؟
وَهَلْ أَبْصَرَتْ أَرْسَاغَ [٥] أَبْرَدَ أَوْ رَأَتْ
قَفَا أُمِّ رَمَّاحٍ إِذَا مَا اسْتَقَتْ دَفْرَا

(١) أم جحدر هذه صاحبة ابن ميادة وتزوجته (٢) ريطات جمع ريطة : وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين (٣) أى خالية

(٤) فى الأصل « أكشك » وقد بحثت عن لفظة أكشك فما وجدت لها أصلا ولا معنى ، ولما نظرت فى الأغانى الطبعة الجديدة لدار الكتب رأيتهم نبهوا على ماذكرته وجعلتها كما وصفوها والمراد بها كثرة الشعر جمع كث ولعل الشاعر يريد قبح المنظر من أجل هذا ، والمغابن جمع مغبن : ما يكون من الفخذ إذا انطبقت على الأخرى والشقرا جمع أشقر : وهو الحمرة أوما يسميه السلخ (٥) الأرساغ جمع رسغ : مفصل ما بين الكف والذراع ، أو ما بين الساعد والكف وما بين القدم والساق . والدفر : الدفع ، يريد هل رأت أم جحدر أبرد أبا الرماح أو أمه إذا أسقت الإبل وهي تدفع فى قفاها دفرا «عبد الخالق»

وَبِالْغَمْرِ قَدْ صَرَّتْ لِقَاحاً وَحَادَثَتْ
عَبِيدًا فَسَلْ عَنْ ذَاكَ نَيَّانِ (١) وَالْغَمْرَا

وَمِمَّا قَالَهُ الْحَكَمُ فِي ابْنِ مَيَّادَةَ :

خَلِيلَيَّ عُوجَا حَيِّيَا الدَّارَ (٢) بِالْجَفْرِ
وَقُولَا لَهَا سَقْيًا لِعَصْرِكِ مِنْ عَصْرِ
وَمَاذَا نُحَيِّي مِنْ رُسُومٍ تَلَاعَبَتْ
بِهَا حَرْجَفٌ (٣) تُذْرِي بِأَذْيَالِهَا الْكُدْرِ
إِذَا يَبِسَتْ عِيدَانُ قَوْمٍ وَجَدْتَنَا
وَعِيدَانُنَا تَغْشَى عَلَى الْوَرَقِ الْخُضْرِ
إِذَا النَّاسُ جَاءُوا بِالْقُرُومِ (٤) أَتَيْتُهُمْ
بِقَرْمٍ يُسَاوِي رَأْسُهُ غُرَّةَ الْبَدْرِ

---

(١) فى الأصل « زيان » ونيان والغمر موضعان ، والعمر : شد حبل على أخلاف الناقة حتى لا يرضعها الفصيل (٢) فى الأصل « الواد »

(٣) الحرجف : الريح البارد الشديد الهبوب (٤) فى الأصل « القدوم » وكذا فى الأصل « ناءوا » بدل جاءوا ، والقرم : السيد

لَنَا الغَوْرُ وَالْأَنْجَادُ وَالْخَيْلُ وَالقَنَا
عَلَيْكُمْ وَأَيَّامُ الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
فيَامُرُّ قَدْ أَخزَاكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
مِنَ اللُّؤْمِ خَلَّاتٌ يَزِدْنَ عَلَى الْعَشْرِ
فَمِنْهُنَّ أَنَّ العَبْدَ حَامِي ذِمَارِكُمْ
وَبِئْسَ الْمُحَامِي الْعَبْدُ عَنْ حَوْزَةِ الثَّغْرِ
وَمِنْهُنَّ أَنْ لَمْ تَمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقٍ
جَوَادٍ وَلَمْ تَأْتُوا حَصَانًا (١) عَلَى طُهْرِ
وَمِنْهُنَّ أَنَّ الْمَيْتَ يُدْفَنُ مِنْكُمُ
فَيَفْسُو عَلَى دُفَّانِهِ (٢) وَهْوَ فِي الْقَبْرِ
وَمِنْهُنَّ أَنَّ الْجَارَ يَسْكُنُ وَسْطَكُمْ
بَرِيئًا فَيُرْمَى بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ
وَمِنْهُنَّ أَنْ عُذْتُمْ بِأَرْقَطَ كَوْدَنٍ (٣)
وَبِئْسَ الْمُحَامِي أَنْتَ يَا ضَرِطَ الْجَفْرِ

---

(١) الحصان : المرأة العفيفة (٢) دفان : جمع دافن (٣) الكودن : الفرس الهجين والبغل . والفيل والأرقط : ما كان أسود يشوبه نقط بيضاء

وَمِنْهُنَّ أَنَّ الشَّيْخَ يُوجَدُ مِنْكُمُ
يَدِبُّ إِلَى الْجَارَاتِ مُحْدَوْدِبَ الظَّهْرِ
يَبِيتُ ضِبَابُ الضِّغْنِ يَخْشَى أُحْتِرَاشَهَا
وَإِنْ هِيَ أَمْسَتْ دُونَهَا سَاحِلُ الْبَحْرِ (١)

﴿ ٢٩ — أَبُو الْحَكَمِ بْنُ غَلَنْدُو الْإِشْبِيلِيُّ * ﴾

أبو الحكم الاشبيلى

وُلِدَ بِإِشْبِيلِيَةَ وَبِهَا نَشَأَ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا جَيِّدَ الشِّعْرِ مُتَفَنِّنًا مُتَمَيِّزًا بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ، خَدَمَ بِهَا الْمَنْصُورَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ بْنَ سَعِيدٍ فَحَظِيَ عِنْدَهُ وَقَدَّمَ، وَكَانَ أَبُوهُ أَيْضًا فِي خِدْمَةِ أَبِي يَعْقُوبَ وَالِدِ الْمَنْصُورِ، وَكَانَ أَبُو الْحَكَمِ حَسَنَ الْخَطِّ يَكْتُبُ الْخَطَّيْنِ الْأَنْدَلُسِيَّ وَالْمَشْرِقِيَّ، وَتُوُفِّيَ بِمَرَّاكُشَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

مَاسَتْ فَأَزْرَتْ بِالْغُصُونِ الْمُيَّسِ
وَأَتَتْكَ تَخْطِرُ فِي غِلَالَةِ سُنْدُسِ

(١) كل ما مر من تعبير أو شرح من أول ترجمة الحكم تم بمعرفتى «عبد الخالق»

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

وَتَبَرَّجَتْ جُنْحَ الظَّلاَمِ كَأَنَّهَا
شَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي دَيَاجِي الْحِنْدِسِ
تَخْتَالُ بَيْنَ لِدَاتِهَا فَتَخَالُهَا
بَدْراً بَدَا بَيْنَ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ
أَرِجَتْ[1] بِرَيَّاهَا الصَّبَا فَتَضَوَّعَتْ
أَنْفَاسُهَا وَالصُّبْحُ لَمْ يَتَنَفَّسِ
وَسَرَتْ إِلَيْنَا فِي مُلاَءَةِ سُنْدُسٍ
بِتَرَفُّلٍ وَتَدَلُّلٍ وَتَبَهْنُسِ[2]
وَتَزَلَّفَتْ وَاللَّيْلُ مُسْبِلُ جُنْحِهِ
وَالْجَوُّ دَاجٍ مِنْ ظَلاَمِ الْحِنْدِسِ

وَلَهُ :

لَئِنْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي وَشَطَّ بِكَ النَّوَى
فَأَنْتَ بِقَلْبِي حَاضِرٌ وَقَرِيبُ
خَيَالُكَ فِي وَهْمِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي
وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغِيبُ ؟

(١) الأرج : توهج ريح الطيب (٢) أي تبختر

٣٠ – حَكِيمُ بْنُ عَيَّاشٍ الْمَعْرُوفُ بِالْأَعْوَرِ الْكَلْبِيِّ (*)

حكيم بن عياش الكلبي

شَاعِرٌ مُجِيدٌ كَانَ مُنْقَطِعاً إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ بِدِمَشْقَ وَسَكَنَ الْمِزَّةَ بِهَا ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ مُفَاخَرَةٌ . وَقَدِمَ أُسَامَةُ خَالُ الْأَعْوَرِ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ : اخْتَرْ لَكَ مَنْزِلًا فَاخْتَارَ الْمِزَّةَ وَاقْتَطَعَ فِيهَا هُوَ وَعِتْرَتُهُ (١) ، فَقَالَ الْأَعْوَرُ :

إِذَا ذُكِرَتْ أَرْضٌ لِقَوْمٍ بِنِعْمَةٍ
فَبَلْدَةُ قَوْمِي تَزْدَهِي وَتَطِيبُ
بِهَا الدِّينُ وَالْإِفْضَالُ (٢) وَالْخَيْرُ وَالنَّدَى
فَمَنْ يَنْتَجِعْهَا لِلرَّشَادِ يُصِيبُ
وَمَنْ يَنْتَجِعْ أَرْضاً سِوَاهَا فَإِنَّهُ
سَيَنْدَمُ يَوْماً بَعْدَهَا وَيَخِيبُ

---

(١) ضبطها ياقوت فى معجم البلدان بكسر الميم وقال إنها قرية غناء فى بساتين دمشق وقال إنها تسمى مزة الكلب (٢) عترة الرجل : نسله ورهطه الأدنون

(٣) الأفضال : الأحسان

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

تَأَتّى بِهَا خَالِي أُسَامَةُ مَنْزِلًا
وَكَانَ لِخَيْرِ الْعَالَمِينَ حَبِيبُ(١)

حَبِيبُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ رَدِيفِهِ
لَهُ أُلْفَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَنَصِيبُ

فَأَسْكَنَهَا كَلْبًا فَأَضْحَتْ بُلَيْدَةً
بِهَا مَنْزِلٌ رَحْبُ الْجَنَابِ خَصِيبُ

فَنِصْفٌ عَلَى بَرٍّ فَسِيحٍ رِحَابُهُ
وَنِصْفٌ عَلَى بَحْرٍ أَغَرَّ يَطِيبُ

وَكَانَ الْأَعْوَرُ يَتَعَصَّبُ لِلْيَمَنِ عَلَى مُضَرَ فَقَالَ :

مَاسَرَّنِي أَنَّ أُمِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ
وَأَنَّ رَبِّيَ نَجَّانِي مِنَ النَّارِ

وَأَنَّهُمْ زَوَّجُونِي مِنْ بَنَاتِهِمِ
وَأَنَّ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارِ

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ يَابْنَ رَسُولِ اللهِ : هَـذَا حَكِيمٌ الْكَلْبِيُّ يُنْشِدُ النَّاسَ هِجَاءَكُمْ

(١) حبيب إسم كان والخبر لخير العالمين على ما فى هذا من تكلف فى الأعراب

بِالْكُوفَةِ فَقَالَ: هَلْ حَفِظْتَ مِنْهُ شَيْئًا؟ قَالَ نَعَمْ وَأَنْشَدَهُ:

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ
وَلَمْ نَرَ مَهْدِيًّا عَلَى الْجِذْعِ يُصْلَبُ
وَقِسْتُمْ بِعُثْمَانٍ عَلِيًّا سَفَاهَةً
وَعُثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطْيَبُ

فَرَفَعَ عَبْدُ اللهِ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُمَا يَنْتَفِضَانِ رِعْدَةً فَقَالَ: ـ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا ـ. فَخَرَجَ حَكِيمٌ مِنَ الْكُوفَةِ فَأَدْلَجَ (١) فَافْتَرَسَهُ الْأَسَدُ فَأَكَلَهُ، وَأَتَى الْبَشِيرُ عَبْدَ اللهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَّ لِلَّهِ تَعَالَى سَاجِدًا وَقَالَ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ »

﴿ ٣١ — حَمَّادُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُونُسَ بْنِ كُلَيْبٍ * ﴾

حماد بن عمر الكوفى

الْكُوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِحَمَّادِ عَجْرَدٍ مَوْلَى بَنِي سُوَاءَةَ بْنِ

---

(١) أدلج: سار من أول الليل

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان جزء أول صفحة ١٦٥ قال:

هو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ولم يشتهر إلا فى العباسية ونادم الوليد بن يزيد الأموى وقدم بغداد فى أيام المهدى وقال على بن الجعد: قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء حماد عجرد ومطيع بن إياس الكنانى ويحيى بن زياد فنزلوا —

عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ مِنْ طَبَقَةِ بَشَّارٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا مُهَاجَاةٌ[1] ، وَهُوَ أَحَدُ الْحَمَّادِينَ الثَّلَاثَةِ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعَامِرِيُّ : كَانَ بِالْكُوفَةِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُقَالُ لَهُمُ الْحَمَّادُونَ : حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، وَحَمَّادُ الرَّاوِيَةُ ، وَحَمَّادُ بْنُ الزِّبْرِقَانِ ، يَتَنَادَمُونَ وَيَتَعَاشَرُونَ مُعَاشَرَةً جَمِيلَةً وَيَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَكَانُوا كَأَنَّهُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، وَكَانُوا يُرْمَوْنَ بِالزَّنْدَقَةِ جَمِيعًا ، وَحَمَّادُ عَجْرَدٍ مِنْ مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ ، نَادَمَ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ وَلَمْ يَشْتَهِرْ إِلَّا فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، قَدِمَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ هُوَ وَمُطِيعُ ابْنُ إِيَاسٍ وَيَحْيَى بْنُ زِيَادٍ فَاشْتَهَرُوا بِهَا ، وَكَانَ حَمَّادٌ مَاجِنًا ظَرِيفًا مُتَّهَمًا فِي دِينِهِ ، وَكَانَ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ يَنْتَقِصُهُ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ كَتَبَ إِلَيْهِ :

--- بالقرب منا فكانوا لايطاقون خبثاً ومجانة وحماد عجرد من الشعراء المجيدين وبينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة ، وله فى بشار كل معنى غريب ولولا فحشها لذكرت شيئاً منها وكان بشار يضج منه وقال بشار فى حماد :

إذا جئته فى الحى أغلق بابه
فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تبلغ العلا
وفى كل معروف عليك يمين

(١) مهاجاة : سباب ومعايبة بالشعر

إِنْ كَانَ نُسْكُكَ لَا يَتِمُّ بِغَيْرِ شَتْمِي وَانْتِقَامِي
فَاقْعُدْ وَقُمْ بِي حَيْثُ شِئْتَ لَدَى الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَلَطَالَمَا زَكَّيْتَنِي وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي
أَيَّامَ تَأْخُذُهَا وَتُعْطِي فِي أَبَارِيقِ الرَّصَاصِ

وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِعَجْرَدٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا مَرَّ بِهِ وَهُوَ غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَهُوَ عُرْيَانٌ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : تَعَجْرَدْتَ يَا غُلَامُ فَسُمِّيَ عَجْرَدًا ، وَالْمُتَعَجْرِدُ : الْمُتَعَرِّي . وَكَتَبَ أَبُو النَّضِيرِ الْجُمَحِيُّ الشَّاعِرُ إِلَى حَمَّادٍ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فِي الشَّرَابِ وَمَنْ يُعَاشِرُ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَمَّادٌ :

أَبَا النَّضِيرِ اسْمَعْ كَلَامِي وَلَا
تَجْعَلْ سِوَى الْإِنْصَافِ فِي بَالِكَا
سَأَلْتَ مَا[1] حَالِي وَمَا حَالُ مَنْ
لَمْ يَلْقَ إِلَّا عَابِدًا نَاسِكَا ؟

(١) فى الاصل « من حالى »

يُظْهِرُ نُسكًا وَمَتَى يَفْتَرِصْ[١]
يَكُنْ عَلَيَّ عَادِيًا فَاتِكَا

وَمَرِضَ حَمَّادٌ فَعَادَهُ أَصْدِقَاؤُهُ جَمِيعًا إِلَّا مُطِيعَ بْنَ إِيَاسٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَمَّادٌ :

كَفَاكَ عِيَادَتِي مَنْ كَانَ يَرْجُو
ثَوَابَ اللهِ فِي صِلَةِ الْمَرِيضِ
فَإِنْ تُحْدِثْ لَكَ الْأَيَّامُ سُقْمًا
يَحُولُ جَرِيضُهُ[٢] دُونَ الْقَرِيضِ
يَكُنْ طُولُ التَّأَوُّهِ مِنْكَ عِنْدِي
بِمَنْزِلَةِ الطَّنِينِ مِنَ الْبَعُوضِ

وَمِنْ شِعْرِ حَمَّادٍ عَجْرَدٍ :

إِنِّي أُحِبُّكِ فَاعْلَمِي إِنْ لَمْ تَكُونِي تَعْلَمِينَا
حُبًّا أَقَلُّ قَلِيلِهِ كَجَمِيعِ[٣] حُبِّ الْعَالَمِينَا

(١) أى يجد الفرصة (٢) الجريض : الريق يغص به ، يقال : جرض بريقه : ابتلعه على الهم والغصص « وحال الجريض دون القريض » مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق

(٣) فى الاصل « لجميع »

وَقَالَ :

فَأَقْسَمْتُ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي قَبْضَةِ الْهَوَى
لَأَقْصَرْتَ عَنْ لَوْمِي وَأَطْنَبْتَ فِي عُذْرِي
وَلٰكِنْ بَلَائِي مِنْكَ أَنَّكَ نَاصِحٌ
وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي

وَقَالَ فِي أَبِي الْعَبَّاسِ الطُّوسِيِّ :

أَرْجُوكَ بَعْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ إِذْ بَانَا
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَعْرَاقًا وَعِيدَانَا
فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
وَأَنْضَرُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَحْلِ (١) أَغْصَانَا
لَوْ مَجَّ عُودٌ عَلَى قَوْمٍ عُصَارَتَهُ
لَمَجَّ عُودُكَ فِينَا الْمِسْكَ وَالْبَانَا

وَكَانَ بَيْنَ حَمَّادٍ وَبَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَمُطِيعِ بْنِ إِيَاسٍ أَهَاجٍ كَثِيرَةٌ أَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ السُّخْفِ (٢) وَالْمُجُونِ

(١) المحل : الجدب (٢) السخف : رقة العقل وبابه طرب

وَتُوُفِّىَ حَمَّادٌ عَجْرَدٍ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ فِى أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ.

﴿ ٣٢ - حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ * ﴾

حماد بن سلمة البصرى

الْإِمَامُ أَبُو سَلَمَةَ الْبَصْرِيُّ، شَيْخُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِى الْحَدِيثِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْفِقْهِ، أَخَذَ عَنْهُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ، وَسُئِلَ أَيُّمَا أَسَنُّ أَنْتَ أَوْ حَمَّادٌ؟ فَقَالَ حَمَّادٌ أَسَنُّ مِنِّى، وَمِنْهُ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٣٠٩ بما يأتى قال :

كان نحويا ولغويا وإماما فاضلا قديم العهد قال حماد بن سلمة : مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها وقال يونس بن حبيب : كان حماد رأس حلقتنا ومنه تعلمت العربية وسأله سيبويه فقال أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة فقال : أخطأت ياسيبويه انما هو رعف فانصرف سيبويه إلى الخليل شاكيا مالقيه به حماد : فقال : صدق حماد أمثله يلقى بمثل هذا

وترجم له أيضا فى كتاب طبقات القراء ج أول ص ٢٥٨

قال أبو سلمة البصرى الامام الكبير روى القراءة عرضا عن عاصم وابن كثير وروى عنه الحروف حرمى بن عمارة وحجاج بن المنهال وشيبة بن عمرو المصيصى وهو الذى روى عن ابن كثير أنه قرأ « إن يعمروا مسجد الله » و « انما يعمر مسجد الله » جميعا بغير ألف على التوحيد تفرد فى الثانى كذلك عن ابن كثير أيضا « ومنهم من يلامزك فى الصدقات » بالألف تفرد بذلك عنه أيضا .

وترجم له فى الفهرست لابن النديم ص ٩٩

تَعلَّمْتُ الْعَرَبِيَّةَ. وَكَانَ سِيبَوَيْهِ يَسْتَمْلِي عَلَى حَمَّادٍ فَقَالَ حَمَّادٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي إِلَّا مَنْ لَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ عَنْهُ عِلْماً لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاءِ» فَقَالَ سِيبَوَيْهِ: لَيْسَ أَبُو الدَّرْدَاءِ. فَقَالَ لَهُ حَمَّادٌ: لَحَنْتَ يَا سِيبَوَيْهِ، لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاءِ [1]. فَقَالَ: لَا جَرَمَ لَأَطْلُبَنَّ عِلْماً لَا تُلَحِّنُنِي فِيهِ أَبَداً، فَطَلَبَ النَّحْوَ وَلَزِمَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو الْجَرْمِيُّ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ فَقِيهاً قَطُّ أَفْصَحَ مِنْ عَبْدِ الْوَارِثِ إِلَّا حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ. وَكَانَ حَمَّادٌ يَقُولُ: مَنْ لَحَنَ فِي حَدِيثِي فَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ. وَكَانَ حَمَّادٌ يَمُرُّ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْجَامِعِ فَيَدَعُهُ وَيَذْهَبُ إِلَى أَصْحَابِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ. وَكَانَ مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ إِمَاماً فِي الْحَدِيثِ ثِقَةً: ثَبْتاً حَتَّى قَالُوا: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَقَعُ فِي حَمَّادٍ فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

رَوَى حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ وَأَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ وَعَبْدِ اللهِ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ مُلَيْكٍ وَخَلْقٍ. وَرَوَى عَنْهُ مَالِكٌ وَسُفْيَانُ وَشُعْبَةُ

(١) أقول: وإنما لحنه لأن ليس من أدوات الاستثنا التى ينتصب بها المستثنى على أنه خبرها واسمها مستتر وجوباً «عبد الخالق»

وَابْنُ مَهْدِيٍّ وَعَفَّانُ وَأُمَمٌ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ : كَتَبْتُ عِنْدَ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ . وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ : كَانَ عِنْدَ يَحْيَى ابْنِ الضَّرِيرِ عَنْ حَمَّادٍ عَشَرَةُ آلَافِ حَدِيثٍ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ هُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِثَابِتٍ (١) .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : حَمَّادٌ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَدِيثِ خَالِهِ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ وَأَثْبَتُهُمْ فِيهِ . وَقَالَ أَحْمَدُ وَيَحْيَى : هُوَ ثِقَةُ النَّاسِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِعَفَّانَ : أُحَدِّثُكَ عَنْ حَمَّادٍ ؟ قَالَ : مَنْ حَمَّادٌ وَيْلَكَ ؟ قَالَ : ابْنُ سَلَمَةَ ، قَالَ : هَلَّا قُلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : حَمَّادٌ إِمَامٌ جَلِيلٌ ، وَهُوَ مُفْتِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ مَعَ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ الطَّبَّاعِ : قَالَ لِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ : عَالِمٌ بِاللهِ وَبِالْعِلْمِ ، وَعَالِمٌ بِاللهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِالْعِلْمِ ، وَعَالِمٌ بِالْعِلْمِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللهِ . قَالَ ابْنُ الطَّبَّاعِ : الْأَوَّلُ كَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، وَالثَّانِي مِثْلُ أَبِي الْحَجَّاجِ ، وَالثَّالِثُ كَأَبِي يُوسُفَ .

---

(١) أي بحديث ثابت

وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ : مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَتَكَلَّمُ فِي حَمَّادٍ فَاتَّهِمُوهُ . وَاحْتَجَّ مُسْلِمٌ بِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فِي أَحَادِيثَ عِدَّةٍ فِي الْأُصُولِ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ ثَابِتٍ ، وَأَخْرَجَ لَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيَّ ، فَنَكَتَ[1] ابْنُ حِبَّانَ عَلَى الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُسَمِّهِ ، حَيْثُ احْتَجَّ بِابْنِ دِينَارٍ وَابْنِ عَيَّاشٍ وَابْنِ أَخِي الزُّهْرِيِّ وَتَرَكَ حَمَّاداً فَقَالَ : لَمْ يُنْصِفْ مَنْ جَانَبَ حَدِيثَ حَمَّادٍ ، وَاحْتَجَّ بِأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ دِينَارٍ وَابْنِ أَخِي الزُّهْرِيِّ . وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ : مَا كُنَّا نَرَى أَحَداً يَتَعَلَّمُ بِنِيَّةٍ غَيْرَ حَمَّادٍ ، وَمَا نَرَى الْيَوْمَ مَنْ يُعَلِّمُ بِنِيَّةٍ غَيْرَهُ . وَقَالَ وَهِيبٌ : كَانَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ سَيِّدَنَا وَأَعْلَمَنَا ، وَكَانَ إِمَاماً فِي الْعَرَبِيَّةِ فَصِيحاً مُفَوَّهاً[2] ، مُقْرِئاً فَقِيهاً ، شَدِيداً عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ ، وَلَهُ تَآلِيفُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، يَعْنِي كَانَ يَحْفَظُ عِلْمَهُ . مَاتَ حَمَّادٌ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ

(١) نكت عليه : ندد وعاب قوله أو عمله . (٢) مفوها : بليغا

وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ فِي خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ ، وَرَثَاهُ الْيَزِيدِيُّ بِأَبْيَاتٍ أَوَّلُهَا :

يَا طَالِبَ النَّحْوِ أَلَا فَابْكِهِ
بَعْدَ أَبِي عَمْرٍو وَحَمَّادِ

يَعْنِي حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ وَأَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ .

﴿ ٣٣ – حَمَّادُ بْنُ مَيْسَرَةَ بْنِ الْمُبَارَكِ * ﴾

حماد بن ميسرة الكوفى

ابْنِ عُبَيْدٍ الدَّيْلَمِيُّ ، مَوْلَى بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَقِيلَ مَوْلَى مُكْنِفِ بْنِ زَيْدِ الْخَيْلِ . الْكُوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالرَّاوِيَةِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَنْسَابِهَا وَلُغَاتِهَا ، وَكَانَتْ مُلُوكُ بَنِي أُمَيَّةَ تُقَدِّمُهُ وَتُؤْثِرُهُ وَتَسْتَزِيرُهُ[1] ، فَيَفِدُ عَلَيْهِمْ وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهَا ، وَيُجْزِلُونَ صِلَتَهُ .

---

(١) فى الأصل : وتستزيده وما ذكر أنسب ، بدليل ما بعده .

(*) راجع وفيات الأعيان ج أول

وَعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ صَاحِبِهِ وَرَاوِيَتِهِ قَالَ : قَالَ الْوَلِيدُ ابْنُ يَزِيدَ لِحَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ : بِمَ اُسْتَحْقَقْتَ هَذَا اللَّقَبَ فَقِيلَ لَكَ الرَّاوِيَةُ ؟ فَقَالَ : بِأَنِّي أَرْوِي لِكُلِّ شَاعِرٍ تَعْرِفُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَمِعْتَ بِهِ ، ثُمَّ أَرْوِي لِأَكْثَرَ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَعْرِفُ أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْهُ وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ ، ثُمَّ لَا أُنْشَدُ شِعْرًا لِقَدِيمٍ وَلَا مُحْدَثٍ إِلَّا مَيَّزْتُ الْقَدِيمَ مِنْهُ مِنَ الْمُحْدَثِ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ وَأَبِيكَ كَبِيرٌ ، فَكَمْ مِقْدَارُ مَا تَحْفَظُ مِنَ الشِّعْرِ ؟ قَالَ : كَثِيرًا ، وَلَكِنِّي أُنْشِدُكَ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ مِائَةَ قَصِيدَةٍ كَبِيرَةٍ ، سِوَى الْمُقَطَّعَاتِ مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ دُونَ شِعْرِ الْإِسْلَامِ . قَالَ : سَأَمْتَحِنُكَ فِي هَذَا وَأَمَرَهُ بِالْإِنْشَادِ ، فَأَنْشَدَ حَتَّى ضَجِرَ الْوَلِيدُ ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ مَنِ اُسْتَحْلَفَهُ أَنْ يَصْدُقَهُ عَنْهُ وَيَسْتَوْفِيَ(١) عَلَيْهِ ، فَأَنْشَدَهُ أَلْفَيْنِ وَتِسْعَمِائَةِ

(١) ويستوفى عليه : أى لا يبقى شيئا مما تعهد به

قَصِيدَةٍ لِلْجَاهِلِيِّينَ وَأَخْبَرَ الْوَلِيدَ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَرُوِيَ عَنْ حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مُنْقَطِعاً إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ أَخُوهُ هِشَامٌ يَجْفُونِي لِذَلِكَ دُونَ سَائِرِ أَهْلِهِ مِن بَنِي أُمَيَّةَ . فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ وَأَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى هِشَامٍ خِفْتُهُ ، فَمَكَثْتُ فِي بَيْتِي سَنَةً لَا أَخْرُجُ إِلَّا لِمَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ إِخْوَانِي سِرًّا ، فَلَمَّا لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَذْكُرُنِي أَمِنْتُ فَخَرَجْتُ وَصَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ فِي الرُّصَافَةِ ، ثُمَّ جَلَسْتُ عِنْدَ بَابِ الْفِيلِ ، فَإِذَا شُرْطِيَّانِ قَدْ وَقَفَا عَلَيَّ فَقَالَا : يَا حَمَّادُ أَجِبِ الْأَمِيرَ يُوسُفَ ابْنَ عُمَرَ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَحْذَرُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمَا : هَلْ لَكُمَا أَنْ تَدَعَانِي حَتَّى آتِيَ أَهْلِي فَأُوَدِّعَهُمْ وَدَاعَ مَنْ لَا يَنْصَرِفُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا ثُمَّ أَصِيرَ مَعَكُمَا إِلَى الْأَمِيرِ ؟ فَقَالَا : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، فَاسْتَسْلَمْتُ إِلَيْهِمَا وَصِرْتُ إِلَى

يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ فِي الْإِيوَانِ الْأَحْمَرِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَمَى إِلَيَّ كِتَاباً فِيهِ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » مِنْ عَبْدِ اللهِ هِشَامٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ إِلَى حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ مَنْ يَأْتِيكَ بِهِ غَيْرَ مُرَوَّعٍ وَلَا مُتَعْتَعٍ (١) وَادْفَعْ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ وَجَمَلًا مَهْرِيًّا يَسِيرُ عَلَيْهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً إِلَى دِمَشْقَ، فَأَخَذْتُ الدَّنَانِيرَ وَنَظَرْتُ فَإِذَا جَمَلٌ مَرْحُولٌ (٢)، فَرَكِبْتُهُ وَسِرْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى وَافَيْتُ بَابَ هِشَامٍ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَأُذِنَ لِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي دَارٍ قَوْرَاءَ (٣) مَفْرُوشَةٍ بِالرُّخَامِ . وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ مَفْرُوشٍ بِالرُّخَامِ بَيْنَ كُلِّ رُخَامَتَيْنِ قَضِيبُ ذَهَبٍ، وَهِشَامٌ جَالِسٌ عَلَى طِنْفِسَةٍ (٤) حَمْرَاءَ، وَعَلَيْهِ ثِيَابُ خَزٍّ حُمْرٌ وَقَدْ تَضَمَّخَ (٥) بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِسْكٌ مَفْتُوتٌ فِي أَوَانِي ذَهَبٍ

---

(١) ولا متعتع : ولا مكره (٢) مرحول : أى عليه الرحل (٣) قوراء : أى واسعة (٤) طنفسة : واحدة الطنافس : الأبسطة (٥) تضمخ : تلطخ وتعطر

يُقَلِّبُهُ بِيَدِهِ فَيَفُوحُ ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَاُسْتَدْنَانِى فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَبَّلْتُ رِجْلَهُ ، فَإِذَا جَارِيَتَانِ لَمْ أَرَ مِثْلَهُمَا قَطُّ وَفِى أُذُنَىْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حَلْقَتَانِ فِيهِمَا لُؤْلُؤَتَانِ تَتَقِدَانِ . فَقَالَ لِى : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَمَّادُ وَكَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقُلْتُ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَتَدْرِى فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ لَا ، قَالَ : بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِسَبَبِ بَيْتٍ خَطَرَ بِبَالِى لَا أَعْرِفُ قَائِلَهُ . قُلْتُ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ
قَيْنَةٌ(١) فِى يَمِينِهَا إِبْرِيقُ

فَقُلْتُ : هَذَا يَقُولُهُ عَدِىُّ بْنُ زَيْدٍ الْعِبَادِىُّ فِى قَصِيدَةٍ لَهُ ، قَالَ فَأَنْشِدْنِيهَا فَأَنْشَدْتُهُ :

بَكَرَ(٢) الْعَاذِلُونَ فِى وَضَحِ الصُّبْـ
ـحِ يَقُولُونَ لِى أَلَا تَسْتَفِيقُ ؟

---

(١) قينة : جارية مغنية (٢) بكر الخ : أى لاموه مبكرين وعذلوه فى البكور . ووضح : الصبح : أول ظهور الضوء .

وَيَلُومُونَ فِيكِ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّـ
ـهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهُوقُ (١)
لَسْتُ أَدْرِي إِذْ أَكْثَرُوا الْعَذْلَ فِيهَا
أَعَدُوٌّ يَلُومُنِي أَمْ صَدِيقُ ؟
زَانَهَا حُسْنُهَا وَفَرْعٌ عَمِيمٌ
وَأَثِيثٌ (٢) صَلْتٌ (٣) الْجَبِينِ أَنِيقُ
وَثَنَايَا مُفَلَّجَاتٌ (٤) عِذَابٌ
لَا قِصَارٌ تُرَى وَلَا هُنَّ رُوقُ (٥)
وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ
قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيقُ
قَدَّمَتْهُ عَلَى عُقَارٍ كَعَيْنِ الدِّ
يكِ صَفَّى سُلَافَهَا الرَّاوُوقُ (٦)

---

(١) موهوق : يروى مكانها موثوق . والموهوق : المحبوس . (٢) أثيث : الأثيث : الشعر الملتف (٣) صلت الجبين : أملس براق مع الاستواء (٤) مفلجات : بعيد ما بين الثنايا والرباعيات (٥) روق : طوال يقال طالت ثناياه فهو أروق (٦) الراووق : المصفاة

مُرَّةً قَبْلَ مَزْجِهَا فَإِذَا مَا
مُزِجَتْ لَذَّ طَعْمَهَا مَنْ يَذُوقُ

وَطَفَا فَوْقَهَا فَقَاقِيعُ كَالدْ
دُرِّ صِغَارٌ يُثِيرُهَا التَّصْفِيقُ (١)

ثُمَّ كَانَ الْمِزَاجُ مَاءَ سَحَابٍ
لَا صَرًى آجِنٍ (٢) وَلَا مَطْرُوقُ

قَالَ: فَطَرِبَ هِشَامٌ ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتَ يَا حَمَّادُ. يَاجَارِيَةُ اُسْقِيهِ، فَسَقَتْنِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ بِثُلُثِ عَقْلِي وَقَالَ: أَعِدْ، فَأَعَدْتُ فَاسْتَخَفَّهُ الطَّرَبُ حَتَّى نَزَلَ عَنْ فَرْشِهِ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَارِيَةِ الْأُخْرَى اُسْقِيهِ، فَسَقَتْنِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ بِثُلُثِ عَقْلِي الثَّانِي، فَقُلْتُ: إِنْ سَقَتْنِي الثَّالِثَةَ اُفْتُضِحْتُ، فَقَالَ لِي هِشَامٌ: سَلْ حَاجَتَكَ، قُلْتُ: كَائِنَةً مَا كَانَتْ؟ قَالَ نَعَمْ، قُلْتُ إِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: هُمَا جَمِيعاً لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَا لَهُمَا، ثُمَّ قَالَ لِلْأُولَى اُسْقِيهِ، فَسَقَتْنِي شَرْبَةً لَمْ أَعْقِلْ

(١) التصفيق: المزج (٢) فى الأغانى: غير ما آجن. الصرى: المتغير والمطروق: ما يتردد الناس عليه لاستعماله.

بَعْدَهَا حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَإِذَا بِالْجَارِيَتَيْنِ عِنْدَ رَأْسِي وَعِدَّةٍ مِنَ الْخَدَمِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَدْرَةٌ ، فَقَالَ لِي أَحَدُهُمْ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : خُذْ هَذِهِ فَأَصْلِحْ بِهَا شَأْنَكَ ، فَأَخَذْتُهَا وَالْجَارِيَتَيْنِ وَانْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي . قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْلَمَ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ حَمَّادٍ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَ حَمَّادٌ أَعْلَمَ النَّاسِ إِذَا نَصَحَ يَعْنِي إِذَا لَمْ يَزِدْ وَيَنْقُصْ فِي الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُتَّهَمًا بِأَنَّهُ يَقُولُ الشِّعْرَ وَيَنْحَلُهُ(١) شُعَرَاءَ الْعَرَبِ ، وَقَالَ الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ : قَدْ سُلِّطَ عَلَى الشِّعْرِ مِنْ حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ مَا أَفْسَدَهُ فَلَا يَصْلُحُ أَبَدًا ، فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ أَيُخْطِئُ فِي رِوَايَةٍ أَمْ يَلْحَنُ ؟ قَالَ : لَيْتَهُ كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ يَرُدُّونَ مَنْ أَخْطَأَ إِلَى الصَّوَابِ ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ عَالِمٌ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا وَمَذَاهِبِ الشُّعَرَاءِ وَمَعَانِيهِمْ ، فَلَا يَزَالُ يَقُولُ الشِّعْرَ يُشَبِّهُ بِهِ مَذْهَبَ رَجُلٍ ، وَيُدْخِلُهُ فِي شِعْرِهِ وَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَنْهُ فِي الْآفَاقِ

---

(١) وينحله شعراء العرب : ينسبه إليهم

فَتَخْتَلِطُ أَشْعَارُ الْقُدَمَاءِ وَلَا يَتَمَيَّزُ الصَّحِيحُ مِنْهَا إِلَّا عِنْدَ عَالِمٍ نَاقِدٍ وَأَيْنَ ذَلِكَ ؟ . وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّحَّاسُ أَنَّ حَمَّاداً هُوَ الَّذِي جَمَعَ السَّبْعَ(١) الطِّوَالَ وَلَمْ يَثْبُتْ مَا ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى الْكَعْبَةِ . وَلِحَمَّادٍ أَخْبَارٌ طِوَالٌ اقْتَصَرْنَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ . وَرَثَاهُ ابْنُ كِنَاسَةَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ :

لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ
نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ
لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
فَهَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْـ
ـنَى الْعِلْمُ فِيهِ وَيَدْرُسُ(٢) الْأَثَرُ

(١) السبع الطوال من الشعر هي : معلقة امرىء القيس ، وزهير ، وعمرو ، ولبيد ، وطرفة ، والحارث ، وعنترة . وتسمى المعلقات السبع (٢) يدرس : يعفو ويبلى

٣٤ – حِمَاسُ بْنُ ثَامِلٍ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ *

حماس بن ثامل

شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ أَدْرَكَ أَيَّامَ السَّفَّاحِ ، وَكَانَ يَوْماً فِي مَجْلِسِهِ فَذَكَرَ إِسْمَعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ بَنِي أُمَيَّةَ فَذَمَّهُمْ وَسَبَّهُمْ ، فَقَالَ حِمَاسٌ لِلسَّفَّاحِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيَسُبُّ هٰذَا بَنِي عَمِّكَ وَعُمَّالَهُمْ وَهُوَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ وَالْخِرِّيتَ فِي نَسَبٍ ؟ إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ فَكُلْهُمْ وَلَا تُؤْكِلْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ ، وَأَمْسَكَ إِسْمَاعِيلُ فَلَمْ يُحِرْ[1] جَوَاباً . وَمِنْ شِعْرِ حِمَاسٍ :

اللهُ نَجَّى قَلُوصِي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ
مِنَ الْأَمِيرِ وَمِنْ عَمْرِو بْنِ سَيَّارِ
بِحَلْفَةٍ مِنْ يَمِينٍ غَيْرِ صَادِقَةٍ
حَلَفْتُهَا ثُمَّ لَمْ تُلْحِقْنِ[2] بِالنَّارِ
إِحْلِفْ يَمِيناً إِذَا مَا خِفْتَ مُضْلِعَةً[3]
وَتُبْ إِلَى غَافِرٍ لِلذَّنْبِ غَفَّارِ

---

(١) فلم يحر جوابا : فلم يرد (٢) بالأصل « تلحقنى » ولكن الياء محذوفة

(٣) مضلعة : مثقلة مهلكة تضلع من يحملها لما فيها من مشقة

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته هذه

٣٥ – حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَطَّابِ *

حمد بن محمد الخطابى

الْخَطَّابِىُّ ، مِنْ وَلَدِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ أَبُو سُلَيْمَانَ الْبُسْتِىُّ ، نِسْبَةٌ إِلَى مَدِينَةِ بُسْتَ مِنْ بِلَادِ كَابُلَ ، كَانَ مُحَدِّثًا فَقِيهًا أَدِيبًا شَاعِرًا لُغَوِيًّا ، أَخَذَ اللُّغَةَ وَالْأَدَبَ عَنْ أَبِى عُمَرَ الزَّاهِدِ ، وَأَبِى عَلِىٍّ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ ، وَأَبِى جَعْفَرٍ الرَّزَّازِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَفَّالِ الشَّاشِىِّ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْبَيِّعِ الْمَعْرُوفُ بِالْحَاكِمِ النَّيْسَابُورِىُّ ، وَالْحَافِظُ الْمُؤَرِّخُ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِىُّ صَاحِبُ السِّيَاقِ لِتَارِيخِ نَيْسَابُورَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْخَطَّابِىُّ وَخَلْقٌ .

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات جزء رابع قسم أول بترجمة نورد ههنا ما أغفله ياقوت وهو قوله :

صنف كثيراً من الكتب منها :

الغنية عن الكلام وأهله ، شرح أسماء الله الحسنى وغير ذلك ، روى عن جماعة وسماه صاحب اليتيمة أبا سليمان ، والصواب حمد كما قاله الجم الغفير .

ويقال إنه من ولد زيد بن الخطاب ولم يثبت .

وترجم له أيضاً فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان جزء أول

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ : كَانَ حُجَّةً صَدُوقاً رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ ، وَجَالَ فِي خُرَاسَانَ وَخَرَجَ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ . وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ : كَانَ يُشَبَّهُ فِي عَصْرِنَا بِأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فِي عَصْرِهِ عِلْماً وَأَدَباً وَزُهْداً وَوَرَعاً وَتَدْرِيساً وَتَأْلِيفاً ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ شِعْراً حَسَناً . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ مُفْحَماً (١) . وَلِأَبِي سُلَيْمَانَ كُتُبٌ مِنْ تَآلِيفِهِ أَشْهَرُهَا وَأَسْيَرُهَا : كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَلَهُ أَعْلَامُ السُّنَنِ فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، وَمَعَالِمُ السُّنَنِ فِي شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، وَكِتَابُ إِصْلَاحِ غَلَطِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَكِتَابُ الْعُزْلَةِ ، وَكِتَابُ شَأْنِ الدُّعَاءِ ، وَكِتَابُ الشِّجَاجِ وَغَيْرُ ذَلِكَ . وُلِدَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ بِبَلَدِهِ بُسْتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَمِنْ شِعْرِهِ :

---

(١) مفحما : يقال : شاعر مفحم : يغلب على أمره فى الشعر

إِذَا خَلَوْتُ صَفَا ذِهْنِي وَعَارَضَنِي
خَوَاطِرٌ كَطِرَازِ الْبَرْقِ فِي الظُّلَمِ
وَإِنْ تَوَالَى صِيَاحُ النَّاعِقِينَ عَلَى
أُذْنِي عَرَتْنِي مِنْهُ لُكْنَةُ الْعَجَمِ

وَقَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا الْحَيَاةُ وَإِنْ حَرَصْنَا
عَلَيْهَا غَيْرُ رِيحٍ مُسْتَعَارَهْ
وَمَا لِلرِّيحِ دَائِمَةً هُبُوبٌ
وَلَـكِنْ تَارَةً تَجْرِى وَتَارَهْ

وَقَالَ :

وَمَا غُمَّةُ(١) الْإِنْسَانِ مِنْ شُقَّةِ(٢) النَّوَى
وَلَـكِنَّهَا وَاللهِ مِنْ عَدَمِ الشَّكْلِ
وَإِنِّى غَرِيبٌ بَيْنَ بُسْتَ وَأَهْلِهَا
وَإِنْ كَانَ فِيهَا أُسْرَتِى وَبِهَا أَهْلِى

(١) الغمة : الكربة (٢) الشقة : البعد وفى وفيات الأعيان غربة بدل غمة

وَقَالَ :

تَسَامَحْ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ
وَأَبْقِ فَلَمْ يَسْتَقْصِ قَطُّ كَرِيمُ

وَلَا تَغْلُ[1] فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ
كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمُ

وَقَالَ :

قَدْ أُولِعَ النَّاسُ بِالتَّلَاقِي وَالْمَرْءُ صَبٌّ إِلَى هَوَاهُ
وَإِنَّمَا مِنْهُمُ صَدِيقِي مَنْ لَا يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ

وَقَالَ :

شَرُّ السِّبَاعِ الضَّوَارِي دُونَهُ وَزَرٌ[2]
وَالنَّاسُ شَرُّهُمُ مَادُونَهُ وَزَرُ

كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لَمْ يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ
وَمَا تَرَى بَشَراً لَمْ يُؤْذِهِ بَشَرُ

(١) ولا تغل : ولا تسرف وتتغال (٢) الوزر : الملجأ ، والوزر الثانى : الملجأ أيضاً

وَقَالَ :

مَادُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمُ
فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ
مَنْ يَدْرِ دَارَى وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَى
عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيماً لِلنَّدَامَاتِ

﴿ ٣٦ — حَمْدَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْأَثَارِبِيُّ * ﴾

حمدان بن عبد الرحيم الأثاربى

كَانَ طَبِيباً أَدِيباً شَاعِراً دَائِباً فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ وَيَصْحَبُ مَنْ لَقِيَهُ مِنْهُمْ وَيُلَازِمُهُ . مَاتَ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

لَا جِلَّقٌ رُقْنَ لِي مَعَالِمُهَا
وَلَا أَطَبَتْنِي (١) أَنْهَارُ بُطْنَانِ
وَلَا ازْدَهَتْنِي (٢) بِمَنْبِجٍ فُرَصٌ
رَاقَتْ لِغَيْرِي مِنْ آلِ حَمْدَانِ

(١) أطبتنى : أمالتنى إليها . (٢) فى الاصل « أزهدتنى »

(*) راجع تاريخ حلب ج أول صفحة ٤١

لَكِنْ زَمَانِي بِالْجَزْرِ (١) ذَكَّرَنِي
طِيبَ زَمَانِي وَفِيهِ أَبْكَانِي
يَاحَبَّذَا الْجَزْرُ كَمْ نَعِمْتُ بِهِ
بَيْنَ جِنَانٍ ذَوَاتِ أَفْنَانِ

وَاجْتَازَ بِحَمْدَانَ فِي بَعْضِ السِّنِينَ الْأَمِيرُ مُهَنَّدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ الْخُشَيْنِيِّ فَأَنْزَلَهُ بِدَارِهِ فِي الْأَثَارِبِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ أَشْهُرًا، فَلَمَّا وَافَى هِلَالُ رَمَضَانَ قَالَ الْأَمِيرُ:

لِلّٰهِ مِنْ قَمَرٍ رَآنِي مُعْرِضًا
عَنْهُ وَإِعْرَاضِي حِذَارُ وُشَاتِهِ
طَلَعَ الْهِلَالُ فَقُلْتُ أَعْمَلُ حِيلَةً
فِي قُبْلَةٍ أَجْنِي (٢) جَنَى (٣) وَجَنَاتِهِ
فَمَضَى وَقَالَ تَصَدَّيَنْ قَمَرَ الْهَوَى
لِتَرَى الْهِلَالَ رَقِي إِلَى دَرَجَاتِهِ

(١) هي كورة من كور حلب ذكرها ياقوت فى معجم البلدان وذكر أن منها صاحب الترجمة وروى الابيات مع تحريف فيها «عبد الخالق»

(٢) أجنى : أقطف ثمرها (٣) الجنى : ثمر الشجرة والكلام على المجاز

فَأَنَا وَحَقِّ هَوَاكَ أَبْعَدُ مُرْتَقًى
مِنْهُ وَتَأْثِيرِي كَتَأْثِيرَاتِهِ
أَنَا كَامِلٌ أَبَدًا وَذَلِكَ نَاقِصٌ
فَاجْهَدْ بِوَصْفِي مُمْعِنًا وَصِفَاتِهِ

٣٧ – حَمْدَةُ وَيُقَالُ حَمْدُونَةُ *

حمدة بنت زياد

بِنْتُ زِيَادِ بْنِ تَقِيّ (١) مِنْ قَرْيَةِ بَادِي مِنْ أَعْمَالِ وَادِي آشٍ ، كَانَ أَبُوهَا زِيَادٌ مُؤَدِّبًا وَكَانَتْ أَدِيبَةً نَبِيلَةً شَاعِرَةً ذَاتَ جَمَالٍ وَمَالٍ مَعَ الْعَفَافِ وَالصَّوْنِ ، إِلَّا أَنَّ حُبَّ الْأَدَبِ

---

(١) فى كتاب الأعلام : ابن تقى بالتاء . فأصلحناه بالتاء لذلك

(*) ترجم لها فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى جزء رابع قسم أول بما يأتى قال : حمدة ويقال حمدونة بنت زياد بن تقى العوفى بالفاء المؤدب من أهل وادى آش قال ابن الأبار فى تحفة القادم : هي إحدى المتأدبات المتصرفات المتنزلات المتعففات ، حدثت عن أبى الكرم جودى بن عبد الرحمن الأديب قال : أنشدنى أبو القاسم بن البراق قال : أنشدتنى حمدة بنت زياد العوفية وقد خرجت متنزهة بالرملة من وادى آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت :

أباح الدمع أسرارى بوادى
به للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض
ومن روض يطوف بكل واد
ومن بين الظباء مهاة رمل
سبت لي وقد ملكت قيادى —

كَانَ يَحْمِلُهَا عَلَى مُخَالَطَةِ أَهْلِهِ مَعَ نَزَاهَةٍ مَوْثُوقٍ بِهَا ، وَكَانَتْ تُلَقَّبُ بِخَنْسَاءِ الْمَغْرِبِ وَشَاعِرَةِ الْأَنْدَلُسِ . وَرَوَى عَنْهَا أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْبَرَّاقِ قَالَ : أَنْشَدَتْنَا حَمْدَةُ الْعَوْفِيَّةُ لِنَفْسِهَا وَقَدْ خَرَجَتْ مُتَنَزِّهَةً بِالرَّمْلَةِ مِنْ نَوَاحِي وَادِي آشٍ ، فَرَأَتْ ذَاتَ وَجْهٍ وَسِيمٍ أَعْجَبَهَا فَقَالَتْ :

أَبَاحَ الدَّمْعُ أَسْرَارِي بِوَادِي
لَهُ فِي الْحُسْنِ آثَارٌ بَوَادِي
فَمِنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ
وَمِنْ رَوْضٍ يَرِفُّ (١) بِكُلِّ وَادِي
وَمِنْ بَيْنِ الظِّبَاءِ مَهَاةُ إِنْسٍ
سَبَتْ لُبِّي وَقَدْ مَلَكَتْ فُؤَادِي

— قال وأنشدني الكاتبان أبو جعفر بن عبيد الأركش وأبو إسحاق بن الفقيه الجياني قالا : أنشدنا القاضي أبو يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الجرادي لحمدة هذه : « ولما أبى الواشون » الأبيات التي ذكرها ياقوت . وحدثني بعض قرابة الأمير أبي عبد الله بن سعد أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرازق الغرناطية ، وعاصرت حمدة هذه نزهون بنت القليعي الغرناطية .

(١) يرف : يهتز وتضطرب أغصانه

لَهَا لَحْظٌ تُرَقِّدُهُ لِأَمْرٍ
وَذَاكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادِي

إِذَا سَدَلَتْ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا
رَأَيْتَ الْبَدْرَ فِي أُفُقِ السَّوَادِ

كَأَنَّ الصُّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ
فَمِنْ حُزْنٍ تَسَرْبَلَ بِالسَّوَادِ

وَقَدْ نَسَبَ إِلَيْهَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ الْأَبْيَاتَ الشَّهِيرَةَ الْمَنْسُوبَةَ لِلْمَنَازِيِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ وَهِيَ :

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ[1] وَادٍ
سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ

حَلَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا
حُنُوَّ الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ

وَأَرْشَفَنَا عَلَى ظَمَأٍ زُلَالًا
أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ

---

(١) الرمض : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رمضاء وقد رمض يومنا : إذا اشتد حره

يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنَّى وَاجَهَتْنَا ؟
فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ

يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى
فَتَلْمِسُ جَانِبَ الْعِقْدِ النَّظِيمِ

أَجْمَعَ أُدَبَاءُ الْمَشْرِقِ عَلَى نِسْبَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِلْمَنَازِيِّ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْمَنَازِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَأَنَّهُ عَرَضَهَا عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ فَجَعَلَ الْمَنَازِيُّ كُلَّمَا أَنْشَدَهُ الْمِصْرَاعَ الْأَوَّلَ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ سَبَقَهُ أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى الْمِصْرَاعِ الثَّانِي كَمَا نَظَمَهُ الْمَنَازِيُّ ، وَنَسَبَهَا أُدَبَاءُ الْأَنْدَلُسِ وَمُؤَرِّخُوهَا إِلَى حَمْدَةَ وَجَزَمَ بِذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، وَفِيهِمْ مَنْ رَوَاهَا لَهَا قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الْمَنَازِيُّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَمِنْ شِعْرِ حَمْدَةَ أَيْضاً :

وَلَمَّا أَبَى الْوَاشُونَ إِلَّا فِرَاقَنَا
وَمَا لَهُمُ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ

وَشَنُّوا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ
وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
غَزَوْتُهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمُعِي
وَمِنْ نَفَسِي بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

﴿ ٣٨ – حَمْزَةُ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

حمزة بن أسد القلانسى

أَبُو يَعْلَى الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَلَانِسِيِّ التَّمِيمِيُّ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْمُؤَرِّخُ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ دِمَشْقَ وَمِنْ أَفَاضِلِهَا الْمُبَرِّزِينَ وَلِيَ رِيَاسَةَ دِيوَانِهَا مَرَّتَيْنِ، وَبِهَا تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَلَهُ تَارِيخٌ لِلْحَوَادِثِ ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ، وَكَانَتْ لَهُ عِنَايَةٌ بِالْحَدِيثِ، وَلَهُ كُتُبٌ عَلَيْهَا سَمَاعُهُ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

إِيَّاكَ تَقْنَطُ (١) عِنْدَ كُلِّ شَدِيدَةٍ
فَشَدَائِدُ الْأَيَّامِ سَوْفَ تَهُونُ

(١) تقنط : تيأس

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى جزء رابع قسم أول قال : حمزة بن أسعد بن على بن محمد أبو يعلى التميمى القلانسى . كان أديباً شاعرا وله خط حسن ونظم ونثر حدث عن سهلب وأبى حامد بن يوسف التفليسى قال الحافظ بن عساكر : سمع من بعض أصحابنا ولم أسمع منه ، وصنف تاريخاً للحوادث بعد سنة أربعين وأربعمائة وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ومن شعره : « يا نفس لاتجزعى » وقد ذكره ياقوت

وَانْظُرْ أَوَائِلَ كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ
أَبَدًا فَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ

وَقَالَ أَيْضاً :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ قَلْبِي طَرْفُهُ فَغَدَا
مُعَذَّباً بَيْنَ أَشْوَاقٍ وَأَشْجَانِ
أُمْنُنْ بِوَصْلٍ لَعَلِّي أَسْتَجِيرُ بِهِ
مِنْ سَطْوَةِ الْبَيْنِ فِي صَدٍّ وَهِجْرَانِ
مَالِي مُنِيتُ بِمَمْنُوعٍ يُعَذِّبُنِي
وَلَا يَزِيدُ فُؤَادِي غَيْرَ أَحْزَانِ
لَا بَرَّدَ اللهُ قَلْبِي مِنْ تَحَرُّقِهِ
إِنْ شِبْتُ (١) حُبِّي لَهُ يَوْماً بِسُلْوَانِ
إِذَا تَرَنَّمَ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنَنٍ (٢)
فِي لَيْلَةٍ زَادَ فِي حُزْنِي وَأَشْجَانِي
وَكَمْ أُسِرُّ غَرَامِي ثُمَّ أُعْلِنُهُ
وَلَيْسَ يَخْفَى بِكُمْ سِرِّي وَإِعْلَانِي

(١) شبت : خلطت (٢) فنن : أى على غصن .

لَا بَرَّدَ اللّهُ شَوْقِى إِنْ نَوَيْتُ لَكُمْ
تَغَيُّراً مَا بِأَشْكَالٍ وَأَلْوَانِ

وَقَالَ :

يَا نَفْسُ لَا تَجْزَعِى مِنْ شِدَّةٍ عَظُمَتْ
وَأَيْقِنِى مِنْ إِلَهِ الْخَلْقِ بِالْفَرَجِ
كَمْ شِدَّةٍ عَرَضَتْ ثُمَّ انْجَلَتْ وَمَضَتْ
مِنْ بَعْدِ تَأْثِيرِهَا فِى الْمَالِ وَالْمُهَجِ

﴿ ٣٦ — حَمْزَةُ بْنُ بِيضٍ[1] الْحَنَفِىُّ الْكُوفِىُّ * ﴾

حمزة بن بيض الكوفى

أَحَدُ بَنِى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، شَاعِرٌ مُقَدَّمٌ مُجِيدٌ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، كَانَ مُنْقَطِعاً إِلَى الْمُهَلَّبِ وَوَلَدِهِ ، ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى الْأَمِيرِ بِلَالِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ ، وَوَفَدَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَامْتَدَحَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ فَقَالَ :

أَتَيْنَا سُلَيْمَانَ الْأَمِيرَ نَزُورُهُ
وَكَانَ أَمْرَأً يُحْبِى[2] وَيُكْرِمُ زَائِرَهُ

(١) ورد فى القاموس : وابن بيض باعتبارها جمع ابيض ، وعقبها بقوله ويفتح ، ثم وهم من قال بذلك . (٢) يحبى : يعطى

(*) راجع الوافى بالوفيات ج ٤ ص ١٦٩ وفوات الوفيات

إِذَا كُنْتَ بِالنَّجْوَى (١) بِهِ مُتَفَرِّدًا
فَلَا الْجُودُ مُخْلِيهِ وَلَا الْبُخْلُ حَاضِرُهْ (٢)
كَفَى سَائِلِيهِ سُؤْلَهُمْ مِنْ ضَمِيرِهِ
عَنِ الْبُخْلِ نَاهِيهِ وَبِالْجُودِ آمِرُهْ؟

وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ:

حَازَ الْخِلَافَةَ وَالِدَاكَ كِلَاهُمَا
مَا بَيْنَ سَخْطَةِ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا
وَعَلَى جَبِينِكَ نُورُ مُلْكٍ رَابِعِ
سَرَّيْتَ (٣) خَوْفَ بَنِي الْمُهَلَّبِ بَعْدَمَا
نَظَرُوا السَّبِيلَ بِسُمِّ مَوْتٍ نَاقِعِ
لَيْسَ الَّذِي أَوْلَاكَ رَبُّكَ مِنْهُمُ
عِنْدَ الْإِلَهِ وَعِنْدَهُمْ بِالضَّائِعِ

فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ فِي سُلَيْمَانَ أَيْضًا:

---

(١) النجوى: التحدث فى خلوة (٢) يريد إذا انفردت به فلا تسأله لأن الجود لا يتخلى عنه ولا يحضره البخل فالشطر الثانى دليل الجواب.

(٣) سريت: أذهبت وكشفت. «عبد الخالق»

لَمْ تدْرِ مَا « لَا » فَلَسْتَ قَائِلَهَا
عُمْرَكَ مَا عِشْتَ آخِرَ الْأَبَدِ
وَلَمْ تُؤَامِرْ(١) بِتِلْكَ مُمْتَرِيًا
فِيهَا وَفِي أُخْتِهَا وَلَمْ تَكَدِ
وَهْيَ عَلَى أَنَّهَا الْخَفِيفَةُ أَثْ
قَلُ حِمْلًا عَلَيْكَ مِنْ أُحُدِ(٢)
لِمَا تعَوَّدْتَ مِنْ نعَمْ فَنَعَمْ
أَلَذُّ فِي فِيكَ مِنْ جَنَى الشَّهِدِ
إِلَّا يَكُنْ عَاجِلٌ تُعَجِّلُهُ
لَنَا لِئَلَّا تَقُولَ لَا فَعِدِ
وَمَا تَعِدْ فِي غَدٍ يَكُنْ غَدُكَ الْ
سوَافِدُ لِلسَّائِلِينَ خَيْرَ غَدِ

(١) لم تؤامر : لم تستشر يريد أنك لا تستشير في تلك أي في نعم فأنت لاتعرف لا ، ولا تستشير في نعم حال كونك غير ممتر أو قريب من الامتراء وإنما كانتا أختين مع التضاد لأن مصدرهما واحد « عبد الخالق »
(٢) أحد : جبل بالمدينة

وَدَخَلَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَهُوَ يَتَأَهَّبُ لِلْمُضِيِّ إِلَى الْمَسْجِدِ وَجَارِيَتُهُ تُعَمِّمُهُ فَضَحِكَ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : مِنْ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا ، إِنْ أَذِنَ لِيَ الأَمِيرُ قَصَصْتُهَا ، قَالَ قُلْ : فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ سَنَنْتَ[1] خَزًّا
عَلَيَّ بَنَفْسَجًا وَقَضَيْتَ دَيْنِي
فَصَدِّقْ يَاهُدِيتَ الْيَوْمَ رُؤْيَا
رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي

قَالَ : كَمْ دَيْنُكَ ؟ قَالَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا ، قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِهَا وَمِثْلِهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَاغِلْمَانُ فَتِّشُوا الْخَزَائِنَ فَجِيئُوهُ بِكُلِّ جُبَّةِ خَزٍّ بَنَفْسَجٍ تَجِدُونَهَا ، فَجَاءُوا بِثَلَاثِينَ جُبَّةً ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ يُلَاحِظُ الْجَارِيَةَ فَقَالَ : يَاجَارِيَةُ عَاوِنِي عَمَّكِ عَلَى قَبْضِ الْجِبَابِ ، فَإِذَا وَصَلْتِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَنْتِ لَهُ ، فَأَخَذَهَا وَالْجِبَابَ وَانْصَرَفَ ، وَقَالَ فِي يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَيْضًا :

---

(١) سننت : صببت ، وفي الأغاني : شننت

وَمَتَى يُؤَامِرْ نَفْسَهُ مُسْتَخْلِيًا
فِى أَنْ تَجُودَ لَدَى السُّؤَالِ تَقُولُ جُدْ ؟
أَوْ أَنْ يَعُودَ لَنَا بِنَفْحَةِ نَائِلٍ
بَعْدَ الْكَرَامَةِ وَالْحِبَاءِ (١) تَقُولُ عُدْ
أَوْ فِى الزِّيَادَةِ بَعْدَ جَزْلِ عَطَائِهِ
لِلْمُسْتَزِيدِ مِنَ الْعُفَاةِ تَقُولُ زِدْ
أَوْ فِى الْوُفُودِ عَلَى فَقِيرٍ مُوبَقٍ (٢)
بَخِلَتْ أَقَارِبُهُ عَلَيْهِ تَقُولُ فِدْ
أَوْ فِى وُرُودِ شَرِيعَةٍ مَحْفُوفَةٍ
بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالرِّمَاحِ تَقُولُ رِدْ
وَنَعَمْ بِفِيهِ أَلَذُّ حِينَ يَقُولُهَا
طَعْمًا مِنَ الْعَسَلِ الْمَدُوفِ (٣) بِمَاءِ وَرْدْ (٤)

وَلَمَّا خَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى هِشَامٍ مَنَعَ أَهْلَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ أَعْطِيَاتِهِمْ سَنَةً ، فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ بِيضٍ فِى ذَلِكَ :

(١) الحباء : العطاء (٢) موبق : مبعد (٣) المدوف : المخلوط
(٤) « ورد » بالأصل بدون همزة فأصلحناها لأن المراد ماء ورد

وَصَلْتَ سَمَاءَ الضُّرِّ بِالضُّرِّ بَعْدَ مَا
زَعَمْتَ سَمَاءَ الضُّرِّ عَنَّا سَتُقْلِعُ
فَلَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا
وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرَجِّى وَنَطْمَعُ

وَلَمَّا وُلِّيَ أَبُو لَبِيدٍ الْبَجَلِيُّ «ابْنُ أُخْتِ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ» أَصْبَهَانَ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَنَسِّكًا خَرَجَ حَمْزَةُ بْنُ بِيضٍ فِي صُحْبَتِهِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ مِثْلَ حَمْزَةَ لَا يَصْحَبُ مِثْلَكَ، لِأَنَّهُ صَاحِبُ كِلَابٍ[1] وَلَهْوٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأَمَرَهُ بِالِانْصِرَافِ فَقَالَ:

يَابْنَ الْوَلِيدِ الْمُرْتَجَى سَيْبُهُ
وَمَنْ يُجَلِّي[2] الْحِنْدِسَ[3] الْحَالِكَا
سَبِيلُ مَعْرُوفِكَ مِنِّي عَلَى
بَالٍ فَمَا بَالِي عَلَى بَالِكَا؟

(١) هكذا جاءت وظنى أنها كلام يشير إلى قول الشعر (٢) يجلى: يكشف
(٣) الحندس: الظلام

حَشْوُ قَمِيصِي شَاعِرٌ مُفْلِقٌ
وَالْجُودُ أَمْسَى حَشْوَ سِرْبَالِكَا
يَلُومُكَ النَّاسُ عَلَى صُحْبَتِي
وَالْمِسْكُ قَدْ يَسْتَصْحِبُ الرَّامِكَا (١)
إِنْ كُنْتَ لَا تَصْحَبُ إِلَّا فَتًى
مِثْلَكَ لَنْ تُؤْتَى بِأَمْثَالِكَا
إِنِّي امْرُؤٌ حَيْثُ يُرِيدُ الْهَوَى
فَعَدِّ (٢) عَنْ جَهْلِي بِإِسْلَامِكَا

قَالَ لَهُ أَبُو لَبِيدٍ: صَدَقْتَ وَقَرَّبَ مَنْزِلَتَهُ. وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ بِمَرْوَ فَقَالَ يَا نَضْرُ أَنْشِدْنِي أَخْلَبَ بَيْتٍ لِلْعَرَبِ، قُلْتُ هُوَ قَوْلُ ابْنِ بِيضٍ فِي الْحَكَمِ ابْنِ مَرْوَانَ:

تَقُولُ لِي وَالْعُيُونُ هَاجِعَةٌ
أَقِمْ عَلَيْنَا يَوْماً فَلَمْ أُقِمِ

(١) الرامك: ضرب من الطيب. والغرض التمثيل بأن الشيء العظيم يكون معه الحقير (٢) أى تجاوز

أَىَّ الْوُجُوهِ انْتَجَعْتَ ؟ قُلْتُ لَهَا

وَأَىُّ وَجْهٍ إِلا إِلَى الْحَكَمِ ؟

مَتَى يَقُلْ حَاجِبَا سُرَادِقِهِ

هَذَا ابْنُ بِيضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمِ

قَدْ كُنْتُ أَسْلَمْتُ قَبْلُ مُقْتَبِلاً (١)

وَالْآنَ إِذْ حَلَّ فَأَعْطِنِى سَلَمِى (٢)

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِلّٰهِ دَرُّكَ ! فَكَأَنَّمَا شُقَّ لَكَ عَنْ قَلْبِى . وَأَوْدَعَ حَمْزَةُ عِنْدَ نَاسِكٍ ثَلاثِينَ أَلْفًا ، وَمِثْلَهَا عِنْدَ نَبَّاذٍ (٣) ، فَأَمَّا النَّاسِكُ فَبَنَى بِهَا دَاراً وَزَوَّجَ بَنَاتِهِ فَأَنْفَقَهَا وَجَحَدَهَا ، وَأَمَّا النَّبَّاذُ فَأَدَّى إِلَيْهِ مَالَهُ ، فَقَالَ فِى ذَلِكَ :

أَلَا لَا يَغُرَّنْكَ ذُو سَجْدَةٍ

يَظَلُّ بِهَا دَائِماً يَخْدَعُ

كَأَنَّ بِجَبْهَتِهِ حَبَّةً (٤)

تُسَبِّحُ طَوْراً وَتَسْتَرْجِعُ

(١) مقتبلا : يريد منتظر الزمن المستقبل (٢) وفى الأغانى :

هات ادخلن ذا واعطنى سلمى

(٣) نباذ : بائع النبيذ (٤) يريد : مايرى فى بعض الجباه من أثر السجود وفى الأغانى « حلبة »

وَمَا لِلتُّقَى لَزِمَتْ وَجْهَهُ
وَلَكِنْ لِيَغْتَرَّ مُسْتَوْدِعُ ؟
وَلَا تَنْفِرَنَّ مِنَ أَهْلِ النَّبِيذِ
وَإِنْ قِيلَ يَشْرَبُ لَا يُقْلِعُ
فَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا قَدْ خَبَرْ
تُ إِنْ كَانَ عِلْمِي بِهَا يَنْفَعُ[(١)]
ثَلَاثُونَ أَلْفًا حَوَاهَا السُّجُودُ
فَلَيْسَتْ إِلَى أَهْلِهَا تَرْجِعُ
بَنَى الدَّارَ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالِهِ
فَأَصْبَحَ فِي بَيْتِهِ يَرْتَعُ
مَهَايِرُ[(٢)] مِنْ مَالِهِمْ قَدْ حُرِمْـ
ـنَ ظُلْمًا فَهُمْ سُغَّبٌ[(٣)] جُوَّعُ
وَأَدَّى أَخُو الْكَأْسِ مَا عِنْدَهُ
وَمَا كُنْتُ فِي رَدِّهِ أَطْمَعُ

(١) لعلها إذا كان (٢) مهاير : جمع مهيرة : وهي الحرة غالية المهر ويريد البنات (٣) في الأصل : ثغب بالثاء

وَنَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَسَاءُوا ضِيَافَتَهُ وَطَرَحُوا لِبَغْلَتِهِ تِبْناً رَدِيئاً فَعَافَتْهُ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهَا فَشَحَجَتْ (١) حِينَ رَأَتْهُ فَقَالَ :

إِحْسَبِيهَا لَيْلَةً أَدْلَجْتِهَا
فَكُلِي إِنْ شِئْتِ تِبْناً أَوْ ذَرِي
قَدْ أَتَى مَوْلَاكِ خُبْزٌ يَابِسٌ
فَتَغَدَّى فَتَغَدَّيْ وَاصْبِرِي

وَلِحَمْزَةَ بْنِ بِيضٍ أَخْبَارٌ حِسَانٌ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَابْنِهِ وَآلِ الْمُهَلَّبِ يَطُولُ ذِكْرُهَا . تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

﴿ ٤٠ — حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ عِمَارَةَ * ﴾

حمزة بن حبيب الكوفى

ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامُ أَبُو عِمَارَةَ التَّيْمِيُّ تَيْمُ اللهِ وَلَاءً وَقِيلَ نَسَباً ، الْكُوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالزَّيَّاتِ ، وَقِيلَ لَهُ الزَّيَّاتُ

(١) شحجت : صوتت وصوت البغل شحيج

(*) ترجم له فى كتاب طبقات القراء لابن الجزرى ج أول بترجمة مسهبة نقتطف منها ما يأتى قال : —

لِأَنَّهُ كَانَ يَجْلِبُ الزَّيْتَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى حُلْوَانَ، وَيَجْلُبُ مِنْ حُلْوَانَ الْجُبْنَ وَالْجَوْزَ إِلَى الْكُوفَةِ: وَهُوَ الْإِمَامُ الْحَبْرُ شَيْخُ الْقُرَّاءِ وَأَحَدُ السَّبْعَةِ الْأَئِمَّةِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَأَدْرَكَ الصَّحَابَةَ بِالسِّنِّ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَأَى بَعْضَهُمْ. أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَرْضاً عَنِ الْأَعْمَشِ وَالْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ

— ولد سنة ثمانين للهجرة، وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، أخذ القراءة عرضا عن حمران بن أعين، وأبى إسحاق السبيعى، ومحمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى، وطلحة بن مطرف، ومغيرة بن مقسم، وجعفر ابن محمد الصادق، وقد قالوا: استفتح حمزة القرآن من حمران، وعرض على الأعمش وأبى إسحاق، وابن أبى ليلى، وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود، وكان ابن أبى ليلى يجود حرف على، وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف، وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان. قرأ عليه وروى القراءة عنه: ابراهيم بن أدهم، وإبرهيم بن إسحاق بن راشد، وإبرهيم بن طعمة، وإبرهيم بن على الأزرق وإسحاق بن يوسف الأزرق، وإسرائيل بن يونس السبيعى، وأشعث بن عطاف، وبكر بن عبد الرحمن، وعدد عظيم لا يحصى عددهم، وجم غفير يعجز لسان الناد عن حصرهم، وكان إماما حجة، ثقة ثبتاً، رضيا قيما بكتاب الله، بصيرا بالفرائض، عارفا بالعربية، حافظا للحديث، عابدا خاشعا زاهدا ورعا قانتا لله عديم النظير، قال عبد الله العجلى: قال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك فيهما، القرآن والفرائض. وقال سفيان الثورى:

غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وقال أيضا عنه: ماقرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر، وقال عبيدالله بن موسى: كان حمزة يقرىء القرآن حتى يتفرق الناس، —

وَابْنِ أَبِي لَيْلَى ، وَحُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ . وَرَوَى عَنِ الْحَكَمِ وَعَدِيِّ ابْنِ ثَابِتٍ وَحَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ وَطَلْحَةَ بْنِ مُطَرِّفٍ . وَأَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَعَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ . وَرَوَى عَنْهُ

— ثم ينهض فيصلي أربع ركعات ، ثم يصلي مابين الظهر إلى العصر ، وما بين المغرب والعشاء ، وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول : هذا حبر القرآن . وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة ، فأن ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلا عن حمزة ، وما آفة الأخبار إلا رواتها . وفى هذا القدر كفاية وعسك بالقلم عن الباق خشية الاطالة .

وترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات قسم أول جزء رابع قال :

هو مولى آل عكرمة بن ربعى ، كان عديم النظير فى وقته علما وعملا وكان زاهدا فى الورع قرأ على كثير وحدث عن الحكم وطلحة بن مطرف وعدى بن ثابت وعمر بن مرة وحبيب بن أبى ثابت ومنصور بن المعمر وجماعة . وكان يجلب الزيت من الكوفة الى حلوان ، ويجلب إلى الكوفة الجبن والجوز ، قال سفيان الثورى : ماقرأ حمزة حرفا إلا بأثر ، وهو إمام الكسائى فى الهمز والادغام . قال رجل لحمزة : بلغنا أن رجلا من أصحابك همز حتى انقطع زوره قال : لم آمرهم بهذا كله . قال ابن معين : حمزة ثقة ، وقال النسائى . ليس به بأس . وقد كره قراءة حمزة ابن إدريس الأودى وأحمد بن حنبل وجماعة ، لفرط المد والامالة والسكت على الساكن قبل الهمز وغير ذلك حتى أن بعضهم رأى إعادة الصلاة وهذا غلو ، وقد استقر الحال وانعقد الاجماع على ثبوت قراءته رواه مسلم والاربعة

وترجم له فى كتاب وفيات الأعيان جزء أول

وترجم له أيضا فى كتاب الأعلام ج أول

يَحْيَي بْنُ آدَمَ، وَحُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ وَخَلْقٌ، وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي الصِّدْقِ وَالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَإِلَيْهِ صَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي الْقِرَاءَةِ بَعْدَ عَاصِمٍ وَالْأَعْمَشِ، وَكَانَ إِمَامًا حُجَّةً ثِقَةً ثَبْتًا رَضِيًّا قَيِّمًا بِكِتَابِ اللهِ، بَصِيرًا بِالْفَرَائِضِ، خَبِيرًا بِالْعَرَبِيَّةِ، حَافِظًا لِلْحَدِيثِ، عَابِدًا زَاهِدًا خَاشِعًا قَانِتًا لِلَّهِ وَرِعًا عَدِيمَ النَّظِيرِ. قَالَ الْأَعْمَشُ يَوْمًا وَقَدْ رَأَى حَمْزَةَ مُقْبِلًا: «وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» وَقَالَ ابْنُ فُضَيْلٍ: مَا أَحْسَبُ أَنَّ اللهَ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا بِحَمْزَةَ. وَعَنْ شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي عَنِ الدُّرِّ يَعْنِي قِرَاءَةَ حَمْزَةَ؟ وَكَانَ شَيْخُهُ إِذَا رَآهُ مُقْبِلًا يَقُولُ: هَذَا حَبْرُ الْقُرْآنِ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: غَلَبَ حَمْزَةُ النَّاسَ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْفَرَائِضِ. وَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ: شَيْئَانِ غَلَبْتَنَا عَلَيْهِمَا لَسْنَا نُنَازِعُكَ فِيهِمَا: الْقُرْآنُ وَالْفَرَائِضُ. وَقَدْ وَثَّقَهُ يَحْيَي بْنُ مَعِينٍ وَقَالَ: حَسَنُ الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ يَعْنِي ابْنَ أَبِي لَيْلَى، وَوَثَّقَهُ آخَرُونَ. وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَأَمَّا مَا ذُكِرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

مَهْدِيٍّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ مِنْ كَرَاهَتِهِمْ لِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَدِّ الْمُفْرِطِ وَالسَّكْتِ وَاعْتِبَارِ الْهَمْزَةِ فِي الْوَقْفِ وَالْإِمَالَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّكَلُّفِ ، فَإِنَّ حَمْزَةَ أَيْضًا كَانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَنْهَى عَنْهُ ، وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِمَنْ يُفْرِطُ فِي الْمَدِّ وَالْهَمْزِ لَا تَفْعَلْ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا فَوْقَ الْبَيَاضِ فَهُوَ بَرَصٌ ، وَمَا فَوْقَ الْجُعُودَةِ (١) فَهُوَ قَطَطٌ ، وَمَا فَوْقَ الْقِرَاءَةِ فَهُوَ لَيْسَ بِقِرَاءَةٍ . وَبَعْدُ : فَقَدِ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى تَلَقِّي قِرَاءَةِ حَمْزَةَ بِالْقَبُولِ وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ فِيهَا . تُوُفِّيَ حَمْزَةُ بِحُلْوَانَ مَدِينَةٍ فِي آخِرِ سَوَادِ الْعِرَاقِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَلَهُ سِتٌّ وَسَبْعُونَ سَنَةً

---

(١) الجعودة في الشعر : ضد استرساله

(٢) القطط : قصر الشعر

انتهى الجزء العاشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الحادى عشر ﴾

وأوله ترجمة

﴿ حمزة بن على « أبو يعلى الأديب » ﴾

الدكتور أحمد فريد رفاعى

لعلّ

كلمة عذبة مستساغة للرجاء والتمنى ، يتقدم بها كل مؤمل خيراً فيما يرجوه لنفسه ، من بلهنية عيش ، ورفاهية حياة ، ليسعف بطلبته ، ويجاب إلى أمنيته ، وربما لا أغلو فى قليل ولا كثير ولا أشتط فى إصابتى سدرة الحق ولبابه ، وجادة الصواب وبابه ، إذا ما قلت فى تواضع وإخلاص ، وفى صدق وطمأنينة ....

لعل الذين يقرءون فى ثنايا سطور هذا الكتاب ، يقدرون ما تجشم أستاذنا الكبير — حجة اللغة ، وإمام الأدب ، وناظورة العلم ومفخرة العلماء ، الراوية الثبت ، أستاذى فى الطفولة والشباب والكهولة ، الرجل المتواضع — الأستاذ « الشيخ عبد الخالق عمر » مراجع هذا الكتاب ، من صعاب كأداء ، ومشقات نكراء ، ومواصلة لغدائه براحته ، وآصاله ببكوره ، وليله بنهاره ، فى إقامة الأود ، ورأب الصدع ، وتقويم المعوج ، وإصلاح الهنات ، وإقالة العثرات ، ورد السقطات فى كثير من معميات هذا الكتاب وأحاجيه ، وأخطائه ومبانيه ، حتى أخرجت فى هذا الثوب القشيب ، مفهومة الأوضاع والأشكال ، بريئة من الأسقام والأغلال ، حرة طليقة مما كانت تعانيه من أعباء وأثقال .

وعلم الله الواحد الأحد ، الحى الصمد ، أنى أمقت أشد المقت المديح والثناء ، وأننى شديد النفرة من المبالغة والأطراء ، ولكن

الحق أبلج ؛ والباطل لجلج ؛ والعلم قليل ؛ والتثبت كبيضة الديك أو أقل . . . .

ولكن العمل لله ، وخدمة العلم فى سبيل الله ، والاخلاص لله ، ولغة كتاب الله أندر من الكبريت الأحمر ، وتسجيل الحسنات للمحسنين ، فرض عين لافرض كفاية ، إذا ما أردنا للعرفان ذيوعا ، وللغة إنشارا ، وللأدب إحياء ، وللأخلاق حياة وإنماء ، وللأمة كيانا وبقاء .

ففى سبيل الحق ، وفى سبيل الواجب ، وفى سبيل الوفاء ، والاجهاز على كل جائحة ، أتقدم لحضرة صاحب المعالى ، أستاذنا الجليل ، وزير معارفنا ، ورجالات وزارته الأمجاد ، ولجنة مراجعى كتب الأحياء بخالص الشكر ، وعرفان الجميل ، لاسعاف بحضرة أستاذى مراجع هذا الكتاب الذى أعترف بعجزى دون ثنائه ، وتقصيرى دون الوفاء بحقه ، وابتهالى إلى الله القدير أن يحسن جزاءه .

وكما أشكر لحضرات زملائى مصححى دار المأمون ، حسن تلبيتهم لملاحظات أستاذنا وأستاذهم ، حتى تم التوفيق على هذا النمط الدقيق كما أشكر خالص الشكر وأعمقه ، لجناب « المستر هيث » مدير المساحة التفصيلية ، وللأستاذ الجليل منصور فهمى بك مدير دار الكتب الملكية ، لما لهما من فضل لا يبلى ، وأثر لايفنى ؛ « فى المخطوطات والفوتوغرافيات » ، والله يهدينا إلى أقوم طريق ؟

احمد فريد رفاعى

دار المأمون { فى ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٥٥
فى ٧ من فبراير سنة ١٩٣٧



الجزء العاشر

من كتاب معجم الأدباء

لياقوت الرومى


COLUMBIA UNIVERSITY
0026814064

